الوقوع فى دائرة السحر



ألف ليلة وليلة فى النقد الأدبى الإنكليزى

١٧٠٤ / ١٩١٠

د. محـ ... الموسوى



الهيئة المصرية العامة للكتاب



الوقوع فى دائرة السحر
ألف ليلة وليلة
فى النقد الأدبى الإنجليزى
١٧٠٤ – ١٩١٠

د . محسن جاسم الموسوى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٧

الاخراج الفنى : محمـد قطب

تصميم الغلاف : أحمد خورشيد

لا نجوب الأرض بقصد التجارة وحدها ،
فقلوبنا المتلهفة توقدها الريح الحارة ،
وتوقا لمعرفة المحرمات فى المعرفة ،
نختط الطريق الذهبية الى سمرقند ٠

من مسرحية (حسن) لجى ٠ آى ٠ فلكر

كلمة ثنـاء

كانت هذه الدراسة فى الأصـل رسـالة دكتوراه باللغة الانكليزية قبلتها جامعة دالهوزى الكندية بتمييز فى ربيع ١٩٧٨ . والرسالة الأصل ، وان مثلت بعضا من متطلبات نيل الدكتوراه ، لكنها استدعت جهدا مثابرا وبحثا واسعا . أتمنى أن يكون واضحا فى متن الترجمة الى اللغة العربية . رغم ان الجديد الذى اهتم به مؤرخو الأدب الانكليزى قد لا يبدو بالدرجة نفسها من الأهمية للقارىء العربى . ولابد من الثناء على تعاون عدد من النقـاد الكنديين والأمريكان ومشـورتهم : وأخص بالذكـر منهـم the Mclush Professor Malcolm Ross والـ Regent Professor Richard Altick . وكلاهما معروف فى ميـدان النقدوالتاريخ الأدبيين . على أن الأداة النقدية قلما توفق موضوعيا دون حيثيات معرفية وأدلة استقرائية يوفرها البحث المكتبى . ولابد أن أخص بالتقدير تعاون المشرفين على مكتبة Case Memorial فى هارتفرد ، ومكتبتى Sterling و Beinecke فى جامعة ييل ومكتبة وايدنر فى هارفرد ، ومكتبة الكونغرس والمكتبة البريطانية الوطنية فى المتحف البريطانى ، ومكتبة جامعة لندن ، ومدرسة الدراسات الشرقية ـ الافريقية .

وبلا ريب فان الباحث يعجز عن تقدير ما تقدمه هذه المكتبات عادة من مساعدة وعون للمنقبين عن صحف ومجلات وكتب نادرة ، مرت على صدورها بطبعاتها المختلفة عشرات العقود !!

وعند الشروع بترجمة الرسالة الأصل ، اعدت النظر فى عدد من التفاصيل ، فأهملت مالا يهم القارىء العربى كثيرا ، وأكدت ما رأيتـه مناسبا فى التعريف بقيمة ألف ليلة وليلة الأدبيـة ، أو فى طبيعة ردود فعل القراء الأجانب وتجاوباتهم مع هذه الحكايات . واذا كانت الرسالة الأصل قد حملت هذا العنوان (الباب المحرم الى كنز لاينضب : دراسة النقد الأدبى الانكليزى لألف ليلة وليـلة) فان الكتـاب الذى يظهـر بالانكليزية حاليا يحمل عنوانا مختصرا ، هو (شـهرزاد فى انكلترا) ، اما فى النسـخة العربية ، فقد رأيت ان من المناسـب التأكيد على جانب الانبهار بالحكايات ، حيث كان القارىء والناقد الأجنبى مشدوها ومسحورا بهذا الكتاب ، مأخوذا بعنصر الخوارق فيه تـارة وبالسـمات الواقعيـة

الصرفة تارة أخرى ٠ فكان فى ردوده وانفعالاته شبيها بالواقعين تحت رحمة السحرة !!

وبرغـم ان النص العربى لم يفد تمـاما من بعض شروط التأليف والكتابة السائدة فى البحوث العلمية (لا سيما تلك المقبولة طبقا لمواصفات اسلوب الكتابة الجارية عند جمعية اللغات الحديثة MLA Style Sheet والتى اعتمدها النص الانكليزى) الا انى جهدت على تقليـل البعثرة ، وعمدت الى تأشير الاقتباسات والنصوص داخـل أقواس مزدوجة ، فى حين ان ما اردت لفت الانتباه اليه من شرح أو اصطلاح أو تعبير أجنبى وضعته داخل قوس واحد ٠ وعزلت النصوص المطولة المقتبسـة فى منتصف الصفحة ، كما هو دارج ٠ وغنى عن البيان ان كل ما هو مترجم عن نص أجنبى ، هو من ترجمة المؤلف ، وكل رأى وارد هو رأيه باستثناء ما هو موضوع داخل أقواس مزدوجة أو معزول فى منتصف الصفحة فهو مقتبس عن غيره ٠

توطئة ومدخـــل :

تعد ألف ليلة وليلة أو الليالى العربية ـ كما أطلق عليها مترجمها الانكليزى المجهول فى مطلع القرن الثامن عشر ـ من بين الكتب القليلة الفريدة فى تأثيراتها فى القراء ، وفى حجـم الاسـتقبال الذى صادفته والرواج الذى حظيت به ٠ وبالرغـم من ان الحكايات ما زالت تقرأ فى أوروبا ، ومازال الناشرون يعنون باعادة طبع أو اختصار مختارات منها ، الا ان ذيوعها القديم لم يعد ممكنا فى هذا العصر الجحود : حيث نضجت خدمات واتصالات جديدة كان لها شأنها فى تحجيم القراءة والاستجابة ٠ ولم تعد شـــهر زاد مطربة للكبار . وســاحرة تفتن الكتـــاب ، وانحسر جمهورها بين الأطفال ، وبعض هواة القراءة اليسيرة من الكبـــار ٠ ان بعض الكتاب المحدثين من أمثـــال (جون بارث) أفادوا منهـــا ، شـــأن سابقيهم ، برغم اختلاف الأساليب والرؤية والهدف الفنى ، لكن التعامل مع الحكايات العربية فى هذا العصر تميز بتجـــرد شخصى ، وموضوعية تقارب التسجيلية ، حتى ان المرء منا بدا مضطرا الى اعادة تقديم الحكايات الى جمهور كان أولى به ان ينهل منها مجددا ، بعد ما بدت العوالم الجديدة بكشوفاتها المتميزة تجسيدا تحققيا لما عددناه أوهاما وشطحات خيـــال ونحن نتابع تأملات الرواة فى الماورائيـــات والخوارق والأحلام ٠ لكن الدارسين الجدد لم ينصفوا الحكايات بعد ، وما زالت اجواؤها الوسيطة تطالب بمزيد من البحث والتنقيب الذى يعتمد الطرائق العلميـــة فى التفسير والاستقصاء ٠ كما ان قدرات شـــهر زاد الفنيـــة ، وان حظيت بملاحظة تودروف وغيره ، لكنهـــا تبقى أثرى من ان تحتويهـــا دراســـة واحدة ، وهو أمر يتبدى بوضوح أكثر فى الملاحظات التى تضمنها الفصل السادس من هذه الدراسة ٠

ولا مرد من تذكر (القصـــة الاطار) فى مجموعة شهر زاد فالقارىء الأوروبى يعرف فى الأقل ان ابنة الوزير طلبت من أبيها ان يسمح لها بالتزوج من ذلك السلطان الغاضب المرير والسوداوى المتغطرس شهريار ٠ فبعد غدر زوجته الأولى ، قرر شهريار ان يتزوج واحدة كل ليلة ليقضى عليها فى صباح اليوم التالى ، حيث لم يعد يثق بالنساء ، ورأى فى هذا الاسلوب خلاصه الوحيد من غدرهن ٠ ولم تكن شهر زاد على شاكلة غيرها

من النساء : فهي تعتمد كثيرا على فطنتها ودرايتها ومعرفتها الواسعة فهي أكثر الماما بوضعه النفسي من غيرها من النســـاء : فجاءته بمجموعة من القصص تشاغله بها كل ليلة ، فاعلة فيه فعل السحر والدواء ، مريحة اياه تارة ، ومداوية جروحه وآلامه تارة أخــرى • فقصصها لا تخلو من اشارات الى غدر النساء ، لكنها وهي تكسب ثقته بذلك ، كانت تذكــر أقاصيص أخرى عن وفائهن وذكائهن : ولم تزعجه بالمواعظ والنــوادر المباشرة ، بل جاءته بقصص مشوقة ، أثارت عنده ولعا بهذا الفن ولمدة ألف ليلة وليلة !! هكذا هي الحكاية ، صدقت أم لم تصدق •

ولكن ـ والعهدة على من روى كما يقول المؤرخون في أمور كهذه تحتمل الصدق والافتراء ـ كانت شهر زاد قد أصبحت أما آنذاك ، وكان الملك قد تحرر من سوداويتــه • اما موقفنــا نحن كقراء أدب من هذه القضية : فاننا قد نجد أنفسنا مجبرين على القبول بتخريج جاء به الناقد الانكليزي المعروف G. K. Chesterton فهو يرى ان شهرزاد شاهد على الاستقلالية الذاتية للفن : « فلم يحصل في كتاب آخر » كما يقول في كتابه بهارات الحياة (ص ٥٦ ـ ٦٠) « ان يقدم اعتراف كهذا بمفخرة الفن ومكنته الكلية » • فمتسلط كشهريار قد تأتمر بامرته الجيوش ، ولكن لزم عليه ان يستمع الى راوية : لقد كان الفن وحده بديل الحياة •

والحكايات متداخلة غنيــة متنــوعة ، فيها قصص الحب والمغامرة والنوادر التاريخية والمقطوعات الفلسفية والأخلاقيــة • وشــأن أغلب النتاجات الأدبية المتنوعة المنشأ والمتباينة الاتجـاه والمؤتلفة في النمو ، فانها مرت في سلسلة من التنقيحات والاضافات منذ بدايات ولادتها في القرن التاسع الميلادي ، حيث انطبعت على عدد كبير منها سمات بغدادية وقاهرية وسورية ، كما يستدل من المعلومات التضاريســية والحضرية والاشارات التاريخية و اللهجوية • ومخطوطة من أصول بغدادية لابد ان تفضح بعض الميول والنزعات والأوصـــاف البغدادية • والشيء نفسه يصدق على مخطوطات أعدت في القاهــرة أو في ســوريا • ولم تحقق مجهودات باحثي هذا القرن كثيرا من النجاح • وباستثناء ما عثرت عليه Nabia Abbott ـ مقتطفات من مخطوطة بغدادية تعود الى القرن التاسع الميلادي ـ فان باحثي القرن العشرين ودارسيه لم يكونوا أفضـــل من سابقيهم في تسليط الضوء على سلالة ألف ليلة وليلة •

لكن الفكتوريين الذين يعنينا أمرهم في هذه الدراسة كانوا ميالين الى التنقيب عن هذه التي سحرتهم ، كما سحرت الذين من قبلهم • وكان لمجلة **Athenaeum** فضل كبير في ميدان التنقيب عن تاريخ الحكايات

العربية · ففى تشرين أول ١٨٣٨ وايلول ١٨٣٩ نشرت مقالات عرضت فيها لأدلة خارجيــة متوفرة فى بعض كتب التاريــخ تضيف الى ما كان معروفا فى الفهرست والأغانى : اذ عثر باحثها على دليل يؤكد وجود كتاب يدعى ألف ليلة وليلة فى القرن الثانى عشر الميلادى ·

ولم يكن الباحث متعنتا أو عجولا : فلجأ الى أساســيات البحث ، مشيرا الى ان هذه الحكايات ليست ذات منشأ (جاهلى) :

أى قبل الاسلام : ذلك لأنها تكاد تخلو من نفس الصحراء والحرب الذى ميز سير المغامرة والبطولة فى عنترة وغيرها من القصص الرومانسى· وباستثناء المعنية منها بالخوارق والماورائيــات ، فان أغلب الحكايات يعرض لعادات وطباع مدينية (منزلية وعائلية ··) ·

وتشير هذه السمة المدينية الغالبـــة الى العصر العباسى : فتكثر الحكايات التى تتحدث عن طباع مدينيــة ، حيث الميل الى التجــارة من جانب ، والى (المقالب) والاسمار من جانب آخــر · ولعــل الحكايات البغدادية هى تلك التى يكثر فيها الميل الى التجوال فى الأسواق ، والبحث عن المخاطر البريئة ، والمغامرات اليسيرة المسلية · وهكذا تأتى فى صدارة مثل هذه الحكايات ما يتعلق بالحمال والثلاث بنات ، وتلك التى تخص جولات الخليفة وصحبه ، ومغامرات الموصلى وغيره · فى حين ان ما يخص السندباد يتوزع بين بغدادى وبصرى ، حيث كانت البصرة منفذا تجاريا بارزا ، وحيث كانت أيضــا منتدى للتجار من جانب ولمدارس الثقافة والفكر من جانب آخر · وسيرة السندباد لا تخلو من الجمع بين الاتجاهين بوضوح ·

اما المغـامرات التى تعتمد المكر والحيلة من جـانب والمنافســـة السياسية الحادة من جانب آخر فانها (قاهرية) فى روحها ، وأغلب الظن (كما يذهب المستشرقون من أمثال لتمان ، وبعده ميا كيرهارت) ان حكايات الزئبق ودليلة المحتالة وأحمد الدنف وحسن شــومان ذات أصـــول قاهرية : فعلاوة على ما تحتويه من معلومات (تبوغرافيــة) أو تضاريسية عن مدينة القاهرة فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، فانها اعتمدت فى هيكلها البنائى قصص (الشطار) أو الـ rogues : حيث يصبح التفنن فى الحيلة الماكرة ضربا من السلوك الداعى للتفاخر والمباهاة ! لكن هذه الحكايات لاتخلو من معان سياسية واضحة ، شأن ألف ليلة وليلة برمتها : فالصراع واضح بين بعض هؤلاء الشطار كحسن وعلى ، وبينهم وبين الحكام المماليك :

ذلك لأن الاخيرين تميزوا ، كما تذهب الى ذلك محققة مياكيرهارت ، بالحيلة والمكر اللذين لابد ان يلجأ اليهما محترف الفســاد السـياسى والاجتماعى لكى يديم وضعه • فكانوا يضعون مختلف الأدلة والبراهين بقصد الايقاع بمن يريدون من خصومهم • وهكذا تصبح براعة الخصم ، الذى هو عربى مصرى على الأغلب ، ان يغلب هؤلاء وينتصر عليهم ضمن مبدأ (العدالة الشعرية) فى الكتابة الابداعية ، أى تلك التى ينتصر فيها الكاتب لكل ما هو عادل وخير ضد كل ما هو فاسد وشرير •

وهناك حكايات متفرقة ، بعضها مولع بالخوارق والعجائب ، وقد تحتـاج هذه الى فرز دقيق ، لتمييز العـربى عما هو هنـدى أو تركى أو فارسى ، أو حتى يونانى • اذ كثرت التقولات وتباينت الآراء حول (الأصول) ، كما هو الأمر عندما يتم البحث فى (الموروث الشعبى) الذائع من جانب والمناقل شفاها من جانب آخر •

لكن التمييز يمكن ان يعتمد عددا من المبادىء ازاء حكايات الخوارق وغيرها من الحكايات • وبعد ذلك يتم التدقيق فى التفاصيل ، بقصد بلوغ استقصاءات نهائية فى أمر بحث فيه عدد من المستشرقين ، ابتداء بغالان وانتهاء بهامر ودى ساسى ولين ومحرر الاثنيم وجون بين وريشارد فرانسس بيرتن ولتمان وانتهـاء باليسيف وميـا كيرهارت والراحـل فون كرونباوم •

كان (اليسيف) قد سعى الى ذلك ، لكن الحكايات ليست سهلة المنال أمام الباحث دون تقص تفصيلى ليس فى نسخة دون أخرى ، بل فى النسخ المتوفرة جميعا •

وهكذا ، لابد من الابتداء بملاحظة المبادىء الآتية :

١ ـ مطالعة النسخ الأصلية ، والبحث عن المخطوطات الأساسية ، كتلك التى وجدت بعضا من واحدة منها Nabia Abbott والمتوفرة حاليا فى مكتبة معهد الاستشراق التابع لجامعة شيكاغو • وبعد التأكد من هذه المخطوطات ، وتلك التى اطلع عليها غالان ، وتوفر على بعضـها الآخـر شفاها ، يمكن تحديد المواطن الفعلية للحكايات •

٢ ـ لكن هذه المواطن لا يمكن تحديدها دون دراسة (تبوغرافية) الحكاية ، لاسيما المدينية منها • فالتبوغرافية يمكن ان تفيد لا فى تأشير المكان حسب ، بل وفى التدليل على تاريـخ التأليف أو الوضع التقريبى للحكايات أو لبعضها •

٣ ـ دراسة اللهجات ، فحيث ان الحكاية في وضعها الأول (التقريبى) شعبية ، وحيث ان (العامية) و (اللغة الهجينة) بين العامية والفصحى بدأت تسود فى المجالس المدينية منذ القرن الثالث الهجرى (تقريبا) ، فان من شأن اللهجة ان تقودنا الى أصل النص ، وواضعه أو مروجه .

٤ ـ دراسة الطباع والعادات والاتجاهات السائدة ، وكذلك تفحص ما يتعلق بهذه من أثاث أو أزياء أو منتديات أو حدائق ، لأن هذه جميعا تقود الى تعيين (مكان) النص ، وتاريخ انتشاره وتداوله . ومعروف ان (الحدائق) وحدها تقدم عددا من الأدلة (التضاريسية) والأخلاقية أيضا . حتى ان هناك دراسة عن (الحديقة المغلقة) في ألف ليلة وليلة ، قام بها أحد الباحثين ، وتضمنها فهرس كتابى هذا فى أواخره الخاصة بالرسائل غير المطبوعة .

ومعروف أيضا أن أحد المعماريين الأمريكان فى مطلع هذا القرن قام ببناء مدينة صغيرة موزعة حسب الخرائط العمرانية المتكررة فى ألف ليلة وليلة ، وتوجد الاشارة الى ذلك فى الفهرسة المثبتة فى آخر هذا الكتاب ضمن المراجع الثانوية (المقالات فى الصحف والمجلات ـ تحت اسم Muller وفى مجلة Country Life ١٩٢٨) .

٥ ـ متابعة التقاليد الدينية ودرجة التقوى ، من حيث علاقتها بالفقه والتشريع من جانب ، وعلاقتها بالغيبيات من جانب آخر : فمعروف ان المسلم (لاسيما العربى) يستمع الى الغيبيات التى تحتمل المبالغات الكبيرة ، دون ان ينسى انه لا يضيف على ما هو مثبت فى القرآن وحديث الرسول وقصص الصحابة والأولياء كثيرا . كما انه يعرف انه قادر على الاحتكام الى الله ساعة ما يشاء ، نادبا حظه ، أو متذرعا اليه ، أو طالبا غفرانه من ذنب أو معصية أو زلل .

كان المستشرقون متأثرين كثيرا بنزعة البحث والتنقيب فى فجر الدراسات المقارنة : وعلى شاكلة هواة القديم antiquarians كانوا يبحثون عن الدليل المحفوظ أو المدون ، ولهذا كان ارتياحهم عظيما عندما قرأوا فى (فهرست ابن النديم) وفى (مروج الذهب) للمسعودى عن أثر يدعى ألف ليلة أو ألف حكاية ، وعندما عرفوا ان هناك اجتهادا بشأن أصول حكايات شهرزاد ، لاسيما الحكاية الأساسية ، أى حكاية شهرزاد وشهريار : فقد اعتقد بعضهم ان مصدرها هزار أفسانه ، وقال آخرون انها قد تكون هندية .

ومهما بلغت الاجتهـــادات في هذا المجـال الا ان هذه الحـكاية الأساسية ، أي حكاية الملك والملكة ابنة الوزير ، لم تكتسب ذيوعها من جانب ، ولا سماتها التي وضحت في نسخة غالان لولا اطارها العباسي ، حيث الخلق العربي من جانب ، والديانة الاسلاميـة من جـانب آخر . فمثيلات شهر زاد كثيرات في قصور الخلافة آنذاك ، حيث الجمال لم يعد يعني حسن الخلقة وحدها ، بل يشتمل جمال الروح وعذوبة اللسـان وبلاغة الحديث وعمق الاحساس والفطنة وغزارة المعرفة وبراعة الاجتهاد . هذه هي المواصفات التي جعلت من الجارية (تودد) جارية مرموقة في المجالس ، وهي التي رفعت الى الحظوة والصدارة كثيرات ، كما تشير كتب التاريخ الى ذلك .

لكن رواة بغداد كانوا يخلطون بين الأصـيل والمكتسب ، شأنهم شأن صحفيي هذا الزمان ومثقفيه . كما انهم كانوا يواجهون طلبا متزايدا للقصة المسلية ، وذلك ابان توسع واضح في المدن والامصار داخل الدولة العربية الاسلامية . فالجمهور المدني urban (في تمييزه عن جمهور الأرياف والبداوة) تشغله التجارة والأعمال والوظائف نهارا ويتخذ من المساء موعدا للمسامرة والتسلية ، فيزدهر الغناء والطرب ، وتعظم الرغبة للرواية والنوادر . أي ان الدخيل يبقى قليلا وثانويا حتى عندما تحصل التداخـلات الحضـارية : لأن (المركز) الحضري هو الذي يستقطب الاتجاهات الثقافية من جانب ، ويتفاعل معها من جانب آخر : لكنه أولا وقبل كل شيء منبت ابداعات كثيرة ، تعد الحكاية واحدة من سـماتها الأساسية ، على أساس انهـا التعبير المديني الأوضـح في الأجنـاس الأدبية !! .

وهكذا ، وكما يذهب محرر مجلة الاثنيم قبل غيره بقرابة قرن من الزمان (أي في ١٨٣٨ ـ ١٨٣٩) فان الجزء الكبير من الحكايات والذي يهم الباحث والقارىء هو عربي المنشأ ، وانه استمر في النمو والتفاعل والتداخل مع أقاصيص مختلفة ومتنوعة حتى النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي . واذا عرفنا طبيعة الديانة الاسلامية ، من حيث كونها محررة من جانب ومستجيبة لاحتياجات الشعوب التي دخلتها من حيث خلوها من التفرقة وغناها الروحي والمعنوي من جانب آخر ، لتبين لنا أيضا ان ما كان لدى الشعوب من ثقافات انصهرت في بوتقة الدين المحرر الجديد ، ليكون هو نفسه السمة الأساسية لطبيعة الحياة الجديدة لدى هذه الشعوب .

ويتفق الباحث الحالي مع ما ذهب اليـه محرر مجلة اثنيم في ان

هناك جملة أصول وقواعد اسلامية طبعت اجواء الحكايات ، لاسيما الدين الاسلامي الذي أثر كثيرا على طبيعة سلوك الافراد وطباعهم ضمن قواعد أعطت الروايات أجواء منسجمة ، وموحدة ·

وبرغم ذلك ، كان المؤرخون والباحثون حريصين على تسمية مؤلف أو مجموعة مؤلفين للحكايات · وكان بالامكان تسمية واحد أو أكثر خلال عصر تكون الحكايات في بغداد : لكن مرورها في عملية (متصلة تاريخيا) من التنقيح والاضافة والحذف يجعل من الصعب الادعاء ان ما يتوفر لدينا الآن يعود لمؤلف دون غيره · ويبقى الحل الوحيد أمامنا هو البحث عن المخطوطات : فهذه وحدها يمكن ان تهدينا الى الرواة والمنقحين والمحررين، وهم الذين نهتم بهم بدرجة رئيسة · فهؤلاء هم الذين أضافوا للحكايات ألوانا وسمات متميزة ، تكشف لنا عن روح عصورهم وبلدانهم ، أي عن كل ما يهم مؤرخ الأدب وناقده !!

كانت أوروبا قد تعرفت على الحكايات متفرقة منذ الحروب الصليبية ، لكن هذا التعرف لم يحقق رواجا أو يترك أثرا كالذى خلفته الليالى العربية وهى تدخل فرنسا وانكلترا فى آن واحد فى العقد الأول من القرن الثامن عشر ·

أما الذى يدعونى الى دراسة اتجاهات النقد الأدبى الانكليزى لألف ليلة وليلة فهو ذلك الاغفال المتعمد الذى تعرض له هذا الأثر الأدبى على الرغم من سعة تأثيره فى أوساط الثقافة الانكليزية · فما زال الحديث ، كما يذكر الناشر والكاتب الانكليزى الفكتورى المعروف (جامبرز) ، مقتصرا على الآثار اللاتينية واليونانية فى الأدب الانكليزى· أما حظ الثقافة الشرقية ، فلا يتعدى الاشارات الى الكتب المقدسة · بعدما صودرت لتكون (غربية) قلبا وقالبا ، حتى بات مؤرخو الأدب ينسون انها هى الأخرى :، نتاجات شرقية !!

وهكذا ، ظهرت هذه الدراسة لتطرح نفسها فى (ميدان المنازلات العلمية) ، معتمدة على كل الآراء والاجتهادات التى يعجز المكابر عن اهمالها . ومتوسلة بطرائق التنقيب الموضوعى ، لكى توصل الحقائق دون ادعاء وعجالة وتضعها أمام القارىء ، لكى يستنتج بنفسه ، فى أغلب الأحيان ·

لكن مواجهة التجاهل والاغفال الغربى المتعمد فى بعض الأحيان لم يدفع المؤلف الى افتعال آراء مجدوية فى غير محلها : فـ (التزمتية النصية) المتطرفة فى هذا الوطن حالت دون ازدهار الآراء الجادة ، كما

منعت (روح التزمت) والمغالاة الرؤية الموضـوعية فى المظلم والمنير من تاريخنا : ان (التعنت الارثوذوكسي) لم يكن أجود التنكر التعصبى ، فكلاهما آفتان ، لكن الأول أتاح للمتخلفين والأغبياء تسويد نزعاتهم الدعية فى ثقافة العصر التى ما برحت تبحث عن خلاص ۰ وخلاصها فى الرؤية الجادة الحريصة على تقصى الوقائع ، والتى لايمكن ان تشين أحدا ، لأنها تقف فى السياق العام لوجود الأمة ۰ وقد تبقى هذه الرؤية منفردة لأنها ترفض المظلات ، لكنها لابد ان تتعزز والعلم يبلغ هذا الوطن من جديد ۰

ان توخى الاقناع لم يعد أمرا يسيرا ، كما انه لم يكن كذلك من قبل ، برغم التسهيلات الذاتية التى قدمتها فرق الدعاية لنفسها : لقد وجدنا أنفسنا فى أكثر من مرة نقرع طبولا خاوية ، ونبيع على أنفسنا ما صنعناه نحن تحت وطأة الغرور والصلف أو الغباء ۰ وتبين لنـا ان العالم كان ينظر الى اعلاناتنا مستغربا تارة وشامتا ساخرا تارة أخرى ۰ وكان الأولى ان نبتدىء بتقصى الحقـائق ، عن كل شىء ، دون خوف أو تطير ، فبداية الحكمة ان يعرف المرء نفسه ، ومن هنا يكتسب الشجاعة التى تلغى الخوف من متزمتى الثقافة الذين يغيظهم الاجتهاد ۰ واذا أراد التصدى بعد ذلك للتيارات التعصبية والاهماليـة أو غيرها من التى تمانع ان تزدهى الثقافة العربية فى أنحـاء المعمورة فانه لا يحتـاج الى (متاريس) أو (عكازات) : فالشـواهد والثوابت والحيثيـات هى الركائز ، والرؤية العلمية هى الاسلوب ، والاستقصاء لابد ان يصب فى تيار الحقيقة : حقيقة التأثيرات العربية فى الآداب الأجنبية ۰ عند ذلك ليس أمام الآخرين غير التسليم ، وكم سرنى ان يقول الاسـتاذ ريشارد التك (صاحب عدد من المؤلفات التى تبحث فى قضايا الذوق والرأى والفكر وطبيعة تطورها (*)) انه وجد نفسه موافقا ما بلغت من نتائج ، وانه أفاد هو الآخر من قراءة نص تصوره فى البداية مجـرد واحدة من مخطوطات الرسائل التى تبحث عن درجة دكتوراه !

فمنذ ظهور الترجمة الانكليزية الخالية من التوقيع لنسخة غالان الفرنسية فى مطلع القرن الثامن عشر لم تتوفر دراسة ناضجة متكاملة لطبيعة الاستقبال الشعبى والأدبى النقدى لهذه الحكايات فى انكلترا ۰ وبرغم شيوعها الكبير وتأثيرها الواضح فى الحياة الأدبية هناك ، فان شهرة الحكايات الأدبية لم تثمن بشكل موضـوعى ، وهو أمر يعرفه

(★) من اشهر كتبه

The English Common Reader.
The Art of Literary Research.
Victorian People and Ideas.

ويعيه من قرأ مختلف التواريخ الأدبية والدراسات النقدية لاتجاهات الذوق السالفة ٠٠ وابتداء ، فانى انطلقت وبجهد متواضع من واقع هذا الاهمال المجحف ، محاولا متابعة وتثمين السمات البارزة لشعبية الحكايات وشيوعها ، لا سيما بين جمهور قراء القرن التاسع عشر فى انكلترا ٠ لكن هذا المشروع لايمكن ان يتسم بالموضوعية والتكامل دون معالجة مبتسرة فى الأقل لقراءات كتاب القرن الثامن عشر ، وردود أفعال الجمهورين الأدبى والشعبى ازاء ما جاء فى الحكايات ٠ ومثل هذه التوطئة لا تهدف ضمان الاستمرارية التاريخية فحسب ، بل تنبعث أيضا من حقيقة ان نسخة غالان التى بقيت سيدة دون منازع طيلة القرن المذكور ، هى ذاتها التى حافظت على شهرتها فى القرن اللاحق برغم الترجمات الجديدة المنقحة ، والمهذبة ٠

ومن المؤكد ان آفاق وأدوات الدراسة الأدبية وطرائق معالجة الكتب الجديدة فى المجلات لم تكن متطورة وناضجة فى القرن الثامن عشر. الا ان دارس نظرية الأدب واتجاهات الذوق يمكن ان يلم بأوليات مهمة فى التأسيس ، حيث وجدت جذور رئيسة لطبيعة الاقبال والاهتمام أو الابتعاد والنفور فى أغلب مطالعات أدباء أو كتاب انكلترا الاوغسطية وقراءاتهم وتعليقاتهم ودراساتهم : وهذه الجذور هى التى نبعت عنها بشكل أو بآخر ٠٠ تلك الدراسات الرصينة المتعمقة فى مجالى الفهم الأدبى لليالى العربية ، والرصد السلالى لتاريخها وأصولها وحجم تأثيراتها فى الآداب الأجنبية ، لا سيما الأدب الانكليزى ٠

وبدل التأكيد على الأعمال المقلدة لألف ليلة وليلة (imitations) أو تلك المعدة عنها (adaptations) والتى تقع فى الغالب خارج التيارات الرئيسة للذوق الأدبى الانكليزى ، فان هذا البحث يعتمد على فرضية مؤداها ان أى تقييم مقبول ومعقول للشهرة الأدبية لليالى العربية لابد ان يقوم على معرفة حسنة وفهم واضح للنقد الأدبى الذى عاصر ترجمة الليالى المذكورة وشيوعها فى المحيط الثقافى الجديد أو المستقبل (receiving milieu) ٠ أى ان هذا البحث معنى بشكل رئيسى بطبيعة ردود فعل النقاد والمتذوقين وحجمها ازاء هذا العمل الأدبى ، والذى يدلل واقع شهرته على ذيوعه وتأثيره فى المجتمع الانكليزى المثقف ٠

ولكى يقترب موضوع هذا البحث من الدقة المنشودة والرصانة والتأصيل العلميين تم الاعتماد على (المقدمات) الذائعة للنسخ المترجمة والطبعات المعدة من الحكايات العربية أو المقلدة لها ، وكذلك على العروض النقدية والمقالات المتميزة التى وردت فى المجلات والدوريات المعاصرة

(آنذاك) ، وعلى مذكرات النقاد والكتاب والرحالة والوجوه المعـــروفة ورسائلهم وأحاديثهم • وحيث ان أغلب هذه المعلومات تدلل فى الغالب على اتجاهات النخبة المثقفة وجماهير القراء وأذواقها وتفصيلاتها ، فان موضوع البحث لم يهمل (المختارات) من الليالى والمختصرات لهـــا والطبعات المتكررة أو المزورة عنها ، والسرقات والأعمال المعدة مسرحيـا عنها ، أو تلك النتاجات القصصية المكتوبة فى ضوء هياكل الليـــالى وحبكاتها : ذلك لأن هذه جميعا تشكل ظواهر ذوقيـة ، وتكشف لنـا النقاب بوضوح عن نزعة الناشرين لمجاراة الطلب المتزايد على كتب دون أخرى : ومثل هذه الظواهر الذوقية تتيح فرصة مجدية لدارس الأذواق والاتجاهات الثقافية فى رسم مسارات بحثه واغنائها بدل حصرها فى نطاق النقاد والكتاب المتخصصين • ومعروفة مساوىء اتجاه كهذا الأخير ومخاطره الكبيرة على الدراسات الذوقية •

واتجاه كالذى نحن بصدده يعنى بالحتم عدم اقتنـــاع بما يتوفر من دراسات ــ على قلتها ــ معنية بشيوع النمط (الشرقى المزيف) فى الكتابة الغربية • فبحسن نية واضحة انطلق بعض النقاد باحثين بانبهار واضح عن تأثير الحكايات العربية فى الأدب الانكليزى ، وهو موضـــوع واسع وشائك ، لولا استسهال المهتمين أنفسهم لهذه القضية وتمسكهم بمـا هو سطحى • فهكذا ، ظهرت دراســـات عن الحـكايات المقلـدة والمحاولات الساذجة للاعارة من حبكات شهر زاد القصصية ، دون محاولة للغوص فى موضوعة صـــلة الليالى بالاتجاهات والتيارات الأدبيـــة والاجتماعية الرئيسة خلال الفترة المرصـودة فى هذه الدراسة • لكن السـؤال الذى لابد من مواجهته فى مثل هذه الميادين هو هل بالامكان التحدث عن تأثير دون المام بشكل العنصر المؤثر وفحواه ودون احاطة بالمحيط المستوعب بصفتـه مجموعـة من الاتجاهات والأذواق المختلفـــة والمؤتلفة فى اطارات التكون الاجتماعى ــ الوطنى ونموها ؟؟

كان آخـرون يذكرون باهمال بعض التقييمات الفنيـة لمجموعـه شـــهر زاد القصصية ، مؤكدين بدل ذلك الاشـــارات والتلميحات لها (allusions) والاستعارات من مناجمها الغزيرة فى ميدانى التفصـــيل واستحضار النوادر • ومتابعات هذه الأمور مفيدة ، كما هو معروف ، لكنها لايمكن ان تكون كافية فى تفسير شهرة هذه الليالى الراســـخة ، وهى شهرة تؤكدها الدراسات النقدية والمعلومات الوثائقية حول طبيعة رواج هذه الليالى خلال القرنين الاخيرين ، أى خلال عصرى نضج نظرية الأدب وتبلورها ، كما نتعارف على ذلك ونحن نتدارس النتاجات الأدبية!!

وليس جديدا ان نعترف بحجم التأثير الكبير لليـالى العربية فى الأدب الانكليزى ، ولاسيما المسرحية والرواية الرومانسية ٠ ففى مقالة ظهرت في مجلة Bookman (عدد ٣١ ، ١٩٠٧ – ص ٢٥٨) اعترف وليم اى ٠ اى ٠ اكسن بهذا التأثير ٠ فاذا كانت هذه الحكايات تسر « الذوق الأدبى » بمنوعاتها فى مجال المشاعر والنوادر وبجموعها المؤثرة من صيادين وسراجين وفتيان وأشقياء وزوجـات سليطات ، فانهـا « قد تكون ذات اسهام فى تشجيع الروائيين عندما أرادوا التعامل مع المشاهد المألوفة والحياة الاعتيادية » ٠ ففى ظرف لم تكن فيه « الرواية الحديثـة مولودة بعد » ، وفى ظرف كان فيه القراء « قد ملوا قصص الرومانسى الكلاسكية – الزائفة : بطولها الممل وعدم واقعيتها المريعة » كانت مجلدات غالان galland شائعة ٠

بعده بعام نشرت مارثا بايك كونانت كتابها الرائع « القصة الشرقية فى انكلترا فى القرن الثامن عشر : منشورات نيويورك عن دار مطبعة جامعة كولمبيا ، ١٩٠٨ » منبهة العديدين الى طبيعة اسـهام شهر زاد فى تطوير الرواية الحديثة فى بداياتها ٠ وتشير الكاتبـة الى ان الحكايات لايمكن ان تتمتع بهذا النجاح الكاسح لولا انهـا لبت بعض الحاجـات والرغبات الأدبية والشعبية : فادواتهـا الرومانسـية وحبكتها الحديثة وروحها المغامرة كانت تجهز الرواية الانكليزية غير المتطورة آنذاك بما كانت تحتاجه لكى تتجاوز تلك الممارسة المملة الشائعة فى رسم الشخوص قصصيا للمجلات والدوريات (راجع الصفحات ٢٣٨ – ٢٤٨) ٠

وبالرغم من ان أية دراسة دقيقة لاصداء الحكايات واعارات الكتاب الآخرين وافادتهم منها (معززة بلمحة توضيحية وثائقية عن قنوات النقل والتأثير الأدبى فى الآداب الأخرى) من شأنها تعزيز الاستقصاءات والنتائج وتدعيمها فى ميـدان شـيوع الليالى العربية وشهرتها ، لكنى وجدت ان تأكيدا كهذا ليس عمليا بحكم كثرة الاشـارات والتلميحات والاعارات ، والتى لا ينافسها غير (الكتاب المقدس بعهديه) في الأدب الانكليزى : وهكذا آثرت اختيار (التعبيرات الواضحة) لهذا التأثير ، لا سيما تلك المتعلقة مباشرة بموضوع البحث ٠ لكن الماما يسيرا بالفهارس والموسـوعات الحديثة يمكن ان يوضـح طبيعة الفرص المتاحة للباحثين فى مجالات التأثير الأدبى ٠ فعلاوة على مؤلف اى ٠ نيكل الموسوعى الذى يهتم بجرد المسرحيات المعدة عن الليالى العربية ، يذكر روبرت دى ٠ مايـو (فى كتابه الرواية الانكليزية فى المجلات ٠ ١٧٤٠ – ١٨١٥) وولتر هاتن (فهرست ولزلى للمجلات الفكتورية) عشرات الفقرات المعدة من حكايات

شهر زاد والمقلدة لها ، موفرين للدارس النشط افقا رحبا للدراسة ، ومنبهين المؤرخ والناقد الى ذلك السحر الغريب الذى امتلك عقول كتاب القرنين الثامن والتاسع عشر فى انكلترا · وقد تتوافر فرص للمؤلف ليلاحق هذه المواضيع فى دراسات قادمة ·

لكن هذه الدراسة المتواضعة تضع بعض شروط قراءة التأثيرات الأدبية والأبحاث المقارنة : فهى معنية بالسمات الجمالية (النظرية) والاجتماعية للتأثيرات ، معتمدة (عينات) شائعة وأكيدة بدل الاسهاب والتعداد الفهرسى الذى من شأنه ان يقتل روح الجدل ويوهنه ، متخذة من هذه (العينات) أدلة وثوابت فى استقصاء سر شيوع الحكايات أو بعضها بين فئة دون أخرى ، متابعة قضايا الذوق الثقافى والاتجاهات النقدية المعاصرة : واضعة الليالى العربية فى اطارات نظرية الأدب ، وليس خارجها · كما انها بتأكيدها النسخ الرئيسية المترجمة التى توافرت لجمهور القراء فى انكلترا الأوغسطية والفكتورية ، ناهضت التعميمات الساذجة ، لأن أية ترجمة دون غيرها من لنسخة من الحكايات المتوافرة تحكى شيئا خاصا بها · ولم تكن هناك دراسات فى هذا الميدان· فباستثناء ملاحظات (شيلاشو) عن قيمة نسخة غالان لرواية بداية القرن الثامن عشر (مجلة العالم الاسلامى الأمريكية ، العدد ٤٩ ، ١٩٥٩ ، ٢٣٢ ـ ٢٣٨ ومجلة بى · ام · ال · اى ، العدد ٩٠ ، كانون الثانى ١٩٧٥ ، ٦٢ ـ ٦٨) لم يكتب ما يستحق الذكر حول ضرورة توزيع أثر النسخ المتباينة وتحديده وتفسيره · كما لم يتم تشخيص حيثيات ردود الأفعال والتجاوبات ازاء الطبعات الرئيسة : فنسخة غالان هى غير نسخة ادوارد وليم لين (١٨٣٨ ـ ١٨٤١) ، وهما غير نسخة جون بين (١٨٨٢ ـ ١٨٨٤) ، أو نسخة ريشارد بيرتن (١٨٨٥ ـ ١٨٨٨) ·

لكن مناقشتى لهذه النسخ المختلفة مبنية على افتراض آخر ، خلاصته أن هذه الترجمات والطبعات المنتجة أو المعدة تكشف فى نوعها واسلوبها ومادتها وأشكالها عن تطلعات وأذواق ورغبات واتجاهات سائدة فى عصورها ، وهى تشكل بالتالى علامات كبيرة الدلالة فى التعبير عن القيم الأخلاقية والاجتماعية والجمالية ـ النظرية القائمة وهكذا تمت دراسة هذه النسخ من خلال ملاحظة ظروف ظهورها وتقييمها على أصعدة الثقافة والاجتماع · وكنت فى هذا الاتجاه مدفوعا باعتبارين · أولهما العوامل التاريخية والأدبية التى لابد ان تكون قد قررت موقف كل مترجم ومحرر وطريقتهما · وثانيهما ، ان كتاب القرن التاسع عشر خاصة كانوا يحتفظون بانطباعات واضحة ويمتلكون وجهات

نظر محددة ازاء الطبعات الموجودة · فالنسخة التى أعجبت (لى هانت Leigh Hunt) ـ على سبيل المثال ـ ليست نفسها التى أسرت وولتر باجت فى نضجه · كما ان الملاحظات والتعليقات النقدية أو الدراسية التى اثارتها وأوجدتها كل نسخة تنسجم مع الاتجاهات الأدبية والجمالية. مكونة بذلك تيارا فى العقلية العامة للمحيط الزمانى والمكانى الذى نحن بصدده : ومن شأن هذا المنهج وضع اليد على أمور خطيرة لايمكن لمؤرخ الأدب اغفالها · فالليالى العربية بطبعاتها المختلفة ونسخها وشيوعها الكبير أثارت جدلا وفجرت مناقشات وتعليقات ومعارك أدبية يصعب تناسيها عند مناقشة نظرية الأدب فى انكلترا · يكفى ان نتذكر هنا انه أثناء المعارك الفلسفية والفكرية المحتدمة آنذاك بين (أصحاب النزعة النفعية) و (دعاة الثقافة الأدبية) أو فى الصراع بين (الواقعيين الجدد) و (الرومانسيين الأواخر) فى خاتمة القرن التاسع عشر ، كثر الاستشهاد بالليالى العربية لتعزيز مواقف أو مفاضلات واتجاهات دون أخرى !!

لكن هذه الدراسة لها حدودها أيضا : فبرغم التركيز على النقد (الرومانسى) و (الفكتورى) لليالى ، لاسيما نقد الصحف والمجلات والدوريات الذائعة فى العصرين الماضيين ، فان هذا الكتاب لم يتناول بشىء من التفصيل ، الكتابات عن أصول الحكايات الشعبية والميثولوجيا المقارنة · ومن جانب آخر ، اشتملت فصول الكتاب على آراء بعض نقاد ألمان وفرنسيين وأمريكان لأن وجهات نظرهم كانت شائعة آنذاك فى انكلترا ·

لابد أيضا من ملاحظة أخرى حول حدود البحث : فهو لم يسع الى تقديم شروح للسمات المضمونية والبنائية لهذه الحكايات · فبرغم ان استعراض التجاوبات مع الليالى ومناقشتها لابد ان يقودا الى شرح لخصائصها الاسلوبية والمعرفية ، لكن هذه الملاحظة بقيت هامشية بالمقارنة مع الانعطاف الرئيس لهذا البحث : أى تفسير شهرة الليالى وشيوعها من خلال علاقتها بشكالات الذوق الأدبى المعاصر حينذاك · وانسجاما مع هذا التوجه المركزى فى الكتاب المطروح كان لابد من اقتباسات مستفيضة من كتابات نقدية ظهرت خلال القرنين المنصرمين ، واشارات الى أهمية هذه الكتابات أو سمعة كتابها · فمن غير ان نبصر معنى الليالى العربية من خلال هذه الكتابات نفسها ، قد لا نوفق فى تقصى ذلك السحر الشهرزادى الذى بهر قارىء القرن التاسع عشر فى انكلترا · ومن غير هذه الشواهد وتلك القراءات يتعذر علينا ان نتقصى الأصول الفنية لهذا (السحر) موضوعيا : فمنظور الآخرين يتيح لنا

التحرر فى أحيـان كثيرة من (الألفـة) الجماليـة التى تعيق الرؤية الواضـحة ، تلك الرؤية التى جددت الهوس الرومانسى المثير بالغريب والغامض والقريب المألوف على حد سـواء : ففى المألوف قد نكتشف الجديد · وكأنه يفاجئنـا أول مرة · وفى الخارق والغامض قد نجد (جـارا) لم نكن نتبينه من قبـل · فالعـالم لا يتوزع حسب معايير (عقلانية) محددة دائما ·

بغداد ١٥/٩/١٩٨٠

قسم اللغات الأوربية / كلية الآداب

جامعة بغداد

الفصل الأول

الليالى العربية فى القرن الثامن عشر :
اتجاهات الرؤية واشكالات الذوق

مهما يكون الموضوع الذى يطربنا اكثر :
جبروت الملوك الاشداء المدهش ،
اولئك الذين يسكنون في هياج البحر ،
أو شدائد السندباد ،
أو خدع الساحر الافريقى واحابيله القاسية ،
أو اخرى أكثر عجبا
تلهى وتطرب اسماعنا
فنحن نستمع بانبهار لقصصك الخرافى
فحتى الحقيقة لا تبتسم لنا بقوة جذبك العذب نفسها ٠

من قصيدة توماس رسل
(الى مؤلف الليالى العربية)
١٧٨٩ (١)

لم يكن امر البحث فى شعبية الليالى العربية ورواجها يسيرا على الرغم من مسعى النقاد الجهيد ٠ اذ يمكن ان يجد الواحد تفسيرا معقولا لشيوعها بين الرومانسيين الاوائل وخلفائهم فى نهاية القرن التاسع عشر، أو حتى بين جمهور قراء العصر الفكتورى ، لكن تفسير انتشار حكايات « تصورية وخيالية » تغاير « المفهوم الغربى للتأليف » ، فى «عصر العقل» لم يكن هينا على ناقد مجلة ستردى ريفيو الادبى (عدد ٧٤ ، ١٢ تشرين أول ١٨٩٢) فأقر بتواضع التداخلات الخطيرة التى تحتويها مغامرة من هذا النوع ، واقدم مسرعا على حلين لم يفقدا أرجحيتيهما وأحقيتيهما فى التفسير المنطقى حتى الآن ، فكتب الناقد الحذر : « قد يكون مرد ذلك الى ان الخيال الذى لم يقتنع برصانة راسين وجمود ريشاردسون البهى وجد متنفسا فى ذلك الوهم غير المتكلف أو المحدود الذى تفيض به هذه القصص » ٠ لكنه لم يطمئن تماما الى هذا التفسير ، فأوجز ما تبقى لديه بسرعة ، مضيفا : « أو قد تكون هذه القصص أول ولادة لظهور روح التاريخ فى الرواية ٠ فاذا صدق ذلك ، فان القرن الثامن عشر له الحق فى ان يتباهى بجوهر العقلانية ، حيث يتحول الخيال نفسه الى أمر موروث » ٠ وكان نقاد نهاية القرن التاسع عشر قد قدموا تفسيرات مسهبة لقضية النجاح السريع والكاسح للحكايات العربية ٠ فعلى سبيل المثال ، كتب سى ٠ تى ٠ توى لمجلة اتلنتك مانثلى Atiantic Monthly (عدد ٦٣ ، عام ١٨٨٩ ، ص ٧٥٦ ــ ٧٥٧) ، مؤكدا جدة المشاهد الشرقية ، وبهاء العاطفة ، ورقة الفكاهة وغموض الحياة ومواصفات أخرى ادهشت الفرنسيين . وبحكم معرفته بالمناخ الثقافى فى فرنسا انذاك ، رأى توى ان « فرنسا عاشت طويلا مسرحيات Corncille و Racine وكتابات Bossuet وفلسفة Bayle ولم يكن غير Moliere معبرا عن فكاهة الحياة » ٠ فى هذه الاجواء ، جاءت ترجمة غالان لالف ليلة ، فكانت شيئا مثيرا ، غريبا ، ومسرا : « فيها انفتحت ابواب الرومانس الشهية غير المحدودة ٠ وعجت باريس بالاقاصيص الجديدة ، كان ذلك نصرا شبيها بالذى حققته روايات ويفرلى » لوولتر سكوت فى مطلع القرن التالى ٠ ولم يبتعد ريشارد بيرتون عن هذا التفسير فى « المقالة الخاتمة » التى رافقت المجلد العاشر من ترجمته لالف ليلة (نسخة نادى بيرتون ، ص ٩٢) ٠ فكتب موضحا : « الذى ضمن لليالى (نجاحها المميز) هو ذلك (البهاء الخيالى) ، (عجب الخوارق وعظمة وروعة المشاهد)

وحيث انها كانت خارجة على التقليد الادبى ، و (خالية من أية غاية) وعظية أو تعليمية ، اثارت جمهور القراء واسرته » · لكن هذه الشروح والايضاحات وان كانت مفيـدة فى تقويم الاستقبال الشعبى والنقـدى الليالى العربية · والمجاميع الشرقية الاخرى ، فانها لم تكن متكاملة تماما وغزيرة الالمام لتفسر التقويمات المتباينة لالف ليلة أو لتوضح الاهتمام الشعبى المتزايد بهذا الجنس الأدبى الجديد ·

ولم تشر مارثا بايك كونانت الى هذه الكتابات فى دراستها عـن الحكاية الشرقية (الصفحات ٢٣٨ ــ ٢٤٨) ، لكن ذهنها النقدى ومنهجيتها فى البحث اتاحا لها التوصل الى استنتاجات اضافية حول شيوع الليالى · فقالت موضحة ان مجرد مجىء الليالى عبر فرنسا ضمن لها هذه الشهرة اذ كان الفرنسـيون اصحاب تأثير كبير فى الأدب الانكليزى فى تلـك الاثناء · كما ان الرغبة الهروبية لتجاوز القواعد المحددة (للكلاسـيكية الجديدة) قد حققت نفسها فى مطالعة هذه الحكايات العجيبة الغريبـة عن المخاطر والسحر · وفى مكان آخر ، اشارت الآنسة كونانت الى تكيف هذه الحكايات الى المحيط الثقافى الجديد الامر الذى يسر مثل هذا الاستقبال الحافل ، وهذه حقيقة تؤكدها الاعمال الفلسـفية والوعظية والتعليمية العديدة · ولكن ولسوء الحظ اكدت مارثا بايك كونانت على تأثير الليالى وتابعاتها المباشرة فى مجال الرواية الشرقية فى القـرن الثامن عشر · ونتيجة لذلك جاءت الملاحظات القليلة التى وضعتها بصدد شعبية الليالى وشيوعها مفيدة فى تعيين السمات العامة للتأثيرات الأدبية دون الاتيـان بنماذج نقدية معاصرة لتعزيز هذه التعميمات أو لالقاء ضوء على تنـوع ردود الفعل النقدية · وفى واقع الحال ، فان شروحات عجولة حول شيوع بعض الاجناس من شأنها ارباك الموضوع لا توضيحه ، فشأن نقاد أواخر القرن التاسع عشر ، اهملت الآنسة كونانت الطبيعة الشمولية الواسعة المتنوعة والخصبة لـ (ليالى السمر العربية) كما اهملت البيئة التاريخيـة ــ الاجتماعية للاذواق الأدبية وردود الفعل النقدية منذ ظهور الليالى الاول فى انكلترا ·

وبالرغم من ان تاريخ أول ترجمة انكليزية (والتى عرفت باسـم ترجمة Grub Street لمجهولية اسم مترجمها) لم يكن معروفا على وجه التحديد ، فان الدليل المتوفر يشير الى انها كانت متداولة فى عام ١٧٠٦ ، وهذه قناعة المستشرق المرحوم دنكان بلاك مكدونالد (٢) · وفى عـام ١٧١٣ كانت النسخة ذاتها قد مرت بأربع طبعات (٣) · اعقبتها عشرات الطبعات المكررة و « الترجمات الجديدة » و « النسخ المنقحة » والتى تشكل

باعدادها ومسمياتها « فصلا كبيرا فى تاريخ نشر التلفيق والخداع (٤) »٠ واحتوت قائمة Marshall للاقاصيص والكتيبات لعام ١٧٠٨ عنوان ليالى السمر العربية (٥) ، ويبدو ان هـذا الاسم كان من الاثارة والتأثير لدرجة ان احدهم قلده عام ١٧٠٩ فنشر كتابا باسم الجاسوس الذهبى ٠٠ ليالى السمر الانكليزية ٠ وبلغ شيوع الكتاب مبلغا ، حتى كان الناقد المعروف آنذاك James Beattie يصفه عام ١٧٨٣ بأنه « كتاب اطلع عليه اغلب شباب هذا البلد » ، اى انكلترا (٦) ٠ اذ بعد ظهوره فورا ، استقبل بحفاوة وقرىء بشغف ، تاركا «اثرا عميقا فى الأوساط المثقفة » (٧) ، وهو تأثير قاد الى سلسلة من المختصرات والاعمال المقلدة والمعدة خلال القرن كله ٠ ويكتب هوارد فيليبس لوفكرافت Lovecraft « لقد أصبحت الحكايات الشرقية ـ التى تحقق دخولها فى الأدب الاوروبى فى مطلع القرن الثامن عشر من خلال ترجمة غالان لمعين الليالى العربية الذى لا ينضب ـ تقليدا سائدا ، حيث استخدمت للتسلية والمجاز ٠ وفكاهة القاص الخبيثة وهى تمتزج بالغرابة والسحر حسب الاسلوب الشرقى امتلكت جيلا متعلما ، حتى أصبحت المفردات كدمشق وبغداد منتشرة بحرية فى الأدب الشعبى ، كما هو امر الاسماء الايطالية والفرنسية المفعمة بالحياة بعد حين » (٨) ٠ وفى الواقع ، دفع الطلب المتزايد على هذه الحكايات بمأجورى Grub Street من الكتاب والناشرين ان يعدوا ويقلدوا عددا كبيرا من نوادر الحكاية الشرقية وعقدها وأدواتها وسماتها حتى ان (*) Oliver Goldsmith و Horace Walpole فعلا فعلة هاملتون فى السخرية من أولئك (المستشرقين المزيفين) الذين يجمعون معلوماتهم القليلة من قراءات سريعة وسطحية لبعض الكتابات عن الشرق (٩) ٠

لكن الطبعات العديدة بالانكليزية من ألف ليلة وليلة والنسخ التى لا تحصى من الموجزات والقصص المعدة من معين شهر زاد لا توفر غير دليل واحد على نجاح الحكايات ٠ ولا يقل قيمة عن هذا الدليل رد فعل الكاتب والناشر المعروف Addison فك « مرآة لأذواق ورغبات قرائه » سقط ادسون تحت وطأة سحر الشرق ٠ مندفعا لنشر عدد من الحكايات

(*) كلاهما بارزان فى محافل القرن الثامن عشر ومنتدياته ٠ واذا كان (هوراس ولبل) قد امتلك الثراء والفطنة والتعليم ، وتميز بعمله المعروف (وهو أول رواية قوطية Gothic بعنوان قصر اوترانتو ١٧٦٤) ، فان كولد سمث يعد ابلغ اثرا : فلديه عمله الساخر المعروف Letters From a Citizen of the gorld (١٧٦٠ ـ ١٧٦١) و Vicar of Wakefield (١٧٦٦) والقرية المهجورة (١٧٧٠) ومسرحيته الساخرة الذائعة She Stoops to Conquer (١٧٧٣) ٠

في مجلته الذائعة Spectator محققا بذلك « إضـــافة جديدة واحدة الى ذخـــيرة رواية مجـــلات القـــرن الثـــامن عشر ، اى الحكاية الشرقية » (١٠) · ومن جانب آخر كان ولع القارىء الاعتيادى (لتفريقه عن القارىء المتفحص أو القارىء الناقد) عاملا مشجعا لدفع الدوريات والشهريات لطبع مقتطفات واقسام من الليالى ونشر بعضها مسلسلا · وفي الواقع ، ان خير ما يدلل على سحر الليالى الكبير حقيقـة ان مجلة London News التى تصـــدر ثلاث مـــرات فى الاسبوع بدأت فى السادس من كانون الثانى ١٧٢٣ بنشر الحكايات مسلسلة ، حتى استغرق ذلك « ثلاث سنوات فى اربعمائة وخمسة واربعين جزءا » (١١) · وفى عام ١٧٢٠ نشرت مجلة Churchman's Last Shift (رحلات السندباد البحار) فى اجزاء اســـبوعية مسلسلة ، واعقبتها مقتطفات قصصية مأخوذة ايضا من الليالى · وهكذا استمر ازدهـار الحكايات عامرا طيلة القرن الثامن عشر ، حتى ان Thomas Bellamy الذى وصفه روبرت دى مايو بأنه « عارف عليم حاذق بسوق الكتب » ـ نشر اقساما من الليالى مجزأة فى مجلته General Magazine ولتجديد ولع القارىء بالليالى أقدمت مجلات Lady's Magazine و Monthly Extracts فى أواخر القرن بنشر مختارات من الحكايات ، فى حين ان Novelist's Magazine ـ والتى « تعكس تأرجح الذوق المتذبذب للقرن الثامن عشر فى عقوده الاخيرة » ـ نشرت الليالى كاملة (١٢) ·

وعلى الرغم من ان القبول الحماسى العام لليالى العربية يشـــكل تجاوزا على مفاهيم التأليف (الكلاسية الجديدة) (*) الشائعة آنذاك ، الا أنه يعنى بكل تأكيد سيادة رغبات جمهور العامة من القراء ، وهى رغبات ليست مماثلة بالضرورة لرغبات الاقلية الادبية ، اى نخبة المجتمع الثقافى· اذ شهد مطلع القرن الثامن عشر نمو جمهور كبير من القراء ، مستقلين عن القيم النقدية التى يتمسك بها غلاة (الكلاسيين الجدد) · وحيث ان هذا الجمهور الكبير ليس خاضعا للمبادىء والمواصفات الجامدة (اى مبادىء التأليف الكلاسى الجديد) ، فانه يفضل بالحتم قراءة الروايات وحكايات

(*) المرحلة (الكلاسية أو الاتباعية الجديدة) تمتد حصرا بين ١٦٦٠ و ١٧٨٩ ، اى بين عودة الـ Stuarts الى الحكم وبين ظهور القصائد الغنائية · لكن المبادىء الاتباعية وجدت متنفسها الطبيعى فى العصر الاوغسطى ، حيث التأكيد على الذوق والعقل والفطنة · وازداد التأكيد على العقلانى بحكم الانشطة العلمية والفلسفية · وكان لا بد ان يظهر الادب خاليا من التصور والانفعال ، وأكثر واقعية وميلا للسخرية والموعظة الأخلاقية ، وكان لا بد بحكم التفريق الآنف الذكر ان يكون هذا العصر هو عصر النثر ـ يراجع التعريف بالاتباعية الجديدة فى الصفحات القادمة ·

(الرومانس) السهلة اليسيرة ، وهي قراءة اثبتت انها ليست عديمة النفع وان كانت مسلية • ولكن ، من الجانب الآخر ، كان فشل الرواية في الامتثال لقوانين وشروط التأليف النقدية السائدة واقترانها بالبطالة والكسل قد دفعا بعدد من نقاد القرن الثامن عشر لأن يتخذوا موقفا معاديا لهذا الجنس الأدبي • وبكلمة أخرى ، فان دارس الاذواق الأدبية يجد نفسه امام الجمهور والنخبة ، فحيث يستهلك الجمهور هذه الحكايات بشغف ولهفة ، ترى طلائع المجتمع الثقافي في ذلك ظاهرة نافرة وغريبة ، على ان هذه الطلائع تتوزع في الاذواق بين متشدد متمسك بالتقاليد الكلاسية الجديدة ، وبين متحرر منها ، وان اتخذ هذا التحرر سمات اقل صراحة مما درجت معرفته في نقد الأدب ، وهو امر سنتوضح ابعاده في هذه الدراسة •

وبخلاف العداء النقدي التقليدي الراسخ للرواية لاسيما الخيالية منها ، كان هناك اتجاه شعبي يتنامى باضطراد في تذوق الأدب الخفيف (في تمييزه عن الأدب الجاد) • وكانت اطروحة Huet وهي تؤكد عنصر التسلية في الكتابة وتشدد على أهمية التأليف الروائي القصصي الذي « يستوعب دون جهد ذهني كبير » تحكي رغبات جمهور القراء الجديد واتجاهاته • وفي مجالنا هذا بالذات ، تكتسب اطروحة Huet معنى خاصا ليس لأنه اشار الى اصل عربي محتمل لـ (الرومانس) فحسب ، بل لأن غالان – مترجم الليالي الاول الى الفرنسية – تراسل مع صديقه الضليع هذا بشأن بعض الحكايات العربية التي تضمنتها ترجمته (١٢) •

ولم يكن غريبا ان تحوز الليالي على اعجاب هذا الجمهور من القراء ، لاسيما وان حكاياتها عن مغامرات افرادها ومآثرهم والتي يمتزج فيها الواقعي بالخيالي دغدغت عواطف وشجون جمهور جديد ولد جراء التحولات في بنية وتركيب المجتمع الانكليزي• وفي الواقع ، فان مترجم Grub Street المجهول الاسم وهو يطلق على ترجمة غالان لالف ليلة وليلة ليالي السمر العربية ابدى وعيا ذكيا بذوق جمهور قرائه (انصاف المتعلمين) وشوقهم الى سرد مسل • اذ مهما يكن هذا الذوق الشعبي مزعجا لاناس التزموا بالقواعد الكلاسية الجديدة في الكتابة من امثال Shaftesbury فان التشكيلة النسوية الكبيرة من جمهور القراء لم تكن متخوفة من ان تغريها « الحكايات العجيبة » لـ « البربري » الذي كان مثار انزعاج الناقد والكاتب المذكور (١٤) • وكان ان وجد مأجورو Grub Street وباعة الكتب في هذا النجاح الكاسح تبريرا كافيا لاغراق السوق بطبعات معادة واخرى مقلدة . مستمرين في ذلك حتى اجهد هذا الجنس (جنس الحكاية الشرقية)،

نفسه في نهاية القرن تاركا المجال مفســوحا لالف ليلة وليلة لتعيش سيدة بين الكتب القصصية طيلة العقود القادمة ·

وبغض النظر عن هذه الاعتبارات ، لابد من ان نتذكر ان نوعيــة الكتاب ذاته كانت كبيرة الاثر في تقرير شعبيته في مطلع القرن الثامن عشر · اذ كان قارىء هذه المرحلة محظوظا في التوفر على هذه الترجمة ، ذلك لأن امانة المترجم في نقل نص غالان واحتفاظه ببساطة هذه النسخة وحضريتها وقوة اسلوبها كلها مزايا جعلت الكتــاب متوافقا مع اذواق الجميع ومن بينهم القارىء شبه المتعلم · وكان غالان ــ وبحكم وعيــه بتعصب هذا القارىء ورغباته ــ ، قد تجنب اى خــرق صريح للاذواق والتقاليد الأدبية المقبولة · وفي الواقع بلغ تجاوب غالان مع جمهــوره درجة عالية حتى انه تخلى عن المقدمة الاصــلية في النص التي تكررها دنيزاد على اختها تمهيدا لكل حكاية · وبهذا الصــدد يروى المستشرق جوزيف فون هامر حكاية نقلا عن Michaud « كان الباريسيون في طريق عودتهم من عربدتهم الليلية يتوقفون امام باب منزله ، موقظين اياه من النوم بصياحهم بصوت عال : يا اختاه ، الا تقصين على واحدة مــن اقاصيصك الجميلة ؟ »(١٥) · فما كان منه الا ان تخــلى عن دنيزاد وشهرزاد · مفضلا خيط السرد الباهت على التفصيل الوصــفي المنظري والغريب ، ومانحا الحوار والمحادثة شيئا فرنسيا ، مضيفا بعض الشروح والتعليقات ، ومعدا النص كله ليتوافق مع الظرف الاجتماعي والأدبي الجديد · وهكذا فعندما كان السير ولتر سكوت Walter Scott يشرح اسباب نجاح نسخة غالان ، اكد هذا التكييف للمناخ الفرنسي · وفي (رسالة الاهداء) التي تصدرت روايته Ivanhoe اوضح انه على الرغم من ان الحكايات كانت « شرقية اصلا في اعدادها الاول » ، الا انها « كانت متلائمة بشكل احسن مع السوق الاوروبي ، حائزة على اعجاب عام لا يبارى ولا يمكن ان يستحوذ عليه لولا ان الطباع والاساليب اعــدت لتناسب مشاعر القارىء الاوروبي وعاداته » (١٦) · ولا تقل جدوى في هذا المجال اشارة James Beattie في اطروحته (عن الحكاية الخرافية والرومانس) في الاعمال (المجلد الثاني ، ٥٠٩ ــ ٥١٠) · فبعد ان ابدى شكوكه بشأن اصالة عمل غالان ، جاء بهذا الاستنتاج الذكي : « اذا صدق ما قيل من ان هذه الحكايات شرقية ، فانها لابد ان تكون قد ترجمت بحرية كبيرة غير مبررة ، فاتجاه الاسلوب فرنسي ، ومراسيم مخاطبــة خليفة بغداد وامبراطور الصين هي نفسها المعتادة في البلاط الفرنسي »·

اما هنري ويبر Henry Weber فقد كان في تقييمه لنسخة غالان أكثر ولعا بمواصفاتها الأدبية ، فذكر في مقدمته المعروفة لمجموعات حكايات

من الشرق (طبعة ادنبره ، ١٨١٢ ، المجلد الأول ، ص ٢٨ - ٢٩) ان تأكيد غالان يقع على العقد الحديثة وعناصر التشويق والسرد القصصى ، وهكذا حفلت نسخته بقصص المغامرة ، وحكايات الحب ومشاهد السحر التى قلما تفقد قدرتها على التسلية • وفى الواقع لم يكن تخريج (ويبر) مغايرا لتفسير ذلك الناقد الذكى روبرت هرون Heron الذى كتب فى مقدمته لنسخة ادنبره (١٧٩٢) من الحكايات العربية (المجلد الأول ، ص ٩) : « من المحتمل ان تكون آلية ليالى السمر العربية - أى طرائق وسبل البناء والتشويق - قد اسهمت أكثر من أية سمة أخرى فى تحقيق هذه الخطوة مقارنة بأعمال الخيال الأخرى المعروفة فى أوروبا وقت ظهورها الأول » • ويضيف ان هذه الأعمال حفلت بمواقف وعقد مكررة • أما الليالى فقد جاءت بشىء مغاير وجديد : « فى هذه المجلدات يرقص السحرة والجن والمصابيح والخواتم والطلاسم بوفرة تجعل القارىء يتعجب ويندهش مستغربا ، هذا القارىء الذى لم يتعرف من قبل على غير ساحرات يمتطين المكانس ، أو جنى قزم يرقص بعض الأحيان فى ضوء القمر » • وعلى الرغم من أن هذا السحر الغريب وهذا التصوير المثير لعالم يوفر العجب وييسر التمنى قد يكونا سببين لنجاح ألف ليلة المفاجىء ، الا أن الحكايات تحتوى تقاليد مضمونية عديدة ليست غريبة على القارىء فى القرن الذى نحن بصدده • وكان ان اكتظ أغلب هذه الحكايات بتأملات عن معنى الحرية ، وخطيئة الغرور والطمع ، وقداسة الواجب والعمل ، وتفاهة أمور الدنيا • وبكلمة موجزة ، فان قارىء هذا القرن وان كان قد وجد المتعة فى متابعة هذه الحكايات وسحرته اجواؤها بلذة غريبة ، لكنه يمكن أن يكون قد اتفق مع السندباد فى استنتاجه بأن لا تحصيل دون مشقة ، وان السماء تكافىء النشيط الشريف • وقد يكون موافقا شهرزاد فى حكمها على الساحر فى (علاء الدين) ، حيث قالت انه يستحق العقاب والموت لزهوه وطمعه وخبثه • من جانب آخر ، يمكن ان يجد القارىء فى وصفها للقصور الواسعة والحدائق الغناء ومشاهد الحياة المنزلية والعادات والطباع الاجتماعية والدينية ما يستحق اهتمامه وانجذابه • ويقول Heron فى المقدمة ذاتها (ص ١٢) : « لا ادرى ان لم يكن الذهب والجوهر والعقيق والزمرد والمخزونات الثمينة والأوانى المكتظة والحدائق الغناء والمنازل والشقق التى تتجاوز كل وصف •• قد أثرت فى ذهن القارىء دون وعيه ، فسرته وسحرته لدرجة لا يود صاحب الذوق الأدبى الاعتراف بها » •

ولكن حتى حين مناقشة جانب التشويق فى ألف ليلة وليلة ، علينا الا نحدد انفسنا بمشاهد التحويل السحرى والآلية الفوطبيعية ، ذلك

لأن هذا العنصر الاسطورى (الميثولوجى) لا يمثل غير بهو واحد فى قصر علاء الدين الفسيح الذى أصبح رمزا لسعة خيال قاصى الحكايات ٠ وفى الواقع ، تحول طبيعة المؤلف الثرية المتداخلة دون توزيع جاذبية الكتاب للجمهور أو تبويبه تحت عنوان أو اثنين ، وهو أمر ادركه روبرت هيرون أيضا ٠ فبعد تحليله لثلاثية الجذب الشهرزادى للقارىء الاعتيادى (تصويرها للطباع الاجتماعية ، وطرحها لموضوعات ذات مغزى شمولى وحكمى ، وآليتها) شعر ناقد النصف الثانى من القرن الثامن عشر از هذا التحليل الوصفى اعجز من ان يغطى السحر المتعدد الوجوه والجوانب ل « هذا الخليط من المغامرات الفكهة والمأساوية والبطولية » ٠ وهكذا ، فعند مناقشة شهرة ألف ليلة وليلة يجد واحدنا نفسه متفقا مع (اى٠ اف٠ بلاير) بأن جاذبية هذه الحكايات تكمن فى كونهـا مستودعـا للموضوعات الواقعية والخيالية الخلابة وضعت فى أسلوب جديد على قارىء هذه المرحلة ٠ يقول ملاحظا بصدق : « لقد خلبت هـذه القصص وبقوة الذهن الركوكى ـ « الذهن المولع بالزخرفة المبالغة فى الربع الأول من القرن » ـ فكيف بها وهى تأتى بالخيارات والفرص الواسعة : كياسة الأسلوب ، وتنويعات البناء ، والمغامرة ، والشبق الجنسى ، والاخلاقية الوعظية ، والاحاسيس ، والخيال ، والفلسفة والسخرية » (١٧) ٠

ونقطة أخرى تستحق التوضيح (قبل الشروع بدراسة ردود الفعل النقدية) تتعلق بما يشاع عن بذاءة وفجور بعض الحكايات ٠ فبتأثير الأفكار التقليدية المبالغة والسائدة حول تعدد الزوجات فى الشرق غلب الانطباع بأن الشرق هو بلاد الجنس والتحلل الاخلاقى ٠ ولكن بدل ان يتمسك كتاب العقود الأولى من القرن بالموقف الاكليرجى الأول المعادى للاسلام والشرق ـ أى الذى ميز الشهادات الكنسية فى العصر الوسيط ازاء الديانة الاسلامية ـ تعاملوا مع الموضـوع « باسـتمتاع » (١٨) ، وبخاصة ابان ظرف فاقت فيه نسبة النسـاء الموجود من الرجـال فى انكلترا ، لدرجة شغلت ذهن مفكرى العصر وكتابه (١٩) ٠

وعندما جاءت نسخة غالان بقصصها عن النسوة المحجبات واللقاءات المثيرة المدبرة بين الجنسين وطدت الانطباعات السالفة بدل ان تلغيها ٠ وفى الواقع ، كشفت رسائل السيدة ميرى ورترلى مونتاكو ـ والتى وزعت بين الخاصة عام ١٧٢٤ ـ عن ميل هازل ولعوب لرؤية الشرق من منظار تأثر كثيرا بألف بيلة وليلة ٠ وعلى شاكلة عشرات آخرين من الرحـالة آنذاك ، كتبت السيدة ميرى لتثبت انه « باستثناء مشاهد السحر »

طرحت الليالى « صورة واقعية للطباع والعادات » فى تركيا حيث كانت تقيم مع زوجها السفير (٢٠) ٠

لكن هذا الميل للاخيلة والمشاهد المغرية والبعيدة المنال ليس مرادفا للاتجاهات (الطبيعية) في نهاية القرن التاسع عشر ، كما ان ترجمة غالان ليست شأن ترجمتي جون بين Pajne وريشارد بيرتن ٠ فعلى الرغم من استجابتها لذلك الحب المتزايد الغريب والشهوانى المبطن ، فان نسخة غالان كانت تهدف دغدغة جمهور القرن الثامن عشر لا صدمه أو التعرض لقناعاته وقيمه ٠ ففى مقدمته لهذه الترجمة ، أوضح غالان انه جهد ان يكون أمينا للنص الأصلى،مضطرا الى غير ذلكعندما يدعوه الحياء والاحتشام و « تهذب اللسان الفرنسي وذلك العصر » الى تجنب ما يراه مشينا (٢١)٠ وحسب ذلك ، حذف بعض المشاهد كمشهد الحمام فى (الحمال والثلاث بنات) ، وأهمل أخرى اعتبرها منافية للذوق الأدبى الجيد ٠ وفى رأى دارس وباحث من باحثى ذلك العصر (وهو Patrick Russell الذى كانت فى حوزته مخطوطة من الليالى) ، فان غالان كان محقا فى « حذف » أو « تخفيف » بعض المشاهد القليلة « التى وصفت بفحش فى المخطوطة الأصلية » (٢٢) ٠

لكن رواج نسخة غالان لا يمكن أن يتحقق دون مجـــاملته لبعض الطباع السائدة ، خاصة لذلك التأكيد الأدبى على الأخلاق وحسن السلوك واللياقة ، وكان أن أقدم على تعزيز ذلك الخيط الاخلاقى الذى يبطن لحمة الليالى ٠ وفى مقدمته (ص ٩) ، يشرح غالان الأمر : « اذا توافرت لدى قراء هذه القصص الرغبة للافادة من أمثلة الفضيلة والرذيلة التى يجدونها معروضة هنا ، فانهم يمكن ان يفوزوا بفائدة قد لا تجنى من قراءات أخرى أقدر على الحاق الاذى والتفسخ لا على تحقيق اصلاح الخلق والطباع وتقويمها » ٠ ولم يغال غالان فى وجهة نظره كثيرا ولا سيما اذا ما قورنت هذه ببعض الآراء التى سادت حول هذه الحكايات فى القرن الثامن عشر ٠ لقد كان روبرت هرون يتمتع برهافة حس خاصة ميزت أولئك القريبين من السوق الأدبية ، وكان قادرا بالتالى على فرز مسحة أخلاقية داعبت امزجة المتعلم والقارىء الاعتيادى على حد سواء ، لا سيما هذه المسحـة التى وردت فى الليالى ممزوجة بعنصر التشويق السائد ٠ ففى مقدمته لنسخة ١٧٩٢ للحكايات العربية (المجلد الأول ، ص ٦) ، انتقد بشدة « دعارات بين ومانلى وهيوود » حيث كتبهن « معـدة وبشـكل كامل

للمنحطات والنسوة الباحثات عن المتعة » (*) وحيث ان الكاتب يقصد من هذه الاشارات طرح الحكايات العربية على انها نمط كتابى مختلف ، فانه وجد من خلال مقارنة الأعمال السابقة بالحكايات العربية ان الأخيرة « متعة لاولئك الذين اختاروا ان ينصرفوا بالذهن بعيدا بعض الأحيان عن وقائع الحياة ، دون أن يكونوا مستعدين لدهورة الخيال والتصور بتحويل اهتمامه الى الاستغراق الشهوانى الغثيث » • وبكلمة أخرى ، فان نسخة غالان مثلت استجابة الى نوع مختلف من الكتابة ، وهو نوع لا يسبب ازعاجا فعليا لقواعد السلوك والاحتشام القائمة وان لم يكن سافرا فى الوعظ الأخلاقى • وبحدود هذه القضية وبقدر علاقتها بترجمة غالان فان المرء لا بد أن يوافق وايتسمان فى ان « الليالى التى توفر عليها قارىء القرن الثامن عشر ـ ومن حيث أخلاقيتها ونبرتها ـ لم تقلق مبدأ اللياقة الروائية السائدة الا قليلا » ، ذلك لانها « كانت تخاطب فى الغالب قضايا أخلاقية وسلوكية كان الاوروبيون يسعون لحلها فى مطلع القرن المذكور »(٢٣) •

لكن تخريج وايتسمان الآنف الذكر يبدو معقولا ضمن حدود الذوق الشعبى فى القرن الثامن عشر ، أى أنه ليس دقيقا بشأن ردود فعل الأدباء والنقاد الفلاسفة ، أو أولئك الذين يشكلون طبيعة الموقف الأدبى آنذاك • فالملاحظ ان هذا الاستنتاج يغفل ذلك النقد المرير واللاذع لألف ليلة وليلة ، والذى ورد على لسان ممثلى (الكلاسية الجديدة) (**)

(★) من بين روايات Mrs. Behn ثلاث معروفة هى Agnes de Castro, Fair Jilt, Oroonoko الصادرة عام ١٦٨٨ • ولديها كوميديات نثرية فيها الكثير من العواطف المبتذلة ، ونشر Montague Summers أعمالها الكاملة عام ١٩١٥ • لكن هرون يتحدث عن نسخة ١٧٠٥ من الأعمال، وهى نسخة شائعة آنذاك • أما ما أعدته Eliza Haywood من رسائل عاطفية على شكل روايات أو رومانسيات شائعة فانها احتوت بعض مواصفات الرواية القوطية ، وظهر لها آخر عمل مطبوع بعد وفاتها ١٧٧٨ (توفيت ١٧٥٦) • وعنوان ذلك : تاريخ ليونورا ميدوسن • أما مسز مانى فقد شاعت عنايتها بالمغامرات الجنسية الموضوعة فى سياق تاريخى ، حول هذا الموضوع راجع :
Montague Summers, The Gothic Quest (N. Y. : Russell and Russell, 1964).

(**) الكلاسيكية الجديدة : يرد المصطلح هنا ليعنى استعادة للاعتبارات الجمالية السائدة فى الآداب الكلاسية ، لا سيما اليونانية : وسواء كثر تأكيد التناسب والتناسق أو الاحتشام والطبيعة البشرية ، فان الجوهر الأساسى فى الفلسفة العصرية فى القرن الثامن عشر هو قضية النظرة الى الانسان ، والذى برغم هناته وضعفه ، يبقى قادرا على النبوغ والجلالة • ومن هنا تطمح الفنون الى محاكاة هذه الطبيعة البشرية • فاذا كان افلاطون يعد الفن على أساس كونه (نسخة) أو (محاكاة) ابتعدت عن الأصل ثلاث =

(أتبرى Atterbury) و (لورد كيمز Kames) و (هنرى جيميز باى H.J. Pye) • وعدا هذا الأمر ، فان الباحث لم يأخذ بنظر الاعتبار تلك (الكراهية المحافظة) للأدب القصصي عامة ، ففى مطلع القرن المذكور لم يكن هذا الأدب قد وجد قبولا لدى الفئة المثقفة السائدة ، وهى فئة اعتادت على استساغة ما ينسجم مع قواعد التأليف المقبولة ، حيث التأكيد على الانسجام والاعتدال والحشمة فى المادة والأسلوب ، أى على مكونات التأليف فى ضوء عودة متنورى العصر الى الكلاسية !!

ومثل هذه الاشكالات والتعقيدات تجعل من الضرورة التريث فى تقويم الاستقبال النقدى الأدبى لألف ليلة وليلة ، والشروع بعد ذلك بدراسة وتفحص أنماط ردود الفعل الأدبية والنقدية فى ضوء قواعد التأليف السائدة ، وخاصة تلك التى تؤكد على (الاحتمال) و (الحشمة) و (التناسب) • وردود الفعل المذكورة لجماليات شهرزاد تستدعى مثل هذا الاهتمام لكونها تمهد الطريق أمام ردود فعل واجتهادات لاحقة تكون من حيث سماتها وتأثيراتها شكلا عاما لأساسيات نظرية الأدب وطبيعة تطوراتها ، كما تكون صورة مترابطة لطبيعة التفكير الانكليزى وانطباعاته عن الشرق عامة والعرب خاصة خلال قرنين من الزمان •

وعلى الرغم من حجم الاستقبال الشعبى الكبير الذى حفلت به قصص شهرزاد ، فان منتقدى العصر من الكتاب لم يكونوا متوحدين فى حماسهم • وفى الواقع ، تعددت وتباينت وجهات نظرهم بين رافض لهذا الجنس الأدبى ومعجب به ، حتى ان المعجبين وبحكم طبيعة الاتجاهات السائدة فى الكتابة والتأليف شعروا بالحرج من التصريح ، فأعلنوا معتذرين أن فى الحكايات أصولا كلاسية تقربها من المقبول آنذاك ، فى حين أن آخرين منحوا اعجابهم مشروعية مردها تنامى الدعوة لتعزيز فاعلية وفائدة الآداب ، وهى دعوة رافقت النزعة النفعية كفلسفة شديدة الاقتران بتزايد حجم الطبقات الوسطى فى ظل التغييرات الصناعية الاقتصادية والسياسية • فاذا لم يعد ممكنا قبول آداب لا تنسجم مع هذا الحس النفعى والنزوع التملكى الذى يميز الطبقات الصاعدة عادة ، كان لابد أن يؤكد بعض معجبى شهرزاد على

= مرات وانه بعد ذلك يستمد أهميته من القدرة (على التعليم) فانه فى ذلك لم يكن على خلاف مع ارسطو فالأخير ـ كما يذهب ب• هـ• برنس اعتبر المحاكاة أساسا للفن : فى حين أن متعة المتلقى تتأتى من (التعرف) أى ادراكه ل (الفعل أو المحتمل أو المثالى) لما يمكن أن يكون فى الطبيعة • راجع مقالته (متى كانت الكلاسيكية الجديدة ؟) فى

Backgrounds to 18th - Century Literature, ed. K. Williams (N. Y. : Chandler, 1971), p. 43.

أنها هي الأخرى لم تكن تسرد قصصا دون مغزى وغاية · ولم تأت بشيء ـ اذا استثنينا القليل ـ يخلو من فائدة في التعريف بالشرق ووصف عاداته وأخلاقه · ودعوة كهذه ـ كما نعرف ـ ليست عديمة المغزى هي الأخرى في ظل استئساد النزعة التوسعية الاستعمارية(الكولونيالية)للامبراطورية البريطانية الشابة حينئذ ·

ولكن ، وقبل الدخول في تفاصيل الفقرة الأخيرة ، لا بد من احاطة يسيرة بذلك العداء (الكلاسي الجديد) للجنس الأدبي الدخيل · يقول الناقد الانكليزي الفكتوري (نسبة الى عصر الملكة فكتوريا) بي · أي بوت (Pote) أن الليالي العربية وهي تفاجيء أدباء القرن الثامن عشر ، وصفت بأنها « مثيرة للسخرية ، غير طبيعية ولا محتملة » · وشأن آخرين من أوائل نقاد العصر الفكتوري ، لاحظ بوت (Pofe) كيف أن الكلاسيين الجدد كانوا يتعصبون بقوة ضد ما يعتبرونه طبقا لمفاهيمهم « الأحـــلام المطلقة العابثة لخيال الشرق المضطرب » · ومثل هذه الكتابات ، بالنسبة لرواد الكلاسية الجديدة ، تهزيء « كل قوى التحليل ·· تاركة انطباعاتها المضطربة الباهتة على نبض الرجولة وفي وضح النهار» (٢٤) · وكان بعض المتنفذين من (متنوري) العصر ـــ كما يدعون بحكم انتسابهم الى عصر التنـــور ـــ من أمثـــال الأسقف أتبري وهنري جميز باي ولورد كيمز يعترضون بشكل خاص على « همجية » الليالي وأسلوبها وعلى ما يعتبرونه تفاصيلها السردية المسرفة غير المتناسبة · وبكلمة موجزة ، فان الكلاسيين الجدد اعترضـــوا على كـــل ما يمكن أن يغري ويسر اوائل الرومانسيين (Pre-romantics) من أمثـــال هوكزورث Hawkesworth وبكفورد Beckford وولبل Walpole وآخـــرين ·

لكن معارضة الكلاسيين الجدد neo-classicists لألف ليلة وليلة على أسس نظرية جمالية غالبا ما كانت تعني ضمنا اعتراضا على مقوماتها الأخلاقية (moral Standards) ، ذلك لأن شـــافتزبري Shaftesbury وآخرين كانوا لا يفرقون بين الغريب وغير المنتظم والشاذ وبين الحرية المطلقة والانحلال ، معتبرين البناء المتطرف والطائش علامة من علامات سوء السلوك وعدم اتزانه · وهكذا ، فعندما بعث الشاعر والكاتب الاوغسطي المعروف Pope بنسخة من الليـــالي الى الأسقف انبري مادحا اياهـــا بصفتها عمـــلا يستحق القراءة ، استهجنها الاسقف ناعتا اياهـــا بشتى النعوت التعيسة ، فهي تافهة ، طائشة ومعديـــة · وكان ان كتب الى Pope ، مؤكدا : « لقد قرأت منهـــا ما اقدر عليه وأنا حي أرزق » ، لكنه أضاف ان ذوقه لا يستسيغ كتابات من هذا النوع ، تفيض بالمبالغة

الأسلوبية وتكتظ (بحبائل الرومانس) • ان هذه الحكايات مكتوبة ، كما يقول الاسقف ، « بنفس رومانسي ، وحتى اذا سلمنا باختلاف الطباع الشرقية ، فانها ذات تأليف تافه وغليظ وفي الأقل هذا ما بدا لطبعي الشمالي [الاسكتلندى] ولا أخفيك انى لم أكن فاقدا المتعة فى متابعة هذه القصص فحسب ، بل لم أكن امتلك الصبر على هذه المشقة » • واذا كان الأسقف يعترف بالمتعة والعجب التى توفرها الحكايات ، الا انه يصر على انها فى منتهى « الهول والوحشية » و « غياب التناسق » بحيث تستحيل فكرة التلذذ بمطالعتها ، فهى كما يقول : « كرسوم منفرة على شاشة هندية ، يمكن ان تدهش وتسر للوهلة الأولى ، لكنها وعند التمعن فيها ، تبدو بمنتهى المبالغة والفوضى والهول ، فتأتى الرشيد المتفحص بالالم ، وتدفعه للبحث عن مهدىء وعن راحة فى مجال آخر » • وبمثل هذه الكراهية الواضحة لهذا النمط الكتابى ، عنف الاسقف صديقه الشاعر والناقد ، خاتما رسالته بالتأكيد على مخاطر الوقوع تحت تأثير القاص العربى : فهذه القصص « قد تجهز الذهن بصورة جديدة ، لكن صفقة كهذه تكلف كثيرا : فانجاز قراءة هذين المجلدين وأنا بهذا المزاج ، يبدو كفارة رهيبة ، من جانب آخر ، فان قراءتها بمتعة وشوق لا يقل خطورة ، بحكم العدوى » (٢٥) •

هذا الرأى وصفه وليم ليون فيلبسن بأنه « ادانة مطلقة » للرومانسية ، فى حين ان هوراس (ولبل) سخر من هذا الرأى كله ، واجدا فيه دلالة على قلة ذوق الاسقف (٢٦) • ويمكن الا يشكل تعليق الاسقف موقفا نقديا لولا انه يقع بحكم طبع مصطلحاته وقيمه ضمن سياق اتجاه أدبى سائد وقائم آنذاك ، حيث كان (الكلاسيون الجدد) يعارضون بوضوح التزويق الأسلوبى والخيال الجامح وغياب الوحدة والتقييد • وهكذا كان هنرى جيمز باى (Henry James Pye) يشكو من خروج الليالى عن جادة الممكن والمحتمل ، حيث يثير ذلك عنده حسا بالضياع والانبهار لا المتعة والارتياح ، فى حين ان هنرى هوم كيمز Henry Home Kames يعتبر هذا النمط من الكتابة ناقصا فى ميدانى (السلاسة واليسر والبساطة) و (وحدة البناء) (٢٧) (*) •

(*) يلاحظ هنا أن (متنورى) العصر المذكورين ، أى الذين يحتلون موقعا ثقافيا واجتماعيا متنفذا فيه ينطلقون من مبادىء اتباعية واضحة : فأتبرى يعترض على العاطفة والجموح فى البناء ، أى على ما يعتبره ضربا غير أنيق من الكتابة ، أما (باى) فانه يعترض على الخوارق والمبالغات ، فى حين أن كيمز لا يرى فى الحكايات انسجاما مع (وحدة التركيب) المعتمدة فى الكتابة الكلاسيكية حسب مبادىء أرسطو •

والليالى تشبه فى عدم انتظامها الفنى حدائق فرســـاى حسب رأيه :

> غالبا ما سليت نفسى بتشابه عجيب بين هذه الحدائق والحكايات العربية : فكلاهما انجاز لتسلية ملك عظيم : ولا يوجد فى حدائق فرساى الست عشرة وحدة مخطط ، كما هو أمر ألف حكاية عربية وحكاية : وأخيرا فكلاهما غير طبيعى (*) ، ايكات ماءof jets d'eauنصب حيـوات تتحدث بطريقة عيسوب ، ماء يتدفق من أفواه حيوانات ضارية ، حيث كلها تعطى صورة لأرض الجن والسحر ، شأنها شأن قصور الجواهر ، والخواتم المسحورة غير المنظورة والتعاويذ والرقى Spells •

لكن عداء كيمز لهـذا النمط الكتابى لا بد ان يلاحظ فى سـياق الارتداد التقليدى آنذاك ضد (التحدى الجمالى) القادم من الشرق • أى ان (كيمز) لم يكن يكره الليالى وحدها ، بل كان واحدا من بين أبرز رواد الكلاسية الجديدة الذين كانوا يمثلون الاتجاه المحافظ (التقليدى) السائد فى الذوق الأدبى ، والذين يعتبرون خرق قواعد التأليف وأصول الذوق والسلوك المتعارف عليها حينئذ مثلبا ومأخذا هم أولى بمجابهته ورده • ويكتسب موقفهم هذه الدرجة من الشدة لأن هذا الخرق متمثلا بالليالى كان يتعزز كل يوم بحكم شيوع الحكايات ورواجها (٢٩) •

ويرى الكلاسيون الجدد ان هذه الحكايات تكشف عن خيال جامح غير محـــدود ، وهو أمر يعنى عند كيمز قلة فى الذوق ونقصـا فى الخلق (٣٠) • ويمثل كيمز (فى عدم ثقته بالخيال الغزير وفى خلطه بين السلوك والذوق الأدبى) عداء عاما للقصص الرومانسى آنذاك • وهكذا لم يشذ هنرى فيلدنغ Henry Fielding عن هذا الاتجاه • فهو يرى ، على سبيل المثال ، ان ابتعاد الليالى عن الممكن والواقعى أمر غير مفهوم :

> لا يمكن لى وبأية وسيلة كانت ان يعتقد بقدرتى على فهم هؤلاء (بول سكارون ومؤلفى الليالى) ذى العبقرية المدهشة ، مؤلفى الرومانسيات المهولة ، أو كتاب الرواية الحديثة وأولئك عبر المحيط ، أولئك الذين يؤرخون دون عون من الطبيعة أو التاريخ عن أناس لم يوجدوا على الاطلاق أو يمكن ان يوجدوا أو عن وقائع لم تحصل أو لا يمكن تحصل (٣١) •

(*) غير طبيعى (unnatural) تعنى فى اللغة الاصطلاحية كل مايتعارض مع القـانون الكلاسى لمحاكاة الطبيعة البشرية •

وبعد حوالى أربعين عاما كان جيمز بيتى James Beattie يتجاوب مع اعتراضات فيلدنغ Fielding بشأن ماكنة الليالى الرومانسية • لكن بيتى أقام جدله على أرضية من المقومات النقدية الكلاسية المحافظة والتى تعتمد التوازن فى اللغة والموضوع والحشمة فى الاداء والمغزى • وكان ان لاحظ فى الفصل المعنون (الخرافة وحكاية الرومانس) فى الاعمال الكاملة (Works, II, 510) « اسفافا كثيرا فى الوصف ، دون جلال ، وتنوعا كبيرا فى الابداع دون ما يمكن ان يرقى بالعقل جلالا أو يبلغ القلب » فى الحكايات العربية • والأسس الكلاسية المحافظة التى اعتمدها بيتى لم تسد بمعزل عن نظرة محافظة عامة ازاء القصص والروايات النثرية آنذاك • فاذ تشكل الرواية فنا جديدا لم يعتده الكتاب والنقاد بقوا فى حيرة فى كيفية التعامل معه مستخدمين المصطلحات والقواعد التى اعتمدوها فى نقد الأجناس الأخرى ، وبخاصة الشعر والمسرحية • لكن هذا التخبط فى المصطلح والمعالجة اوجد اتجاها آخر للتعامل مع جنس مقروء بحذر ، فاذ تتميز طبيعة الجنس الجديد بتوجه خصوصى ومنعزل لقارىء واحد ، واذ يقيم علاقة مفردة مع قارىء منفرد ولفترة تتجاوز ما تستغرقه عشرات القصائد ، كان الذعر منه كبيرا ، خاصة اذا ما داعب خيالات جامحة ، واثار عواطف غزيرة ، ونبه القـــارىء (ولا سيما بين النسوة) الى ما اعتبره الكلاسيون الجدد مشينا ومعيبا • وهــكذا كان عربون القبول برواية أو قصة طويلة تأكيد الكاتب على مغزى أخلاقى أو وعظ دينى ، أو نقد اجتماعى ساخر • لكن بيتى Beattie لم يجد فى الليالى « مغزى أخلاقيا واضحا » • وكان ان قال : « كل شىء خارق وعجيب ، والهدف فيها هو اثارة عجب القارىء ودهشته ، لا تحسينه فى الخلق أو معرفة الطبيعة » • وهكذا ، فعند تقويم هذه النبذة عن النقد الأدبى (المحافظ) ، من العدل ان نقول ان (كيمز) و (أتبرى) وباى وبيتى كانوا يعادون اسفافها ، وانعدام الوعظ فيها وابتعادها عن الواقع • وعندما تدرس ردود الفعل النقدية المذكورة فى اطار التأكيد (الاوغسطى) على نظامية الشكل ومسايرته للنماذج الكلاسية وقواعد الانشاء المعتمدة ، فانها تكشف حقيقة ان نقاد الأدب التقليديين تبينوا فى الحكايات العربية روحا جديدة قادرة على تحدى القيم النقدية السائدة •

ومهما يكن من أمر (بيتى) ، فان موقفه النقدى ليس مرادفا دقيقا لمقولات كيمز ومواقفه ، الذى يعد ممثلا نظريا واضحا للاتجاه (الكلاسى الجديد) فى القرن الثامن عشر • واذا ما لوحظ رأيه فى ضوء الاتجاهات

(*) « دون عون من الطبيعة أو التاريخ » : الاشارة الى المعتقد الكلاسى ثانية بأهمية المحاكاة أو الافادة من التاريخ •

السائدة فى نهاية القرن المذكور ، فانه يكشف عن مرونة يسيرة تجعله حلقة انتقال بين الكلاسية الجديدة والرومانسية فى الذوق الأدبى . فاذا كان (بيتى) ينسجم مع قواعد محاكاة الطبيعة والوعظ ، فانه لن يتردد فى مجاملة حب معاصريه لمغريات الأدب الشرقى . وهكذا ، اعتمد (بيتى) فى نقده للرواية الشرقية على فرضية شائعة آنذاك مفادها ان الرواية والقصة الرومانسية ولدتا فى الجزيرة العربية (٣٢) . وسواء كان المقصود بهذا الافتراض نقد التفاصيل الخارقة وغير المعقولة أو تثمين أصالتها وخصب خيالها ، فانه كان قائما ومقبولا بعض الشىء فى فجر دراسة الأدب المقارن ، وانسجاما مع هذا الرأى ، يرى بيتى (الأعمال ، المجلد ٢ ، ٥٠٨ ــ ٥٠٩) ان فن السرد القصصى انتعش فى الشرق بحكم بعض الظروف المناخية والاجتماعية التى جعلت من « ملوك وأمراء الشرق يبحثون عن هذا النوع من التسلية ويمنحونه تقديرا كبيرا » . ويمضى قائلا ، انه مادام أمراء الشرق « عاطلين ، جهلة ، ساذجين » فانهم يتوقون الى تفاصيل خرافية مدهشة لا الى ارشاد وتعليم خلقى . كما ربط بيتى فى نفس المكان بين الأسلوب الشرقى المنمق والمزخرف وبين الميل الى « عباءات ثمينة ، وتسلية مبهرجة سخية ، وقصور تشع بالذهب وتلمع بالجواهر » .

كان بيتى يدرس قضية سيبنى عليها كثيرا (جون دنلوب) مؤرخ الرواية الأول فى مطلع القرن التالى . فهو اذ ينطلق فى نقده من المسلمة الكلاسية الجديدة التى يحتذى بموجبها الفن بيسر وبساطة الطبيعة وينسجم معها ، يرى ان الأمراء الشرقيين « يتباهون » ببهرجة وغنى حاشيتهم وممتلكاتهم الكثيرة من الجواهر والذهب وأشياء أخرى والتى بمقدورهم ان يكدسوها سوية فى مخازنهم » . وفى ضوء ذلك ، استنتج ان النمط الكتابى الشرقى لا يتلاءم مع الميل الكلاسى للمحاكاة والتناسق والحشمة والتوازن .

وعندما يدرس مؤرخ الادب وناقده استنتاجات بيتى Beattie فانه لا بد ان يرى ان استنتاجات الأخير تشكل برمتها مادة مثيرة بعض الشىء . وتتأتى هذه الاثارة من التناقض الذى تنطوى عليه فهو اذ يخاطب « النظرية الظرفية Circum-stantial Theory » بتأكيدها على ضرورة دراسة كل أدب فى ضوء أرضيته الثقافية والاجتماعية ، فانه لم يشذ مطلقا عن الأسس (الكلاسية الجديدة) والافتراضات غير المعززة وغير المأمونة والتى بموجبها قوم وحاكم القصة الشرقية (٣٣) ! وهذه المفارقة بين النظرية واداة التطبيق كانت سمة بارزة لعدد كبير من الكتابات التى ظهرت عند ذاك .. ومن حيث الالمام بواقع القصة الشرقية،

بدا من الواضح ان (بيتى) والآخرين كانوا يجهلون ظروف تأليف هذه القصص والحكايات غير عارفين بحقيقة ان هذه لم تكن تحظى بموافقة المتعلمين والثقاة والعارفين والدارسين العرب وتقديرهم ، بل كانت تتبلور وتنمو تلقائيا فى استجابة تتوزعها العفوية والحتمية لرغبات العامة من الناس ، كما اعترف بذلك رحالة نهاية القرن الثامن عشر (٣٤) • ولهذا السبب فان موقف بيتى تميز بمفارقات جعلته يبدو فى تعامله مع الآداب الشرقية مختلفا مع وجهات نظر ذلك الضليع الملم النابغ السير وليم جونز ومن سبقه وعاصره من المستشرقين المولعين بالاستزادة المعرفية فى اللغات والآداب والقضاء • وهكذا ، ترى (بيتى) وقد اختط طريقا وسطا بين الكلاسيين الجدد فى رفضهم المطلق للفنون الشرقية وبين المستشرقين من أمثال جونز الذين جاءوا بتذوق جديد لهذه الفنون •• فهو وان أبقى على مقومات النقد الكلاسى الجديد فى تناوله لهذه ، الا انه لم يغط ألف ليلة وليلة المترجمة حقها ، وخاصة فى جانبين « يستحقان الاطراء ويمكن ان يؤهلاها الى القراءة والتقصى » كما يقول فى المجلد الثانى من أعمال (ص ٥١٠) • فبحكم مجاملته للطلب المتزايد على المعلومات عن الشرق ، كتب موافقا ان الليالى « تنقل فكرة مضبوطة دقيقة عن حكومة وبعض عادات الامم الشرقية » • وليس أقل أهمية من هذا الجانب ذلك النفس الساخر الهزلى أو المرير الذى يملأ الكتاب •

ويكتب (بيتى) انه « فى مكان ما منه قصة حلاق واخوته الستة وهى قصة تحتوى على ضربات جيدة فى الوصف الفكاهى والمرير الساخر » • ولم ينته اعجاب بيتى عند احدى المعلومات والنفس المذكورين، فهو معجب كذلك بالبناء الدقيق لبعض الحكايات بعقدها وحبكها المتوازنة وتشخيصها المناسب • فكان يرى « ان شخصية الخليفة هارون الرشيد رسمت جيدا ، وان قصة الأربعين لصا الذين دمرتهم الخادمة مشوقة ومبنية بعناية » • أما بالنسبة لرحلات السندباد فانها « تستحق الانتباه ، وهى لا بد ان تكون طولعت من قبل مؤلف رحلات كوليفر » •

ومثل هذا الاعجاب - وان اعتمد الولع (الكلاسى الجديد) بوحدة البناء وتذوق معاصريه للسخرية والفكاهة - يحتم علينا تعاملا خاصا مستقلا عن استخفاف (اتربى) و (باى) (كبمز) ، ويفرض بالتالى وضعه ضمن تيار معاصر حينئذ يبغى تمثل بعض الحكايات العربية المضمونية والتقنية واستيعابها فى قالب واطار « كلاسيين جديدين » • ويميل هذا التيار الى التوفيق بين الاتجاهين المتعارضين فى نقد الآداب والفنون وتقويمها فى منتصف ذلك القرن الذى شهد البدايات الفعلية للتوسع المدنى فى الداخل والكولونيالى فى الخارج • فالتناقض بين

الرغبة للاستمتاع بالاغراء الساحر لهذا النوع من الأدب وبين الأسس التقليدية (القائمة) التى ترفض ما ترى فيه من فوضى وغياب قوانين التأليف ــ قاد الى نزعة اعادة كتابة بعض الحكايات العربية أو تكييفها لتناسب الصفوة الأدبية دون ان تمنح على القارىء الاعتيادى (common reader) فرصة التمتع بالفن الجديد • وحتى قبل احتدام التناقض بين المستشرقين وصحبهم من مبتدئى الرومانسية وبين الكلاسيين الجدد والمحافظين فى الذوق ، كان ادسون Addison و Steele يتصدران الاتجاه لمجاراة الذوق الشعبى (فى تمييزه عن الصفوة الادبية) وترويج القصة الشرقية • ومع التسليم بأن قبول الدخيل الجديد ــ أى الحكاية الشرقية ــ فى الأوساط الأدبية لم يتجاوز بعض الافتراضات الكلاسية الجديدة السائدة فى مطلع العصر ، الا أن القبول نفسه وبغض النظر عن الأشكال التى اتخذها يكشف عن بحث قلق عن آفاق ورؤى جديدة خارج حدود (التقاليد) القائمة البليدة • ومن بين أشكال هذا القبول ذلك الذى اعتمده (ادسون) و (ستيل) فشرع كلاهما بتكييف معانى الحكايات ومغازيها وماكنتها وزخارفها لاغراض فلسفية ووعظية (moralistic) • وهذا يعنى بالضرورة تقليص حجم الاعتماد على أدوات البناء القصصى الشرقية (machinery) والتفاصيل الزخرفية وتشذيب قدر كبير من العناصر الوهمية والفوطبيعية التى تدخل فى بنية هذه القصص • ومثل هذه الاجراءات تكشف من جانب آخر عن مسعى كتاب العصر المبرزين لتأكيد تمسكهم بالأسس الكلاسية الجديدة المقبولة ، بخاصة تلك المتعلقة بـ (الاحتمال والامكان (Probability و (الحقائق الشاملة ــ أى تلك التى تخص مواصفات الحياة المقبولة عند البشرية جمعاء) ومراعاتهم للاتجاه السائد ازاء الأدب الروائى القصصى قبل ١٧٦٠ •

والذى يهم مؤرخى الأدب ونقاده كثيرا هو دور ادسون فى ميدان الترويج للقصة الشرقية كنمط جديد ودخيل قادر على احداث تغيرات فى المفاهيم الدارجة عن الأجناس الأدبية • فاقدام غير ادسون على أمر من هذا النوع قد يكون مغامرة ، وقد يقود الى تعليقات مشاكسة كالتى أوردها (Pope) ضد فيلبس مترجم الحكايات الفارسية (*) لكن ادسون كان كاتبا بارزا ومروجا كبيرا لعدد من الكتب والآراء والاتجاهات المؤثرة على واقع الحياة الأدبية •

(*) كان تندر Pope ضد فيلبس مترجم Persian Tales معروفا آنذاك ، حيث أنه رأى فيه كالآخرين من الكتاب (المأجورين) المستغلين فى شارع Grub والذين يؤلفون أو يترجمون بثمن بخس فى عصر كان الكاتب فيه أمام خيارين : أما ايجاد السند المعتمد Patron من النبلاء والأثرياء أو الرضوخ لتجار الكتب وباعتها •

من جانب آخر ، كان ادسون نفســه صبــاحب رأى فى الآداب والأجناس الرائجة ، فالرواج هو علامة الأهمية والقيمة فى تقديره • وكان ملزما بعد ذلك بهضم الجنس الجديد ودغدغة أو مجاملة جمهوره باعادة تحرير بعض حكايات شهر زاد • ومن المؤكد ان (ادسون) أعاد حكاية (قصة ملك اليونان والطبيب دوبان) وقصة أحلام النشار ليلقن قراءه دروسا وعظية حول لا جدوى الاسراف فى الأمل وجدوى التمرين الرياضى ، لكن قيمة مساهماته هذه تكمن فى حقيقة انه « منح هيبة مجلته ال Spectator ومقامها الكبيرين الى قصص من هذا النمط » ، دافعا بالعديد من النقاد والكتاب الى الاهتمام بالسمات الممكنة الاقتباس التى تكتظ بها مجموعة شهر زاد القصصية (٣٥) •

وهكذا تبعه مختلف المساهمين ـ وفضل بعضهم البقاء مجهولا ـ وان كانوا أقل حظا منه فى تمثل العبر والمكونات الفنية التى تحتويها القصص • ففى العدد ١٦٢ للسادس عشر من ايلول ١٧١٣ من مجلة الغارديان أعاد أحد هؤلاء حكاية الشاك باك والبرمكى الثرى بعد ان جردها من ثوبها الشرقى الغنى ومكوناتها الدرامية ، مؤكدا على ما فيها من قيمة وعظية ، موصيا ب « الكياسة » والخلق الحميد ، كما صورته هذه « الحكاية العربية الصغيرة الطائشة الجموح » حسب تعبيره • وقام آخر بتشذيب حكاية بارزاده ونشرها فى مجلة Gentleman's Magazine (العدد ٢٤ ، ١٧٥٤ ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣) لتحذير الجنس اللطيف من مغبة الاسراف والحنين الى « مجتمع الموضات » أو تملية النفس بتمنيات سرابية طائشة • وحتى السير وليم جونز ـ وعلى الرغم من كل انشــداده الى الآداب الشرقية ـ لم يستطع التخلى عن المبادىء (الكلاسية) الدراجة • ففى « الينابيع السبعة » ، مثلا ، أعد جونز « تاريخ الدرويش الثالث » لتطوير قصة رمزية تهدف الى تحذير القراء من السعى الشره للتحصيل والكسب الدنيوى ، ومن سوء الغرور والملذات (٣٦) •

وهكذا ضاعت الأهمية القصصية الفنية لحكايات شهرزاد فى هذه الحملة لاستخلاص نزعات ودروس وعظيــة من ظلال أخلاقية وانســانية شاحبة فى قصص درامية ونفسية بدرجة رئيسية • ولم تتغير الصورة الا فى القرن التاسع عشر ، اذ ان الاشارات للحكايات (وليس محاولة اعادة صياغتها وتحريرها) التى اعتمدها كتاب العصر الفكتورى بشكل خاص ، تمكنت من ان تعيد الى ذهن القارىء (فى ضربات فنية دقيقة) الوجه والأثر الفعليين لقصص شهر زاد وأهمية أشكالها الفنية •

واستمرت محاولة اعــداد بعض الحكايات العربية لمغازلة الأذواق المختلفة طيلة القرن الثامن عشر • ولعل (التمثيل الايمائى) كان معبرا

عن تطلعات الطبقات الجـديدة وميلهـا للاختلاط والمشـاركة الاجتماعية آنذاك • فاقدم معدو هذا النمط التمثيلي للمسرح على الافادة كثيرا من الليالي العربية لشد جمهور المسرح الجديد اليهم باستمرار • وبقدر تعلق الأمر باكتشاف المسرحيين أنفسهم لمعين هذه الحكايات ، فان المعروف هو ان الايمائية التهريجية harlequinade انحدرت الى مستوى المشاهد الركيكة غير الخلوقة ، وهو أمر جوبه بمعارضة الطبقات الصاعدة ونفورها التي أبدت حرصا على أدائهـا الاجتماعي ومشاركاتهـا خارج المنزل • ولاستمالة أذواق هذا الجمهور وابقائه ضمن جمهور المسرح الجـديد لجأ كتاب المسرح الى حكايات شهر زاد يعيرون منها بكثرة لتقديم مشاهد السحر وقصص الصراع بين الجن والانس التي من شأنها أن تسر وتريح رب العائلة البرجوازية لا ان تزعجه بارباك القيم التي يحرص عليها أشد الحرص ، وبخاصة بحضور عائلته التي يهمه كثيرا ضمان التزامها بالمعقول والمحتشم والمقبول •

ولم تسلم الحكايات نفسها من نزعة (الاعداد) ، فهي في جانبها الغريب الدخيل تحفل بالمبالغات في كل شيء : ابتداء بالآلية انقصصية (حيث السحرة والجن •• الخ) وانتهاء بالمأكل والملبس والقصور ! لكن هذا الجانب الذي أغاظ نقاد وأدباء الاتجاه (الكلاسي الجديد) لم يعد موضع اهتمام الطبقات البورجوازية الصاعدة ، فالأخيرة مولعة أيضا بتشذيب المبالغات والأخلاقيات الدخيلة وتدجينها في المناخ الانكليزي المحافظ • وكان ان تعرضت الليالي الى سلسلة من عمليـات التعديل والحذف والتدجين والترويض • ففي العقود الأخيرة وبحكم نمو فئة القراء المثقفة في الطبقات الوسـطى وبحكم تزايد وتعـاظم النفور من الأدب الروائي والشك في صلاحيته الأخلاقية ، لم تعد التكييفات من الليالي على الطريقة الأدسونية (نسبة الى ادسون) قادرة على ارضاء القارىء الناضج • وهكذا ، فان الأوضـاع الجديدة قادت الى تعـامل جديد مع حكايات شهرزاد • ويشهد مؤرخ الأدب اتجاهين في هذه الفترة ، فأما اعداد بعض القصص (الكلاسي) ـ أي المقبول المتعارف عليه ـ من أجل الأطفال أو اعادة سرد هذه بطريقة مقبولة من قبل الطبقات الوسطى الصاعدة • فكان ان ظهرت براعم الخلق لارنود بيركون في ١٧٨٩ محتوية على قصتين من الليالي : هما « النصب الجميل » و « زين الأنسام » • ولم يشذ بيركون عن الاتجاه السائد لتشذيب التفاصيل والغاء عناصر الحبـكة الدرامية والتوتر ، مزودا قراءه الصغار العزل بقصص تافهة ومملة • ومرت الترجمات الجـديدة للحكايات العربية بمحنة مشابهة • فقدم سي • دي • بكونت ترجمته « الحرة » و « المتصرفة » لليالي في عام

١٧٩٢ ، معلنا انه يريد ضمان توافق الحكايات مع التشديد « البرجوازى » المتزايد على الخلق القويم والحشمة وتوجت مثل هذه المساعى بمؤلف (الجليل الكاهن جى ٠ كوبر) الذى أسماه الأخلاقى الشرقى : أو جماليات ليالى السمر العربية ، وهو الآخر معد عن الليالى ومزود بتعليقات واضافات وتصورات ٠ ويقول كوبر فى تقديمه للطبعة الثانية (١٧٩٢) :

عندما أنجزت قراءة الكتاب [الليالى العربية] ، لفت خيالى وتصورى ان هذه الحكايات يمكن ان تقارن بحديقة كانت غناء مزدحمة ، لكنها سرعان ما أهملت وحل بها الخراب ، حيث لا شىء يلفت انتباه المراقب غير الأعشاب البرية التى تفيض بهسا ، فى حين ان العين النافذة لفلاح الحدائق المتدرب سرعان ما تكتشف ازهارا بديعة نضرة وعطرة متبقية فى ذلك المكان حتى وان بدت موزعة بشحة هنا وهناك (ص ٢) ٠

أما النهج الذى اتبعه فكان التشذيب والسرد مجددا واضفاء ملاحظاته « لتعزيز القلب الشاب ضد دافع الرذيلة » ٠ ويتصرف (كوبر) فى عدة أحيان بحرية مع الأصل المتوفر لديه ، مجريا تغييرات رئيسة تخص (الدوافع المسببة) فى الحبكة و (التسلسل الحدثى) للحكايات ، كما هو الأمر فى حالة موضوعة (سفاح القربى) فى قصة (الدرويش الأول) ٠ وحاول (كوبر) فى مناسبات أخرى تأكيد وعظية بعض الحكايات باضافة وجهات نظره ، فهكذا نقرأ فى خاتمة مغامرات السندباد التعليق التالى :

قد يلاحظ قرائى الصغار فى كل مكان من هذه الرحلات وفى خلالها جميعا تدخل ارادة البارى ٠ ذلك لأن السندباد ومهما كانت المخاطر التى يواجهها يسلم نفسه الى هذه الارادة ، وهى دوما تسنده بطريقة خارقة ٠ أما عندما يبتعد عن المخاطر ويستقر بين ذويه فى منزله وبلده ، فانه يواظب باستمرار على اسعاف المعوز والتعيس ٠ لكنه عندما يجد نفسه فى موقف خسيس عاملا كخادم فى ظروف مهينة فى بلدان أجنبية فانه يزاول عمله بتواضع واتزان مناسبين ٠ وهكذا ، فان أولئك الذين يتحملون بجلد وقع المحنة الشديد لا يمكن أن يكونوا متغطرسين عند اشراقة الثروة والغنى (ص ٢٦٢) ٠

لكن تركيز كوبر على (جماليات) — beauties — الحكايات ذو أهمية كبيرة فى تاريخ الأذواق الأدبية وفى الحدود المرسومة فى هذا

البحث ، وبخاصة عندما نضع اهتمامه فى موضع المقارنة بالنقد المحافظ الذى تم التنويه عنه ، وكذلك عندما ندرسه فى ضوء المحاولات المشابهة التى حصلت خلال الفترة ذاتها لانقاذ الليالى من التهم المسندة اليها من قبل خصومها · وكوبر بذلك هيأ السبيل الى دراسات مستفيضة اخرى · فكان ان كتب مؤلف (المقالة التوطئة) المجهول لنسخة ستابى Suttaby من الحكايات (عام ١٨٠٧) بارتياح بالغ عن الوعظ الذى تتضمنه ليالى السمر العربية :

ان غاية مؤلف الحكايات هى عظيمة فى الغالب ، فهو قلما ينسى مكافأة الشجاعة والأمانة والفضيلة والشرف والديانة وسمات الروح الأنبل ، وأن يعاقب بقسوة الخيانة والتنكر للجميل والخداع والابتزاز والالحاد ، وتلك الانفعالات والعواطف الدنيا للطبيعة البشرية ، والتى يعتبرها كافة البشر من كل معتقد وجنس مخجلة ومستحقة للعقاب والتأديب (المجلد الأول ، ص ١٧ من المقدمة) ·

أما على المستوى الادبى البحت ، فقد تطورت نزعة تخليص الحكايات العربية من تهم (التفاهة) و (عدم الاحتمال) بين نقاد رأوا ضرورة مواجهة النقد الأدبى المضاد بأسلحته · وهكذا ، فان الشىء الذى ابتدأوا به – كما هو متوقع – هو اثبات سوء استعمال الوسائل الكلاسيكية فى نقد الليالى بهدف عزلها عن الاتجاه الرئيس فى الحياة الأدبية · وكتب بعض نقاد نهاية القرن الثامن عشر دراسات مفصلة حول الموضوع وكان ان اعتبر (ادوارد كبن) هذه الليالى عملا لا يقل قيمة عن ترجمة Pope لـ (هومر) · لأن كلا العملين (سيسران دوما بقوة تصويرهما للطباع البشرية والخوارق المغررة » (٣٧) · أما (ام · اس) فقد لاحظ فى مقالة لمجلة Gentleman's (ايلول ، ١٧٩٤ ، العدد ٦٤ ، ٧٨٣) ان حكايات شهرزاد توجد « حماس الاعجاب » و « تثير الاندهاش » انها هذه القراءة التى « تعقب فى الغالب فى سنوات النضج بقوة عقلية أرقى وبطمع فى المعرفة » · انها هذه القراءة أيضا ، كما يشير الكاتب ، التى اعتبرها أفلاطون « مصدر الفلسفة ذاتها » ، لأنها شبيهة بموروثة الاسطورى الجليل الذى « يستخدم فقط بقصد اثارة العجب والاندهاش » · ولـVicesimus Knox قناعة مشابهة حول تأثير الليالى الحسن على الشباب · ففى فصل بعنوان « حول وسيلة اثارة بوادر العبقرية الأدبية فى الصغار » – كتابة مقالات أخلاقية وأدبية ، طبعة موسعة ، ١٧٨٢ · الجزء الأول ٣١٤ – أوضح قائلا : ان ليالى السمر العربية وحكايات الجنى وموت Abel ، وان بدت غير محتملة القبول تماما من قبل الذوق

والفهم الناضجين ، لكنها موضوعة بدقة لايقاد وهج الحماسة فى صدور الصغار » •

أما مؤلف « مقالة التوطئة» المجهول لنسخة ستابى من الليالى فانه جامل النزعات (الكلاسيكية الجديدة) لبعض قرائه على أساسين : اذا كان أدباء العصر يرون فى تمثيل قيم الأقدمين ومحاكاتها ضرورة لازمة ، فانه حرى بهم ان يعرفوا ان ما من أمة « يمكن ان تتباهى بعراقة قدمها » أكثر من العرب • ولما كان الأمر كذلك فان نفس سبل (التعارف) والمتعة الجمـالية التى نتعامل بها مع هومر و Ovid يلزم ان نتعامل بهـا مع العناصر الخارقة فى الحـكايات العربية • ومن جانب آخر ، فان هـذه العناصر ـ كما يقول الكاتب ـ تبدو غريبة على القارىء الانكليزى لا بسبب مغالاتها فى الخرافة والوهم ولكن بسبب عدم احاطة الانجليز بثقافة العرب وموروثهم الاسطورى • ولكى يتجاوز هذه العثرة ، يقترح « عواطف القارىء ومشاعره » بصفتها موازين نقدية بديلة للقواعد والأصول التقليدية • فمثل هذه الفرضية يمكن ان تقود بالحتم ـ كما يعتقد ـ الى استيعاب جمالى مناسب وتقدير نقدى مجد :

> ليس من سبيل الى فحص تآليف من هذا النوع غير اتخاذ عواطفنا ومشاعرنا معيارا • فنحن لا نعجب بجنى ليالى السمر العربية أو نكرهه ، لأننا أحطنا علما ان بعض الجن فاضل والآخر حقود خبيث ، يمتلك طاقة على تحقيق المعجزات • لكننا نقـود أنفسنا لتصـديق الخوارق التى تسرد عن الجن ، تمـاما كما يحصل من تلبية واستمتاع ونحن نطلع على أعمـال أبطال هومر العجيبة وعلى آلهته ، أو على مسخ أوفيد •

وأضاف الناقد فى تأكيد النقطة الأخيرة وتعزيزها ، « ان الثقة التى تستديم فى هذه الحكايات » هى نفسها التى يمنحها الاغريق ل « الخوارق المغررة » لدى شعرائهم • فعندما يطالع القـارىء هـذه الكتابات يوقف وبمحض ارادته « عمليات العقل الجاد » وبالتالى فان « قابلية الوهم والخيال Fancy ـ تقبل بهذه » لأن أغلب الآلية الرومانسية لهذه الحكايات والأفكار التى ترد فيها « مأخوذة عن الأقدمين الاجلاء ، مدعومة ومعززة بالمعتقد الشعبى » السائد (المجلد الأول ، ص ١٩ من المقدمة) •

أما فى « مجالات الخيال » حيث يسود المستحيل والخارق فى ألف ليلة وليلة فان كاتب المقالة يرى أن مؤلفى الليالى امتلكوا فرصتهم فى

منع غلبة الحس بالمفارقة بين الحقيقة والخيال لدى القارىء : وبالمحافظة على المشاعر والعواطف البشرية فى مواقف خارقة وبطرح المميز والشمولى وما ينم عن انسجام الطبيعة البشرية كان المؤلفون يبقون القارىء فى اطار المقبول دون ان يزعزعوا الثقة لديه بما يطرحون حتى وان صدمته طريقة السرد والمعالجة بين لحظة وأخرى • وبعد ان أقام مناقشاته على الفرضية المذكورة بصدد المتوقع والمتجاوز والمستحيل فسر الكاتب المجهول سر نجاح الرواة العرب فى شد مستمعيهم على أساس محافظتهم على الشعور الطبيعى ، وهو شعور من شأنه — كما يرى — جر القارىء والمستمع الى الاعتقاد بأن ما جرى لم يتجاوز المحتمل والممكن • وكلما لجأ الراوى العربى الى العنصر الخارق فان « الشخوص الذين يقعون تحت تأثير هذا العنصر لا يفقدون شيئا من أحاسيسهم البشرية ، بل يتصرفون حسب دوافع ونوازع بشرية فى أكثر المواقف غرابة » • ولكى يعزز جدله أشار الناقد الى قصة سيدى نعمان • فالأخير « تحول الى كلب ، لكنه وعلى الرغم من ذلك بقى يتصرف كما يمكن لأى مخلوق بشرى ان يتصرف اذا ما وضع فى ظروف فاجعة كهذه » — ص ٣٢ من المقدمة :

ولم تكن مناقشة الكاتب المجهول الوحيدة آنذاك ، اذ مهدت لها عدة دراسات ظهرت فى العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر • وكان كتاب كلااريف الموسوم بـ تطور الرومانس (١٧٨٥) واحدا من بين أبرز هذه الدراسات : فقد خصت المؤلفة عددا من الصفحات للبرهنة على ان قصة السندباد البحار تستحق المقارنة بالأوديسة ، وان الراوى العربى يفضل على هومر ما دام الأخير يميل الى الاسراف فى اجازة نفسه « لبعث آلهته باستمرار فى مهمات عادية تماما » — ص ٢٢ — ٢٣ ، ٥٨ ، ٦٠ — ٦١ — وهذا ما لم يقم به الراوى العربى : فعلى الرغم من « ان سحرته يؤدون أكثر الأشياء عجبا بمعونة الجن الفاضل والشرير » ، الا انهم يتبعون دائما « خاتم السلطان سليمان بن داود » — ص ٢٣ — وبكلمة أخرى فان العنصر الخارق فى الليالى ولأنه موضوع ضمن حدود الموروث الاسلامى يكتسب بعضا من مواصفات (الممكن) و (المقبول) ، أى مواصفات الكلاسية الجديدة والواقعية الظرفية فى نشأتها الأولى • لكن نقاد القرن الثامن عشر لم يتمكنوا من استيعاب هذا الأمر كثيرا بحكم جهلهم بالثقافة الاسلامية ، وهو موضوع لنا عودة اليه بعد حين •

واذا كانت كلااريف قد اقتنعت بعقد مقارنة بين الأوديسة والسندباد ، فان تايلر منح الموضوع اهتمامه فى مقدمته لترجمته لـ « باوسنس Pausanias » ، مستنتجا ان (الأدلة الداخلية) التى تابعها فى مغامرات السندباد تشير الى ان عددا من حكايات شهرزاد ليست غريبة

على الأدب الكلاسى ، وهو أمر اقتنع به من بين المحدثين المستشرق المرحوم غوستاف غرونباوم • يقول تايلر :

> ان قــراء العمل الأدبى البــارع والمشوق المعروف باسم ليالى السمر العربية لابد أن يندهشوا وبارتياح عندما يعرفون — ان لم يكونوا قد عرفوا من قبل — ان قصة حفظ أرستمونيز فى الشق العميق كانت مأخوذة من Pausanias — فبعد تغييرات سردها مؤلف الحكايات بشكلهــا المعروف لتكون بعضــا كثير التشــويق من تاريخ السندباد البحار (٣٨) •

وانسجاما مع هذا الاتجاه لتأكيد وجود عناصر كلاسية فى ألف ليلة وليلة أصدر ريشارد هول Richard Hole كتابه ملاحظات عن ليالى السمر العربية ، يراعى فيها بخاصة أصل رحلات سندباد وقصص شرقية أخرى (١٧٩٧) • وأصبحت مسألة الأصل الكلاسى لمخاطرات الرحالة فرضيته الرئيسة التى سعى جاهدا لاثباتها كحقيقة فى شروحاته • ومهما يكن أمر مبحث هول وقناعاته ، فان عمله يقع ضمن تيار أدبى متنام يقوم بين اتجاهين واضحين آنذاك : هما الكلاسى المتزمت بالقواعد الارسطوية بشكل خاص والاستشراقى الذى وجد في الحكاية تحررا فنيا وخروجا بارعا على الحدود الأدبية والقناعات الدارجة والمألوفة • ولكى لا يلام على حماسه للحكاية الشرقية أقام هول آراءه المتعاطفة مع الليالى على قناعات كلاسية ، مسهما بذلك فى تعزيز نزعة « الاعتذار » عما فيها من (مبالغة) أو (تجاوز) فى الاسلوب والفحوى • لكن مساهمة (المعجبين المعتذرين) هذه تستحق الاطراء فى ضوء الصراعات المحتدمة بين الاتجاهات الرئيسة فى الرؤية والذوق الأدبيين • فعلى الرغم من تفضــيله المعلن والصريح (للانسجام واليسر) الكلاسيين مقارنة بالبهاء والثراء الشرقيين ، فان اطروحة هول تهدف تخفيف وطأة المعارضة الشديدة للجانب الخارق فى الحكايات • وهكذا كان يتوجه فى المناقشة والجدل بقصد ارضاء وتطمين التفضيلات الكلاسية للمتأدبين • فدرجة الثقة والتصديق التى تتطلبها حكايات شهرزاد هى نفسها التى تستدعيها الخوارق المغررة الخداعة عند الشعراء الاغريق • ووفرت له المعلومات الموجودة حينئذ عن التأثــيرات الكلاسية على الثقافة العربية الوسيطة سندا لدعم تخريجه الذى يقول ان العرب استعاروا عقدا قصصية هومرية Homeric (نسبة الى هومر) اعتمدوها فى حكاياتهم عن المخاطرة والمغامرة — لكنه — وان كان محرجا فى تعليقــه — اعترف بامكانيــة وجـــود مؤثرات شرقيــة على الفــكر الكلاسى (٣٩) •

ولم تنحصر أطروحة هول فى هذا المجال ، فهو وان كان معنيا بتبرير اعجابه بالليالى العربية من خلال البرهنة على تبعية الحوادث والمشاهد المغالية فى الخوارق والوصف لمصادر كلاسية (يونانية أو رومانية) ، الا أنه لم يتغاض عن الميل المتزايد للمعلومات والمعارف والذى رافق طبيعة التغيرات فى بنية المجتمع الانكليزى وقاد اليها بشكل أو بآخر ٠ فاذ نمت الطبقات الوسطى وتعاظمت نزعة البحث الكولونيالى عن مصادر ثروة واسواق ، كان لابد ان يصبح طلب المعرفة عن الشعوب الشرقية والتحقق من صحة المتوفر من اخبار واوصاف ومعالجات امرا جـديرا بالعناية : وكان ان وجد (هول) فى بعض قصص شهرزاد زادا معرفيا تأكد من صوابه وصحته من خلال مقارنته بما توفر آنذاك من معارف سهلة عن الشخصيات التاريخية والرحلات والاسفار المدونة والمترجمة والمذكورة ٠ لكن سعى (هول) للبرهنة على وجود بعض المواقع الجغرافية المذكورة فى اسفار سندباد لم يمر دون شماتة بعض النقاد وسخريتهم٠ فاذا كان هناك من هو معنى بالواقعى والمحتمل والتاريخى ، فلابد ان يوجد وبالحتم من يرى الحكايات متعة فنية ، أو متعة قائمـة لذاتهـا لا تستدعى البحث فى معرفة مضافة أو ارشاد ووعظ ٠ فكان ان كتبت مجلة Monthly Review (العدد ٢٤ ـ أيلول ١٧٩٧ ـ ص ٤٦) بمكر : « ونحن نبصره جاهدا للتأكد من مواقع ومشـاهد المغـامرات التصورية للرحالة الخرافى ، ساعيا لمنح وهم لا يقوم مسمى ومكان ، نشعر بالميل للاستفسار منه ما اذا كان محتملا ان يكون راوى الخرافة العربى اكثر تضلعا فى الجغرافية منه فى التاريخ ؟ » ٠ لكن تساؤل المجلة الساخر لا يعنى غياب الاهتمام باسهام (هول) ٠ اذ ان المقالات والعروض التى نشرت آنذاك ، توضح كم ان (هول) يتجاوب سلبا أو ايجابا مع اوساط عصره الثقافية ٠ وعندما نريد ان نضع هذا الاسهام فى مكانته المناسبة ضمن الواقع الثقافى القائم حينئذ ، علينا ان نراه مقارنة بطبيعة التيارات السائدة والرافدة الجديدة : فبين كلاسى محافظ وكلاسى متحرر ، ومتطلع رومانسى وآخر منبهر بالغريب والجديد يأتى عمل (هول) كواحدة من المحاولات المتحمسة للدفاع عن الجانب الخارق فى ألف ليلة وليلة من منطلقات كلاسية ، وبالتالى حمايتها من النقد التجريحى، و (هول) فى ذلك يأتى فى مقدمة (المعجبين الخجلين) الذين انبهروا بالحكايات الشرقية واعجبوا بهـا فى ذات الوقت الذى يعتبرهم فيـه الآخرون كلاسيين أو متعاطفين أصلا مع مبادىء الكلاسية فى التأليف ٠ واذ يمتلك هـؤلاء معرفة حسنة بالثقـافة الكلاسـية ويشـكون جهـلا واضحا بالثقافة العربية ، كان متوقعا ان يروا فى الخارق والغريب والعقدة الموروثة صدى لحكايات وخرافات معروفة فى الموروث الكلاسى (الاغريقى

والرومانسي على حد سواء) ، وهم في كل ذلك يمنحون مديحهم واطراءهم الشخصي لليالي العربية ثقلا دراسيا يحميهم من تجريح الآخرين ويدفع عن الحكايات ما يتأتى من بغض في كتابة أو رفض في تعليق ٠

اما عندما ندرس اسهام (هول) في ضوء النزعة الدراسية (الاكاديمية وغيرها خارج الاهتمام الادبي البحت) ، فان كتابه يؤشر شحة المعلومات المعرفية الدقيقة في الآداب المقارنة ، وهو امر انعكس على كتابات عديدة اخرى واتضح في اتجاهين استمرا طيلة القرن : أولهما يرمي الى تفسير قصص الرومانس عامة على انها منحدرة من اصول عربية، وهذا ما فعلاه Warton ، Huet في حين ان ثانيهما تجاهل الكتابة العربية الكلاسية (اى خارج حدود الادب الشعبي) بحكم عدم وفرة هذه من جهة وعجالة بعض الكلاسيين الجدد وجهلهم بالآداب الشرقية من جهة اخرى (٤٠) ٠

واعتبرت الليالي في الحالتين اساسا اعتمده المتحمسون والخصوم في تخريجاتهم التنظيرية : ذلك لأن بحوث المؤرخين والدراسين من امثال بولنكبروك واوكلي والسير وليم جونز وجون ريشاردسون وآخرين لم تترك بعد أية آثار واضحة على الاوساط الثقافية (٤١) ٠ وبقي هذا الواقع لمرحلة ليست بالقصيرة على الرغم من تعدد الاسفار الى الشرق وتزايد الاهتمام بحياته وبعادات شعوبه ٠ وحتى مئات المسافرين والرحالة بقوا اسرى الانطباعات المريحة المغرية التي سادت آنذاك والتي روجتها حكايات شهرزاد : فوقع هؤلاء كغيرهم في دائرة السحر غير عابئين بالحقيقة أمام ذلك الوصف المثير لشرق مغر تتوفر المغامرة فيه ويسود فيه عنصر التشويق والاغراء ، ويلتبس فيه الواحد بين الليل والنهار ٠ بين الواقع والخيال ، وبين الصريح المكشوف والغامض المستتر ٠ وهكذا كانت صورة الشابة المغرية المتلفعة بالعباءة وهي تبصر الآخرين دون ان تبصر منهم تشكل خلفية تهيؤات عديدة عن ذلك الشرق : حتى جاءت رسائل (ليدى مارى) زوجة السفير الانكليزى في استانبول لتعزز صورة الشرق هذه دون ان تلغيها ٠ وتم تداول الرسائل قبل ان تطبع ، وكثرت الاشارات اليها والتندر بما جاء فيها : فسيدة المجتمع الانكليزى آنذاك كانت مسحورة بالليالي هي الاخرى ، وكان لابد ان تخبر الشاعر والناقد (بوب) وآخرين بان هذه الليالي تمثل الصورة الفعلية للشرق ٠ وعلى الرغم من ان الرسائل هذه تبودلت في العقود الاولى للقرن ٠ لكنها تشتمل على كافة سمات ادب الاسفار وبخاصة ازاء الانطباعات عن الشرق وعاداته وتقاليده ٠ وعندما يريد واحدنا تقويم ادب اسفار تلك الحقبة ، فانه لابد ان يوافق (والاس كيبل

براون Wallace Cable Brown بأن رحالة مطلع القـرن « استغلوا تماما الجواز الشعرى السارى فى عصر ما قبل العلمية ، وكذلك امتيازات الرحالة الرواد ليخلطوا دون تمييز بين الحقيقة والخرافة » (٤٢) · وهكذا ، كان لزاما على الباحث ان ينتظر بشوق اسهامات الدارسين الفكتوريين لتشتيت غمامة الوهم الداكنة ، ولتأسيس خلفية متينة للدراســـات المقارنة : فعند ذلك فقط ، تتعرض الف ليلة وليلة نفسها الى تشريح وتمحيص وتحـــرير بدل ان تبقى مصدرا معصـــوما للمعلومات عـن الشرق ·

لكن معجبى شهرزاد الحجلين فى انكلترا القرن الثامن عشر اسهموا فى تطوير اتجاهين نقديين : (المنفعى) والجمالى الفنى · وكان لابد أن تعتمد الفئات المثقفة من ابناء الطبقات الوسطى الصاعدة الليالى العربية كمخزن للمعلومات عن الشرق · وكان غالان نفسه يدغدغ هذه النزعـة المنفعية عند هذه الفئات وهو يضمن عنوان ترجمته نصا بشأن تمثيل الحكايات لاخلاق وعادات الشرقيين · وعدا ذلك ، فان غـــالان ذكر فى مقدمته (ص ٨) بأنها لابد ان تسر الجمهور « بحكم ما تحتويه بشأن عادات واخلاق الامم الشرقية وطقوس دينهم ، الوثنى والمحمدى · والتى تحظى بوصف هنا قلما يضاهيه وصف اى مؤلف آخر ، أو اخبـــار الرحالة » · وأكد الآخرون على هذا الجانب أيضا · ففى العقد الأخير من القرن مثـــلا ، كتبت مجلة Monthly Review (العدد ٢٩ ، ١٧٩٩ ، ٤٧٥) قائلة :

> ان الاهتمام والتطلع اللذين تثيرهما الليالى العربية بقوة ، والأوصاف الثرية التى تفيض بهـا ، والتعبير الدقيق عن الطباع الشرقية ، أو (لنكون أكثر دقة) طباع المسلمين التى تعرض لها الحكايات ستبقى جميعا مثار اهتمامنا أكثر بكثير من ذلك الذى نوليه فى العادة الى الحوادث المسرفة فى السرد الخرافى ·

ويرجع هذا الاهتمام الى حقيقة ان الليالى ــ ضمن اعتبــارات الاتجاه المنفعى ــ تقع ضمن نزعة سائدة امتدت فى الثقافة الانكليزية منذ تخريجات السير فلب سدنى وآخرين بعده حول أهمية الجمع بين المفيـد والممتع · وعنـدما يرتدى المفيـد والنافع ثوب المتعة فانه يكون ابلغ واكثر يسرا وتأثيرا · وسيادة هذه الفكرة لم تمنع الرحالة وهواة الأسفار من طرح عواطفهم علانية أمام الجمهور ازاء سحر الليالى ، وهو سحر كان له تأثيره البالغ على عدد كبير منهم ، حتى بدت تقاريرهم

وقصص رحلاتهم « رومانسية » جراء ذلك . وهكذا كان (جيمز دلاوى) قس وطبيب السفارة البريطانية لدى البيت العالى فى استانبول يرى الشرق من منظار لونته قراءاته فى الف ليلة وليلة . وعندما كان يصف الجانب الملون المثير من الحياة الشرقية ، كان يشرح موضحا بأن كثيرا « من ذلك النفس الذى يتخلل العادات المنزلية لاولئك الذين تصفهم ليالى السمر العربية ، ولاسيما اولئك الذين ينحدرون من مستويات اجتماعية متدنية ، يمكن ملاحظته بشكل عابر ونحن نمر فى شوارع استانبول » . ولأن الحكايات تجمع بين المتعة والمعرفة والتفصيل التاريخى ، فانها تستحق الاطراء . وهكذا . ختم تعليقه قائلا : « نحن نشير بارتياح متزايد الى ذكرى ذلك الحبور الذى رافق قراءاتنا الأولى للحكايات ، ونحن نجدها الآن تصويرا أصيلا للامم الشرقية جمعاء » (٤٣) .

ولو ان الاهتمام بالحكايات انحسر فى هذين المجالين لهان امر معالجة ذلك على دارسى الاتجاهات والأذواق الأدبية ، اذ ان النزعة المنفعية التى كانت تتعاظم باستمرار متواز مع نمو الطبقات الوسطى وطموح التوسع التجارى ـ السياسى فى الخارج افرزت سلسلة من الاهتمامات المتشابكة الاخرى : فالعقول التى تفلسف لهذا التوسع الامبراطورى تفضل الأنماط الأدبية التى تلقى رواجا داخل بلدانها . وهكذا ، فان الحكايات المذكورة حظيت بعناية ليست قليلة من قبل الرحالة وممثلى الامبراطورية على حد سواء . وكان ان كتب جيمز كابر فى ملاحظات حول الطريق الى الهند (١٧٨٣) ان الحكايات تستحق مزيدا من العناية لا لأنها تقدم وضعا دقيقا للعادات الشرقية فحسب ، ولكن لأنها ايضا ذات تأثير كبير على مستمعها الشرقى . وعندما تعالج قضية الف ليلة وليلة فى ضوء التأكيد المتعاظم على الحاجة لفهم احسن للشعوب الشرقية ، كان لابد أن تبرز الحكايات كذات قيمة عظيمة أيام التوسع الاستعمارى .

> ان الليالى العربية تحتوى ملاحظات نافعة ومثيرة وكثيرة . وهى تقرأ وتمتدح بشكل عام فى آسيا ومن قبل مختلف المراتب شبابا وكهولا . وعندما تعتبر لهذا السبب عملا أصيلا ، وبخاصة وانها تصف أخلاق وطباع وعادات الشرق عامة ، والعرب على وجه التخصيص ، لابد أن تستحق اهتمام التطلع .. ولكن قبل أن يقرر الواحد محاسن هذه الكتب عليه أن يكون شاهد عيان على الأثر الذى تبقيه على أولئك الذين يفهمونها ويستوعبونها بشكل أفضل (٤٤) .

واصبح التأكيد على منافع الف ليلة وليلة ومحاسنها فى حقل التزود بالمعرفة عن الشرق موضوعة متكررة فى الكتابات التالية ، لاسيما وان نمو المصالح التجارية رافقته حملات تنقيب أثرى واهتمامات ثقافية وكنسية معنية بالتفسيرات الدينية · وهكذا ، فاذا كان المثقف (الكلاسى الجديد) ينظر الى الحكايات كمجموعة قصصية تجمع التافه والمستحيل لم يشعر متعلمو نهاية العصر بالحرج جراء اعلانهم شغفهم بالحكايات كعمل ذكى جامع · ولأن الحكايات ممتعة ومسلية بدرجة كبيرة، بدت اكثر تأثيرا وفائدة من قصص الرحالة واحاديثهم · وهكذا كتب الباحث المعروف آنذاك (هنرى وبر) فى مقدمته لـ حكايات من الشرق (المجلد الاول ، المقدمة ، ص ٢ — ٣) : « عندما نطالع ليالى السمر العربية ومجاميع اخرى مشابهة فاننا نتمكن من الاحاطة التامة بالعادات الشخصية وسبل الترويح والحرمان الزوجية والمنزلية للشرقيين بطريقة عظيمة التأثير على الذاكرة ومسلية للذهن » · واذ كان يشعر (بالمعارضة المحافظة) للادب القصصى التى أخذت بالانتعاش مجددا جراء تصاعد الحماس (التبشيرى الانجيلى) وسيادة الفلسفة (المنفعية المحافظة) رسميا فى مطلع القرن الجديد ونهاية القرن الثامن عشر اصر (وبر) على أن الليالى تقدم المعلومات الاجتماعية والتاريخية فى صورة قصص مسلية · فأضاف أن الكتاب :

> يقودنا الى المشاركة فى متعهم « أى الشرقيين » المحببة وكسب معرفة بشئونهم الدينية وأوهامهم · وهكذا يحصل ، ان الشباب الذى كان ينهمك فى متابعة هذه الروايات البارعة سرعان ما يصبح عارفا أيضا بخاصية الطباع الشرقية ، ومبادىء الدين المحمدى ، فى فترة الاسترخاء ، كما هو أثناء ساعات الدراسة وهو يطلع على عادات وميثولوجيا الرومان والاغريق ·

وكان محتما ان يقود هذا التأكيد على الف ليلة وليلة كمخزن مفيد وغزير للمعلومات الى تزايد الاهتمام الدراسى بالحكايات ذاتها ، وهو اهتمام اتخذ سمات مختلفة ، ابرزها دراسة المخطوطات الرئيسية بدل التعويل المطلق على ترجمة غالان · فلضمان دقة المعلومات كان لابد من توفر ثقة كاملة بالنسخ المتوفرة المعتمدة · وفى نهاية القرن كثر التأكيد على ضرورة الشروع بترجمات دقيقة كاملة · وحالما توفرت المعلومات عن صحة مشروع غالان ، أى عن صدق اعتماده مصادر عربية فعلية ، أعلن ريشارد هول وآخرون ضرورة توفر نسخة مترجمة جديدة ، كاملة

ومعززة بالملاحظات (٤٥) • وفي واقع الحال رأى ريشـارد هول في كتابه المذكور سابقا (ص ٢٢١) ان غياب مثل هذه النسخة في ذلك الظرف علامة في التدليل على الاهمال الدراسي آنذاك ، وهو اهمال تسبب ضمنا في اندلاع المعركة بين الكلاسيين الجدد والمستشرقين • اذ الو كانت هذه النسخة متوفرة – في رأى هول – لاتاحت للجانبين فرصة تقصى الاصول اليونانية والشرقية المشتركة الى اصولها • وبدرت اعتراضات مماثلة من روبرت وود Wood وجيمز بيتي وآخرين تراسـلوا مع مجلة Gentleman's Magazine ضد نسخة غالان (٤٦) • فكتب احدهم (W.W.) في عدد ايلول ١٧٩٨ (عدد ٦٨ ، ص ٧٥٧) مشيرا الى ان اعتبار نسخة غالان التي جاءت عنها الترجمة الانكليزية ناقصة يدعـونا الى اصدار ترجمة جديدة ، ولا بد لهذه ان « تستقبل بفرح من قبـل الجمهور ، وبخاصة اذا ما طرحت تلك المقطوعات الشعرية الرائعة والخواطر الاخلاقية التي يقال ان الاصل يفيض بها ، والتي لم تبق منها في الترجمة الحالية اشارة أو لمحة » •

ولم يكن الكاتب ناثان دريك Nathan Drake يختلف عن هـذه الآراء • فشعر ان ترجمة غالان لم تكن « امينة تماما » في نقل مصطلحات الاصل أو في التعبير عن « روحها المميزة وسماتها القوية » ، فكان ان « شوهت نتاجا عبقريا بدون منازع » ، الامر الذي حال دون ان تؤثر الحكايات عميقا وبشكل ابرز اثرا على « المؤرخ والفيلسوف » (٤٧) • واذا كان ناثان دريك قد اعتمد في نقده لنسخة غالان على ما سمعه آنذاك داخل اوساط الادباء والمتأدبين ، فان موقف باتريك رسـل وجـون ريشاردسون كان ابلغ وادق لاطلاعهما على المخطوطات المتوفرة ولاتقانهما العربية • واعترض كلاهما على حذف غالان للمقطوعات الشعرية وعلى اختصاره لبعض الحكايات ، وعندما كتب ريشاردسون عن نسخة غالان حدد على وجه الخصوص رأيه بشأن واحدة من الحكايات . تلك هي حكاية أخ الحلاق الخامس . حيث أشار بشأنها الى أن « الانحراف عن الأصل أكبر بكثير مما تتطلبه ترجمة بتصرف » ، اما باتريك رسل ، فعلى الرغم من موافقته لحذف وتشذيب غالان لبعض المقطوعات الفاحشة ، الا أنه رأى في رسالة للمجلة المذكورة ان « بعض الاوصاف الاخرى •• المعبرة عن الملبس الشرقي حذفت دون مسببات ، وبخاصة ليلتين في المجلد الثاني ، ص ١٥٥ » (٤٨) •

واذا كان معارضو ترجمة غالان قد انتقدوا فيه الحذف والاختصار والتشذيب غير المبرر ، فانهم كانوا ينطلقون من تعاظم النزعة الدراسية ،

وهى نزعة اتسمت بمواصفات متباينة فى ذلك الحين ، احتوت المؤيد والمعارض على حد سواء ٠ لكن الاخير لشدة اصطدامه بالسائد المقبول ـ كما هو شأن ليالى غالان الرائجة ـ كان يبدو أكثر فعلا فى الحياة الأدبية الصرفة (فى تمييزها عن جمهور القراء) ٠ ولم تكن نسخة غالان دون مؤيديها فى ذلك الحين : فكان ادوارد فورستر Edward Forster وجوناثان سكوت Jonathan Scott يعارضان مثل تلك الطعنات الموجهة للنسخة الاولى الرائجة من الف ليلة وليلة ٠ وكلاهما كان يرى فى تشذيبات غالان واضافاته امرا يستحق الحذو والاتباع ٠ وبعد الاعتماد على مديح احد سادة المجتمع ومثقفيه آنذاك ـ وهو وورن هستنغ Warren Hastings ـ شرع الاثنان بتزويد القارىء بترجمة جديدة عن نسخة غالان الفرنسية بعد ان كانت ترجمة شارع كراب Grub قد مرت فى طبعات عديدة دون منازع طيلة هذا القرن الجاد (٤٩) ٠

ولكن لو كانت ردود الفعل النقدية المتعددة المذكورة هى الوحيدة التى استقبلت بها انكلترا القرن الثامن عشر حكايات شهرزاد ، لشعر قارىء عصرنا المحدث محقا بالشفقة على اولئك النقاد العارفين الذين يبدون لمزاجه الانطباعى وميله لاستقبال الجميل قد خلوا منذلك الحبور والاندهاش والفرح الرقيق الذى يصاحب فى العادة قراءة هذه الحكايات٠ لكن للتاريخ حكايته المختلفة ٠ اذ كان جونسون Johnson وروسو Rousseau وفولتير Voltaire وبوب Pope وادسون Addison وستيل Steele وسوفت Swift وصمولت Smollett وآخرون يقرأون الحكايات بشغف ويفيدون منها فى كتاباتهم باسهاب (٥٠) ٠ وفى الواقع كان ريشارد كاف Richard Gough وهو باحث معروف فى آداب العصور الوسطى ـ يسخر من اشارة ريشارد هول من أن الحكايت « تحظى بازدراء الجادين والعارفين » مبينا فى مقدمته لطبعة جديدة من الليالى (١٧٩٨) ـ المجلد الاول ، المقدمة ص ١٠ ـ بأن « بعض اكثر الناس جدية ومعرفة مازالوا يستعيدون بفرح الانطباع والاثر اللذين تركتهما قراءة هذه المجلدات » (٥١) ٠ وبالاضافة الى الكتابات المقلدة التي لا تحصى والتى اغرقت المجلات والحكايات المعدة للمسرح ، كان كتاب من امثال الروائية الزا Eliza Haywood وماتورن Maturin يستخدمون تقنية الليالى فى اعمالهم ٠ ولم تكن افادة الاخير تتحدد فى مجال استخدام تركيب القصة المتداخلة Story-within-a-story بل تجاوزت ذلك الى طرح شخوصه ، وبطله الغريب Melmoth على وجه الخصوص ، ذلك الغامض الرهيب الذى لم يكن اجداده رذلاء قصص الرومانس القوطية

الاولى بل « الساحر المغربى » الذى سيطر على اجواء الحكايات العربية والتى نشرها كازوت عام ١٧٩٢ ۰ اما قصة ازدورا فى الرواية نفسها فانها تحمل اصداء واضحة لقصص الخوارق العاطفية التى حفلت بهـا الليالى ۰ ففى هذا الرومانس كان ماتورن يقارن توقع ازدورا بشأن وصول Melmoth بذلك الاغراء الساحر للفتيات العربيات فى الحكايات وهن يفتن بعض الجن للتدخل « ساعة الزفاف » (٥٢) ۰ وعلى الرغم من اهمية مثل هذه القراءات والاعدادات فليس هناك من دليل اكثر حسما على قوة سحر الليالى الذى لا يجابه من تلك النادرة الطريفة التى يوردها مؤرخو الادب عن سير جيمز ستوارد (لورد سكتلنده الموكل) ۰ فبعد ان وجد بناته مساء الجمعة منشغلات بقراءة حكايات شهرزاد ، أنحى عليهن باللوم الشديد لاهمالهن واجبهن الدينى فى مثل هذا المساء الذى يسبق عطلتهن الدينية (كما هو شأن بعض النصارى) وتفضيلهن عليه حكايات تافهة رخيصة :

« لكن اللورد الموكل نفسه وقع فريسة لسحر الحكايات ، اذ وجد صباح السبت نفسه مشغولا بمطالعة الحكايات التى لم يتخل عنها طيلة الليل » (٥٢) ۰

واذا كانت أنماط الرد الأدبى النقدى السالفة واضحة ومميزة لحركة الثقافة آنذاك ، فان هناك اتجاها موازيا آخر لقراءة الليالى كعمل أدبى ، كنسيج متداخل من الخيالى والواقعى ، ولم يكن هذا الاتجاه معزولا عن حركة آخذة فى النمو والتطور بنسبة مساوية لمجـرى التغيرات السوسيو ـ جمالية والتى تستدعى دراسة مستقلة لشأنها ۰ وحيث ان هذا الحس الجمالى (الفنى) بسمات العمل الأدبى الذاتية يقع ضمن التغير الذى حصل ازاء قضية الرواية بعد منتصف القرن ، لابد أن نحـدد اتجاه دراسته بايجاز كبعض من تبدلات الذوق الأدبى فى مجال النتاجات القصصية فى تمييزها عن المسرحية والشعر والمقالة ۰ فاذا كان الاتجاه السائد فى نقد الأجناس الأدبية « كلاسيا جديدا » يتبع Pope فى تأكيد محاكاة الأقدمين الذين هم أيضا (الطبيعة البشرية) بعد أن نجحوا فى محاكاتها ، فان منتصف القرن شهد نضجا جديدا هو فى جوهره محاولة للتخلى عن تقليد الطبيعة البشرية والأقدمين بلوغا لينابيع التمرد الذاتى حيث الغريب يمتزج بالعقلانى فى لحظات نافرة على قـواعد الأقلمـة والتماثل (٥٤) التى تؤكدها الفلسفة الكلاسية الجديدة ۰

واضافة الى دوافع ومسببات التغير الطارىء فى الذوق التى لا مجال

لتفصيلها الآن ، فان ازدهار حرفة الادب كان له شأنه فى ظاهرة التحرر من قيود التبعية الثقافية فى عصر كان على الناشىء المتعلم فيه ان يحظى برعاية الحماة والسادة لكى ينفذ الى حلبة الاعتبارات الأدبية بعيدا عن التحرير الخدمي والكتابة المضنية لدى ناشرى ومكتبيى شارع Grub فاذ لم يعد المرء يحتاج الى هذا الاسناد والدعم من الأقلية المتنفذة والصفوة المبرزة استجاب الكتاب بيسر للطلب الشعبى المتزايد على رواية التسلية · ويكفى أن يشار الى موجة الحكايات الشرقية المزيفة (التى تدعى كونها شرقية تأليفا) التى ملأت سوق الكتب لتتضح طبيعة التغير المذكور : ولم يسلم من هذه الاستجابة للطلب المتزايد حتى أبرز كتاب العصر · فكان جونسون قد كتب (الينابيع) عام ١٧٦٦ بعدما أنتج راسيلاس ، وكان صديقه هوكزورث قد أنتج فى تلك الفترة عمران وحامد · وحصل التأكيد فى هذه الأعمال على العجيب المدهش والخارق لا على المحتمل والممكن ، ذلك لأن الآلية الرومانسية والزخارف الشرقية اعتبرت الوسيلة المناسبة لبلوغ القارىء وبالتالى التأثير عليه · وكان أن لاحظ المحرر الأدبى المعروف حينذاك (أون رفهد Owen Ruffhead) أن قلة قليلة ميالة الى تقبل المبادىء الوعظية الجافة ، أو ربط سلسلة طويلة من التسبيب المنطقى ، ان الغالبية يجب أن تتمتع بالجديد ، وتطرب بالرواية و ـ كما هو الأمر ـ تستدرج الى الوعظ » (٥٥) ·

أما هاف بلير فقد أكد فى كتابه محاضرات فى البلاغة والفنون الأدبية (١٧٦٢) ان « أحكم الناس فى جميع العصور استخدموا بشكل أو بآخر الحكايات الخرافية والروايات بصفتها وسائل للمعرفة » · وكانت الشعوب الشرقية أكثر من غيرها اقتدارا على تطوير فن السرد القصصى لأنه أثبت كونه أداة مناسبة للافكار والآراء الفلسفية والدينية والسياسية وبعد أن خص الليالى بالذكر لتعزيز أطروحته ، أوضح بلير كيف أن الحكايات التصورية والممتعة المذكورة تعرض عواطف حية وأوصافا دقيقة للشعوب والطباع الشرقية : « ان ليالى السمر العربية من نتاج اختراع رومانسى ، ولكن من نوع ذلك التصور الثرى والممتع ، طارحة عرضا جادا وفريدا للطباع والشخوص مجملة بأخلاقية انسانية » (٥٦) ·

ولم يكن التغير فى الذوق حاسما باتجاه تغليب الغريب والخارق (الفو طبيعى) ، بل تميزت العقود التالية بتأكيد متساو على العنصرين الوعظى الأخلاقى والغريب المدهش · ومثل هذا التأكيد يعتبر ضمنا أن عالم الشرق التصورى الغنى (أى ذلك المطروح فى الحكايات الشرقية) أخذ يحظى بالاطراء والقبول ، ولم يعد الأسلوب الشرقى المنمق يثير الازدراء· وفى الواقع فان طبيعة النقلة فى الاهتمامات الفنية من استنساخ الطبيعة

البشرية الى استخدام المستحيل والغريب فى الوعظ والتعليم واضحة تماما ، وبخاصة فى النقد الذى ظهر فى المجلات المتخصصة آنذاك والتى تهتم بمتابعة الحكايات الشرقية وغيرها • ففى عام ١٧٥٩ كانت مجلة Monthly Review على سبيل المثال تدين وتشجب أى ابتعاد عن الممكن والوعظ الصريح فى الحكايات الشرقية ، لكن المجلة نفسها أوصت فى عام ١٧٦٢ بضرورة تكثيف الخيال والوصف الشرقيين بصفتها وسائل للوعظ الدينى والأخلاقى (٥٧) • ومثل هذا التغير يمكن أن يلحظ أيضا فى مجلة Critical Review فبعد أن كانت تنظر بشك للصورة الخيالية الطاغية التى وجدت متنفسا لها فى ذلك الأسلوب المزوق المتداخل ، كتب Ruffhead عن حكايات الجن (عدد المجلة ١٨ ، ١٧٦٤ ، ص ٤٠ — ٤١) ممتدحا هذه الحكايات لا لطبيعة مفاهيمها الدينية التى تمتد فى تراكيبها القصصية فحسب ، بل وللغتها التى تجمع المجاز بالتزويق اللفظى وأحداثها الغريبة وخيالها الجامح !!

واذا كانت هذه التغيرات قد رافقت بعض التحولات فى طرائق التفكير والبنى الاجتماعية وطبيعة التوسع المدنى داخل انكلترا وانعكاسات ذلك على ميلها للتوسع تحت تأثير الفلسفة الكولونيالية ، فانها — أى التغيرات فى طبيعة واشكالات الموقف الفنى — لم تكن على درجة واحدة من التناسق ، أى على وتائر واضحة يستطيع مؤرخ الأدب جردها تحت عناوين محددة : وفى الواقع يكفى أن تقرن هذه التغيرات بطبيعة النمو داخل الفئات الوسطى لنعرف أن تشتتها وتنوعها يوازى تشتت وتنوع هذه الفئات • لكننا عندما نبحث عن السائد والرئيس لابد أن يتراءى لنا أن حركة التوسع والاندفاع والنمو على الصعيدين الشخصى والفئوى الاجتماعى وجدت تعبيرا لها فى كل ما يتحرر بشكل متواز من القيود والحدود التى قولبت الآداب كما قولبت سلوكها وسلوك أبنائها من قبل •

واذا كان الانبهار بالغريب والدخيل يسير جنبا الى جنب مع ذلك الصلف والغرور الانكليزى الذى بدأ ينمو فى رحم هذه الفئات أيضا ليشكل رافدا لحركة التوسع (الكولونيالى) ، فانه أى هذا الانبهار كان لابد أن يتخذ سمات جديدة مغايرة لتلك التى نالت رضا المجتمع المتمدن — المثقف — فى مطلع القرن •

اذ لم تعد الحكاية (الشرقية — المزيفة) — أى تلك التى كتبت تقليدا للحكايات الأصلية — بصنفيها الفلسفى والأخلاقى الوعظى تجذب انتباه الطبقات الوسطى الآخذة بالغنى والتعقد المدنى : فابن هذه الفئات وجد نفسه فى موقف قريب لفتياتها اللواتى تميزن بسعة القراءة بحكم

تفرغهن لذلك داخل المنزل وشغفهن باللقاءات التحاورية · والكن ليس في موقف ومزاج للاستماع الى وعظ ادسون وجونسون · فكان أن كثر الطلب على المتنع السهل ، فكثر التقليد ، وعجت انكلترا بمئات الحكايات « الفنطازية » التي لا غرض لها غير سد رغبة الجمهور الى الغريب والمثير والخارق واشباعها · وعندما كتبت مجلة Critical Review عن « التوابع الذين لا يعدون ولا يحصون » لألف ليلة وليلة في عام ١٧٨٦ (السلسلة الأولى ، عدد ٦٢ ، ص ٣٨) ، قالت ، « على الرغم من أن هذه ليست ذات قيمة مساوية لليالى ، لكنها تستحق بعض التقويم ، بحكم طلسمانها الفوطبيعى) · ويبقى Owen Ruffhead أكثر اقتدارا من غيره على التعبير عن هذا الطلب المتزايد على الدخيل المجلوب والغريب المدهش · فكتب في مجلة Monthly Review عام ١٧٦٢ (عدد ٢٦ ، ص ٢٥٤) عن النسخ المقلدة للحكايات الشرقية :

« هكذا بلغ شغف الجمهور العارم بالرومانس لدرجة أن ابتغاء حسن انتباه هذا الجمهور حتم أن تضع الرصانة الأكاديمية هيبتها الوعظية جانبا ، لاهية بعد ذلك في ربوع الرواية المزهرة » ·

وأضاف قائلا أن عددا كبيرا من « الكتاب المتميزين في موهبة بدوا مؤخرا في تعداد الروائيين · فكانت لذلك الوقر الجاد جونسون حكايته الشرقية ، وكان لدى هوكزورث جنة ، ولانكهورث يقودنا الآن في وادي الرافدين » ·

أما من الناحية النظرية ـ أي من حيث المواصفات الاجتهادية في قضية النظرية الأدبية ـ فان الانقطاع عن القيم الكلاسيكية الجديدة في النقد حصل في عام ١٧٥٢ عندما نشر هوكزورث مقالته حول أنواع السرد « الأكثر بعثا للسرور » في العدد الرابع من مجلته Adventurer (السبت ، تشرين أول ١٨ ، ١٧٥٢ ، ص ٢٤) ، وكانت معالجة هوكزورث لقضية الغريب والعجيب الخارق تبريرا لكتاباته الاستشراقية في القصة ، اذ ان تلك القصص « قامت على حادثة واحدة ·· لكنها كانت غير مألوفة تماما بحيث تشبع حب الاستطلاع · ومشوقة تماما لتشد العواطف ، وهي بالتالي تزودنا بتسلية من النوع الأرقى » · وفي ضوء ذلك ، توصل هوكزورث الى قناعة مفادها ان التواريخ والرحلات والملاحم وقصص الرومانس القديمة والروايات ناقصة في سمة أو أخرى · وفي الوقت

نفسه ، سفه الكاتب المفهوم (الكلاسى الجديد) فى تقليد الطبيعة ٠٠ ملاحظا ان « الطبيعة استنفدت نفسها ، وكدست غرائبها بعضها على بعض ٠٠ لكن الخيال Fancy يستدعى اشباعات جديدة ، وحب الاستطلاع مازال دون اشباع » ٠ وهكذا فبعد ان رفض المعتقدين الكلاسيين ـ الطبيعة البشرية العامة واللياقة ـ كان هوكزورث يستجيب لذوق القارىء التلقائى للعجيب والخارق كأساسين للتجربة الممتعة التى تتأتى من قراءة عمل فنى ٠ وعندما يخصص هوكزورث الليالى كعمل اعتمده هو نفسه فى تقليد هذا النمط الكتابى ، يرى ان فتنة الحكايات وشاكلاتها واستجابة الجمهور لها تشيران الى استعداد القارىء لتعليق وساوسنا وشكوكنا لحظة لكى « نكافأ بالمشاهد الجديدة التى نقاد اليها والفرص غير المحدودة المتاحة أمامنا » ٠ وبكلمة أخرى فان هوكزورث طور وجهة نظر سابقة لكولريج بشأن العجيب وغير المألوف ، كما انه رأى ان الجنس الأدبى الذى أوجدته الليالى اثر دخولها هو أحسن الفنون الأدبية بحكم خلوه من أى غرض آخر عدا تسلية القارىء ٠

وكانت مناقشة هوكزورث لموضوع تعليق الأحكام عند قراءة هذه النصوص مقبولة من قبل بعض معاصريه ٠ فأوضح توماس كرين فى مذكراته ليوم السابع عشر من كانون الأول ١٧٩٧ كيف استجاب لهذه الحكايات : « كنت ولمدة من الزمن أروح عن نفسى بليالى السمر العربية ، والتى كنت واقعا تحت تأثيرها الساحر ٠ وليس من شىء أكثر بعثا على السرور من الخطة الرئيسية التى حكمت هذه الحكايات » وبدل ان تستفزه كما هو شأن اناس فى مكانته الدينية والاجتماعية من قبل ، وجد فى غرائبها وخروجها عن المألوف أمرا مثيرا ومفرحا ٠ اذ قال موضحا ان :

> « القصص وان كانت ضربا من المبالغة فى شكلها الظاهر ، لكنها من ذلك النوع الذى نرضخ له دون لأى أو تردد ، من ذلك النوع الذى يريح دون جهد مزيحا كل مشاكلنا الجسدية ٠٠ انها ذلك النوع الذى نمنحه خيالا حاضرا ، فى حين أن تنوعها يبقى التوق والتوقع متجددين باستمرار » (٥٨) ٠

وهذا « الخيال الحاضر أو المستعد » يستمد مزيدا من المتعة من قراءة هذه الحكايات العربية بحكم اعتمادها تركيبا (دينيا ـ ميثولوجيا) يقود القارىء الى الاعتقاد بأنه يقرأ عن عالم ليس غريبا عليه ٠ لكن وجهة النظر هذه ـ عن الحس بالألفة فى اجواء الليالى ـ رفضها روبرت هرون Heron فى نهاية القرن ٠ ففى مقدمته للحكايات العربية (ص ١٠) ناقش هرون

معتقد هوكزورث مشيرا الى ان غرابة آلية الليالى وغموض دوافعها هى التى تثير مشاعر الرهبة والخوف والتعاطف والشفقة لدى القارىء :

« انها بالتأكيد الغرابة ، تلك الطبيعة المجهولة ، والشخصية الشاذة للعناصر الخارقة المستخدمة هنا . والتى تجعلها تؤثر وتتفاعل بقوة مع آمالنا ومخاوفنا وتوقعاتنا وعواطفنا وباختصار ، كل مشاعر قلوبنا » .

وبالنسبة له ، فان هذا الصراع بين البشرى والانسانى والخارق هو الذى يحفز اهتمام القارىء ويثير تعاطفه مع الناس الذين يواجهون قوى غير مفهومة . ويقول هرون فى هذا الأمر : « نحن نرى رجالا ونساء يمتلكون مواصفات تكسبنا اليهم ، وهم يتعرضون الى تأثير قوى ومخلوقات لا تستوعب الدوافع والظروف التى تفسر طبيعتها أو شرها ، قوتها أو ضعفها ، رعايتها أو اهمالها » .

ولهذا استنتج هرون ، بأن ذلك مدعاة لكى نشعر بالحرج ازاء مصير البشر « وبنفس الاهتمام القلق الذى يجب ان نحسه ازاء صديق يتجول فى ظلام دامس بين السيول الوابلة وعلى ضفاف الأنهار العميقة » .

ومهما يكن من الأمر ، أى سواء سلمنا بتخريج روبرت هرون أو باجتهاد هوكزورث فان اتجاه نقاد نهاية القرن للثناء على الآلية الرومانسية لألف ليلة وليلة توافق زمنيا مع تزايد الاهتمام بالفن القوطى ، حيث التأكيد على مواصفاته المتحررة من التكامل (النهضوى الاخير) ـ أى نزعة أواخر عصر النهضة لبلوغ نتاجات شبه مصنعة من حيث دقة الالتزام بالقوانين والقواعد الفنية ـ وعلى اشكالات الغريب والمرعب فيه .. وهى اشكالات توافقت مع ذلك الميل الأدبى ـ الفنى الى حيث ينابيع العواطف ، والى حيث قعر الانسان البدائى بعيدا عن التقنين الذى خضعت له الحياة والعواطف على حد سواء ! وفى الواقع فان توافق الاتجاهين الشرقى والقوطى كان واضحا تماما ، فكان نقاد العقود الأخيرة يميلون الى تأكيد علاقة الاثنين ، ملاحظين بين مناسبة وأخرى بأن الرومانسى القوطى تأثر فى أصوله بالعرب !!

ولسنا هنا فى معرض دراسة هذه العلاقة ، لكن ردود الفعل النقدية المتعلقة بالموضوع ولا سيما تلك التى تؤكد على عنصر الرعب فى الليالى حملت فى داخلها سمات الكتابة (القوطية ـ المزيفة) ـ أى المقلدة للحياة القوطية ـ آنذاك . ولعل تقدير مسز باربولد Mrs Barbauld (بصفتها

واحدة من الناقدات البارزات فى نهاية القرن ومطلع القرن الجديد) لهذا الأمر يستحق اهتماما خاصا ٠

ففى مقالتها الذائعة « حول المتعة المستحصلة من مواقف الرعب » تحدثت مسز باربولد (اسمها انالتيتا ايكن) عن فتنة الرعب « المصطنع » للذهن البشرى ٠ وتستحق المقالة مكانة بين الدراسات الممهدة للظهور الرومانسى لأنها تشكل رد فعل ضد (محافظة أو عقلانية) القرن الثامن عشر ٠ وبقدر علاقة المقالة بالليالى فان السيدة باربولد ترى ان الحكايات الشرقية بسحرها وآليتها الغريبة (ستبقى تحتفظ بتأثير قوى على الذهن ، وستبقى تثير اهتمام القارىء باستمرار يتخطى خاصية الذوق) فى عصر دون آخر (٥٩) ـ فالعنصر الخارق فى الليالى يوجد رهبة دينية وخوفا قدسيا أكثر من أى رعب طبيعى (فى تميزه عن الرعب الخارق أو الفوطبيعى) ٠ وحيث ان المتعة المستحصلة من القراءة تتناسب مع هذا الشعور وتتناسب مع غرابة المشاهد الموصوفة فان مسز باربولد تستنتج ان الليالى تزود القارىء بأكثر التجارب متعة :

> وهكذا فكلما كانت ظروف مشهد الرعب أكثر ظهورا وطيشا همجيا وأغزر خيالا وخروقا كلما تضاعفت المتعة التى نستحصلها منه ، أما اذا كانت الظروف قريبة للطبيعة المألوفة فاننا لا نستطيع أن نستعيد المشهد أو نفكر به دون حس مضطرب بالألم على الرغم من ان حب الاستطلاع قد يقودنا بشكل عاصف عبر المخاطر الموصوفة) ٠

وبعد ان عززت رأيها بأمثلة من ألف ليلة وليلة ، قالت الناقدة : « فى الليالى العربية توجد عدة أمثلة حاسمة تماما بشأن الرهيب المترابط والمتشابك بالغريب المدهش : ان قصة علاء الدين واسفار السندباد تثير الاهتمام بشكل خاص » (٦٠) ٠

اما اعجاب الروائى والكاتب المعروف هوراس ولبل Horace Walpole بذلك (الطيش الهمجى) فى ألف ليلة وليلة فانه يقع ضمن نفس الاتجاه الذى يرى فى امتزاج الرهيب بالغريب المدهش واحدا من أبرز مواصفات الكتابة المؤثرة فى فترة تصدع وقلق خاصة افرزت فيما بعد مقدمة ووردزورث وكوليرج للغنائيات ، وهى المقدمة التى أصبحت جوهر التنظير الفنى الرومانسى الأول (فى تميزه عن رومانسية نهاية القرن التاسع عشر) ٠ وهوراس ولبل هو مؤلف قصر اوترانتو Castle of Otranto التى أعدها نقاد الأدب ومؤرخوه أول رواية قوطية لتليها عشرات الروايات التالية والتى تشكل مكتبة مستقلة لذاتها !

ففي رسالة لماري بيري Mary Berry أعلن (ولبل) عن حب بالغ لمخاطرات السندباد ومغامراته كاشفا عن ميل عميق لتلك الطبيعة الخيالية الجامحة لعدد من الحكايات • فلاحظ انه على الرغم من ان « قصص السلطانة ليست طبيعية أو محتملة وممكنة تماما » فان فيها « همجية جامحة آسرة » • أما أهمية الرسالة لموضوعنا فانها لا تنحصر بهذا الاعجاب بفن شهرزاد •

ذلك لأن الرسالة تكشف النقاب أيضا عن التفاوت الكبير بين موقفين غالبين خلال القرن قيد الدرس ازاء الأدب التصوري أو الخيالي • وهذان الموقفان هما (الكلاسي الجديد) و (الرومانسي) •

فبتلك السخرية الذكية التي ميزت (ولبل) كان الأخير يسخف موقف الاسقف اتربي الذي رفض اكمال قراءة الليالي : ومثل هذا التسخيف يعني ضمنا انقطاعا كاملا عن الذوق (الكلاسي الجديد) الذي مثله الأسقف والآخرون من كتاب مطلع العصر ومثقفيه • كما انه يعني ضمنا ارتدادا على المحافظة (الأوغسطية) أي محافظة ذلك العصر الذي حفل كثيرا بالعقلانية وانتبه باستمرار الى الموازنة والحشمة • فكتب (ولبل) الى ماري مداعبا : « اذا حصل ان ضقت ذرعا بالليالي العربية فانك لست بأحسن ذوقا من الأسقف اتربي الذي عنف Pope لارسالها له أو الحكايات الفارسية ، متخيلا انه يفضل فرجل ، ذلك الذي لا يملك خيالا أكثر من الدكتور اكنسايد • اقرأي رحلات السندباد البحار وستشعرين بالقرف من Aeneas's » •

وبهذه الاشارة الى ولع (ولبل) الطافح برحاب خيال الليالي وجموحها التصوري الذي استفز النقاد التقليديين وازعجهم ، تكون هذه النبذة التقويمية عن اتجاهات النقد الأدبي وقضايا الذوق في انكلترا القرن الثامن عشر قد تكاملت مضمونا • ابتداء بالتزمت الكلاسي الجديد وانتهاء بالتحرر منه والارتداد عليه في الاتجاهات القوطية والرومانسية النامية •

وعندما نريد بلوغ استقصاءات أخيرة حول شكل تطور الموقف النقدي الفني ازاء الليالي العربية في ضوء شعبيتها وشيوعها ، لابد من الاستنتاج بأن القرن المذكور شهد رغبة متصاعدة في متابعة هذه الحكايات وانشدادا الى عجائبها اللذيذة ، كما شهد ميلا شديدا مستمرا الى الكشف عن تصاميمها المتشابكة وفنيتها الدقيقة • ولا تقل التعليقات النقدية والتقويمية أهمية عن القصص المقلدة (الشرقية ـ المزيفة) وتلك المعدة عنها • ومثل هذه التعليقات تكشف النقاب بالطبع عن المقياس النقدي والذوقي المتغير باستمرار في هذا القرن • وبدا واضحا من خلال جملة

استعراضات لآراء أبرز النقاد والمثقفين وواجهات المجتمع أن النقاد كانوا ميالين أيضا وبشكل ما الى تغيير أو تعديل أو تخفيف أحكامهم فى ضوء متغيرات ذوق جمهور القراء ٠ وليس مبالغة بعد ذلك أن نقول ان وله الجمهور بهذه القصص الغريبة والمثيرة كان له دوره أيضا فى تغيير المقاييس النقدية وفى التأثير على نبرة كتاب الرواية الذين كانوا دائما منصستين حسنين الى مستلزمات ومتطلبات مجاراة الجمهور ٠

هوامش الفصل الأول :

(*) فى التنصيص سيتم استخدام القوس المزدوج لفرز الاقتباس عن غيره ٠ كما أن الحرف الأسود المنفصل يلجأ اليه عند الاقتباسات المطولة ٠

(١) Sonnets and Miscellaneous poems (Oxford, 1789), Sonnet No. V.

(٢) راجع

«A Bibliographical and Literary Study of the First Appearance of the Arabian Nights in Europe,» Library Quarterly, II (Oct. 1932-504-06.

لمعلومات أكثر ، راجع

For more information, see Burton's «Terminal Essay,» and W. F. Kirby's "Contributions to the Bibliography of the Thousand and One Nights in Burton's Book of the Thousand Nights, 92-94 and 414-18 respectively. See also the British Museum Catalogue for editions ; Victor Chauvin, Bibliographie Arabe (Liege, 1900), IV, 25-26; and «Notes on Sales : «The Arabian Nights',» TLS (March 16, 1922), p. 176. The Cambridge Bibliography of English Literature assigns the period between September 1705 and March 1706 as the date of the first English translation. As early as the 16 of Dec. 1706. Mrs. Manley's heroic drama Almyna; or the Arabian Vow was performed at the Theatre Royal. Mrs. Manley admitted in the preface that the theme was taken from Arabian sources, «with something cf a Hint from the Arabian Nights Entertainments.» After citing the preceding evidence, Adel M. Abdullah rightly concludes that this adaption «corroborates the scantly evidence we have which points to the period between September, 1705, and March. 1706.» See «The Arabian Nights in English Literature to 1900.» Unpubl. Ph. D. Diss. (Cambridge, 1963), p. 225.

(٤) D.B. Macdonald, «On Translating the 'Arabian Nights» Pt. I. The Nation, LXXI (Aug. 30, 1900), 167.

(٥) حول هذا الموضوع راجع :

For the comment on Marshall's list, see F.H. Muir's English Children's Books, 1600 to 1900 (London : B. T. Batsford, 1954), p. 40, n. 4, and F. J. H. Darton's Children's Books in English (1932; rpt. Cambridge : Cambridge Univ. Press, 1958), p. 61.

(٦) وردت مقالة بيتى فى مجموعة أعماله :

"On Fable and Romance,» in Dissertations Moral and Critical, Philosophical and Critical Works. II, 510. Hereafter cited as Works and incorporated with page number within the text.

(٧) Robert D. Mayo's Phrase, The English Novel in the Magazines 1740-1815 (London : Oxford Univ. Press, 1962), pp. 40-41.

(٨) Supernatural Horror in Literature (1927; rpt. N.Y. : Abramson, 1945). pp. 36-37.

(٩) For Goldsmith see The Citizen of the World ... (London, 1762). I, 138; and for Walpole, The Works of Horatio Walpole London, 1798), IV, 234-36.

(١٠) راجع كتاب مايو ، ص ٤٠

Robert D. Mayo, p. 40.

(١١) المصدر السابق ص ٥٩

Robert D. Mayo, p. 59. After the renewal of the stamp tax on newspapers, William Parker's London News came to an end in April 1725 and his Penny Post began to appear instead in four pages. It continued to serialize the rest of the Nights as «a front-page feature» See R. M. Wiles, Serial Publication in England Before 1750 (Cambridge : Univ. Press. 1957), pp. 35-38. n. 2

(١٢) راجع مايو الصفحات أدناه .

See Robert D. Mayo. pp. 302, 303, 248, 366 respectively.

(١٣) الاشارة الى الطبعة الثانية من كتاب هوت

Reference to Huet is to the second (1729) edition, I. xiv. On the correspondence between the two, see Mia Gerhardt. The Art of Story-Telling : A Literary Study of the Thousand and One Nights (Leiden: E. J. Brill, 1962), p. 236 and n. 3; and Mahmoud Manzalaui, «Pseudo-Orientalism in Transition : The Age of Vathek,» in William Beckford of Fonthill. ed. Fatma M. Mahmoud (1960 ; rpt. Port Washington : Kennikat Press. 1972), p. 129 and n. 8.

(١٤) Anthony Shaftesbury, Characteristics, ed. John M. Robertson (London, 1900), esp. pp. 321-25.

(١٥) Cited in the preface to New Arabian Nights' Entertainments. Tr. George Lamb (London : Henry Colburn. 1826), I, v and n.

(١٦) Everyman's 1956 ed. W. M. Parker, pp. 17-18.

(١٧) «Introduction» to Vathek in Three Gothic Novels (N. Y. : (Dover, 1966), p. xxviii.

(١٨) Norman Daniel's phrase. Islam, Europe and Empire (Edinburgh : Edinburgh Univ. Press, 1966), pp. 20, 21-3.

(١٩) بشأن الاهتمام بهذا الموضوع . يراجع ايان وات

For the eighteenth-century interest in this topic, see Ian Watt. The Rise o fthe Novel : Studies in Defoe, Richardson and Fielding (London : Chatto and Windus. 1957), p. 166. and J. B. Bostford. English Society in the Eighteenth Century as Influenced from Oversea (1924 ; rpt. N. Y. Octagon Books, 1965), p. 280.

(٢٠) راجع بخاصة رسائل ١٠ أذار ١٧١٨ و ١٨ نيسان ١٧١٧ .

See especially her letters of 10 March 1718 and 18 April 1717 to Lady

Mar in The Complete Letters (Oxford : Clarendon, 1, 385, 349-51 (London : Longman), I, ix. Quotations are from the 1783 four-volume edition.

(٢١) طبعة الليالي المستخدمة هنا هي الصادرة في ١٧٨٣

(٢٢) «On the Authenticity of the Arabian Tales,» «*Gentleman's* Magazine, LXIX (Feb., 1799), 92.

(٢٣) 'The Oriental Tale ... A Reconsideration,» Studies on Voltaire and the Eighteenth Century, LVIII (1967), 1845. For similar conclusions. see also Richard F. Burton. «Terminal Essay,» pp. 101-02, and Sheila Shaw. «The Rape of Guilliver : A Case Study of a Source PMLA. XC (Jan. 1975), p. 65.

(٢٤) «Arabian Nights.» Foreign Quarterly Review, XXIV (Oct. 1839). 141. for authorship, see Wellesley Index, II, no. 552.

(٢٥) The Works of Alexander Pope, ed. Whitewall Elwin and William Courthope (London : Murray, 1871-89), I , 23-23. See also the Correspondence of Alexander Pope, ed. George Sherburn (Oxford : Clarendon Press, 1956), 11, 53.

(٢٦) William L. Phelps. The Beginnings of the English Romantic Movement (1893; rpt. N.Y. : Gordian Press, 1968), pp. 18-19. For Horace Walpole. see n. 61 below.

(٢٧) For Henry James Pye. see A Commentary Illustrating the Poetic of Aristotle (London : John Stockdale, 1792), pp. 438-39.

(٢٨) Elements of Criticism. ed. Abraham Mills (N. Y. : Huntington and Savage, 1846), chap. 24, pp. 447-48.

(٢٩) من اجل معلومات أكثر راجع البرت ريشاردسون ·

For more on this point. see Albert E. Richardson, Georgian England (1931 ; rpt. N.Y. : Books for Libraries Press, 1967), A.S. Turberville. English Men and Manners in the Eighteenth Century (Oxford : Clarendon Press. 1926) ; Beverly Sprague Allen, Tides in English Taste, 1619-1800 (Cambridge, Mass : Harvard Univ. Press, 1973), 2 vols., esp. 1. 234, and J. B. Botesford, English in the Eighteenth Century.

(٣٠) Sketches of the History of Man (1778), I, 200.

(٣١) Joseph Andrews and Shamela (Boston : Houghton Mifflin, 1961). Bk. III, chap. 1, p. 158.

(٣٢) راجع بهذا الشان كتاب هوت :

See, for instance. Huet's A Treatise of Romances and their Original. London. 1672 (S. Lewsi' tr. 1715) ; and Thomas Warton, «On the Origin of Romantic Fiction in Europe,» Prefixed to vol. I of his History of English Poetry (London, 1774-81).

(٣٣) كان المستشرقون في ذلك القرن قد تأثروا بسيزر وكونتلين في ربط الأسلوب وخصوصياته والسمات المضمونية في الأعمال الأدبية بالظروف المناخية والاجتماعية والقومية

التي راوا أنها تحكم الانتاج الأدبي . وبسبب تعاظم النزعة الكنسية لدراسة الانجيل ومحاولة تبرير أسلوب (العهد القديم) ـ وهو أسلوب غير كلاسي شرقي ـ سادت النظرية الظرفية هذه .

For a discussion of his theory, though without my own references and applications of Beattie, see Husain F. Ali Haddawy, «English Arabesque : The Oriental Mode in Eighteenth-Century English Literature.» Unpubl. ph. N. Diss. (Cornell, 1962,) especially in relation to the nineteenth-century interest in the thematic context of the Nights.

For a good survey of these references to story-telling and the (٣٤) Nights, see the Rev. Edward Forster's preface to his translation of the Nights, (London : William Miller, 1802), I, xxiii-xliv, in which he covers the accounts of such travellers as M. Oliver, Lady Mray Wortley Montague, Dallaway and James Capper.

Robert D. Mayo, p. 40. (٣٥)

The works (London 1807), X, 230-50. (٣٦)

See Memoirs of My Life ed. Georges A. Bonnard (London : (٣٧) Nelson, 1966), p. 36.

لابد من الاشارة هنا الى أن كبن تميز عن غيره من دعاة الكلاسية ، اذا استمر رعدد كبير منهم في رفض (الخيال) العاصف الذى تمثل بالليالى العربية .

"M.S.» in the Gentleman's Magazine (LXIV ; Sept. 1794, 783) considered the pseudo-classical approach to the Nights one sign of the many «eccentricities» of the eighteenth century. The imitation of models was, after all, a misconception of «Aristotle's remark that poetry is an imitation of an action.» On this see N.H. Clement, Romanticism in France (N.Y. : MLA, 1939), p. 66, no 47; and Henry A. (N. Y. : Henry Holt ; 2nd Ed. 1926). Beers expounds on the «incomplete, superficial concept of Hellenism» which neglected the «free, more original spirit of Greek art,» pointing out that as an example of this intentional deviation, Addison, in Spectator (No. 160), apologized for Homer's failure to observe decorum. See p. 35, n.

Pausanias, I, 390. Cited in "The Prefatory Discourse,» Suttaby's edition of the Nights, I. xii. (٣٨)

See, for example, his «Preface» to Arthur; or the Northern Enchantment (1789), pp. v-vi. (٣٩)

«Pseudo-Orientalism in Transition,» pp. 135-36. (٤٠)

There were certainly a number of works dealing with Islam (٤١) and the Arabs in the eighteenth century. Sale's authoritative introduction to the Koran (1734), Simon Ockley's History of the Saracens (1708-18), Alexander Russell's Natural History of Aleppo (1756) were among many that paved the way for future scholarship. Bolingbroke's attempt to reveal and criticize highly prejudiced accounts of Islam is of special importance. See On the Study and Use of History (London, 1889), Letter IV, pp. 93, 96-7. Adam Anderson, Thomas Astle, Adam Smith as well as Gibbon and a number of Orientalists contributed much to the understanding of medieval Arab

civilization and its influence on Europe. For a survey of these, see Herbert Weisinger, «The Middle Ages and the Late Eighteenth-Century Historians,» Philological Quarterly, VII (Jan. 1948), 63-79. See also Norman Daniel, Islam, Europe and Empire, pp. 25-30.

In making my point about the prominence of the Nights in formulating eighteenth-century of the image of the Orient, I should explain that While the tales mainly enhanced old impressions of a gorgeous Orient, they also brought to the reader's attention the rich sources of wisdom and learning. Hence, I only partly agree with Professor Byron Porter Smith's opinion that "the popularity of the Arabian Nights did much convince the reading public that something good could come out of the Muslim East. The use of the Oriental tale in English for didactic purposes would tend to strengthen the idea so vigorously set forth by Ockley, that Arabia was the fountain and source of wisdom» See Islam in English Literature (Beirut : American Univ. Press, 1939), p. 98.

«The Popularity of English Travel Books About the Near East 1775-1825», Philological Quarterly, XV (Jan. 1946), 70. See also W. G. Rice, «The Early English Travellers to Greece and the Levant. «Univ. of Michigan Publications, X (1933), 205-60. (٤٢)

Constantinople Ancient and Modern (London : Cadell and Davis, 1797), p. 72 See also Vivant Nenon, Travels in Upper and Lower Egypt (London : J. Ridgway, 1802), I, ch. 13, 227-28. (٤٣)

(3rd. Ed. London, 1785), pp. 40-3. (٤٤)

For a discussion of the authenticity of Gallenticity of Galland's version see Gentleman's Magazine, LXVIII (Sept. 1798), 757; Enchantment (1789), pp. v-vi. (٤٥)

Robert Wood's reference to the «crude and hastly translation» from Arabic imaginative literature obviously applies to Galland's as the only available text of Arabian tales at that time. See Essay on the Original Genius and Writings of Homer (London, 1775), p. 173. Regarding Beattie's remark, see «On Fable and Romance,» in Works. II. 509-10; and for Hole's see p. 9. (٤٦)

Literary Hours (4th ed.; London : Longman, 1820), I, 229. (٤٧)

The quotation from John Richardson's monumental Grammar was cited by Patric Russel in his communication "On the Authenticity of the Arabian Tales,» pp. 91-92. (٤٨)

Warren Hasting's opinion was cited by the Rev. Edward Forester in the introduction to his translation of The Arabian Nights (London : W. Miller, 1802), I, xxii. See also Jonathan Scott's «Preface» to The Arabian Nights Entertainments (London : Longman, 1811). I, xii. (٤٩)

For a survey of such readings, see Conant, Appendices A and B. (٥٠)

For the authorship of the «Preface,» see John Nicols, Literary Anecdotes. VI. 318; Victor Chauvin, IV. 74 : and William Lawndes' (٥١)

Bibliographer's Manual of English Literature, I. 59 Gough's work was cited by Gentleman's (VIII, 1810., 39) as the one used by Scott for his edition of the Nights. For additional remarks upon Gough's annotations, see Mahmoud Manzaloui's «Some English Translations of Arabic Imaginative Literature, 1704-1838,» B. Litt. Unpubl. Thesis (Oxford, 1954-, pp. 82-3, Pope wrote to Judith Cowper on 26 Sepe tember 1723 about his desire to tell a wild and exotic fairy tale, Beers A History of English Romanticism in the Eighteenth Century provided «there be an apparent moral to it.» See Joseph Spence, Observations. Anecdotes, ed. James M. Osborn (Oxford : Clarendon, 1966), I, 151-52. As for Johnson, he wrote «The Fountains» in 1766 because he recognized that "Babies do not want to hear about babies ; they like to be told of giants and castles, and of somewhat which can stretch and stimulate their little minds.» See Hester Lynch Thrale Piozzi, Anecdotes of the Late Samuel Johnson (N.Y.: n.d.), p. Sir Joshua Reynolds seems to have read the tales as the autographed copy of his (now available at the Beinecke Rare Book Library at Yale) indicates. See also Frederick Whiley Hilles. The Literary Career of Sir Joshua Reynolds (N.Y. : Macmillan. 136), p. 116. Voltaire himself admitted that he became a story-teller after he had read the Nights fourteen times. See Ahmed Hassan Al-Zayyati. Fi Usul Al-Adab (1935), I. 42.

Eliza Haywood's utilization of the romantic propertics of (٥٢) the Nights is discussed by George F. Whicher, The life and Romances of Mrs. Eliza Haywood (N.Y. : Columbia Univ. Press, 1915), pp. 31-2. For references to Maturin see Melmoth the Wanderer (Lincoln : Univ. of Nebraska Press, 1972), pp. 393-94 and n. Other allusions are on pp. 10, 31, 51, 145, 18, 226, 225, 263, 290, 372, 411.

Cited by Henry Weber. Tales of the East, xxi-xxii n. (٥٣)

For a discussion of this shift, see William Park's «The (٥٤) Change in the Criticism of the Novel after 1760,» Philological Quarterly, XLVI (1967), 34-41 and Ioan williams' «Introduction» to Novel and Romance. 1700-1800 : A Documentary Record (N.Y. : Barnes and Noble. 1970).

Cited from the Monthly Review, XXIV (May 1761) in (٥٥) Novel and Romance. 1700-1800 : A documentary Record, p. 240.

Ibid., p. 248. Cited from Blair's Lectures on Rhetoric and (٥٦) Belles Lettres.

See vols. xx (1759, 380, and xxvi (1762), 263-64. In making (٥٧) point. I am indebted to William Park, pp. 37-38, n. 12.

Extracts from the Diary of a Lover of Literature (Ipswich : (٥٨) John Raw. 1810), pp. 53-54.

Cited on Ioan Williams. Novel and Romance, pp. 283-84. (٥٩) For assigning the article to Mrs. Barbauld, see Tompkins, The Popular Novel. pp. 220 and n. 1.

Novel and Romace, p. 285. (٦٠)

References are to the letter of 30 June 1789, Correspondence (٦١) of Horace Walpole ed. W.S. Lewis (New Haven Yale Univ. Press 1954), XI, 20-21

الفصل الثانى

الرومانسيون يلتقون بشهرزاد

عندما ضغطت قدمك الغامزة أول مرة
على البساط المسحور ،
من يستطع أن يحزر
الى أى هلال خصيب غير طاهر
يمكن أن يحط بك الرحال ،
الى أى مضيف من الغرباء المعممين ، الصاخبين ،
يفضى بك ،
او الى أى ملك ؟

من قصـــيدة كريس هـزارد كونـــكلنغ
(الى الزا ــ مع مجلد من الليالى العربية (١)

هل هذا صدى
لشيء مقروء بشغف صبى ،
عن وزراء يهزون رؤوسهم مجتمعين
فى ليلة عربية ؟

من قصيدة تنسون مود (Maud)

اذا كانت المقطوعة الشعرية المأخوذة من قصيدة كريس كونكلنغ تمثل شيئا ، فانها تمثل ذلك الولع « الرومانسى » بالمغامرة والمخاطرة وبالغريب والملون ، وهو ولع يرى ويبصر ما يرضيه بما يعنى أنه غير عقلانى ، يبحث عما يريحه ويتوافق مع رغباته · وعلى الرغم من أن القرن العشرين شهد تغيرات كبيرة فى ضروب الاتصال وردود الأفعال ، لكن الولع المذكور استمر بشكل أو بآخر يضعف تارة ، ويعود قويا تارة أخرى وكل ذلك يضع الباحث فى مواجهة حاسمة مع نفسه ، ومع تيارات الثقافة والمعرفة ، بقصد رسم خطـــوط المتغيرات الأســاسية للانطباعات والقراءات وردود الأفعال ازاء الشرق ، فما يبـــدو غامضا لقارىء اعتيادى ، قد لا يبدو كذلك لمتفحص موضـــوعى ، وما يرضى ويريح القارىء (الرومانسى) قد يبـدو ساذجا لقــارىء آخــر · وحتى القارىء الرومانسى لا يمثل فصيلة واحدة : فهو قارىء تعويضى ، يرى ما يريد لأنه يتوافق مع مزاجه ونزعاته ، لكنه يتوزع فى عدة حلقات واتجاهات ، بين العميق المتأمل وسائر خلف ما هو يسير وسهل · وهكذا يركض الأخير خلف ما يرضيه ويروقه ، دون أن تثار فى ذهنه أسئلة عما هو حقيقى أو مزيف أو عما موضوع أو منقول ··· الخ ·

وحيث ان هذا القارىء يمثل نسبة غالبة من الجمهور ، لابد من تقص لطبيعة الاتجاهات الأساسية التى ساعدت فى تعزيز الظروف التى غذت هذا القارىء الانكليزى ·

فى البدء ، تجدر الاشارة الى تلك الوقائع التى ميزت حركة القرن التاسع عشر فى انكلترا : هناك أولا التوسع الاستعمارى الانكليزى فى الهند والمشرق العربى ، وهناك التأثير المتزايد للصـــناعة على أصعدة الثقافة والحياة الاجتماعية ، وليس أقل أهمية من هــــذا ثراء الطبقات الوسطى المحدثة · وبحكم ذلك ولعله لمتغيرات أخرى فى داخل المؤسسات الأكاديمية ، تعاظم اتجاه الدراسات (الاستشراقية) فكان لابد أن ينمو هذا الاتجاه فى أعقاب أو حتى على حساب تلك الحركة (الاستشراقيــة المزيفة) التى تمثلت بكتابات عديدة تدعى المعرفة بالشرق دون مسعى فعلى لتقصى الحقائق والمعلومات ؛ أو الغوص فى الكتابات الشرقية ، بعد بلوغها أو تحريرها أو نقلها الى اللغات الأوربية · وكان أن قاد الاتجاه الجديد الى تعزيز نزعة الترجمة عن اللغات الشرقية ، كما انه دفع عددا من الباحثين والرحالة الى نشر بحوث مطولة حول الشرق فى حين أن

العوائل التى أثرت حديثا بدأت تجوب المشرق العربى ، حتى أن كتب الأسفار تضاعفت كثيرا بحيث ان مجلة Eclectic Review وحدها نشرت بين ١٨٠٥ ـ ١٨٢٥ قرابة ستة وأربعين عرضا لمثل هذه الكتب (٢) ٠

وأكثر تدليلا على تزايد الولع المعرفى بالشرق ما حل بالشعراء الرومانسيين أنفسهم : فلكى يتجاوبوا مع رغبة القارىء فى مزيد من المعرفة عن الشرق وعادات سكانه قام كل من مور Moore وبايرون Byron وساوثى Southey بتعزيز تصوراتهم الشعرية عن الشرق بملاحظات وهوامش شروحية مسهبة ٠ وكان لهذا الطلب المتزايد على معلومات وافية وأمينة عن الحياة والطباع الشرقية أن يسهم فى تأليب الاهتمام الأدبى والدراسى بالحكايات العربية ، على الرغم من أن الشعراء والكتاب الرومانسيين لم يكونوا متكاملى الاستجابة لنزعة التعرف هذه ، كما سنرى بعد حين ، وليس أدل على هذا الاهتمام من تعليق محرر مجلة ال Athenaeum فى عام ١٨٣٨ ، حين قال ان النسخ المكتوبة تقليدا للحكايات العربية والعروض والتعليقات المنشورة عنها فى الغزارة والأهمية بحيث ان دراستها (لابد أن تشكل فصلا ليس قليل الجدوى والاثارة فى أى تاريخ شامل للأدب الحديث) (٣) ٠

وفى ضوء التحولات والتغيرات السياسية والاجتماعية والأدبية الكبيرة خلال القرن التاسع عشر ، كان لابد من حصول تحولات جذرية فى الذوق أشكال التجاوب مع الفن القصصى العربى ٠ وكان أن ظهرت العديد من المقالات والعروض متناولة أوجها مختلفة من الليالى العربية ٠ ومتى ما طولعت هذه بدقة ، فانها لابد أن تؤكد للباحث والقارىء على حد سواء كيف أن هذه الحكايات تغلغلت فى جوهر الثقافة الانكليزية ، حتى أن ذلك الناشر والباحث والمحرر المعروف فى منتصف القرن الماضى أشار الى أنها ، أى الحكايات العربية ـ احتلت مكانها بين « أشيائنا المشابهة تلك التى تكون موروثنا الأدبى » (٤) ٠

واذا أردنا وضع مواقف الكتاب (الرومانسيين) والفكتوريين (*) فى موضع المقارنة بمواقف مطلع ومنتصف القرن الثامن عشر وبأشكال

(*) فى هذه الدراسة ، يستعمل المصطلح (رومانسى) فى الاشارة الى مجموعة الكتاب والمثقفين الذين مثلوا تيارا مختلفا فى الثقافة الانكليزية فى العقود الأولى من القرن الماضى ، وهو التيار الذى خرج عن (التقاليد) و (القيم) السائدة آنذاك فى الأخلاق الاجتماعية ، كما هو فى طبيعة الأذواق والكتابة ـ أما مصطلح (فكتورى) فانه أنسب من غيره فى الاشارة الى الاتجاهات الرئيسة فى العلاقات والقيم أيام الملكة فكتوريا ٠

تجاوباته ، لابد من الخلاص الى أن الرومانسية والفكتورية كانت أكثر اطلاعا وأبلغ تقديرا • وعلى الرغم من حقيقة أن هذه تكشف عن تحولات أساسية ضد تيارات واتجاهات كانت قائمة ، الا أنها يجب ألا تدفعنا للافتراض بأن القرن الثامن عشر مر دون اسهامات خطيرة • اذ ما الذى يقوله الباحث عن المفاضلات الأدبية لكل من روبرت هرون Robert Heron وجون هوكزورث John Hawkesworth محاولتيهما لتبيان السحر الجمالى aesthetic charm للحكايات ؟ الا يمكن للمؤرخ والناقد أن يرى فى الأمر تمهيدا لذلك الانشداد البليغ لحكايات شهرزاد فى العقود الأولى من القرن التاسع عشر ، ذلك الولع الذى قاد الرومانسيين ، لا سيما لى هانت Leigh Hunt الى حبور وتأمل واكتشاف ، جعل الأخير يبلغ بعض ذلك الجذب الموروث فى فن شهرزاد ؟ وحتى اذا أردنا البحث فى سمة أخرى من سمات مواقف مثقفى القرن الثامن عشر كيف نقرأ مسعى جيمز بيتى James Beattie ـ وان كان مسعى غير متساوق ـ لتطبيق النظـرية الوضـــعية Circumstantial Theory أو دعوة هول Hole الى الاستيعاب المتجاوب (فى تمييز عن التعصب الثقــافى) على أنه شرط لازم لاستحصال أكبر قدر ممكن من المتعة الفنية أثناء قراءة قصص شهرزاد ؟ أليست هــذه الدعــوات ممهــدة الى المدخــل الاجتمــاعى (sociological) الذى طوره كل من ادوارد وليم لين و وولتر باجت Walter Bagehot عدا ذلك ، أليس من الممكن أن قارئا شغوفا كجيمز ميو James Mew له اسهاماته الأدبية فى سبعينات القرن التاسع عشر قد تأثر هو الآخر بكتابات Beattie و Hole فى رفد ربطه بين العنصر الخارق فى الحكايات وبين جغرافية أحداثها ؟ ولعل هذه الكتابات قد قادت أيضا الى دعوة محرر مجلة Eclectic فى عام ١٨٤٠ لممارســة (الروح الكاثوليكية فى النقد) أى تلك الروح المتحررة من المسلمات والعصبية ، حيث ان البعيد وغير الدارج يجب أن يستوعب أولا قبل أن يقوم ، فى حين أن (الخارق) هو موضوع عقائد أكثر من كونه مجرد شطحات خيال شرقى ، كما يحلو ل (عقلانيى) القرن الماضى تسميته •

وعلى الرغم من أن الدعوة المذكورة تبدو متأخرة بالنسبة لقــارىء مطلع على شعبية الحكايات العربية ورواجها فى الربع الأول من القرن التاسع عشر ، لكنها كانت موجهة بشكل رئيسى الى قراء المجلة ذاتها ، أولئك القراء الذين أصــــبحوا محط ســــخرية ماثيـــو آرنولد Matthew Arnold المريرة ، وهو ينتقد الطبقات الوسطى الانكليزية الراضية بشكل فج بوضعها المادى والمعنوى ، دون حس بالحرج جراء خلوها من ذلك الخيال التصورى الذى كان طموح المثقفين المتنورين •

وأهم من ذلك بكثير حقيقة أن دعوة محرر المجلة المذكورة لتعميق تطبيق النظرية الوضعية تشير الى تعاظم نزعة الجمهور لتثمين هذه الحكايات من أجل سماتها الأدبية · واذا عرفنا أن العرض المذكور ظهر عام ١٨٤٠ ، فانه يؤشر فى الوقت ذاته تغير ذوق المرحلة المذكورة ، من الشغف والعربدة الرومانسية فى القصى البعيد والغامض الى البحث الفكتورى العلمى ، الواقعى عن الدقة فى المعلومات والتفاصيل ·

لكن التساؤلات السابقة لا تعنى أيضا تغليب الجانبى على السائد ، ففى الربع الأول من القرن التاسع عشر كانت حكايات شهرزاد تقرأ وتثير وتمتع بسبب ذلك البهاء ومواطن الفتنة الساحرة والغريبة البعيدة ، والتى استمرت ولسنوات تلون مختلف الاتجاهات الجمالية وتعدها بحيث توجد أكثر من منبع شعرى وهمس رقيق وتوحى بأكثر من حس وشعور فى شعراء القرن · وهكذا يكتب هنرى ويبر Henry Weber عام ١٨١٢ فى مقدمته لحكايات الشرق Tales of the East متسائلا باستغراب :

من ذلك الذى لا يسترجع بارتياح ومتعة تلك الانفعالات والعواطف التى يشعرها عندما وضعت ألف ليلة وليلة بين يديه ، من ذلك الذى لا يسترجع بحبور التوق الذى صاحب التهام الحكايات أو ذلك الاهتمام الذى طبع عقول هؤلاء القراء بشأن مصير الأبطال الخياليين من رجال ونساء ، أو أحلام السعادة والأبهة الذهبية التى تعرضها قصور الجن وكنوز الشرق التى لا تنضب أمام أخيلتهم · (المجلد الأول ، ص ٩ من المقدمة) ·

ولكن هل ما يقوله ويبر يمثل كل ما تعنيه الليالى العربية لقارىء العقود الأولى من القرن ! ان مطالعات وتعليقات آخرين من الكتاب تشير الى أن اللقاء الأول بشهرزاد لم يثر تجاوبا من اللهفة والترقب حسب ، بل انه كان فعلا تأسيسيا initiation فى عالم شبيه بالحلم حيث تقود الخطوات الى « كهف تخزن فيه نوادر سابقة للخيال الشرقى NR ، ص ٤٦) ، فيجد كل مشارك نفسه متورطا فى شبكة مسحورة · وهكذا يكتب باجت « لقد كانت هناك حقبة من حياتنا بدت فيها الليالى العربية حلما وليست قصة · لقد عشناها فى تداخل الهويات المضبب نفسه ، ذلك الذى نحظى به فى أثناء النوم ، لم يكن هناك علاء الدين بل واحد منا ، ولكن فى الوقت نفسه لم يكن هناك أى منا بل علاء الدين ، يرى بانعام الى الأشجار حاملة اللؤلؤ ، ويتزوج من ابنة الوزير ويسيطر على قدرات المصباح ـ ـ ص ٤٦ ـ ٤٧ » ·

وحيث ينهمك فى أجواء الحكايات ويضيع فى أجوائها كواحد من شخوصها ، يخصنا باجت بهذا الاعتراف : « نعانى كما يعانى السندباد ، ونشارك قمر الزمان تقلبات الدنيا ، ونستغرق بحب Zutulbe ونرحل على البساط المسحور ، ونمتطى الحصان الطائر » · ومثل هذا الاستغراق الذاتى فى أجواء وتركيبات حكايات شهرزاد لا يمكن أن يؤخذ بعيدا عن طبيعة الموقف الرومانسى فى العقود الأولى من القرن · فهو ، كاعادة الخلق والبناء الذاتى لشرق مغر ، وكالاندماج والالتحام الذاتيين مع الشخوص الشرقيين فى الحكايات يؤلف واحدا من أبرز مكونات الحركة الرومانسية فى انكلترا · وعندما يدرس هذا التيار التحتى فى ضوء المتغيرات الجديدة فى الذوقين الشعبى والأدبى ، فانه يمكن أن يقودنا الى تقدير عادل للاستقبال الرومانسى للحكايات ، كما انه يمكن أن يقودنا ـ من خلال المقارنة والمقابلة ـ الى تقديرات مناسبة لطبيعة القراءات الأخرى لألف ليلة وليلة ، أى لتلك القراءات التى تميز الاتجاه الواقعى عن الجمالى ، والرومانسى عن الفكنورى والنفعى عن الفنى ·· الخ ·

وقبل الشروع فى دراسة هذه القراءات لابد من بعض الفرضيات التى يمكن أن تقود الى خطة واضحة فى البحث والجدل والاجتهاد النقدى اذا ما أثبتت جدارتها قبالة اختبارات التمعن والمناقشة ·

فبالاضافة الى ضرورة الاعتراف باشكالات تغيرات الذوق الجذرية على الصعيدين الأدبى والاجتماعى ، وآثار تلك على رواج العمل الذى نحن بصدده ، لابد أيضا من مراعاة بعض أنماط التجاوب التى لاتعد رومانسية تماما ، فمجرد استذكار (أيام الطفولة المباركة ، محاطة ·· بهالة من الأبهة والعظمة الشرقيتين) ذلك الذى ذكره محرر مجلة Monthly Review عام ١٨٢٦ (ترقيم جديد ، ١ ، ص ٣٦٢) على أساس أنه يؤلف الجذب الدائم للحكايات لكل (ناضج متعلم) ، يستلهم كثيرا من ذلك الحنين الرومانسى للأيام والمشاهد الخوالى · واذا كان مثل هذا الاستذكار أقل رومانسية من حلم بكفورد بأنه « يطوف على الطير العربى الرخ ، بين الجن والسحرة » أو لا يبلغ مرأى توماس وينرايت Thomas Wainewright لنفسه على أنه « خلاصة لكل سلاطين الليالى العربية » ، واذا كان هذا الاستذكار مختلفا عن استذكارات تنسون وأقل بلاغة وتأثيرا عن ذكريات وليم هنلى William Henley ، فانه يوضح فى الأقل المزاج العام لجيل تربى على هذه الحكايات ، وكان من ثم غير مستعد للتخلى عن أرض مباركة ، أصبحت فى ذهنه متداخلة بالطفولة (٧) · وهكذا يقول (لى هانت) عام ١٨٢٦ « أن نسمع بمزيد

من حكايات الليالى العربيــة كان بالنســـبة لنا كمن يخبر أن بالامكان امتلاك قطعة جديدة من الطفولة ــ مجلدات ثلاثة من التجدد ــ ربيع فى داخل ربيع ، عجب سعيد ، وفرة من الاستعداد للتصديق ــ أنها ما يأتى بعد امتلاك الواحد لأجنحة على كتفيه) (٨) ٠

واذا كان هذا لشغف بالحكايات دليلا على تغير جذرى فى (الذوق) خلال العقود الأولى من القرن ، فانه يجب ألا يقودنا الى افتراض زوال مواقف العداء المعارضة التى طبعت كتــابات بعض أبرز مفكرى العصر الماضى ومؤلفيه من أمثال (أتبرى) ٠ وفى الواقع كان أحد معاصرى (هانت) لا يقل عن (أتبرى) فى حدة اعتراضاته ٠ فعلى الرغم من مديح صديقه ومعاصره (كراب روبنسن Crabb Robinson لقدرات القاص العربى ، كان وليم باتسون (William Pattison) ــ على ســبيل المثال ــ يرى حكايات شهرزاد ركيكة وساذجة ومنافية للذوق (٩) ٠ ومثل هذا الرأى لابد أن يثير لدى المؤرخ أو الناقد اشكالا ما : اذ كيف يمكنه فرز الأصوات الموافقة أو المعارضة ؟ ان موقفا كموقف باتســون يمكن أن يوصف بأنه حالة شاذة عندما يوضع موضع المقارنة بما هو سائد ودارج ، وهو لهذا السبب لا يمثل مشكلة فعلية ازاء ذيوع الليالى وشعبيتها بين الأوساط الأدبية والعامة ٠

وأهم من هذا الاشكال ولعله أكثر احراجا منه ذلك الموقف المختلط ، بين تجاوب مع جوانب معينة من الحكايات دون أخرى ٠ وهكذا يأتى نقد هازلت (Hazlitt) ليضع الدارس فى محنة خاصة ٠ فهو اذ يشغف ب (الأجزاء الفكاهية ٠٠٠) يعترض على العنصر الخارق فى الحكايات ٠ وعندما انتقده كوليرج (Coleridge) وجد هازلت بعض الراحة فى أن حلفا قويا كأتبرى Atterbury قد اتخذ موقفا مشابها من قبل ٠

لكن هذا التحالف الذى ذكره هازلت في رده على اعتراضات كوليرج هو الذى أثار حفيظة هانت ، والذى كتب فى انتقاد خلط هازلت بين (الاتباعية المزيفة) pseudo-classicism والرومانسية قائلا :

> أن أتبرى داهية ، وأسقف سليط ، رجل مجرب ــ ورأيه لا يساوى كثيرا فى قضية ، كهــذه ، أما رأى مؤلف « كبلا خان » و « البحار القديم » فانه يساوى الكثير ، ويســعدنا كثــيرا أن يكون معنـــا فى هــذا الموضوع (١٠) ٠

أى ان هانت رأى فى وجهتى نظر هازلت بشــأن ألف ليلة وليلة

تعبيرا عن طبيعة تناقضات الأخير ، وكان انه بحث في تعليقه في أصول هذه التناقضات ، واجدا في موقفيه المختلفين ازاء الليالي مجرد وجه جديد لمسألة قديمة . فالشخص ــ أي هازلت الذي انتقد بشدة التأكيد النفعي (الفلسفي) ــ Utilitarian ــ على الحقائق والوقائع ، هو نفسه الذي جاء باجتهادات بشأن دوافع (المخيلة ــ الوهم أو التصور) Fancy وحدودها في مقالته حول العقل والتصور الابداعي (Reason and Imagination) كما ان كلا من « سبنسر Spenser وجوسر Chaucer اللذين يعجب بهما هازلت كثيرا ، كان يمكن ان يكونا معجبين متحمسين بالليالي العربية ، ويمكن أن نكون مطمئنين الى هذا الرأي . وكان يمكن لملتون Milton ان يصبح داعية لايجاد خاتمة للسندباد البحار ، لو كانت القصة الأخيرة قد تركت دون نهاية) (١١) .

ولربما كان من سوء حظ هازلت أن يتورط في مثل هذه المداخلة مع كوليرج ولي هانت ، اذ أن آخرين من النقاد احتفظوا باتجاهات ومواقف مشابهة دون ان يتعرضوا لمثل انتقادات هانت الحادة . كان موقف راسكن Ruskin ــ مثلا ــ يتغير بين اعجاب كامل بالليالي وبين رفض هازل لعوب للحكايات (المغرية الماكرة) دون ان يثير حفيظة الآخرين من المعجبين !!(١٢)

فهو أضافها الى قائمة (أحسن الكتب المائة) والتي أعدها (سير جون لبك) Sir John Lubbock كما انه أعار منها كثيرا ، مشيرا الى شواهدها وحبكها ومداخلها تارة ، ومفيدا من هذه في تعزيز معانيه ومضامينه تارة أخرى ، حتى تداخلت الاشارات والشواهد مع نسيج كتاباته تداخلا وثيقا ، كما انه أكثر من تعليقات الاطراء والثناء على (الليالي العربية المجيدة) التي رفدته بعطاء كبير بتلك الصور(images) التي كان « سعيد الحظ باستذكارها » ــ كما يقول هو نفسه ــ ليثري مؤلفاته (١٣) . وكانت حكايات شهرزاد أيضا من الكتب المفضلة التي تعنى عائلة راسكن بقراءتها . وتذكر ليدي بيرن Jones ــ زوجة الرسام والفنان ــ Burne Jones ــ ان زوجها قرأ لعائلة راسكن قصة الحلاق من ترجمة ادوارد وليم لين « حيث لا يمر مقطع دون اشارة لله عز وجل ، وفي ختامها أعلن راسكن عن شديد حبه لها واعجابه بها »(١٤) .ومن جانب آخر كان راسكن نفسه يكتب الى Pall Mall Gazette في الخامس عشر من شباط ١٨٨٦ قائلا انه وان كان قارئا دؤوبا لليالي ، لكنه يتمنى كثيرا لو انه كان قد « انشغل بشيء أجدى » (١٥) .

ولم تكن قضية راسكن أقل تعقيدا من موقفي ووردزورث Wordsworth ودي كونزي De Quincey فعلى الرغم من ان ووردزورث كان كثير التعلق بذلك

الكنز النفيس الذى امتلكه طويلا ذلك الكتاب الصغير
الأصفر المجلد بقماش القنب ذلك المختصر الضئيل من
الحكايات العربية ٠

الا انه أصبح فى آخـر سنوات نضجه كثير التخـوف من سلطان الحكايات الساحرة عليه ، مفضلا البسيط الساذج الدارج عند مقارنته بالبهى والغريب (١٦) ٠

ولم يختلف عنه موقف دى كونسى ، فعلى الرغم من انه وجد سمات جليلة بهية (Sublime) (*) فى (علاء الدين) ، وعلى الرغم من انه تأثر كثيرا بقدرات الراوية على وصـــف (المرعب) و (المتنـافر البشـع (grotesque ، لكنه وجد ان مؤلفى الحكايات ، والشرقيين على حد سواء ، يعوزهم الوجدان (Sentiment) وهكذا خرج دى كونزى بنتيجة مفادها ، ان الليالى وان احتوت بعض السمات الجليلة البهية Sublimities الا ان هذه « أصبحت بهذه الصورة ــ كالغاز الذى يتوهج أولا ــ عندما امتزجت مع عناصر جديدة فى مناخ مسيحى » (١٧) وبكلمة أخرى ، فان دى كونزى لم يسره الاعتراف بوجود (العنصر الجليل) فى فن الكتابة الشرقية ، فآثر ان يقول انه غريب عليها ادخله فيها المترجمون الأوروبيون٠

ولم يخل النقد الصحفى (أى نقد المجلات المتخصصة والأسبوعية والصحف) ، فى القرن التاسع عشر من بقايا جحود أو تنكر أو تعصب أو عداء ، وحتى فى مقالات كانت نبرتها العامة (موضوعية) أو (متعاطفة) أو (متفهمة) فى تمييزها عن نبرة العداء والعصبية ٠ وهكذا يقرأ الواحد فى مجلة Monthly Review (ترقيم جديد ١ ، ١٨٢٦ ، ص ٣٦٢) مثلا عن أعمال كالليالى العربية والتى يبقى (بهاء تصورها الابداعى وعجب حوادثها محط اهتمام واعجاب العقول الشابة والجاهلة) !! وبعد ذلك بعقود ، وفى عام ١٨٥٩ كان وولتر باجت يخص الحكايات بحكم خلاصته ، انها واحدة « من الكتب القليلة (التى) ساهمت بشكل رئيس فى تقديم المتعة المجردة والاسترخاء ــ NR ، ص ٤٥ » وعلى الرغم من ان هناك كثيرا من الصواب فى تعليق كهذا ، لكن نبرته ومقصده فيهما الكثير من القدح والاستخفاف عندما يقارنان بالتثمين (الرومانسى) للحكايات ، أى بذلك التقدير (الفلسفى) الذى تمثله كتابات كوليرج و (لى هانت) ٠

(*) وردت الكلمة هنا كمصطلح حسب فلسفة Burke السائدة آنذاك ، بشأن (الجلالة) فى الفن ، أى ذلك الذى يبعث الرهبة لا الخوف لا الخوف ، والتهيب والاكبار لا الذعر ٠

وحتى اذا أغفلنا ولبعض الوقت الردود الأدبية للرومانسيين المميزين من أمثال كوليرج ، فان مظاهر الاستخفاف والانتقاص تبدو غريبة على الجو اذا ما وضعت فى اطار الاجواء الشعبية والأدبية العامة خلال العقود الأولى من القرن التاسع عشر فى انكلترا ٠

وفى الواقع تبدو هذه المواقف المترددة والتقديرات المتكلفة مجرد تيارات صغيرة معاكسة ٠ اذ كان (لى هانت) آنذاك يمثل اتجاها عاما فى أواسط القراء عامة ، حتى نتخيل الآخرين يصيحون معه بحماس وهم يحصلون على طبعة جديدة من الليالى : « ماذا ! ليال عربية جديدة ! ليالى تسلية عربية عن النسخة الأصلية ! أصيلة وغير مزيفة ! المزيد من شهرزاد ودنيازاد ! المزيد عن زبيدة وقمر الزمان وامراء المؤمنين وسيدات محجبات وتجار أجواخ جذلين وجن وسحرة ويا روح حياتى ، ورؤوس حل بهـا ما يحل برؤوس اللفت » (١٨) ٠

ويمكن ان نتصور أيضـا ان عديدين من القراء كانوا يشاطرون كوليرج توقه الصادق الى حكايات الخيال والعجب هذه ٠ كان يقول :

> اعطنى ليالى التسلية العربية والتى كنت أرقبها
> حتى تبلغها الشمس التى كانت تشع على خزانة الكتب ،
> وعندما تسطع عليها كاملة ، كانت تعطينى الشجاعة
> لكى أسحبها من الرف (١٩) ٠

كانت الليالى تقترن فى ذهن كوليرج بالغريب والمرعب ، ولم تكن لديه الجرأة فى شبابه على التعامل مع حكاياتها فى الليل الذى يزيد من رعب قصصها ! كما ان هذا الولع الذى يجمع لى هانت وكوليرج لم يكن خاصا بهما ، اذ كانت تلك الرحالة وسيدة المجتمع (امـا روبرتس) (Emma Roberts) مسحورة بالليالى ، لدرجة انهـا بقيت منبهرة بها طوال حياتها فكتبت قائلة :

> بدأت بقراءة الليـالى وعمرى خمس سنوات ٠
> ومنذ تلك المرحلة كنت أقرأها مرة تلو أخرى ، حتى
> انتهيت من قراءة آخر جزء مطبوع من ترجمة السيد
> لين ٠ وهـذه المواظبة أوجدت عندى ميلا قويا لكل
> ما يتعلق بالشرق لا سيما الجزيرة العربية (٢٠) ٠

وتذكر السيدة بيرن جونز ان الكاتب والشاعر والرسام والمصمم

وليم مورس William Morris بعث الى اختها اكنز Agnes « كنز نسخة لين النفيس من الليالى العربية » كاتبا على ورقة الغلاف الداخلى (انى أكتب اسمك بالقلم الرصاص ، فقد ترين ان الكتاب كريه) • وحصل العكس من ذلك تماما ، كما تذكر السيدة جونز : « فقد سحرها الكتاب ، كما سحرنا جميعا ، حتى ان اختنا الصغيرة تجلس لساعات بجانب الموقد على مقعدها الصغير ، مستمرة فى القراءة طيلة الوقت الذى يسمح لها باستثماره ، فى حين ان العالم الخارجى كان يمضى وحده بعيدا عنها . وعيناها المتعبتان تبصران بين الفينة والفينة اخواتها ، فتخاطبهن (على ذلك النحو الذى فى الليالى) — يا بنات والدى » (٢١) •

أى ان رواج الليالى استمر دون تلكؤ أو انحدار طيلة النصف الأول من القرن — وكان محرر مجلة العالم الأدبى الأمريكية (المجلد الثالث ، العدد ٨٩ ، ١٤ تشرين أول ، ١٨٤٨ ، ص ٧٢٤) يتحدث بلسان العديدين من الناطقين بالانكليزية من أولئك الذين أصبحت النسخ المترجمة المختلفة فى متناولهم • وهكذا كان يصر على القول :

> نحن مستعدون ••• للقول اننـــا لا نميــل الى
> التعامل بأى شكل من الأشكال مع أى شخص يخلو من
> الحس والوجدان الذى تروق له (الحكايات العربية) •

وحيث ان الحكايات كانت تتجاوب بسهولة مع مختلف الأذواق ، فقد كانت تقرأ من قبل أشخاص مختلفى النوازع والاتجاهات ، من أمثال رجل الدين (الميثودى) بنجامين كريغورى Benjamin Gregory والشاعر الجارتى الثائر تومـــاس كوبر Thomas Cooper والناشر شارلزنايت (Charles Knight) الذى يؤمن بالفلسفة النفعية السائدة والمتخصص فى الدراســة التوراتية جون كيتو John Kito والشـــاعر براوننغ وزوجه اليزابيث باريت ، وعائلة كارلايل وراسكن ، ناهيك عن قراء متحمسين آخرين بين كتاب العصر من أمثال املى وشارلوت برونتى وكوليرج وديكنز وهانت ونيومان وتنسون ومئات من الآخرين (٢٢) •

أما فى خاتمة القرن فان عديدين من الكتاب قرأوا فى قصيدة وليم هنلى William Henley ومقالته الذائعة الصيت فى حق الليالى العربية تعبيرات شاعرية دقيقة عما يجول بخواطرهم من شوق للحكايات واعجاب بهـــا (٢٣) •

على ان سوق الاستهلاك الشعبى (فى تمييزه عن الوسط الأدبى) يقدم أدلة أكثر حول رواج الليالى : حتى ان لى هانت ، وهو يستعرض

في مجلة London and Westminster المرموقة (تشرين أول ١٨٣٩) ست طبعات جديدة من الحكايات لم يتورع عن الاستنتاج بان الليالى « هى أكثر الكتب رواجا فى العالم » (٢٤) • وكان هانت محقـا • ذلك لان « اليانذة الشرق » كما أسماها الناقد الذكي المعروف آنذاك جورج هنرى لوس George Henry Lewes (٢٥) راجت رواجا مذهلا حتى ان محرر نسخة Select Library منها قال فى مقدمته :

> فى خلال الخمسين عاما الأخيرة ، بقى عدد قليل من البشر ، ممن يدعون تذوق القراءة ، دون ان يقرأوا هذه المجلدات الممتعة (٢٦) •

أما (جيمز ميو) فقد كتب فى منتصف النصف الثانى من القرن قائلا : « كل عام جار يتسابق فى طلب عدد أكبر من الطبعات » • وفى ضوء طبيعة الكتاب ، لا يجد الناقد فى هذا الأمر شيئا غريبا •

فهو يعقب فى تفسير ديمومة ذيوع الكتاب :

> ليس مجد هـذا الكتاب موسـميا ، بحيث يقدر الزمن الطامع على سرقة جماله وأوراقه تدريجيا • فكما كان يجذبنا فى وقت من الأوقات ، مازال يجذب الاطفال من ملاعبهم ، ••• وما زالت أفكاره وخيالاته البراقة تحمل العزاء للطاعن فى السن (٢٧) •

فبالاضافة الى الطبعات التى لا تحصى عن نسخة شارع Grub كانت هناك ترجمة William Beloe لعدد من الحـكايات الاضـافية فى كتـابه المنوعات (١٧٩٥) ، كمـا ان هنـاك نسـخة دارس الأثريات Richard Gough وهى نسخة (ثمينة) ظهرت عام ١٧٩٨ • وكان ادوارد فورستر قد ترجم عن الفرنسية نسخة أخرى عام ١٨٠٢ ، فى حين ان نسخة G. S. Beaumont المترجمة عن نسخة غالان ظهرت عام ١٨١١ ، وأعيـدت فى طبـعات متتـالية عـام ١٨١٤ و ١٨١٧ • لكن Jonathan Scott كان ذائعا أكثر جراء اقدامه على ترجمة مختارات جديدة من الحكايات العربية ، وضعها مع تفاصيل أخرى فى كتاب أصدره عام ١٨٠٠ بعنوان حكايات ونوادر ورسائل ، بينما ظهرت نسخته من الليالى عام ١٨١١ ، لتعقب بتلك الطبعة الفريدة الجامعة لمختلف الحكايات الشرقية عام ١٨١٢ والتى دعاها جامعها الباحث المتخصص فى أدب أوروبا الوسيط

هنرى وبر Henry Webber حكايات الشرق · ولم تكن هذه الطبعة الرائعة من الحكايات الشرقية نهاية المطاف فى العقود الأولى من القرن الجديد ، على الرغم من ان (هنرى وبر) وضع فى مقدمتها دراسة جادة عن أسلوب السرد وتنوع المضامين · فاذا كان الألمان قد تنبهوا منذ سنوات لاهمية القصص الشرقى وأصدر جوزيف فون هامر Jos. Von. Hammer ترجمته عن الليالى عـــام ١٨٢٦ ، فان الانكليز الذين أبدوا شـــغفا متميزا بها سارعوا الى ترجمة كل ما هو مترجم عن غالان أو مأخوذ شفاها أو كتابة عن غيره ، فقام المبجل جورج لامب George Lamb بترجمة نسخة هامر عام ١٨٢٦ ، لتليها طبعة جديدة كاملة من الليالى ، لم يظهر لسـوء الحـظ غـير جزئهـا الأول : تلك هى ترجمـة هنرى تورينز Henry Torrens · واذا كان تورينز قد تلكأ لأسباب مختلفة عن اكمال مشروعه ، فانه نبه على الأقل الى ان ترجمة غالان التى أخذت عنها مختلف الطبعات الأخرى ليست ترجمة متكاملة · وهو تنبيه كانت له آثاره فى العقود التالية ، ابتداء بمشروع وليم لين وانتهاء بمشروعى John Payne وريشارد فرانس بيرتون Richard F. Burton كما أن النسخ المذكورة تعنى شيئا خاصا بالنسبة لمؤرخى الأدب : فخير دليل على شيوع كتاب ما هو ان تجد الناشرين يتسابقون فى اصدار طبعات عنه تدعى الاختلاف فى كثير من الأحيان ، بينما تتبع النص الأول فى واقعها ، أى ترجمة غالان التى كتب لها ان تكون ذائعة دون منازع لأكثر من قرن من الزمان · حتى ان مجلة الـ Athenaeum التى دعاها Marchand بحق « مرآة للثقافة الفكتورية (*) » قالت فى خاتمة القرن التاســع عشر ومحررها يطالع ما كتب عن الليالى وما راج عنها من طبعات ونسخ :

> انه لبرهـــان قاطع ، حاسم على ديمـومة رواج الليالى العربيـة ان ناشرا بعد آخر يأتون بطبعة بعد أخرى مأخوذة عن نسخ (غير ملزمة بحقوق الطبع) (٢٨) ·

ولم يقتصر الرواج على ((الترجمات)) الدارجة أو الأنيقة المتوجهة للموسرين ، اذ ظهرت طبعات خاصة بمسافرى القطارات ، فى تلك المرحلة التى عج خلالها السفر بالقطار ، كما ظهرت نسخة Limbird التى توجهت الى القراء الفقراء فى عامى ١٨٢٧ و ١٨٣٢ ، أما نسخة Dicks فقد ظهرت عام ١٨٦٨ ، ونسخة William Tegg عام ١٨٦٩ · ومثل هذه الطبعات الموجهة الى قطاعات معينة من الجمهور تشير الى ان الناشرين وهم يقرون ذيوع ألف ليلة وليلة رأوا فى تنوع مادة الليالى وسحرها ما يمكن

(*) راجع فهرست المراجع بهذا الشأن ·

ان يتجاوب مع مختلف الأهواء والنزعات ، ولعل ما يؤكد ذلك أيضا ظهور طبعات مصورة عديدة ، وأخرى ضمن (سلاسل الجيب) ، وطبعات لحكايات مستقلة ، وأخرى اختيرت بهدف تعليمي أو وعظي • وكان ان ظهرت الليالي بعد هذا الشيوع في قائمة John Lubbock المشهورة حول (أحسن الكتب المائة) • لكن الشيء الذي يجب ألا يفوت ملاحظة المؤرخ حقيقة انها اختيرت أيضا من قبل Auguste Comte – ذلك الفيلسوف الوضعي – اليقيني – لتكون من بين الكتب الجديرة بالقراءة في نظره •• وبكلمة أخرى فان فلسفات العصر من (نفعية) و (وضعية) و (مثالية) و (توفيقية) لم تهمل الليالي ، بل رأت كل منها في بعض جوانبها ما يتوافق مع اتجاهات تلك المدرسة وأصولها (٢٩) •

أما تحرير الحكايات وتحقيقها فقد شغلا عددا كبيرا من الدارسين والكتاب في انكلترا وفرنسا والمانيا (٣٠) • وكان بنجامين دزرائيلي Benjamin Disraeli يفكر جديا (قبل ان يشغله الولع بالسلطة) باعادة تحرير الحكايات واضافة مجلد جديد اليها من صنعه (٣١) • أما شليغل وكوليرج فقد وجدا نفسيهما متورطين أيضا في النقاش المحتدم آنذاك حول أصول الحكايات وطبيعة مؤلفيها ، (٣٢) وهو نقاش شغل عديدين من أمثال هامر والمستشرق الفرنسي المعروف دي ساسي وبعده الانكليزي ادوارد وليم لين : حتى ان مجلة الـ Athenaeum وجدت في الجدل المحتدم ما يبرر تدخلها خلال عامي ١٨٣٨ – ١٨٣٩ • فظهرت خلال ذلك مقالات على صفحات المجلة ، أعدها الباحثون والنقاد من أبرز المقالات المتخصصة الملمة بأساليب التنقيب والبحث والاستنتاج في أصول الحكايات واجوائها وظهورها •

أما على المستوى الشعبي (أي مستوى الجمهور غير المتخصص) ، فان الحكايات اسهمت (أكثر من كتب الاسفار وما رافق التوسع الاستعماري من توجهات في النشر) في (استشراق) جمهور القراء ، وهي حقيقة لم تغب عن ذهن الشاعر الفطن لورد بايرون Byron فبعد ذيوع تصوراته الذاتية عن المنطقة في قصائده المسماة (حكايات تركية) ، نصح صديقه الشاعر توماس مور Thomas Moore ان « يبقى مع الشرق » ، أي ان يستحضر شرقا شبه رومانسي ، شرقا شهوانيا وحسيا ومترفا الى أبعد الحدود : (٣٣) وهو أمر سنأتي الى تفسير أسبابه ودواعيه بعد حين • وعملا بنصيحة بايرون طرح (مور) في قصيدته المطولة المسماة Lalla Rookh ، أمام الجمهور صورة تثير رغبات في البعيد الغريب ، وكان لابد للقصيدة بعد ذلك أن تحظى برواج كبير على الرغم من أنها أقل مكانة فنية لا من قصيدة كوليرج Kubla Khan فحسب ، بل ومن قصيدة ساثي Southey المسماة Thalaba (٣٤) •

وبدل ان تكون كتب الاسفار والرحلات الكثيرة هي المؤثرة في الذهن الانكليز آنذاك ، يلاحظ الباحث أن الليالى العربية نفسها لم تؤثر فى جمهور القراء فحسب ، فتوجد في مخيلتهم صورة غامضة عن شرق رومانسى يعج بالغريب ، المثير ، بل انها بنسخها السائدة آنذاك أثرت أيضا فى الرحالة والمسافرين ، فكتبوا تحت تأثير شهرزاد وسلطانها — وهكذا ، لم يتحدد هؤلاء بالموضوعية ، بل الفوا الصورة التى داعبت خيالهم ، فابتعدوا عن الوقائع والتفاصيل الفعلية ، وقد سمحوا بالظهور لانطباعاتهم الذاتية وأهوائهم وهواجسهم التى استحضرتها الجوانب الغامضة والغريبة والملونة فى الحياة الشرقية وأكدتها ذكريات باهتة عن حكايات شهرزاد • وهكذا جاء كتابا Moyle Sherer المسمى مشاهد وانطباعات فى مصر وايطاليا المطبوع عام ١٨٢٤ و J. Carne المعنون رسائل من الشرق (١٨٢٦) ليؤكدا قدرة سحر الليالى العربية بنسخها الدارجة آنذاك على تلوين كتب الاسفار وتحويلها الى أقاصيص فى المغامرة والمخاطرة والحياة الغامضة (٣٥) •

وحيث كان معدو المسرحيات والمودراميون يعون شغف الذهن الرومانسى بالطبيعة المغرية لحكايات شهرزاد ابان فجر التحولات الجديدة فى بنية المجتمع الانكليزى ، فانهم أقدموا على هذا المخزون الثرى ينهلون منه حوادث وتفاصيل ومشاهد بقصد تطمين الطلب الشعبى المتزايد على المشاهد المسرحية والايمائيات وعروض المشجاة (٣٦) • وفى الواقع كانت التايمز اللندنية الصادرة فى الخامس من نيسان عام ١٨٢٥ (عدد ١٢٦١٩) قد وصفت ألف ليلة وليلة بأنها « عمل يدين له ميلودرا ميونا (أى كاتبو المشجاة) كثيرا » • أما بالنسبة للنسخ المعدة من الليالى والمقلدة لها ، فقد غصت دور النشر بالاصدارات بينما مضت الصحافة تزدهى بمختلف المقطوعات عن الشرق • وهكذا ، ظهرت أنماط متنوعة من النتاجات التى لا حصر لها ولا عد ، فكانت حكايات Sylvanus Hanley المسماة خلفاء وسلاطين وقصائد Richard Trench المسماة قصائد من مصادر شرقية وغنائيات لورد هتن Lord Houghton المسماة سعف النخيل من بين كتب عديدة صار انتشارها سمة من سمات ثقافة ذلك العصر الطموح •

وفى الواقع ، لا تنحصر الأدلة على شيوع الليالى وتغلغلها فى جوهر الثقافة الانكليزية بما ذكرت من شواهد • فاذا كان عدد الطبعات المترجمة والمقلدة • والمعدة ، وتسابق الناشرين على اصدارات خاصة تغنى قطاعات دون أخرى ، وتفيد مدرسة فلسفية أو اتجاها دون غيره ، أدلة على تغلغل الليالى ورواجها ، فان هذه قد تكون فى حصيلتها (جانبية) ، طافية على السطح : بمعنى أن الذيوع قد لا يكون دليلا على عمق تغلغل فكرة فى

الذهن وسيادتها في الثقافة · وحتى شغف المسرح الانكليزى بمشاهد الحكايات وعقدها لأكثر من سبعين عاما قد لا يتجاوز حـالات الانبهـار والتسلية ، وهى حالات لا يطمئن اليها مؤرخ الأدب فى دراسته ان لم تكن معززة بما يسمى بالدليل الداخلى ، أى الـ : internal evidence ، عندما تدخل الحكايات فى جوهر ثقافة العصر البارزة ، واضحة فى الكتابات الانكليزية المتميزة ، ومؤثرة فى أبرز تياراتها ·

لقد كانت نصيحة بايرون الى مور كبيرة الأهمية والدلالة ، وكان تجاوب (مور) وذيوع قصيدته قاطعا فى الاشارة الى عمق تغلغل الحكايات الشرقية فى الذهن الانكليزى ، وعندما يتوطد هذا الاتجاه ويصبح أمر الاشارة الى الحكايات فى كتابات العصر أمرا لازما لبلوغ الجمهور ينقطع الشك عند الباحث،ويكون ملزما بتأمل الظاهرة والبحث فى مدى خطورتها على صعيد تاريخ الأدب ونقده وهذا ما حصل فعلا فى هذا القرن المتفاعل النشط !! والدارس هنا ليس ملزما بسرد كافة ما لديه من شواهد ، لكنه يمكن ان يحتكم الى أبرز كتـاب العصر المؤثرين فيه والمتأثرين بأجوائه : وقد يكون شارلز ديكنز Charles Dickens أفضل من غيره فى هذا المجال لأسباب يدركها قارىء الأدب الانكليزى أكثر من غيره · فها هى الآنسة ماركريت باور Margurite Power تهتدى برأيه فى مشاريعها لكتابة الرواية : أما هو فقد نصحها بصراحة بأن عليها ان تسمى كتابها الأول أيام وليال عربية معززة اياه بالاشارات الى هارون الرشيد وآخرين من « الشخوص العجيبة » فى الليالى على حد تعبيره (٣٧) ·

لقد كان مبرزو كتاب القرن التاسع عشر يعتمدون كثيرا على حكايات شهرزاد لاسناد نقدهم الأدبى أو الاجتماعى ، أو لاضافة شىء من الخيال الرقيق المرهف الى كتاباتهم النثرية الجـادة ، أو لتصـوير بعض الآراء والأذواق تصويرا حيا · وهذا الاتجاه يؤكد ـ كما هو واضح ـ ان هؤلاء الكتاب كانوا يعولون كثيرا على معرفة قرائهم بالليالى · وهكذا كان مصباح علاء الدين وتهيئوات النشار وبساط الأمير حسين ولغز على بابا (افتح يا سمسم) معروفة لدى الجميع ومتداولة فى مختلف الأوساط ·

وحتى اذا خلصـنا الى نتيجة تغلغل ألف ليلة وليلة فى الثقافـة الانكليزية ، فاننا بحاجة الى قدر من الحذر عندما نسعى الى معرفة نسبة التغيرات فى طبيعة استقبال الانكليز لألف ليلة فى ذلك القرن · فهل يتشابه هذا الاستقبال مع ما حصل فى القرن الثامن عشر ؟ واذا حصلت تغيرات واختلافات ما هى طرائق فرز هذه عن غيرها ؟ ألا يمكن مثلا أن يتداخل فى ذهن المؤرخ الاستحسان الاجتماعى (أى الشعبى) بالمواقف الأدبية الدقيقة · فنحن ندرك مثلا أن شيوع قصة فى عصر ما وتحولها

الى (أحسن المبيعات) قد لا يعنى أنها (متميزة أدبيا) فى معايير النقد ٠ اذ قد يلتقى النقد مع الاستحسان العام فى بعض الأحيان ، دون أن يعنى ذلك أن طرائق النقد تعتمد هذا الاستحسان أو تتداخل معه بما يجعل (النقد الأدبى) قضية ذوقية دارجة ٠

ولكى لا نكون ضحايا شهرزاد أو اسراها فى دائرة السحر ، لا بد ان نتأكد تماما من أننا ما زلنا نحتفظ ببعض القدرة على التفحص الموضوعى دون مبالغة أو توتر ٠ فقد يقول باحث مثلا ان الرواج الذى حظيت به شهرزاد فى انكلترا فى القرن التاسع عشر هو عبارة عن استمرار لذلك الشغف الذى بدا واضحا فى القرن السابق ، وهو شغف قابل للتزايد والتعاظم والاتساع بشكل يتناسب مع حجم نمو جمهور القراء فى المناطق المدنية الجديدة أثر اتساع المدنية والتحول الهيكلى فى طرائق الحياة عقب الثورة الصناعية ٠ حتى ان ذلك الباحث نفسه يمكن ان يطور ملاحظته مشيرا الى استمرار ذلك الميل الأوغسطى (أى ميل القرن الثامن عشر السائد) لكل ما هو أخلاقى Moralistic أو ساخر Satiric فى عدد كبير من الطبعات والنتاجات المقلدة أو المعدة التى ظهرت فى العصر الجديد ٠ وهكذا كانت قصيدة George Crabb المسماة (المؤتمن Confidant) وقصيدة جورج كرولى George Croly المسماة (المصباح السحرى) (١٨٣٠) وقصيدة راسكن المسماة (ملك النهر الذهبى) المنشورة فى عام ١٨٤١ تقع ضمن الاتجاه الأخلاقى ، أى اتجاه الافادة من حكايات شهرزاد افادة وعظية أخلاقية ، وهو اتجاه ساد بوضوح فى طبيعة تعاملات القرن الثامن عشر مع الحكايات العربية ٠ أما حكايات Marryat التى دعاها (الباشا صاحب الحكايات العديدة) — ١٨٣٥ — وقصة Morier التى سماها (المرزا ١٨٤١) وقصة ثاكرى المعنونة Sultan Stork (١٨٤١) وقصة ديكنز المسماة ألف دجال ودجال (١٨٥٥) ، ومسرحية جى ٠ أرثر أبيكت المعنونة الليالى العربية الحديثة (١٨٧٧) فانها جميعا تفصح عن نزعة ساخرة مريرة كالتى درجت عليها أغلب كتابات القرن الماضى ٠

ازاء ذلك ، ما الذى يمكن قوله ؟ ان البحث فى النتاجات المذكورة وحده يمكن ان يشير الى اختلافها عن تلك التى ظهرت فى القرن الثامن عشر ٠ فهى أولا تتشكل ضمن تيارات واتجاهات أكثر وضوحا بحكم التناقضات والصراعات المحتدمة فى ثقافة عصر يؤمن بالمنافسة الحرة سلوكا حيويا أوجدته الفلسفة النفعية فى عقود تمركز النظام الرأسمالى آنذاك ٠ كما ان هذه النتاجات حملت ميل العصر للمعرفة ، وهو ميل يعنى أن كتابها كانوا يبحثون فى التجربة والحوار أو فى بطون الكتب عن معلومات ووثائق وتفاصيل يمكن أن تعزز ما لديهم وتضيف اليه الوانا ومواصفات

تجعله أقرب الى الأصول الشرقية من كتابات القرن الثامن عشر الباهتة ، وإذا كانت هذه الحقيقة غير كافية بذاتها للبرهنة على التغير الجذرى الحاصل فى طبيعة الاستقبال الادبى لالف ليلة وليلة فى القرن التاسع عشر ، فانها تستند على الأقل الى ماذهب اليه نقاد العصر الجديد أنفسهم وهم يبحثون فى سمات التغير الحاصل فى الموقف الأدبى البحت ازاء الليالى العربية ٠ واذا كان (لى هانت) أكثر من غيره تعبيرا عن ميول العصر الجديد وثقافته الأدبية (*) فان الاستشهاد بتفسيراته قد يمنح هذا الجدل بعدا موضوعيا دقيقا ٠ ففى مقالته الذائعة فى مجلة London and Westminster Review (تشرين أول ، ١٨٣٩) ، طرح هانت القضية من خلال معالجة واحد من الآراء البارزة فى نهاية القرن الماضى ٠ وهكذا ، أشار الى مقالة Richard Hole التى ظهرت فى كتاب بعنوان ملاحظات عن ليالى السمر العربية ، قائلا :

قبل أربعين عاما [أى عندما ظهرت مقالة هول] كان محب الليالى العربية يعتقد أن من الضرورة أن يقدم بتؤدة إعترافا علنيا بالأسلوب المؤدب التالى الذى يتنازل فيه أمام الذوق المتزمت الصارم ، [السائد آنذاك] (٣٨) ٠

وبعد أن اقتبس هانت بعضا من اعجاب هول بالليالى ، وهو اعجاب مشوب بالاعتذار خوفا من قوانين النقد السائد المتزمت (أى النقد الأوغسطى) ، أشار الى وصف هول وتقويمه لطبيعة الموقف النقدى الرئيسى ازاء ألف ليلة وليلة ، وأخذ هانت عن هول العبارة الآتية التى تحكى (موقف ذلك العصر الصارم) ٠ يقول هول فى عام ١٧٩٧ :

كان [الذهن] الفلسفى الرصين يبتعد عنها [أى الحكايات] بازدراء ، أما الجذل والمرح فقد يضحكه ما يبدو فيها كتفاهات ٠ فى حين أن أصحاب الذوق السليم الرائق ينزعجون من أشكالها البشعة المتنافرة وصورها الوهمية ٠ وإن كنا نتسلى فى بعض الأحيان بحوادثها المنوعة المفرطة ، فانها قلما تستساغ من غير الأطفال ، أو من شخوص يطغى خيالهم على حساب عقولهم (٣٩) ٠

(*) ذهب الى هذا الرأى محقا البحاثة الناقد ريشارد التك فى كتاب The English Common Reader حيث أن علاقات هانت الواسعة واصداره لمجلة تحمل اسمه ، هى Hunt's London Journal وذوقه الأدبى المستساغ بين خاصة المثقفين وعامة الجمهور . كلها تجعل منه من المعبرين القلائل عن الميول السائدة وهى التى تعنى دارس الأذواق الأدبية والاتجاهات النقدية ٠

وكان أن وجد (لى هانت) فى مثل هذه الاتجاهات (الأوغسطية) طرحا لتلك « التفاهة السلطوية » و « الشك المادى المفرط للماورائيات السائدة » كما أنه وجد فيهما تعبيرا عن عدم الثقة بالانفعالات الحادة وبالمقدرة التصورية الابداعية ، وهو موقف كان لا بد - فى تقدير هانت - أن يقود الى « رد فعل » حاسم (راجع المقالة ، NT ، ص ١٠٣) .

وبكلمة أخرى كان ذلك الأديب المعروف يحاول من خلال دراسته لحجم استقبال ألف ليلة وليلة وأنواعه فى انكلترا أن يتوصل الى قناعات نقدية بشأن صراعات التيارات الثقافية والفلسفية : فالأوغسطية أو الاتباعية الجديدة - كما توضح فى الفصل الأول - كانت معنية بمواصفات معينة دون أخرى فى الكتابة . كما أنها تنظر بريبة لكل ما من شأنه طرح العواطف والانفعالات أو اثارتها ، كما انها تستنكر كل ما تعده مبالغة أو خروجا على قواعد وقوانين كانت دارجة وسائدة فى تلك المرحلة ، وعلى الرغم من وجود تيارات أخرى آنذاك ، لكن هذه - كما تبين - كانت قلقة ، متوترة ، خائفة وحتى ميالة الى تقديم بعض التنازلات كما بدا واضحا فى موقف Hole .

لكن هانت وهو يبتدىء بموقف Hole أراد أن يضع اليد على نقطة الاحتدام فى الصراع : بين (الاتباعية الجديدة) - أى القوانين المنمطة السائدة لعصر العقل كما جرت تسمية القرن الثامن عشر - وبين حركة (الابداع) النامية ، والتى رافق ظهورها ذلك التغير السريع فى بنية المجتمع الانكليزى ، وذلك الخروج التدريجى عن مختلف القوانين والعادات، وهو خروج يوازيه ويجاريه على صعيد الكتابة الخروج الابداعى عن قوانين التأليف السائدة من قبل ، ولم تكن المقدمة للقصائد الغنائية التى عاصرت كتاب Hole غير ايذان بميلاد رسمى لحركة كانت أصولها تمتد فى عصر العقل والعصور السابقة دون أن تجد الظروف الموضوعية المناسبة لظهورها على أنها تيار رئيس سائد .

واذا كانت (المقدمة) المذكورة التى جاء بها كوليرج ووردزورث ايذانا رسميا بهذه الولادة (الابداعية) أو (الرومانسية) فان كيتس وشيلى وبايرون وهانت وآخرين مثلوا روافد هذه الحركة . واذا كانت قصائدهم واتجاهاتهم الكتابية وطرائق سلوكهم توطيدا لحركة داخلية فى جوهر الثقافة الانكليزية ، فانها أيضا أدلة على التغير الواضح فى هذه الثقافة ، وفى طبيعة المجتمع ، ولا تقل جدوى عن هذه الأدلة حقيقة انتشار الليالى فى مطلع القرن الجديد . فهو - أى هانت - عندما كتب عام ١٨٣٩ مراجعا سنوات ذيوع الليالى . رأى فى هذا الذيوع وفى ذلك التفضيل المستمر لنسخة غالان Galland أدلة على حركة التمرد المعاكسة للاتباعية

الجديدة · وبدل أن تعمل (علمية) العصر الجديد و (نفعيته) ضد انتشار الليالي ، لاحظ (هانت) مستغربا ان (العلميين) و (رواد الاتجاه النفعي) على حد سواء وجدوا شيئا مريحا أيضا في ألف ليلة وليلة ·

وعلى الرغم من أن (هانت) كان شأن غيره من (الرومانسيين) لا يخلو من حنين لنسخة ظهرت من قبل واحتلت مكانة في قلبه كصديق قديم ، لكنه كان يعي أيضا أن نسخة Galland تلك حملت بعض السمات التي جعلتها محط شغف الجمهور والكتاب والشعراء الاتباعيين على حد سواء · وهكذا ، فعندما ظهرت ترجمة ادوارد وليم لين في العقد الرابع من العصر الجديد حاملة الهوامش والاضافات والتفسيرات ومتخلية عن كل ما هو غريب ومفرط في الوصف ، وساعية لبلوغ بعض من الأسلوب (الاتباعي) العربي بعيدا عن النكهة الشعبية الدارجة ، كان (هانت) يحكي بلسان عديدين وجدوا في الليالي الجديدة التي جاءهم بها Lane شيئا غريبا عليهم ، يهدد (قصور) الهواء التي شيدوها من قبل في ساحة شهرزاد غير المسيجة كما تركها لهم Galland

ولعل هانت كان مستعدا للمجاملة والاحتفاظ برأيه في الترجمة الجديدة التي أنجزها Lane لولا أن الأخير عرض ب Galland وبابتعاده عن الأصل · وهكذا ، رأى (هانت) كغيره من الابداعيين أن عليه أن يتبنى تلك النسخة العزيزة عليه والقريبة الى قلبه · فكتب قائلا :

أن غالان لا يجاريه [أي Lane] في المستلزمات أعلاه [الموسوعية والدقة] كما أنه حرف آلاف الأشياء في ترجمته تحريفا لا يمت بصلة الى العربية) ·

ولكن هل يعني ذلك ان (هانت) مستعد للتخلي عن Galland .. ولكي لا يتشوش ذهن قارئه ، أشار هانت الى أن مرد تفضيله للترجمة الأولى من الليـالي يرجـع الى حقيقة أن Galland هو الأول الذي قاد (الابداعيين) الى عالم الرومانس والأحلام والطفولة السعيدة : « انه هو الذي فتح لأول مرة مصدر الحبور النفيس هذا لأوربا » · وأضاف أيضا : « أنه هو الذي قاد بذوقه وحماسه ذوق وحماس الآخرين ، وبدونه ربما كان لين نفسه غير معد في النهاية لكي يستدرج فيتحفنا بطبعته الأكثر دقة - NT ، ص ١١٠ - ١١١ » ·

وقد ترجع أسباب هذا الافراط العاطفي جزئيا الى حقيقة أن نسخة غالان هي الأولى التي أثرت في (الخيال الرومانسي) ، وهي من ثم وثيقة العلاقة بالانطباعات القديمة الأولى والتصورات الطفولية والشبابة ، (٤٠).

كن هذا لا يعنى بالتأكيد غياب أسباب أخرى جعلت (هانت) يثمن غالان هذا التثمين ٠

ذلك لأن طبيعة (ترجمة) غالان فى بساطة أسلوبها ومفرداتهـا وخلوها من تلك « الخصائص » العربية التى أكدها Lane ، جعلت منها ترجمة مستساغة من قبل القارىء الاعتيادى The Common Reader (فى تمييزه عن غيره من ذوى الاختصاص) والناقد الابداعى ٠ وهكذا ، يكتب هانت موضحا بهذا الصدد (، ص ١١١) :

أنه غالان ـ وفى لحظة اندفاع سعيد ـ الذى جعل كل واحد ميالا الى الاعتزاز بالليالى العربية ، ومرد ذلك الاعتزاز فى الغالب تكيفه لأسلوبه بحيث يوافق الذوق السائد ونبرة المحادثة الدارجة : وهذه هى السمة ، سمة قلة معرفته بالطباع العربية مقارنة بلين ، التى رأى فيها الأخير لا شىء غير التحريف والاساءة ٠

ولم يكن هانت وحده متمسكا بهذا الرأى ٠ اذ ذهب آخرون بعده الى استنتاجات مماثلة ٠ كما يرى ستانلى لين بول وسى ٠ هـ ٠ توى ان غالان ـ بقليل من تأكيده على خصـائص الأصل وتركيزه واهتمـامه الأكثر بخيط السرد القصصى ـ قدم الى جمهور القراء صورة لشرق مثير مغر أثبت كونه لقراء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على حد سواء (٤١) ٠

واذا كان قراء القرن الثامن عشر ـ وبحكم قلة توفرهم على الحياة والآداب الشرقية ـ قد اعتقدوا خطأ أن الليالى تطرح صورة فعلية وصادقة للحياة والطباع الشرقية ، فان (الرومانسيين) فى مطلع القرن الجديد كانوا متلهفين للابقاء على هذا (الوهم) ٠ أى أن طبيعة الذهن (الرومانسى) التصورى تميل بلهفة الى كل ما هو بعيد ، قصى ، بلا حدود ، يتيح للخيال أن يسبح فيه ، وأن يتيه فى الوانه وأحداثه دون حرج أو لوم ٠ واذا كان الرومانسيون قد وجدوا فى الحكايات وصفا لقبب زرق وقصور فيها نساء محجبات وعبيد خصيان ومرايا سحرية ، وخواتم وطلاسم ، وهوام (من هامة) و (وسائل) بنائية أخرى توجد الانفعالات القوية وتثير الشوق والرغبة والأحاسيس ، فانهم كان لا بد أن يثاروا ويسحروا بما يدغدغ دون أن يستلب ويريح دون أن يتسلط ٠

ولكن أى شرق هذا الذى يشتاق له (الرومانسيون) ؟ ان غالان

منحهم بعضا من هذا الشرق ، كما أشير من قبل ، لأن نسختته من الليالى تفتح مثل هذه الآفاق ، وتستدعى المزيد من التصور • فغياب الحدود فيها وقلة التركيز على المواصفات الخاصة لعادات وأخلاق الشعوب الشرقية منح الذهن الرومانسى فرصة ذهبية لاعادة تشكيل (شرقه) : وهكذا ، كان (شرق) الابداعيين - كما يسمون - اسقاطا لرغباتهم ، لكنه اسقاط اتخذ مواصفاته وشكله من خلال تلامس رقيق وفاتن مع صورة الشرق الغامضة والمنظرانية فى حكايات شهرزاد • أى ان هــذا الشرق هو بقعة تشبه الحلم ، جو واهن يبعث الضعف ، فيــه تتوفر الموسيقى ويسود الحب الشهوانى ، ومنه واليه تتوزع طرقات ترش بماء الورد ، وفيه تقوم قصور مزخرفة بالزمرد والعقيق واللؤلؤ •

كان الذهن الرومانسى فى مرحلة التمرد تلك ذهنا متجردا من القيود ، باحثا عن الحرية فى كل شئ • وهو : أيضــــا الذهن البشرى الغرائزى الذى يبغى الخلاص من القيم والمسلمات الدارجة • وكان لا بد أن يمتلئ بتلك الرغبة البشرية الدائمة فى الحب والقوة : فكيف يستقبل حكايات تناجى هذه الرغبة وتذكيها ؟ وفى الواقع كانت هذه هى الصورة نفسها التى أعاد تركيبها توماس مور فى قصيدته Lalla Rookh التى سبق ذكرها ، وهذا أيضا هو سر رواج القصيدة الكبير الذى جعل مور قادرا على فرض شروط صعبة على ناشريه ، وهى شروط درت عليه مالا وفيرا آنذاك • ولم يكن ناصحه أقل منه حظا • اذ ذاعت (حكايات) بايرون التركية ، وهى قصائد تصور الشرق أيضا كأرض للمغامرات والمخاطرات المغرية المخاتلة ، وموطن للانفعالات القوية والقسوة التى لا تلين • وقد يختلف دى كونسى عنهما De Quincey لكنه لم يكن بعيدا عن الدائرة أو النسيج المسحورين • فموقفه المتردد ، والمتعصب لم يمنعه من الوقوع فى هذه الدائرة ، ولا سيما أنه كان يتعاطى المخدرات آنذاك فكانت قراءاته من الليالى بتأثــير تلك المخدرات تتداخل فى نسيج تصــوراته وأخيلته ، حتى كانت الليالى تطرح أمامه فى تلك الحالات صورة لأرض يقطنهــا الدراويش المتسولــون والاسكافيــون والسحرة وشتى الطيور والمخلوقات ، كلها تحدق فيه ، تنعب ، تنعق ، تهذر ، تكشر وتسخر منه (٤٢) •

لكن كيتس Keats كان شيئا آخر • فبتلك القدرة على تركيز قراءاته ، و (تقطير) الألوان والصور ، كان كيتس يمزج مع مطالعاته فى الأدب الكلاسى (لا سيما اليونانى القديم) سحر شهرزاد ومعلوماتها الغزيرة ليخلق عوالمه ومواطن أشهر قصائده • فمن خلال معرفة وثيقة برائعــة فيلاند Wieland المسماة Oberon المتأثرة كثيرا بالليــالى كان

كيتس يوحد رموزه وأفكاره مع أوصاف ومقومات مسرحية مأخوذة عن الحكايات العربية • وهكذا ، كانت التقنية والمكونات الشرقية في الكتابة والمعلومات الأخرى عن الحياة هنا تمتزج بأساطير الأقدمين من لاتين ويونان في نسيج قصائد ذائعة كـ St. Agnes و Endymion و (القلنسوة والنواقيس cap and Bells (٤٣) •

وعند محاولة التمييز بين (الاتباعيين الجدد) والابداعيين ، أو بين الكلاسيين والرومانســـيين ، لا بد من القول اذن ان الاتجــاه الكلاسي و (الشمولي) ـ كما يسمى فلسفيا ـ لعصر التنور (أي القرن الثامن عشر) كان نحو العام والنموذجي في الطبيعة البشرية • أما الخيـــال الرومانسي المتمرد فقد كان يتمتع بالسمات الخاصة والطارئة التي كان كتاب القرن الثامن عشر يهملونها أو يبعدونها من كتاباتهم (الشرقية المزيفة) ، كما درج المؤرخون على تسمية (تقليدهم) للكتابة الشرقية • واذا كان الخيال الرومانسي تجذله الأوصاف الملونة الباهرة للطباع المنزلية ومشاهد الحب أو الشهوة الداعرة ، وتمتعه قصص اللقاءات بين الأحبة في أرض بعيدة ، فانه كان مهيئا أصلا لاعادة بناء وتأسيس شرق وهمي • واذا كانت هذه الصورة الرومانسية للشرق قد اعتمدت بشكل طارئ على قصص المغامرة في ليالي شهرزاد ، فانها لم تكن لتوجد لولا بعض المسببات الكامنة في ذهنية ذلك الجيــل ، وحتى ان لم تكن الحـكايات موجودة ، فان هذا الذهن كان لابد أن يسعى لتأسيس أرض خيال تتيح له حرية الحركة والتحرر من القيود التي أثارت روح تمرده • وهكذا ، كانت صورة الشرق المذكورة ، كما يقول مكسيم رودنسون ، تنطلق كثيرا من « تلك الشهوانية المضــببة ، والماسوكية والسادية غــير الواعيـــة للبورجوازية الغربية المسالمة » (٤٤) •

واذا كان بامكان الباحث آنذاك أن يفيد من كتب الاسفار العديدة التي تجاوزت العقليات المتأثرة آنذاك بالانطباعات السائدة عن الشرق لكي يكون فكرة عادلة عن الشرق ، فان الرومانسيين ـ كما أشير من قبل ـ سعوا في النصف الأول من القرن للابقاء على (صورة مخادعة) لأرض أحلام استمرت تغويهم في كتاباتهم ، مانحه اياهم الراحة والسعادة ، على الرغم من وعيهم في بعض الأحيان لحقيقة كونها وهما لا غير !! وحتى في أمريكا لم يكن الرومانسيون يختلفون عن رفاقهم الانكليز : فالذهن الرومانسي ينشد اسقاطاته في القراءة • وهكذا ، عندما التقى واشنطن ايرفنغ Washington Irving بالوزير التركي في برشلونة لم يسعد بمرأى الوزير الذي كان يرتدي لباسا اعتياديا كغيره من البشر • فكتب في الخامس من تموز عام ١٨٤٤ الى أخته السيدة بارس قائلا :

اني أعترف أنـه كان بودى أن أراه يرتدى حلة الشرق البهية ، وانى لآسف أن هذه الحلة التى حببتها الى ليالى السمر العربية ، ـ بهجة الطفولة تلك ـ تختفى سريعا أمام الطغيان الرتيب والمطرد للأزياء الفرنسية والانكليزية (٤٥) .

وقبله بعشر سنوات (تشرين أول ، ١٨٣٤) كان (لى هانت) يحيى بارتياح هذه الرؤية (شبه الرومانسية) للشرق ، وهى رؤية زودت (الخيال) بسماوات شعرية جديدة :

مرحبا أيهـــا الشرق الرائع ! مرحبـــا يا أرض الصباح الملون ! مرحبا يا بلاد العرب .. ! ولكن ليست البلاد العربية ... التى تهم الجغرافى ، بل تلك التى فى الكتب (*) ، تلك الأخرى حيث الشرق الفعلى .. شرق الشعـــراء ، أراضى الطفولة المسحورة ، وذكرى الناضج التى لا تزول (٤٦) .

وفى مقالة لمجلة London and Westminster (١٨٣٩) أوضح هانت بلهجة أقل طربا وجذلا السمات التى تميز هذه الرؤية التصورية للشرق عن تلك الموجودة فى بطون كتب الرحلات الجادة أو فى ترجمة Lane لليالى ، وهى ترجمة معززة كثيرا بالهوامش والشروحات . فشأن (الرومانسيين) الآخرين رأى (هانت) أن نسخة غالان تؤسس وتبقى تلك الصورة الأخاذة للشرق :

« ان الأكثر قيمة فى الليـــالى العربية هو ليس ما يهم العرب بوصفهم عربا ، بل ما يهم الجميع من رجال ونســـاء وأطفـــال .. بوصـــفهم محبى المخاطر المدهشة ، ومحبى الرؤى والنعيم والجمال والسلطان والأبهة والمعين الذى لا ينضب من التنوع والتقلب ـ NT ، ص ١١١ » .

(*) لم يكن (هانت) يقصد الاساءة للعرب أو الشرقيين فى هذا المجال . اذ عرف بميله الكبير اليهم لكنه يريد التمييز بين أرض الأحلام المتخيلة وبين الواقع الذى لا يسحر الذهن الرومانسى سواء كان فى منطقة البحر المتوسط أو فى أوروبا . فالذهن الرومانسى لا يرى فى الواقع غير قيوده وحدوده وضغوطه : ولابد له أن يخلق أرضا أخرى تتيح له التجواب التصورى والرحيل على هواه ، ومعروف أن هانت قضى بضعة أشهر فى السجن لعدم ارتياحه لولى العهد أمير ويلز فمسه بهجاء أثار حفيظة الأخير .

وقبل أن نحكم على طبيعة انطباعات هانت ، لابد من التريث لحين معرفة الاتجاه الرئيس لجدله حول ابقـاء غالان وحفاظه على (مشرق الشعراء) • ففى خاتمته لتلك المقالة قدم هانت تحليله لمصادر السحر فى الليالى العربية • ان تكرر الأسماء الرقيقة والحس الدائم بالمغامـرة وتقلب الحظ ، وغياب الوعظ العلنى ، وأفواج الفتيات الرقيقات ولكن غير الراضخات ، وقرب عالم الخوارق من عالم البشر ، وسيادة الجن الذى لا يموت ، وغزارة الحياة وثرائها وبهائها ، كل هـذه أمور تضرب على أوتار (الخيال الرومانسى) الرقيق ، وهى كلها تناجى وتدغدغ عواطف وانفعالات وطموحات تشكل الذهن الرومانسى فى مرحلة الارتداد الذائعة تلك على النمطيـة والتزمت والمحدودية والقولبة فى الحيـــاة الثقافيـة والاجتماعية (*) •

ويمكن لدارس أن يعترض على هذا التخريج بشأن موقف (هانت) ، مشيرا الى أن الربط بين تفضيله لنسخة غالان ، ومشرق الشعراء لهـذا السبب ، وبين طبيعة الذهن الرومانسى مقحمة : معتمدا فى اعتراضه على حقيقة أن المقالة كتبت اثر ظهور ترجمة ادوارد وليم لين المزدة بالشواهد والخالية من (المبالغات) • أى أن الترجمة الأخيرة أثارت عنده مفاضلات معينة ليست مرتبطة بالضرورة بدوافع (الرؤية الرومانسية) فى تمييزها عن النمطية الاتباعية (أو الكلاسية الجديدة) التى استمرت تيارا خافتا طيلة العصر الجديد •

ولكن فى عام ١٨٣٤ وعندما كانت نسخة غالان تختال فريدة دون منازع بين جمهور القراء كان هانت قد بلغ استنتاجات مماثلة بشـأن المفاتن الأخاذة لعالم قلق ملون يبعث على الحذر ويتجاوز التقاليد (الكلاسية الجديدة) ، مسهما فى تهيئة المسرح للاستقبال الرومانسى • يقول هانت :

> تعد الليالى العربية بالنسبة لنا واحدة من أجمل الكتب فى العالم • لا لسبب أن فيها المتعة فقط ، ولكن لأن الألم فيها يمتلك فرص تغير وتقلب لا نهاية لها ، ولأن المتعـة فى متناول كل من لديه الجسـد والروح والخيال • فالشخص الفقير ينام فى مدخل باب مع حبيبته وهو أغنى من الملك • والسلطان يطاح بعرشه غدا ، لكنه قد يحصل على عرش أفضل فى يوم آخر • والمعوز يلمس خاتمـا فتكون فى خدمته الأرواح • هنـا أنت

(*) بشأن خاتمة مقالة هانت . راجع 'NT' ولا سيما ، ١٣٥ ـ ١٣٦ •

تمتطي الهـواء ، وأنت أثرى في عزلتك · تتمنى أن يبادلك آخر الحب ، وسرعان ما تحتضنك جنة عدن بين ذراعيها · أنت تمتلك هذا العالم ، كما تمتلك عالما آخر في ذات الوقت · فنساء الجن في ضوء قمرك · وهنا لكل من الأمل والخيـال فرصة ·· هنـا الفعل البطولى ، والانفعال العاطفي أيضا : الناس يمكن أن يعانوا ، كما يمكن أن يتمتعوا ، من أجل الحب · هنا يوجد الجلد والشجاعة والترف وحب الذات ، وفكاهة مسلية كفكاهة موليير ، ومأساة ، وطباع شرقية ، هنا أيضا يوجد العجيب في صلب العادى ، وشبيه الأشياء المعتادة في المتسولين المدهشين والقضـاة واللصـوص والقصور المسحورة ، والصور الممتلئة باللون والأجواخ هنـا دفء الأحاسيس ·· وتحذيرات الى الأغنيـاء ، وانسانية للأكثر سعادة ، وأمل للتعيس (٤٧) ·

وبكلمة أخرى ، فان صورة (مشرق الشعراء) هذه كما تبينها الذهن الرومانسي في الليالي العربية ، وفي نسخة غالان بشكل خاص هي التي حفزت هذا الذهن وبعثت فيه الخدر ، مثيرة عنده في الوقت ذاته شوقا لبقاع مثالية من الحرية والتذوق والعفوية والانفعالات الحادة والمغامرات والفرص والايمان والمجد ·

ولكن ، لا بد من ايضاح آخر بشأن هذه القضية : فمجرد حديثنا عن (عموميات) من هذا النوع لا يعني تجاوزنا ل (خصوصية) ذهن دون غيره من بين الرومانسيين أنفسهم · فالمواصـفات العـامة لا تلغي السمات الخاصة · أي أن (مناجاة) الأمزجة والدوافع التي اختصرها هانت بدقة على أساس أنها تكون سر فتنة الحكايات الطاغية التي امتلكت الخيال الرومانسي لا يمكن أن تؤخذ بمعزل عن الاهتمامات والميول الشخصية لكل كاتب ·

وبكلمة أخرى ، فان رواج الحكايات بين الجمهور يعني وجود محيط اجتماعي ـ ثقافي مناسب ، تتوفر فيه مواصفات التجاوب · واذا كان هذا الظرف يولد اتجاها رئيسا أو بارزا في الثقافة ، فان (الرومانسية) كانت هذا الوليد · لكن هذا الوليد جاء ارتدادا على شيء قائم ، أي على نمطية العادات والتقاليد الاجتماعية ، وما يجاريها ثقافيا من (تقاليد) وأحكام مقبولة · ولأن الرومانسية كذلك ، فانها لا تؤمن بالتنميط : أي أن سمة الرومانسية فردانية ، يمثل فيها كل كاتب رومانسي حالة

خاصة ، تتوحد في مواصفاتها العامة فقط مع التيارات الرئيسة للحركة الرومانسية ٠

وهكـذا ، فعند الشروع بملاحظة تجاوبات كل كاتب أو شـاعر رومانسي مع الليالى لابد من الاعتراف بهذا التنوع وبهذه الخصوصية ضمن الخطوط العامة التى سبق أن نبه اليها (هانت) ٠ وتطبيقا لذلك ، نرى أن اعجاب كوليرج Coleridge الكبير ب (الكون العضوى) المطروح في الحكايات العربية ، أى ذلك الكون الذى تتداخل فيها المسببات بالنتائج والخارق بالدارج ، والطبيعى بما هو فوق الطبيعى في توحد لا ينفصم ، هذا الاعجاب لا يمكن أن يدرس بمعزل عن رؤية كوليرج (المتسامية) والتى لا ترى في الخبرة البشرية دالة أو قائدة للحقيقة Transcendental (٤٨) ٠ كما أن معرفتنا بطبيعة شخصية تنسون في سنوات تكونه الشعرى تتيح انشداده لليالى واستذكاراته منها ٠ فهو في تلك الأثناء لم يحسم بعد موقفه ازاء الفن والحياة ، وبقيت نزعته (جمالية) بحتة ، فيها يمتزج الفن بالذات بمعزل عن الخارج ٠ وهكذا قادته نزعته (الجمالية) الى استذكار حكايات بتفاصيلها فيها تنطرح صور عوالم فن (Realms of art) كتلك التى استحضرها Yeats من بعده في (ابحار الى القسطنطينية) حيث تصبح هذه تعبيرا عن الأرض المنشودة التى يبغيها الفنان فيه ٠

ولو لم يكن Thomson في ذلك المزاج الحزين والمأساوى لما ذهب في قصائده الى مدينة زبيدة المصعوقة ، حيث يعيش شاب وسيم وحيدا يسبح ويمجد باسم الله بين مشاهد جمال ذاو واقفار مريع ٠ كما لم يكن شيئا غريبا حتى بالنسبة لاكثر الكتاب الفكتوريين حنكة ورفعة أن يستذكروا بولع وحنين طاغيين أيام طفولتهم ، بحيث يتيح لهم الاستذكار استحضار ذلك الافتتان الأول بالليالى ، كل ذلك كمهرب مؤقت من حياة كثيرة التعقيد ٠

لكنى هنا لست معنيا بشكل رئيس بتحليل تأثيرات القراءات هذه ، لا سيما التأثيرات الفاعلة في التأسيس الفنى كما أنى لست معنيا بمتابعة أصداء ذلك في أنسجة الفعل الابداعى ، وهمى فقط في أن أكون قادرا على عدم تجاوز مثل هذه التداخلات عندما تشتبك مع أشكال التجاوب النقدى أو تختلط معه ٠

ذلك أن الوسيلة الوحيدة ــ في رأيى ــ لبلوغ تقدير عادل لمكانة ألف ليلة وليلة في الثقافـة الانكليزية تتأتى من خـلال متابعة دقيقة للحالات التى هى أكثر تمثيلا للاتجاهات البارزة ثقافيـا وأعمق تمثلا للقراءات والاستذكارات في عوالم الحكايات ٠ والمقصود ب (مكانة ألف

ليلة وليلة فى الثقافة الانكليزية) ليس مقصورا على تزويدها الذهن الرومانسى ب (الدوافع) (*) والألوان لتعميق ميوله نحـو اللامحدود والغامض والبعيد والجميل وغير المتأتى ، كما أنه ليس مقصورا على تعميقها لهذه الهواجس الرومانسية · ان هذه المكانة يمكن أن تتوضح أيضا فى ذلك الرفد الذى جاءت به الحكايات الى مثقفى العصر ، موفرة لهم النماذج والمقارنات والصور التى كونت جميعها ومن خـلال تكررها متنوعة أو متماثلة ذلك (العنصر المجلوب أو الدخيل) ··· لكنه العنصر المغرى أيضا فى الأدب الانكليزى ·

ولكن كيف السبيل الى تفحص القراءات التى هى (أكثر علاقة) وقربا ، وكيف السبيل الى دراسة تأثيراتها اللاحقة على الكتابة الابداعية ؟ ان شيئا من منطقية الجدل يبدو ضرورة هنا · لقد تبين لنا منذ حين ان هذه القراءات أثرت كثيرا فى (سنوات التكوين) أو التأسيس فى حياة أغلب الكتاب ، وامتزجت مع أخيلتهم ورؤاهم الأولى ، بما يجعل من هذه جميعا متعلقة بعضها ببعضها الآخر ، ومتداخلة فى التيارات والاجواء الثقافية المحيطة ، يكون من المجدى بعد ذلك ان يتبع المرء سلما مضمونيا متدرجا بدل التسلسل التاريخى ، معتمدا التعبيرات الذاتية عن الشغف بالحكايات أول الأمر ، وهذا الافتراض قد يقود الى اكتشاف أنماط هذا الشغف : كالتلاشى الذاتى فى أجـواء الحـكايات أو التمثيل المتكامل لأفرادها ، أو حتى التمثل الجزئى لهؤلاء ، كما يحصل عادة عندما يستغرق الذهن الأدبى فى عوالم قراءاته المفضلة · ومن شأن هذا المنهج ان يكون أكثر وفاء للرومانسيين الذين عرفوا بالاستغراقات المتعلقة تعلقا شديدا بقراءاتهم من الليالى ·

كما ان من شأن هذا ان يمهد الى أمر ثان فى هذا الفصل ، هو متابعة طرائق (الافادة الابداعية الخلاقة) من تقنية شهرزاد فى اعادة بناء عوالم ذاتية جديدة أو أبراج فنية خاصة ·

ان القراءة (الرومانسية) لحكايات شهر زاد تتضمن استسلاما لفن السرد القصصى كذلك الذى أبقى السلطان شهريار معقود اللسان ، حيث ان هذا الفن يغرى ويفتن ويغرر ، ويأخـذ من ثم بعض المواصـــفات الشعائرية عندما يحول دون اقدام الملوك العتاة على مشاريع القتل أو البطش ، كما يحول دون تنفيذ الجن أو المسوخ مشاريعهم الشريرة · وفى تمييز هذه القراءة من (القراء النقدية) ، تعد هذه فعلا استغراقيا تاما فى عالم الأحلام والرغبات · وخير من وصف هذا الاستغراق هو

(*) يستخدم القوس فى بعض الأحيان لعزل المفردة الاصطلاحية عن المعنى الدارج ·

محرر مجلة Spectator في الخامس والعشرين من تشرين الثاني لعام ١٨٨٢ (العدد ٥٥ ، من ١٥١٣) ، قائلا في تبيان بعض سمات طبيعة (القراءة الرومانسية) :

> في الليالي العربية ، وفيها وحدها دون الكتب المطبوعة الأخرى ، يمكن للكبار ان يحصلوا على المتعة ذاتها التي يحصل عليها الصغار من السرد القصصي ، تلك هي متعة الاستماع الى قصص تثير دون استدعاء للتفكير ، أو للتأمل أو للنقد •

فحيث تخلو هذه الحكايات من الوعظ الأخلاقي العلني ، تكون خالصة في تحقيق الاستمتاع • وعند القراءة ، كما تمضي المجلة ذاتها ، « نترك طلقاء ، دون تأنيب ، في عالم من العجائب والمباهج ، حيث ملوك عظماء وقصور ذهبية ونسوة جميلات وجن وأصدقاء أو خصوم ، حيث يحصل كل شيء دون حساب أو توقع ، لكنه يحدث كما يجب ان يكون » • ويستنتج كاتب المقالة ، ان « قوة الليالي هي قوة الرومانس في شكله البدائي ، ومن ثم فان الحكايات تسحر الكبار •• أو أولئك الذين يمكن ان يسحروا •• كما تسحر قصص الخرافة الصغار ، أو في الأقل أولئك الذين يمكن ان يسحروا ، وذلك بأن تتجاوب باستمرار مع ميلهم الذي لا يشبع للتنعم بالمعجزات والأعاجيب » •

لكن هذا التحليل ليس متكاملا • فهو قد يفسر تذوق القارىء الاعتيادي للرومانس ، لكنه يقصر كثيرا في معالجة افتتان الكتاب الرومانسيين وانبهارهم بالحكايات • اذ بدل ان تكون قراءاتهم مجرد « ميل لا يشبع للتنعم بالمعجزات والأعاجيب » فانها في جوهرها تأسيس أو استهلال شعائري جمالي في دائرة مسحورة ، أي انه دخول في حلقة لها شعائرها وابتهالاتها ، بما يعني التسليم العفوي بضرورة « الايقاف الارادي للشك » وذلك هو الذي — كما يقول كوليرج في Biographia Literaria (الفصل ١٤) — يكون « الايمان الشعري » فهكذا كان John Nichol في صغره « يلهو » في هذه العوالم وكأنه « في عالم جديد من الأحلام البهية » ، في حين ان « لي هانت » وآخرين شعروا بتعلق دائم ب « مركز معجزات » شهرزاد ، والتي احتفل بها Henley في نهاية القرن بحماسة (٤٩) • لكن اعجاب هانت التام بالحكايات يمكن ان يمثل موقف الرومانسيين الأوائل — أي كوليرج ووردزورث وكيتس ••• الخ — والذين فتحت أمامهم الليالي مجالات جديدة للايمان والخرافة والجمال والمغامرة والفن والحب • وهكذا ، كتب هانت في London Journal قائلا :

كلما نبصر الليالى العربية ، يسلطن أضواء على أفكارنا ، وكأنهن طلمسان ترصعه الجواهر · ونتوهم ان علينا ان نفتح الكتاب لتنتشر أمامنا علبة المجوهرات ، وتحيطنا بعزلة فى حديقة (٥٠) ·

وهذا هو عالم تحقيق الرغبات والخيال نفسه الذى أثر تأثيرا بالغا فى الكاردينال نيومان Newman فى صغره حتى انه كتب فى سيرته الذاتية انه « اعتاد ان يتمنى ان تكون الحكايات العربية صادقة » · وهذا التربوى والمربى الناثر ورجل الدين الذى أثار أكبر زوبعة فى المؤسسة الكنسية فى انكلترا فى النصف الأول من القرن وهو يتخلى عن (البروتستانتية) ليكون داعية كاثوليكيا ، كان فى صغره يستغرق فى القراءة لدرجة التماثل ، بحيث يتصور نفسه واحدا من شخوص الليالى ، وكان أن انبهر خياله ب « مؤثرات خفية وقوى سحرية وطلاسم » حتى قال انه « اعتقد ان الحياة قد تكون حلما ، وأنا ملك ، وهذا العالم ما هو غير خداع » (٥١) · ولا يخفى على الدارس ان مثل هذا التأثر البليغ يعنى ان الليالى قد عزفت على أوتار فى شخصية نيومان ، كما انها حفزت أخرى فى كيانه ، فجعلته أكثر ميلا الى التأمل فى الخوارق والمعجزات بما يملى عليه فى سنوات نضجه ان يشكك فى تلك البراقع الدنيوية التى تسربلت بها المؤسسات الكنسية : فكان ان دعا للعودة الى الأصول ، حيث تناجى الذات قوى خفية لا قبل للتنميط المؤسسى والدنيوى باستيعابها ·

وهذا الاعتياد على الروحانى واللا دنيوى يمكن متابعته عند كولريج كذلك ، ولا سيما ان عزلته المبكرة وشغفه الشديد بالحكايات شددا من ميله للاستغراق فى الاحلام · يقول :

ان ذهنى معتاد على ما هو شاسع فسيح ولم اعد احاسيسى مطلقا معايير لبلوغ اليقين · لقد رتبت كافة معتقداتى بمفاهيمى ومداركى ، وليس ببصرى (٥٢) ·

وكلما كان يبصر نسخته من الليالى العربية كان يشعر « مزيجا عجيبا من الذعر الغامض والرغبة الشديدة » ، وهو شعور لم يفارقه طيلة حياته · وفى مناسبات عديدة ، اشار الى هذا الانشداد الهياب للحكايات حيث « كانت واحدة منها ·· حكاية الرجل الذى اجبر على البحث عن عذراء ·· قد فعلت تأثيرها العميق فى ·· كنت قد قرأتها فى المساء وامى مشغولة بترقيع الجوارب · ·حتى اخذت الاشباح تداهمنى كلما كنت فى الظلام » · كما انه يسرنا فى مجال آخر بهذا الاعتراف : « انى أتذكر بوضوح الشوق المذعور والقلق الذى يصاحبنى وأنا أرقب النافذة

التى تخلد فيها الكتب · وكلما تشرق الشمس عليها ، كنت أمسكها ، واحملها حيث الحائط ، فأتشمس وأقرأ ، (٥٣) ·

وكان كوليرج نفسه قد اكد أن الكتاب ألهب خياله ، واثار حسه بالتصديق الارادى والعجب واملى على العادى والدنيوى فى محيطه هالة مما هو خارق (٥٤) · وكان واضحا ان نوعية الكتاب القريبة الى الاحلام ، واختفاء الحدود الفاصلة بين الطبيعى والخارق ، هى التى جذبت انتباه كوليرج ، ناقلة اياه الى بقاع غير محدودة الآفاق · وهكذا يقول كوليرج فى تمييز نفسه قارئا شغوفا لليالى عن اولئك المتجلدين الذين لم تثر فيهم الحكايات الحس بالعجب :

> انى لا أعرف غير شخصين لديهما الذوق والشعور لم يكن بمستطاعهما معرفة سر سرورى بحكايات الليالى العربية · لكنهما أيضا الوحيدان حسب علمى اللذان قلما يتذكران انهما حلما البتة (٥٥) ·

ومثل هذا الشغف الاستغراقى التام فى عوالم الحكايات والتسليم أمام سماتها المغرية الشبيهة بالأحلام صارا واضحين فى أحلام كوليرج ذاته ، ذلك لأنه حسب اعترافه حلم مرة بأنه طورد من قبل احدى الشخوص النسوة فى الليالى العربية ، امرأة مهلكة تمنح الطريدة عاطفة كريهة وقبلات مميتة بدل عطايا هارون الرشيد (٥٦) ·

ومادمنا بصدد فرز هذه (القراءات) وآثارها عن غيرها ، فان وليم بكفورد William Beckford يستحق ان يعقب كوليرج ، على الرغم من أنه أسبق تاريخيا من كوليرج فى لقائه بالحكايات وتمثله لاجوائها · وبرغم أن بكفورد لم يبلغ ذلك الغوص الذاتى فى عوالم شهرزاد الذى بلغه كوليرج ، لكن قراءاته فيها تشير الى وقوع مشابه فى شبكة السحر والتعاويذ والرقى · لكن شيئا بارزا يفرق بين الاثنين ، ويميز توجهاتهما فى الحياة ، كما انه فى الوقت ذاته يؤشر ما ذهبت اليه هذه الدراسة من ان (تفرد) الكاتب الرومانسى يملى تعاملا منفردا خاصا مع الحكايات · فاذا كان ذهن كوليرج متجها نحو الفسيح ومأخوذا باللا محدود ، فان قراءات بكفورد وطدت من ذوقه للمجلوب والغريب وشددته · كما انها ركزت من ولعه المتطرف والشاذ (abnormal) بالتجربة الحسية (أو الجسدية) وحفزت تحلقاته فى (شرق) ذاتى خاص به ، سداه ولحمته الشهوانية والبهاء والعواطف الحادة والجمال الأخاذ والمخدر · كما أن هذه الصورة نفسها التى أثارها بكفورد فى روايته (الواثق) فى العقود الأخيرة

من القرن الثامن عشر ، ملونة برغبات بكفورد الشخصية التى كانت مثار ارتياح واطراء بايرون ، باعثة الحــذر فى الذهن الرومانسى عامة آنذاك (٥٧) !

لكننا فى مجال هذا الفصل معنيون بطبيعة قراءة بكفورد فحسب ، ذلك أنه يعد رأسا مؤثرا فى تطوير الميل للمجلوب والغريب ، معززا التفسير التصورى (غير الــواقعى) للشرق الذى طغى فى كتابات الرومانسيين ٠

فأبان المرحـــلة التى كان بكفورد مجبرا فيها على أن يحيا عزلة اجتماعية بسبب رفض أمه لأن يكون فى عهدة المؤسسات المدرسية ، وعندما كانت تحت امرته كافة الأشياء التى تستطيع الثروة الكبيرة أن تبتاعها ، صادف الشاب الصغير نسخة من ألف ليلة وليلة ٠ ويؤكـد كاتبو سيرة حياته تأثير الحكايات الهائل فى الصغير الذى كان يتابعها بشغف وحبور ٠ وحسب ما يقول احدهم (لوى ميلفل) : « كان الأثر الذى تركته [أى الحكايات] فيه قويا جدا لدرجة ان لورد Chatham [عراب بكفورد] أوصى [معلمه] Lettice بضرورة ان يبعد الكتاب عنه » ٠

ولكن ــ كما يوضح ميلفل لاحقا ــ كان « الحذر متأخرا تماما ٠٠ حيث امتلكت الحكايات الشرقية ذلك القارىء السريع التأثر لدرجة انه لم يعد قادرا على نسيانها ٠ لقد أوقدت ذهنه الشاب وأسرت خياله ٠ ولم يضعف نفوذها وسلطانها عليه طوال حياته » (٥٨) ٠ ففى مراحل حياته الأولى كان الصغير قد نما ميلا متطرفا لهذه الحكايات التى زودته بعالم قريب للاحلام ، مثير وبهى الى أبعد الحدود ، حتى تصور انه العالم الحقيقى الذى يبهت امامه عالم محيطه ٠ وهكذا كتب فى مرحلة لاحقة : «سأعزل نفسى عن العالم ان كان هذا بالامكان ، متحدثا لساعات معك يا مسرور ويا نور النهر [مشيرا الى حكايته المسماة القصة الطويلة ، المؤلفة عام ١٧٧٧] ٠ أنى مصر على الاستمتاع بأحلامى وتهيؤاتى وكل غرابتى مهما بدت هذه مضنكة ومضجرة وغير متوافقة مع المنغمسين فى الدنيا المحيطين بى » (٥٩) ٠ وكلما حذروه من مغبة الانهماك المتطرف والاستغراق الزائد فى عالم الحكايات ، كلما تزايد تعلقه بعوالم الخلفاء والمتسولين والاسكافيين والجن والعفاريت التى تزخر بها الحكايات ٠

ولهذا السبب ، فان تعلق بكفورد بالليالى ليس متماثلا مع مواقف

الفكتوريين (الهروبية) • فعلى خلاف موقف ديكنز من الحكايات أو موقف Dobbin وكيل خالقه أى مؤلفه Thackeray منها ، كان شغف بكفورد بالحكايات عبارة عن تمثل كامل لبعض شخوصها ومشاركة عاطفية عميقة فى مغامراتها المثيرة ، ولهذا لم يكن بلاط هارون الرشيد الفاتن الذى كان مجلب انتباهه الرئيسى ، ولم يكن وادى الجوهر وحده هو الذى بهره ، بل كان ذلك التجاوز السلطانى للحدود والقيود واصراره الشديد على الغوص فى بطون المعرفة المحرمة ، حيث الغامض والممنوع ، ورغبته الحاسمة فى دخول الغياهب والسراديب والممرات السرية والمحصنة ، وما يتبع ذلك من مسعى تحت وطأة القراءات والترف لتحدى القوى السرية أو عقد تحالفات معها ومع السحرة والمشعوذين •

وفى الواقع ، يعجز القارىء عن تصور أمر كهذا دون ان يلم بميوله السلطانية فى شبابه ، ذلك لأنه قلد الخلفاء والسلاطين الذين قرأ عنهم فى حياته الخاصة • ولاحظ احد كتاب سيرته ، وهو بويد الكسندر ان بكفورد Beckford كان « يتحدث بقناعة واضحة عن قوة الحكام الشرقيين المستبدين ، وتبعية شعوبهم ، وغطرسة خدمهم » • وكان ان مارس دورا مشابها فى قصره « ففرض طاعة مماثلة فى فونتهل [قصره] وكان غضبه جامحا لا يكبح عندما يعارض أو يثار • وأصبح متشربا بفكرة أنه سليل ملوك » (٦٠) •

وعلى غير شاكلة من جاء بعده من الكتاب ، لا سيما شارلوت برونتى التى كانت تميل الى تهذيب الغريب وجعله أكثر ألفة وقربا ، كان بكفورد يضفى من نزعاته للتسلط والاستبداد على قراءاته • وهكذا ، فعلى الرغم من رغبة كبار عائلته واقربائه فى تشجيعه لتطوير ميل للمشاركة فى الحكومة والبرلمان ، كان بكفورد يرفض علانية أية مشاركات من هذا النوع ، مستمرا بدل ذلك فى استغراقات ذاتية فى (مشرق) من تصوراته • وكانت مملكته الوهمية هذه ، والتى كان يختال فيها سلطانا ، هى خلفية وموقع احداث قصصه الخيالية : كما ان قصره الذى بناه فى Fonthill ينبغى أن ينظر اليه على انه تعبير عن رغبته فى قصر هو فى واقعه « انسحاب على طريقة علاء الدين من العالم » ، أو قصر شرقى يصفه الناقد Paul Elmer More بأنه يرمز الى ذلك التوق الرومانسى الجزع للعزلة :

> كان الأمر كما لو أن أحدا فى ذلك القرن الرصين
> قد امتلك السيطرة على مجموعة من الجن من الليالى
> العربية دافعا بهم لتشييد بناء سحرى يأتيه بالبهجة •

لم يكن (ابداعيو) القرن التاسع عشر مفتنين تماما كبكفورد ، لكنهم وجدوا أنفسهم واقعين في شبكة السرد القصصي المتداخلة ، اذ توفرت لهم فيها اصداء لغرائزهم وهمومهم ورغباتهم ، فكان التداخل بين الصدى والهاجس واضحا في نتاجاتهم • ولم تكن مصادفة ان يفيد جيمز تومسن James Thomson وكرستينا روزتي Christina Rossetti ومريدث Meredith من قصة (مدينة زبيدة المتحجرة) في قصائد تفيض بحس غالب بالخسارة والاندحار في ظروف غير مناسبة • فالكتاب الذى افرح وسحر كريستينا روزتي طوال حياتها لم يمدها بالمعلومات والتفصيلات الغزيرة التي كونت (ذخيرة) قصائدها القصيرة الذائعة كـ (سوق الغول) و (المولد) فحسب ، بل عزز لديها ذلك الاحساس بقصر الحياة وزوالها السريع وهو احساس تملكها طويلا (٦٢) • ففي حلم يقظة (رومانسي) ، تصورت كريستينا انها نقلت الى مدينة زبيدة المصعوقة ، حيث يسود الموت ويعم الخراب والدمار في مملكة كانت في يوم من الأيام سعيدة متنعمة • واذا كانت كريستينا روزتي معنية في (المدينة الميتة) باعادة خلق رؤية للملكة الثرية التي عوقبت بسبب كبرياء اهاليها وغطرستهم وغرورهم ، كان Meredith ينحو نحوا مختلفا في (المدينة النائمة) والتي اعتمدت قصة زبيدة ذاتها • فهو هنا معني بدور (القدر) ، وهو دور شغل التفكير الرومانسي وتملكه بسبب علاقته بموضوع تقلبات الازمان وما تعنيه من ذعر دائم وقلق متصل • فالذهن الرومانسي سمي كذلك لانه يتجاوز التسلسل المنطقي للأشياء بحثا عن الاسرار الغامضة التي لا يفسرها المنطق ولا يسبر عمقها العقل •

وكان الموضوع ذاته قد سحر جيمز تومسون في عام ١٨٥٧ ، فأضاف اليه حزنه الشخصي وعدم ارتياحه الحياتي في قصيدة اسماها (مصير المدينة المحتوم) • وفي هذه القصيدة تخيل تومسن بحارا وحيدا في ليلة عاصفة ، دفعته الاقدار الى مدينة متحجرة تحول سكانها الى حجر وسط الثروات والبذخ والأموال الهائلة • لكن الذى يجعل الدارس مولعا بربط موضوعة تومسن هذه بقصيدة كريستينا روزتي حقيقة انه لم يرفض بعد المشيئة والقدرة الربانية • وكان ان أفاد من قصة مدينة زبيدة ليطرح ذلك الهاجس الرومانسي ، أى الرهبة من القدر ، والتواضع امام الباري ، والذى طرحته أكثر من حكاية في ألف ليلة وليلة ، وكأنها ـ أى هذه الحكايات المنفردة ـ هي الأخرى محطات صغيرة داخل عالم واسع من البذخ والثروة والطمع الدنيوى • فاذا كانت أغلب الحكايات تحكى عن عروش وممالك ومكاسب وخدم وحشم ، فان هذه هي مجرد اطارات

للقطات انسانية ، وانفعالات وهواجس دقيقة كانت لها اصداؤها عند الرومانسيين الاوائل وتابعيهم فى ذلك القرن ٠

ولكن كما أشير من قبل ، لم تكن الاصداء بمعزل عن (الهواجس) والاستغراقات والهموم الذاتية : فالفعل الرومانسي فعل منفرد في الغالب ، والتقلبات التي ابقت الذهن الرومانسى مشدودا قلقا مأزوما باستمرار كانت تحفر في داخل هذا الذهن في اتجاهات مختلفة ، وهكذا ، اذا كان تومسن مثلا قد أفاد من قصة مدينة زبيدة لرسم صورة لتقلبات الاقدار من جهة ، وابتذال الطموح الدنيوى من جهة أخرى ، فانه فى سنوات لاحقة تأزم كثيرا ، وأصبح متشائما معروفا ، حتى جاءت قصيدته (مدينة الليل المرعب) تهجدات قلب تأكله التعاسة ويحاصره الحزن ويعتصره الألم على الرغم من ان هذه القصيدة اعتمدت في أساسها القصة نفسها التي أفاد منها في قصيدته الأولى ، حيث الايمان بالاحسان الالهى هو الموضوع الأساسي ٠

ولم تكن قصة مدينة زبيدة ـ وما توحى به من اشكالات للذهن الرومانسى ـ هى الوحيدة التى أفادوا منها في منتصف القرن ، اذ جاءتهم شهر زاد بتنويع آخر حول الموضوع نفسه ٠٠ اعنى موضوع القلق والخوف والانفصام الاجتماعى ٠ واذا كانت (هواجس) مطلع القرن أكثر تطلعا للحرية وشغفا بالخروج على الحواجز والقيود نحو ذلك الشاسع الفسيح ـ الذى سحر كوليرج وبكفورد ، ودفع ببايرون الى السفر والترحال باحثا عن التجارب النافرة ٠٠ أو جعل شيلى Shelley ثائرا يتناطح مع المسلمات ، ونزع بهانت Hunt الى أن يتخذ مواقف ساخرة من الأسر الحاكمة تقوده الى السجن ، أو مانحا كيتس ذلك الانشداد بين الروح والجسد الذى ضغط عليه حسا وروحا فمات شابا ـ فان منتصف القرن جاء بمعضلات جديدة : حيث نتائج التحول الصناعى واضحة في المدن ، والتى تحولت الى مصانع بشرية ، تكتظ بالكتل ، وتتقاطع فيها مختلف الهياكل والهموم اجسادا وأفكارا ، وكان ان شعرت (الأرواح) المنشدة الى (أرض الرومانس) بتوتر جديد : هو الانفصام الاجتماعى ، أو الحس باللا ارتباط والتجانس ، وأصبحت الغربة الاجتماعية على أشدها حتى كثر بين شعراء العصر البحث عن (بقاع مثالية) توفر راحة البال والحبور والأمل ٠ ولم تكن شهر زاد جحودا ، كما انها من حيث مخزونها لم تكن عاقرا فى مجال ما ، فكانت قصة بهرام Bharam هى التى سحرت الذهن الرومانسى مجددا ٠ وكان مترجموها قد اسموها

(الرجل الذى لم يضحك ثانية) بعدما أبعد عن أرض البركة والخير والفتيات المغريات ٠

واذا تذكرنا ان الذهن الرومانسى هو ذهن يتملكه أيضا حنين الى الماضى ، أو الى كل ما يتصوره جميلا مغريا فى يوم من الأيام ، سواء كان ذلك المغرى طفولة الكاتب أو العصور الخوالى ، لعرفنا ان قصة « الرجل الذى لم يضحك ثانية » كانت تناجى روحا متوترة يزداد انشدادها الى أيام خلت كلما تعرضت الى ضيق وضغط ومصادرات اجتماعية وسياسية وأخلاقية ـ ثقافية جديدة : وهكذا كانت قصة بهرام Bharam ذائعة طوال هذا القرن ٠ وقصيدة تنسون Tennyson المسماة « المنفى بعيدا عن البصرة »عبارة عن (تنويع) شعرى على موضوعة القصة ومثيلاتها(٦٣)، وهى موضوعة لم تغب عن بال الرومانسيين الأوائل أيضا ٠ فهذا كيتس ـ على سبيل المثال ـ ما كان قد قرأ فى هذه القصـة الهوى الرومانسى الطامح المستمر لتجاوز حواجز الزمن لدخول تجربة شديدة ضخمـة وأبدية حسب ، بل وقرأ فيها أيضا تجاوبا موضوع ذعره الرهيب من فقدان الحبيب ، وهاجسه الذى هو الهاجس الرومانسى ازاء ازلية الحب من جانب ، وازاء الحبيب القريب ، لكنه الممتنع والمستحيل أيضا ٠

ففى رسالة فى شهر تموز لعام ١٨١٩ موجهة الى حبيبته Fanny Brawne ، اعاد كيتس سرد القصة ، مشددا على عنصر العـذاب الرومانسى الذى يعقب لحظات الاشباع والتحقق ٠ يقـول : كنت أقرأ مؤخرا حكاية شرقية ذات مذاق جميل ٠٠ انها حول مدينة رجالها حزانى أحل بهم هذا المصاب للسبب الآ تى :

ومضى يسرد الحكاية ، حيث كان الرجال واحدا بعد الآخر

« يبلغون حدائق جنان حيث يلتقون بسيدة ساحرة
تماما ٠ وفى اللحظة التى يريدونها فى احضانهم تأمرهم
ان يغلقوا عيونهم ٠٠ اذ يفتحونها ثانية يجدون أنفسهم
منحدرين الى الأرض فى سلة سحرية » ٠

أى انها شبيه سيدته القاسية القلب فى قصيدته المعروفة ، فقـد كانت سيدة الليالى الطلسمانية هذه تتخلى عن ضحاياها ، تاركة اياهم حزانى ، مكسورى الخاطر ، يعانون من عذاب اليم وأسى عميـق طيلة حياتهم ، جراء عجزهم عن الاتيان مجددا بلحظة التحقق الشديدة تلك لهذه التجربة الرؤوية أو التصورية ٠ يقول كيتس نفسه « ان تذكرهم

لهذه السيدة والمباهج التى خسروها الى الأبد تجعلهم فى أسى دائم الى الأبد » • وعلى الرغم من ان انجذاب كيتس لهذه الحكاية مرده تماثلها مع تناقضية (الالم ـ المتعة) السائدة فى شعره ، الا ان هذا الانجذاب لم يكن محصورا على موضوعاتها الرئيسية تلك ـ فبدل ان تدفعه القصة الى الانعزال والتقهقر والانسحاب عن الحياة ، أثارت القصة فيه الرغبة فى مشاركة فعلية فى تجربة حياتية • وكان ان كتب الى Fanny-Brawne قائلا :

> أتعرفين يا عزيزتى كيف أنى تصورتك بديل هذه السيدة ، وكيف أنى ارتجفت لهذا الأمر ، وكيف أن تأكدى من أنك معى فى هذا العالم وأنك على الرغم من كونك جميلة كتلك السيدة لست طلسمانية مثلها ، وكيف انى لا أتحمل مطلقا أن تكونى كذلك أمر يجب أن تصدقيه ، لأنى أقسم بك أنت •

لم يكن وليم موريس William Morris على شاكلة كيتس وتنسون ، ولكنه كان يفضى بهواجس (رومانسية) مثيلة • فبعد أن استعار الحكاية « كاملة من الليالى » مؤكدا « الميل العاطفى المالك للخليلة الغائبة » امتلك موريس روح الحكاية الأصلية ومزاجها وأعاد خلقها فى قصيدته « الرجل الذى لم يضحك ثانية » والتى احتوتها قصيدته المجلـــد الجنة الدنيـا The Earthly Paradise • لكـن مثـل هذه القراءة واعادة الخلق قـد لا تعنيان كثيرا لو لم تكن شخصية موريس نفسه قد تسللت الى القصيدة ، وتداخلت مع الأصل فى شكل عذاب رومانسى وتعاطف جاد لم تكن الحركة الرومانسية تخلو منه فى يوم من الأيام •

واذا كان الراوى فى القصة الأصلية يهتم بالفعل الدرامى (المسرحى) وبحل عقدة وسر الباب الموصد والممنوع دخوله ، كان اهتمام موريس مركزا حـول (الدوافع) و (المسببات) التى تقف وراء فعـــل (البطـل) الأخير • وعلى الرغم من أن موريس جاء بنفس الحس بالضياع والمحتم الا انه « وضعها جميعا فى نغمة أعلى متميزة (كما تستنتج ابنته محفة ، جاعلا من حب الاستطلاع الذى استحوذ على Bharam ـ والذى طرحته الحكاية الأصلية كشعور تجاوزى مذنب ـ أمرا حتميـا فى الســـلوك البشرى (٦٥) • لكن موريس ـ من جانب آخر ـ وهو يطرح المفارقـة الكبيرة بين جنة مفقودة وواقع قبيح ، كان يشارك البطل المدحور فى رغبته فى عالم مفقود ملؤه الجمال والسحر • ولم يكن هذا الحس غريبا

على موريس و على ذلك الجيل • فحنين Bharam الى (جنة الخلود والبركات) والى موطن الجمال والفن كان حنين جيل كامل فرضت عليه الظروف ان يتكيف لقبول قبح الحضارة الصناعية ونكدها •

واذا كانت البكفوردية (نسبة الى بكفورد) تمثل اتجاها متطرفا في طبيعة علاقة الكتاب الانكليز بالحكايات ، فان الاتجاه المقابل والمغاير فى الوقت نفسه يتمثل فى خاتمـة القـرن بموقف وليم ارنست هينـلى William Ernest Henley الذى يرتب (الفـن) عـادة ليناسـب الحيـاة، بدل ان يجعل الحياة تناسب أو تنسجم مع الفن كما كان شأن بكفورد • ولكن قبل بلوغ هينلى ، لا بد من المرور على محاولات عديدة فى عصر الملكة فكتوريا كلها تسعى لتحقيق مهارب مؤقتة الى (بقاع العفوية والحرية). أو الى اضفاء ظلال من الخيال والوهم على (واقع) فعلى بقصد جعله أكثر اشراقا ، بقصد الانسجام معه وقبوله بوصفه شيئا واقعا ومريحا فى آن واحد •

وهكذا فان القراءات الفكتورية لحكايات شهرزاد تعرب عن تأرجح وتذبذب واضحين بين مرأى الحكايات المغرى وبين الالتزامات الاخلاقيـة والاجتماعية المباشرة التى تفرضها الحياة فى ذلك العصر • ولعل (هذا التذبذب) يستحق تشخيصا نقديا دقيقا اذا أردنا تقصى أشكال القراءات المختلفة فى مرحلة غنية بالتناقض كما هى ثرية بالمعرفة والمال • وهكذا ففى (ذكريات من الحكايات العربية) للشاعر الانكليزى لورد الفرد تنسون Tennyson تبدو (مملكة) الفن منتصرة ، تسحر الشاعر الى بقاعها حيث وفرة الاستمتاع (الجمالى) بمعناه الفلسفى • واذا كان عدد كبير من فنانى العصر المذكور وكتابه قد عانوا كثيرا فى مقتبـل حياتهم فى مسألة الموقف من الحياة والفن ، فان حسم الأشكال فى معادلة واضحة كان عويصا • فالفنان فى سنوات التأسيس كان يحـرص على (تعزيز) قدراته وتحصين نفسه ضد ما يتصور من ضغوط وشدائد ، وهو لهذا السبب كان يرى فى (الانخراط) فى جوانب المسؤوليات الواقعية المباشرة تهديدا علنيا لأجوائه الطقوسية ودقائق امكاناته • ولم يستطع عدد كبير من فنانى العصر الخروج من هذه الأشكالية لحين اقدامهم أنفسهم على تحليل التجربة الذاتية ، وطرحها فى معادلات اتخذت صيغا قصائدية شعرية جميلة ، برزت بينها قصائد (تنسون) فى مرحلة نموه الشعرية الأولى • وكانت « ذكريات من الليالى العربية » واحدة من هذه ، على الرغم من أن ولع تنسون « ببساط الأمير حسين السحرى » للهروب من عالم رتيب تعيس لم يكن يمنعه من الاعتراف فى الوقت ذاته بأن

« أيام الجن الذهبية قد ولت الى الأبد » (٦٦) ، أى ان تنسون كان يدرك ان وطأة الحياة الفعلية تركت مجالا قليلا فقط للذهن البشرى لكى يجوب الخلاء فيه حرا مستمتعا متأملا ، كالذى يحصل أيام الطفولة أو فى عصور تغاير عصور العلم والمنطق والاغراق المادى والتى يعدها المفكرون والأدباء قاحلة بلا براءة أو طهر • وهكذا ، فبدل أن يبحث عن ملجأ نهائى حاسم فى عالم شهرزاد ، كان تنسون يجد السلوى فى (الاستذكار) ، متمتعا بذكريات بهجته الطفولية وهو يقرأ حكايات الحب والعدالة والأبهة •

وتهمنا قصيدة « ذكريات من الليالى العربية » فى هذا المجال لانها عبارة عن خلق شعرى جديد ، وبعث تصورى لاحلامه الشابة واستعداده الحاضر لترك خياله يجوب مؤقتا مملكة أخاذة فيها الجمال الرقيق والعواطف السمحة • ولم تفت هذه السمة معاصرى تنسون • فكتب ارثر هنرى هلم Arthur Henry Hallam عن القصيدة وفى معرض التعليق عليها ، معتبرا اياها (بعثا تصوريا) لتجربة ماضية واستحضارا ذاتيا لرؤى مريحة بقصد تطمين رغبات وحاجات قائمة • وبعد أن يعرب (هلم) عن شفقته على أولئك الذين لا تستدعى القصيدة فى أذهانهم « ذكرى متعة سابقة » ، أوضح مسرعا ان القصيدة التنسونية ليست واحدة من الكتابات المقلدة الدارجة آنذاك والتى تعتاش على (التقنية) الرومانسية الساذجة التى غالبا ما وفرتها الحكايات الشرقية :

ولكن يجب الا يتوقع احد جردا عـــدديا كبيرا
للوزراء والبرامكة وعبدة النار والقضاة ، والاشجار التى
تغنى ، والخيول الطائرة والغول آكلة حلوى الرز •

وبعد أن ركز (هلم) على « الفكرة التى تمنح التنوع وحدته » فى القصيدة ، بين كيف أن تنسون قدر « وبحكمة كبيرة على اختيار صديقنا القديم الخليفة الطيب الذكر هارون الرشيد بصفته محط اهتمامنـــا بوصفنا أطفالا » فى أثناء قراءة الحكايات • واذا كانت شخصية الخليفة هى عمود القصيدة الفقرى ، فان الشاعر وضعنا أيضا « وعلى الفور فى موقع الشعور » مستحضرا « احد مشاهد الحدائق المترفة ، والتى كان وصفها ، وبلغة نثرية دارجة ، يجعل أفواهنا تندى أمام ذكرى الشربت ، اذ كنا ولحسن الحظ آنذاك صغارا لم نفكر بزبيدة » (٦٧) •

لكن القصيدة معنية أكثر باستحضار الاحساسات الرقيقـــة التى

أوجدتها قراءة قصة « نور الدين والفارسية الحسناء » ، وهى قصة كان الخليفة يبدو فيها بوضوح راعيا للفنون وساندا لها ، ولعل هذا الواقع هو الذى جعـل تنسـون يعنى بمشهد له هذا السحر وذلك الاغـراء لدرجة ان الشيخ الوقور ابراهيم لم يقاومه فسقط فى حبائل المحرمات . فاعادة خلق أجواء القصة فى قصيدة لم تكن يسيرة لولا مقدرة تنسون المعروفة على تكثيف الاشارة والصور الملونة والكلمات الموحية حتى بدت صورة مقصورة الخليفة لجوها الساحر وكأنها مأخوذة من الحكايات . لكن الشاعر بلقطات صغيرة منحها الحركة ، فكانت رحلة النهر تقود الى المقصورة . أو كما قال ناقدها المعاصر آنذاك جون سترلنغ John Sterling أن « الشاعر لم يكن ليجهد نفسه من البحث عن موضوعـات وصور وتنويعات وأصول ، بل كان يكتب منطلقا من تصور حى لموضوعة قدمت له بغزارة المادة التى تناسب اذنه وخياله ـ ص ١١٥ » . وكانت النتيجة ـ كما يشير ناقد آخر من معاصريه هو آر . أج. هتن (R.H. Hutton) عبارة عن « قصيدة معبرة عن حس مترف بقاعة صور بهية متخيلة ـ ص ٣٥٣ » ! ولكن معاصرى تنسون وان تبينوا نسيج القصيدة الكيتسى ـ بحكم تأثر الشاعر بكيتس ـ لكنهم لم يبحثوا فى اشكالات تفضيلات تنسون الجمالية ـ الفلسفية . وفى الواقع ، عندما كان هـانت يقارن القصيدة بالحكاية الأصل ، وجد أنها تبالغ فى « الترف والوفرة المجردين» فى حين أن « الجانب الأحسن من مظاهر الشرق وجلاله » يعوزها كثيرا ، كما انها ناقصة فى « الكثرة البشرية المتنوعة لتلك المجموعة القصصية المدهشة ـ ص ١٣٢ » .

من الواضح اذن ان (عروض) القصيدة المعاصرة ـ أى التى عاصرت نشرها ـ لم تكن موفقة فى الالمام بسر القصيدة ، أى بذلك الهاجس الذى دفع تنسون الى الاهتمام بحكاية « نور الدين والفارسية الحسناء » دون غيرها . اذ من المعلوم أن هناك أكثر من حكاية يظهر فيها الخليفة أو الحسناوات فى حدائق ومناسبات جذلة ومثـيرة ! وكمـا اقترح النـاقد الأمريكى المعروف جيروم هاملتون بكلى Buckley ، تدعو هذه القصيدة المرء للبحث عن « تفسير رمزى » لها (٦٨) ، بصفتها تمثلا ذاتيا تصوريا لبعض شخوص الحكاية ذاتها ، واستحضارا ذاتيا أيضا لفعلها من خلال رحلة ليلية تهيؤية أيضا فى نهر دجلة باتجاه مقصورة الخليفة . وحالما يبلغ الراوى فى القصيدة البركة الهادئة المستوية والحـديقة المسحورة (المضاءة بالأنوار) والتى وصف الشاعر « على انها بقعة المسرات » كان قد « تأسس » فى ذلك المشهد المغرى والباعث على الحذر أيضا . أى انه

كمن يدخل مكانا طقوسيا ، وقعت عليه جملـــة شروط ، والتزامات وشعائر • فعندما ترجل عن القارب « كما في النوم ،

خار

على عشب ناعم بارد رقيق على الحافـــة

ذاهبا في غيبوبة في ذلك المكان والزمان » •

وفي تلك (الحالة الغائبة) وكأن قوى معينة تقوده و « عيناه غامثتان دون وعي » جاء الى مقصورة الخليفة • وهناك ، وفي غيبوبته أيضا ، كان « يحدق في الفتاة وحدها » ، وقد بدت له « أحلى فتيات الزمان » • والذي يهم ناقد الأدب ، أن الشاعر هنا لم يشر الى نور الدين ، اذ كما تشير القصة الأصلية ، كان جمال الفتاة وغناؤها المؤثر وعزفها على العود عوامل أبطلت غضب الخليفة وجعلته يغدق العطايا والهبات على الحبيبين • وعندما ندرس سر انجذاب الراوي أو المتحدث (أي الشاعر) في هذه القصيدة الى الفتاة ذاتها ، لا بد من الاستنتاج بأن الشاعر في مرحلة تأسيسه الفن تلك كان يرى في نجاحها فوزا جماليا فلسفيا لمعنى الفن ودوره • أي ان الشـــاعر أعاد خلق الحكاية بقصد ذلك الانتصار الجمالي في عالم الفن • فالرحلة الليلية كانت تقود الى الخليفة نفسه ، والــذي أبصره الراوي و « عينه العميقة تبتسم / بمرح الجلال الملوكي » مستمتعا بصحبة الفنانين ، الذين يمنحهم هباته • وفي ضوء ذلك ، لا بد للدارس من قبول استنتاج (بكلي) الدقيق ، والذي يرى أن مسير الرحلة الليلية « داخل ما يبدو موتا جزئيا يقود الى حياة أزلية أكثر روحانية وتهذيبا » يؤشر تلميحات واضحة ل « لمعنى جمالي » ذلك لأن « بغداد هرون بالنسبة للشاب تنسون » في رأي الناقد « هي أساسا مدينة الابداع الأزلي ، في دنيا واقع قائم بذاته يتجاوز كل حركة أو رغبة » •

...

وحتى اذا سلمنا ــ في ضوء هذا التفسير ــ أن قصيدة تنسون ليست مماثلة أو مطابقة تماما مع « الهروب » الفني في الأدب ، الا أنها تفضح ضربا من عدم الاقتناع بالحياة الاعتيادية ، وبحثا قلقا عن وطن مثالي • وأصبح هذا المزاج كثير التكرار في عدد من الأعمال الفكتورية التي تعلن نفسها واقعية في الرؤية والمزاج • اذ كان عدد كبير من كتاب العصر يعون المفارقة بين النوايا والنتائج ، بين الواقع والحلم ، وكان أن أصبحت رؤى النشار ووليمة البرمكي رموزا لاحباطاتهم وخيباتهم • ويذكر كوردن أن• رى Gordon N. Ray ــ على سبيل المثال ــ أن

ثاكرى « بعد ما فقد ثروته » وجد فى « قصة النشار وطبق معروضاته الزجاجية ·· رمزا لتاريخه الشخصى » (٦٩) · وفى روايته « سوق الغرور » أصبحت قراءة شخصـية الرئيس Dobbin من الحكايات وتصوراته عن وديان الجواهر رمزا ليس لهروبه من مدرســة انيقـة للمتنفذين يهزأ فيها بصفته ابن بقال فحسب ، بل لمثـاليته واحلامـه المستحيلة ـ فى عالم مادى متصنع · وكان أن نقلته هذه القراءات الى عالم فى الخيـال حيث سرعان ما يصبح صيادو الأسماك والاسكافيون تجارا أثرياء أو وزراء متنفذين ، حائزين على اعجاب أمـيرات جميلات ومغريات ·

والذى يستحق الانتباه أن فيلسوفا ككارلايل Carlyle فكر مليا فى الحكمة من اضفاء ضوء (رومانسى) على الواقع البغيض · وعلى الرغم من أنه لم يستمل تماما الى حكايات شهر زاد ، الا أنه عدها (خلقا خياليا) يمنح تحررا من الواقعى والعادى ·· وهكـذا ، فعندما كتب الى مســز أمرسون Emerson فى ٢١ شباط ١٨٤١ ، قال :

> انك متحمسة ، اخلقى ليالى عربية من أيام لندن الضبابية · ومن خيالك الانثوى الجميل صيغى قصـور نحاس براقة من ضـباب لندن ! ان هذا جميل منك · لا ، ليس سخيفا ، انه الحكمة (٧٠) ·

أى أن أرض الســعادة والاحلام التى صورتها الليالى اســتمرت فى إســتمالة عدد من الفكتوريين بعيدا عن واقــع نكد · وهكذا كان الأمر فى رواية Middlemarch لجورج اليوت · فكلا روزاموند ولوكيت فى الرواية لم يريا فى الزواج غير تجربة ممتعة · وقارنت الكاتبة تصوراتهما المثالية مع تلك الموجودة فى عالم الليالى البعيد :

> ان سعادة مثالية (من النوع المعروف فى الليالى العربية والذى تدعى فيه الى الخلاص من مشقة وضجيج الشارع لتكون فى جنة حيث يوفر لك كل شىء دون مقابل) بدت لهما أمرا مفروغا منه ينتظرانه لبضـعة أسابيع لا أكثر ولا أقل ـ الكتاب الرابع ، الفصل ٣٦ ·

أى أن عالم شهرزاد بوصفه رمزا للسعادة، يعنى أيضا شيئا مرغوبا وان كان عسير التحقيق ، أو معادلا للطفولة المفقودة والآمال المحبطة · وفى

هذا المجـال يمكن أن يبـــدو ديكنز Dickens ممثلا نمـوذجيا للقراءة الفكتورية لليالى ٠

فعنـدما كان صغيرا ، اعتاد ديكنز أن يمثل بعض أدوار شخوص الحكايات لكنه دأب باستمرار على تمثيل دور الخليفة هارون الرشيد ٠ وفى قصته المعنونة « شبح السيد بى » فى منزل الأشباح يخبرنا المتحدث أنه وأطفالا آخرين كانوا يمثلون مغامرات الخليفة ، حتى حل يوم صدمتهم أبانه واقعة ، وانهار عالم الخيال ذلك ، متحطما على صخرة الحياة البغيضة :

« بوركت يا عزيزى ! » قال الضـابط وهو يلتفت نحوى : « ابوك فى حالة سيئة » ! » ٠ تساءلت بقلب يخفق من الخوف : « هل هو مريض حقا ؟ » ٠

« يا حملى الوديع ، ليخفف الرب من هول الريح » قال الطيب مسرور وهو يركع على الأرض لكى يجد رأسى متكأ مريحا على كتفه :

« مات ابوك »

وهرع هارون الرشيد راكضـا عند سماع هذه الكلمـات ، واختفى القصر ٠ ومنذ تلك اللحظـة لم أر مطلقا أية واحدة من بنات الانسان الثمان الجميلات ٠

وأخذت الى المنزل ،وهناك كان الدين وكان الموت ، وكان كل شىء معروضا للبيع (٧١) ٠

وذكر ديكنز فى القصة نفسها (ص ٢٣٤) وهو يشير الى سجن أبيه بسبب الديون المترتبة عليه ، أنه الو قارن تعاسته التالية بأحلام طفولته لأصبح « مشغول الذهن تماما ، وفكرت باغراق نفسى فى تلك البركة العكرة قرب ساحة اللعب » ٠

لكن ديكنز ــ ولكى يتخلص من نهـاية انتحارية كهذه ــ قـرر شأن ممثليه فى قصصه من شاكلة سوفلر وتوم بنج أن ينسجم مع عالم الخيال ــ لكنه على شاكلة سوفلر أيضا لم يدع نفسه أسيرا للخيال راضخا له تماما وهكذا ، فلكى لا ينساق الى الاحباط والالم والتذمر ، قرر أن يضيف مسحة من الخيال على رؤيته الواقعية ، واجدا جراء ذلك مزيجا مدهشا من عالمين : عالم الخيال المرغوب والواقع النكد ٠

وانتبه نقاد ديكنز الى ذلك ، فيقول جورج كسنغ George Gissing في كتابه شارلز ديكنز : دراسة نقدية (لندن : ١٩٠٤ ، ص ٢٩ ـ ٣٠) ، أن ديكنز :

> وضع روح الليالى العربية فى صوره الحياتيـة حيث نهر التايمز .. انه بحث عن العجيب الغريب فى وسط الحياة النكدة الموحشة في الشوارع الاعتيادية . وقد يكون عقله قد شجع فى هذا الاتجاه وهـــو يلتقى بالحكايات الشرقية ، فكان أن عب منها بالتناوب مـع ذلك الزاد الأكثر متانة من رواية القرن الثامن عشر » .

ان هذه القدرة التصورية والتى أذكتها وألهبتها قراءاته للحكايات هى التى أصبحت طلسمانا يحفظ شرف شخوصه ويقيهم شر المخاطر فى ظروف غير ملائمة . ومن المؤكد ان هذه المقدرة هى التى ساعدت بطلة (ديفد كوبرفيلد) يفوز بثقة ستيرفورث واسناده بعدما قام ديفد بلعب دور شهرزاد فى كل ليلة . وهذه هى المقدرة ذاتها التى مكنت ريشارد سوفلر فى مخزن المعروضات القديمة من تحمل مكابد الحياة وتحويلهـا تصوريا (خياليا) الى ظروف مقبولة ـ وهكذا ، فبعدما أفاق من حمى مرتفعة أبقته فى غيبوبة طويلة ، أضفى سوفلر على الواقع مسحة من الخيال مستعينا فى ذلك بذكريات قراءاته فى حكايات شهرزاد وهو يضفى تلك المسحة الرومانسية الجميلة الى ذلك المشهد مع الماركيزة الصغيرة ، كما أسماها (الفصل ٦٤) ـ وهذه القراءة نفســـها هى التى مكنت شخصية أخرى هى سزى جوب فى أيام صعبة (الكتاب الأول ، الفصل التاسع) من أن ترى أن أباها بقى طيب القلب جراء قراءاته لقصص شهرزاد على الرغم من ظروفه الصعبة التى كان يستعين بالخمر عليها ، لكى تفعل الأخيرة فعلها فيه على غـير ما يتوقع . كمـا أن ذكريات وتصـورات الطفولة عن على بابا وبدر الدين حسن هى التى أعادت الى سكروج فى قصص عيد الميلاد ذلك التسامح والانفتاح اللذين فقدهما عندما صار همه البحث عن الثـراء . وفى رواية أخــرى لديكنز هى مارتن شازلفت Martin Chuzzlewit كان بطله (توم بنچ) يمرح فى هذه المزاوجة بين الخيالى والواقعى . فكلما كان يشعر بضرورة الهروب المؤقت من ضغوط Pecksniff ـ كان عليه « أن يمسح ويحك المصباح العجيب الذى فى داخله » مستدعيا جنية السرد القصصى لتبهجه ببعض مشـــاهد المرح والحبور ـ الفصل الخامس » .

واتجاه ديكنز لم يكن حالة شاذة ، كما أشـــير من قبل • ففى العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر كان وليم أرنست هنــلى يبصر (الجانب الرومانسى) من الحياة أيضا ، جاعلا منه براقا نشطا وهــو يفض عليه من ذكرياته من الليالى الكثير ، فهنلى لا يبغض الواقع أو الحياة ، بل انه يتميز بحب عاصف لهما ، ولكى يكون الواقع مقبولا (شعريا) سلط عليه رؤاه الملونة من عوالم شهرزاد فى نسيج رقيق اسماه « ليالى السمر العربية » • وبدل أن يتحدث عن حنين مهوس لمكـــان وزمان بعيدين ، كان الشاعر يفصح عن بهجة قلبية كبيرة وهو يسترجع كيف كان يتمثل شخوص الحكايات :

كنت ــ وكم من المرات !! ــ
الدرويش الثانى ، ابن الملك
ذلك الذى ألزم بصرامة
أن يقف أمام باب غامض معين
وألا يتطفل أكثر فيتقرب ، بل أن
يقنع نفسه بالأربعين العطوفة •
لكنى وبحكم ذلك القدر الذى لا مرد له
وبحكم اهمالى ، لم أقدر على الصمود •
وكان أن أعطانى ذلك الحصان الأسود
ظهره ، ذلك الحصان الذى طعامه السمسم
(هذه الكلمة صانعة العجائب !)
وأطلق جناحيه ،
وذهب محلقا ،
محلقا أعلى فأعلى ،
من سماء الى أخرى
حتى جاء متوجها الى الأرض ،
عموديا ، كقبرة قادمة من غيوم
منتصف الصيف •
وبعد ان قذف بى خارج السرج
حيث انبطحت ، نقرنى بذيله

تاركا اياى بصيرا ، تعيسا ، مذهولا

وهكذا ، فبدل أن ينسحب الشاعر متراجعا الى بقعة مثالية للسعادة ، أبدى تمتعا صحيا بكل ما يقدمه (الكتاب) بصفته مؤلفا لا بقعة مسحورة ، من مخاطر واحساسات عذبة ومشاهد ممتعة • وكل هذه تمثلها الشاعر وعبر عنها بتكثيف فى انطباعات محسوبة ودقة كلامية مدروسة • ويحكى هنلى كيف أنه وهو يقرأ الليالى العربية ، تحولت مدينته (كلوستر) فى خياله الى بغداد باسكافييها ودراويشها وسحرتها وشطارها ، وكيف أن بعض المشاهد من الحكايات امتزجت مع صور الحياة الفعلية :

كما ان الكتاب ينعكس على الحياة
كما فى مرآة عتيقة غريبة
مختلطة الزوايا ••
كذلك الحياة تشع ثانية على الكتاب
وكلاهما يتغيران •

وبكلمة أخرى ، لم يكن (هنلى) ممن يبحث عن مهارب ومخارج . وهو يقرن بديكنز لحب الأخير وشغفه بالحياة ، وهكذا فان القصيدة ، وان حملت اصداء من الحكايات ، لكنها اصداء متداخلة مع هذا الشغف ، مؤكدة فى النتيجة تلك الحقيقة المعروفة عن هذا الشاعر الحيوى الدؤوب ، حقيقة ميله النشط للمشاركة فى الحياة حواليه • ولهذا السبب لم ينته شغفه بالليالى فى مرحلة نضجه أو كبره ، بل استمر ينهل منها الحبور والتسلية والراحة •

هكذا الشرق يضحك ويهمس ،
والحكاية
تعيد سرد نفسها ، جديدة
فى ضوء الحياة الشاقة التى نحيا
فتستعير الألوان ، وتعدها كزى الحياة التى تعيش وتسعى
والرومانس
الرفيق الملاك ، يمطرنا
بآثاره الذهبية على كل ما رأيت وحلمت

وفعلت ، سار معى ذراعا فى ذراع
أو متخليا عنى كمن مغطى بالقش
وقطع الزجاج ، ليطرب قلبى
للذى عنده القدرة على البحث والشعور
وايجاد حضوره القلبى المتقد فى كل مكان •

وفى هذا التداخل الدقيق بين (الرومانسى) والواقعى كان هنلى مكملا لمريدث Meredith فالأخير كان مشهودا له بمعرفة وثيقة بالليالى ، وهو الذى أمعن فى تفحص خصائص الأسلوب والطباع فى الحكايات ، حتى أصبح قادرا أكثر من غيره على بلوغ جوهر فن شهرزاد • وكان المزيج الذى ظهر على شكل نتاجات مرديثية عبارة عن جمع بين اهتمامـــه فى سايكولوجية السلوك البشرى وبين ظلال الخيال الرفيع التى جاءت بها شهرزاد •

وحيث ان طريقة Meredith هذه قد جعلته سباقا فى (الكتابة الاستشراقية) فلا بد لنا اذن من التوقف قليلا عند نموذجين من كتابته ، أولهما قصيدة قصيرة بعنوان (شمس النهار) وهى التى تعلن اهتمامات مريدث بالسلوك البشرى ، والثانية حلاقة شاغبات التى تعد ضربا من التفنن فى الفكاهة • وكلاهما يعتمدان فى بعض جـــوانبهما على طرائق واجتهادات شهرزادية •

ظهرت (شمس النهار) فى عام ١٨٦٢ واعتمد فيها مريدث عـلى قصـة محظية الخليفة وعشيقها على البكار ، لكن مريدث ـ وبحكم ولعه بسايكولوجية السلوك ، وهو ولع اشتد فى تلك الاثناء فى ضوء المكتشفات العلمية والفسلجية المختلفة ـ ركز على سمات التوتر والرعب التى ترافق قضية حب مكتوب لها الاخفاق ، وكان لا بد ان تنتهى بعذاب رومانسى وموت ، وهكذا كان الشاعر مهتما بشمس النهار ، وهى موزعـــة بين عاطفة قوية للحبيب ، وبين شعور بالوفاء للخليفة الكريم • وحيث ان لقاء الحبيب والزواج منه لا ينهى عذابها ، فانها كانت تتمنى لو كـان بمقدورها أن تدفع الخليفة للحقد عليها • ذلك لأن هذا الكره وحده هو الذى يمكن ان يحررها ذاتيا من ذلك الحس بالامتنان للخليفة بسبب تعامله معها •

نعم ، اتمنى لو كان أقل كرما ، لو يضطهدنى
لو يقيدنى ، يعنفنى ، يوسمنى بالعار

بغضا .
بدل ان يزين عبوديتي ويستهزأ بمصيري الغريب بقناع
الحرية والتألق هذا ،
آه يا حبيبي ، لو كان يعلم
ويمنع
قدومك
ليكسب لعنة شمس النهار ! (٧٢) .

أما في حلاقة شاغبات فان مريدث كان يلجأ الى الأجواء والصور الشرقية المأخوذة من الليالي في الغالب لكي يوجد (مسافة جمالية) يبصر من خلالها مساوىء عصره كالمادية والاستغلال والدنيوية والانانية والرياء ـ ففي هذه الرواية ، يتعرض الحلاق (شبلي بكاراك) الى سلسلة من المخاطر والمغريات ، يخرج منها متعبا ولكن أكثر حكمة ، عارفا بمساوىء غروره وصلفه السالف ـ وهذا الفهم لا يكفي حسب نظرية مريدث ان لم يشفع بالحب : وكان ان حصل شبلي على حب ومشورة امرأة عاقلة ، الأمر الذى اتاح له رمزا ان يحلق (شاغبات) وان يقطع ذلك (الشعر المسحور) الذى كان رمز التخلف والعبودية والاستغلال ، وهكذا ، فعندما يقرأ بوصفه قصة رمزية ، يمثل تاريخ (شبلي) روح الاصلاح التي ظهرت آنذاك ، والتي كان مريدث يؤمن بقدرتها على تدمير الكيان الاجتماعي المزيف ، أي القائم على مسلمات وافتراضات وتصورات متوارثة .

لكن تقليد (مريدث) الدقيق لروح الليالي الخفيفة وألوانها الغزيرة ويسر أسلوبها يجعل من الصعب ان نبحث عن (وعظية علنية) أو عن (اجتهادات فلسفية) ـ ومن المؤكد فان هناك الكثير من المعاني العميقة لمن يبحث عنها كما لاحظت معاصرته (جورج اليوت) بذكاء ، ولكن « بالنسبة لاولئك الناس الميالين الى التمتع بما يقرأون ، لا على البرهنة على فطنتهم ، فان حلاقة شاغبات هي ألف ليلة وليلتان والتي ربما كانوا يحنون اليها في طفولتهم » (٧٣) .

وكان معاصرو مريدث الآخرون قد قرأوا شاغبات على انها وريثة لليالي ، ذلك انها من حيث « حيوية الصور ، وهوج الحدث المنظرى ، والفكاهة المهمة والحكمة المأثورة ، عبارة عن ليال عربية جديدة » (٧٤) .

وفي الواقع ، كان الناقد ادموند كوز Edmund Gosse قد تأثر بقصة مريدث حتى انه رأى ان الحكايات الشرقية الأصلية « تبدو باهتة » عندما توضع بجوار قصة الروائي ، ذلك لأن « تنوعاتها من المشاهد والصور ، ونمو عقدتها الذى لا يكل والتحول المشكالى لألوانها المنسجمة) كلها تبدو قادمة (من جوهر العربية ، منفلتة مباشرة خارج قنينة جني » (٧٥) ٠

ومثل هذا الاطراء ليس كثيرا على مريدث ولا سيما أن روايته تبقى متميزة بين عدد كبير من الأعمال التى قلدت الحكاية الشرقية أو التى أفادت منها ، فالذى اضافه مريدث هو انه عرف بامكانية اعادة خلق حكايات شهرزاد وذلك بطريقة التركيز على ابعاد التشخيص الداخلي والأفكار بدل اعتماد الطرائق السائدة من قبل والمعنية باشارات الى الليالى أو بأوصاف شرقية يراد منها بعث بعض الاجواء أو تأكيد الأثر الدرامي وتعزيزه فى بعض المواقف الروائية ٠

واذا كان الراوية الشرقى معنيا بخيط السرد القصصى الباهت ، فان مريدث اراد أن يبعث بعض (أدوات) شهرزاد قبل أن تضيع فى طى النسيان أو الاهمال ٠

وأهمية فعل مريدث ، أى بعثه لمثل هذه الادوات ومنحها قدرات جديدة ، يمكن أن تتأكد اذا ما لوحظت ضمن اتجاهين واضحين في الكتابات الابداعية أو النقدية ٠

فعمله يتوافق أولا مع التأكيد المتزايد على تعزيز الحكايات بالرسوم وترويدها بالهوامش ، وهكذا كانت تأكيدات مريدث على شخصية شمس النهار وبعثه واستحضاره لمشاهد وأفكار شرقية فى حلاقة شاغبات تدخل ضمن اتجاه رصين لتمتين الآداب الشرقية وترصين طابعها ، بعدما كادت تتحول الى (هوامش) سهلة لثقافة مختلفة ٠ كما ان شكل العناية المذكورة وقد درس فى ضوء نزعة تحقيق نصوص الحكايات كان يتوافق مع اشتداد النزعة (الواقعية) فى الثقافة فى منتصف القرن التاسع عشر ٠

أما من حيث الابداع فان مريدث أوجد نبرة جديدة لا يستطيع اغفالها من يأتى خلفه ــ أى انه قاد الى ذلك الاتجاه الواضح فى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر للافادة من (تقنية) شهرزاد فى تأسيس أو بناء عوالم خاصة أو اجواء مناسبة وهكذا قام عدد كبير من الكتاب ، أمثال ستيفنسون Stevenson وييتس Yeats وسدنى كرندي Grundy واف ٠ انستي Anstey بالاستزادة من الحكايات فى مضامين وتفاصيل معينة ٠

لكن شارلوت برونتي كانت أسبق من مريدث في الافادة الجزئيـة من الحكايات في بناء (عوالم ذاتية) شأن تلك السيرة الذاتية المبطنة في Jane Eyre (١٨٤٧) فكلاهما ، مريدث وشارلوت برونتي رسما بطلتيها في ضوء شخوص الليالي ، لا سيما السلطانة شهرزاد • فبعد ان قرأت الحكايات ، وجدت Jane نفسها وقد تعرفت ليس على فكرة السحر وحدها ، كما ذهبت الناقدة السيدة Leavis بل على تجربة شهرزاد الضخمة في تحويل السلطان السادى الحاقد والعصـــابي الى شخص أليف وديع (٧٦) ومن يتمعن في خطة Jane يرى انها خطة شهرزاد ، لكنها مركزتها وكثفتها كثيرا لتكون محكمة في مواجهة تهزئة روجستر وكبريائه • فكلما كان يدعوها الى حضرته ، كانت Jane « تعد شاغلا له » • فتحكي له قصة ، أو تعرض عليه صورة ، أو تطلب منه الغناء ، تضاف الى ذلك ، حقيقة ان الثناء الذى أعلنه شهريار في الختام بحق شهرزاد وهو يصفها بانها « محررة ومنقذة لعديد من النساء » كان في ذهن جين وهي تخبر روجستر بانها ستحرك ثورة في قصره وتحرر الحريم (الفصل ٢٤ ، ص ٢٩٧) وفي كافة هذه المشاهد كانت جين مصرة على « دغدغة غروره الحساس ، القابل للتأثر » مسترضية اياه بفكاهتها اللعوبة مرة أو برضوخها الساخرة مرة أخرى ، حتى خلص من عجرفته السلطانية •

ومثل هذه المقارنة قد لا تؤخذ على اساس كونها فعلا مقصودا من قبل شارلوت برونتي لولا ان روجستر نفسه يمتلك بعض مواصـفات شهريار وهارون الرشيد • وحسب ما تقوله كاتبة سيرة حياة برونتي الكاتبة Winifred Gerin فان اسلاف روجستر عند الروائية ليسوا عديدين : اذ يوجد Zamorona فقط ، ذلك البطل المثالي في قصصها الأولى المسماة Angrian Saga ، وكان هذا البطل قد اقتلع علنا من الليالي العربية (٧٧) • فبالاضافة الى نشاطاته الشهوانية وخلقه المتعجرف وذهنه المشغول باستمرار ورغبته في التجوال متنكرا وامتلاكه لحصان اسمه مسرور ، فان روجستر كثير الشك في النساء شأن شهريار • كما انهما يجذبان الشابات اللواتي يستعملن ذكاءهن للفوز باعجابهما وحبهما • وهكذا ظهر روجستر في المشهد الختامي كشهريار ، وديعا وأليفا بعدما تمكنت منه شابة ذكية • وكان شهريار قد انهى القصص بقوله : « انى استقبلك في قصرى سيدة كاملة الحقوق واريد ان ينظر اليك على انك محررة لعديد من النساء اللواتي كنت قد قررت التضحية بهن » (٧٨) • وبنفس مشابه كان روجستر يعترف بتغيير مماثل تحت تأثير جين :

لم التق بمثلك يا جين ، فأنت تسرينى وتتمكنين منى ٠٠ انى الآن مدحور وخاضع لتأثيرك ٠ لكن هذا التأثير هو احلى مما استطيع ان اعبر عنه ، والاندحار الذى تعرضت اليه فيه من اللذة الساحرة ما يتجاوز اى نصر استطيع تحقيقه ٠

(الفصل ٢٤ ، ٢٨٩) ٠

ومثل هذا الاستعمال لبعض الانماط المضمونية فى الحكايات بقصد طرح تطلعات ورغبات ذاتية تكرر فى كتابات عديدة ٠ اذ كان عدد من الكتاب من امثال ستيفنسن وييتس غير معنيين بالمعلومات الجغرافية او البشرية (الانثروبولوجية) لبناء رؤية شبه رومانسية للشرق ، بل كانوا اصحاب تجارب ذاتية ، حيث ميلهم الغالب كان نحو الانزواء فى (تجارب جمالية) ٠٠ غير فعلية ٠٠ ملؤها الأخيلة المغرية والمخاطرات المثيرة ٠

وهكذا لم يكن وليم بتلر ييتس فى (عطية هارون الرشيد) معنيا ـ على سبيل المثال ـ برسم صورة بهية للشرق ٠ كما أنه لم يكن مولعا فحسب باستخدام قصة من قصص شهرزاد كوسيلة لتقديم أفكاره ٠ لكنه فى هذه القصيدة تغلغل وغاص فى أساطير شهرزاد الثرية لكى يشيد تجربة شخصية على درجة عالية من الدقة الجمالية ٠ وهكذا ، فعلى الرغم من أن المتحدث فى القصيدة كان شديد التشكيك بمزاج الخليفة السوداوى ونزعة ذهنه الاستبدادية ، فان الخليفة بقى يعنى له كيانا مقدسا ، عطيته (انثى فى هذه القصيدة) يجب ان تقبل بامتنان ، لأنها تجلب لصاحبها الحظ والراحة والالهام ٠

والقصيدة فيها الكثير من سيرة حياة ييتس ٠ ومن الواضح ان ييتس انسحب الى عالم شهرزاد لايجاد مسافة جمالية تتيح له التعبير عن تجربته الشخصية ٠ وعلى الرغم من بعض الاختلاف بين هذه التجربة وتجارب روبرت لويس ستيفنسن ، لكن الليالى العربية الجديدة التى كتبها الأخير عام ١٨٨٢ تطرح محاولة مماثلة لتشييد (عالم جمالى) من المغامرات المغرية التى تتيح للكاتب مهربا من التوتر الشخصى والمشاغل ٠ وفى الواقع لاحظ الباحث المحدث دونالدديفيد ستون Stone بعض الأهمية فى اصطناع ستيفنسن لهذا العنوان :

فى مثل حالة ستيفنسن ـ بوصفه عاجزا تتملكه احلام رومانسية فى الحرية ٠٠ كان مناسبا جدا ان

يصطنع مثل هذا العنوان ، لا سيما ان حكايات شهرزاد الأصلية سردت من قبلها على انها وسيلة لتأجيل التهديد المستمر بالموت (٧٩) ٠

ومنـذ تلك الليلة السعيدة وهو يقرأ الحكايات فى تلك النسخة « السميكة المزدوجة الاعمدة » استمر ستيفنسن فى استحصال المتعة والراحة من هذه المغامرات المثيرة والتى كان لها فعلها بوصفها « مضادا » للألم (٨٠) ٠ وعندما كان يقرأ الحكايات ، اعتاد الكاتب على الغوص ذاتيا فى مخاطراتها ، جاعلا من نفسه واحدا من شخوصها ، متلبسا ادوارهم ومصاحبا اياهم خياليا ، مصاحبا « الخليفة والخدوم جعفر » (٨١) ٠ وعندما كان يتدارس بينه وبين نفسه قوة هذه الكتابات المخدرة وقدرتها على تهدئة ذهنه ، رأى ستيفنسون فى سرد شهـرزاد القصصى أكثر أشكال الكتابة الروائية جذبا ٠ وهكذا ، قام ستيفنسن بتقليد طريقة السرد الشفافة تلك وكيف مغامرات الرشيد الى اجواء انكلترا فى ذلك القرن : فظهرت حكاياته لا لكى تعيش على شهرة الحكايات العربية الأصلية فحسب ، بل ولكى تكون له ذاتيا مخرجا ابداعيا امام جـور مشاعره وقلق وجدانه وتوتر عواطفه ٠ ومن المجدى فى هذا المجال العودة الى ما قالته مجلة Westminster Review لشهر كانون الثانى ١٨٨٣ (العدد ١١٩ ، ص ١٣٨) وهى تنتقد ستيفنسن لاصطناعه الموضوعة الشرقية وأساليب البناء التقنى لطرح أخيلة ورؤى ذاتية ٠ وكانت المجلة فى هذا الموقف أمينة لاتجاهها القديم ، وهى تعرض لكتابات استشراقية أخرى (لاحظ مثلا العدد ٦٩ ، ترقيم جديد ، ١٣ ، ١٨٥٨ ، ٢٩١ ـ ٢٩٣) ٠ لكنها هذه المرة رأت ستيفنسن قد بالغ فى منح قصصه اسم الليالى :

ان حكايات السيد ستيفنسن هى عربية الاسـم حسب ٠٠ اذ ان الانتحارات والسرقات والاغتيالات التى تكون موضوعها ترتكب فى أزماننا ، وليس أبعد من لندن أو باريس ، كما ان أسلوبى المعالجـة والتلوين حديثان وواقعيان بشكل رئيس ٠

واستخلص محرر المجلة المرموقة ان حكايات الكاتب المذكور « تشبه شبها شديدا تماما قصص الاثارة الرخيصة ، العادية ٠٠ بحيث لا يمكن ان تعد وريثة شرعية لليالى العربية » ٠

لكن هذا النقد لا يعني بالضرورة غياب ظروف ملائمة تشجع هذا النمط من الكتابات المقلدة • ففي الحقيقة ، كانت حكايات ستيفنسن تستجيب لميول وطلبات طائفة كبيرة من جمهور القراء ، وهو جمهور كان آنذاك يبحث عن مخرج من التوترات الشخصية والضغوط الاجتماعية في كتابات ذات طبيعة مخاطرة اخاذة أو هزلية مضحكة • ولكن وفي حدود هذا الجرد النقدي ـ التاريخي تجدر الاشارة الى أن هذا الولع يتجاوب آنذاك أيضا مع تجدد (الاهتمام النقدي) ب (الرومانس) في تمييزه عن القصة الواقعية •

وبالاضافة الى قصص ستيفنسن كانت هناك اعمال مقلدة أخرى تؤكد مثل هذا الانبعاث ، ولتعدد هذه يمكن أن نحصرها بمثالين ، أولهما ما كتبه سدني كرندي بعنوان الليالي العربية (١٨٨٧) وثانيهما ما كتبه أف • أنستي بعنوان ابريق النحاس (١٩٠٠) •

وهذان العملان المسرحيان كبيرا الأهمية في مثل هذه الدراسة ، لا لأنهما يختتمان ولع هذا « القرن الرصين » بالحكايات العربية فحسب ، ولكن لأنهما أيضا ينبهان الى طبيعة التغير الحاصل في ذهنية الكاتب الانكليزي آنذاك •

و (ملهاة) سدني كرندي المذكورة مبهجة ومسرة بسبب معرفة كاتبها الضليعة من الاشكالات الفكاهية المترتبة على المفارقات والمواقف غير المنسجمة أو المنطقية • لقد كان بطله (أو بالاحرى) ممثله مستوعبا للحكايات الشهرزادية استيعابا فكريا وكان ان سهل عليه ذلك تقمص دور الرشيد في مغامراته الليلية • لكن المفارقات التي كانت تحصل والتعقيدات التي تترتب جراء هذا الدور هي التي تبعث على الفكاهة والضحك • ولم يكن عمل Anstey المسرحي أقل اثارة • فقد أفادمن ألاعيب شهرزاد ليبرز مشاهد موفقة في اثارة الفكاهة • وحيث لم يعد بالامكان الاطمئنان الى (سذاجة) المستمع والمشاهد ولتوفر الأخيرين في تلك المرحلة على العلوم والمعلومات ، لم يعول Anstey كثيرا على العنصر الخارق مباشرة • فحول جني المصباح السحري الى ممثل كوميدي يفرض على الآخرين اداء أكثر المخاطر والمغامرات تسلية ومتعة ، أي ان العنصر الذي كان يبعث الرهبة والخوف في نفوس الرومانسيين الأوائل تحول على ايديه الى مادة للتسلية والارتياح الفكاهي •

وعلى الرغم من اختلاف سبل المعالجة بين مرحلة وأخرى ، لكن هذه الكتابات (الكوميدية) في خاتمة القرن كانت تبنى أيضا على اتجاه قائم

من قبل يعتمد تكييف واعداد حكايات شهر زاد للمسرح • وبالاضافة الى كونها مصدرا رئيسيا فى تزويد المسرح بالمشجيات (الميلودراما) المعبرة فى النصف الأول من القرن ، فان الحكايات قدمت الى كتاب الايماء (Pantomime) والسخرية الكثير من المواقف والاجواء والعقد والتى حولوها الى صفعات ساخرة موجهة ضد (التقاليد المشجاوية) والنمطية المسرحية ، فى حين أن آخرين منهم حولوا هذه الى مزيج من (الخيالية) و (الواقعية المتطرفة) حيث التعامل المتطرف مع القضايا المنزلية ... الخ •

وهكذا كان أى• جى ـ بايرون يقدم مسرحيته على بابا و ٣٩ لصا فى عام ١٨٦٣ ، ويدع (نذل) مسرحيته يحكى فنونه وقدراته ، حيث يوصى الآخرين بأن أحسن أساليب السرقة والاحتيال فى هذا العصر تتلخص فى تقمص « أسلوب حديث » وارتداء ملابس أنيقة ، وانشاء شركات مساهمة مزيفة وسرقة الأرامل (٨٢) • وحيث ان هذه الكتابات الساخرة والايمائية كانت تبغى راحة ومتعة جماهير الطبقات الوسطى المتزايدة بعد التوسع المدنى ، فانها حققت نجاحا كبيرا وهى تسخر من الطبقة الرأسمالية المتنامية فى الوقت نفسه الذى تغذى فيه ذلك الملهاث وراء المتعة والفكاهة السريعتين •

ولكن عندما يتابع المرء سيرة قراءات جمهور هذا القرن وكتابه وحجم افاداتهم وتنوع طرائقهم لا بد أن يشعر بأن هذا العصر لم يخل من مفارقة ساخرة ، كسخرية القدر من البشر فى بعض الأحيان ، اذ على الرغم من رواجها المستمر وجذبها الغريب للذهن الرومانسى طيلة العصر ، لم تبق الليالى بمنأى من الميل العاصف والمتزايد لتسخيف كل الأشياء والسخرية منها • ولم تقدر قوى شهرزاد الطلسمانية وتعاويذها ان تمنع ساخرا كـ (J. R. Planche) من ان ينقب فى خزائنها من أجل ان يبرهن على أن ثمة هزلا يمكن أن يوجد تحت « العمامة » الشرقية (٨٣) وهكذا ، ففى مشجاتة الصياد والجنى بالغ بلانج فى تطاوله حتى صور السلطان جالسا فى المطبخ ، وعلى رأسه قلنسوة النوم •

لكن هذه المشجاة لا تشذ عن غيرها من النتاجات التى طرحت ذوق الطبقات الوسيطة الردىء وعاديتها ، وكان أن تصدى لها معجبو شهرزاد من الرومانسيين الذين لم يخضعوا لمواصفات الحياة السائدة آنذاك والباحثة عن المتعة السهلة والنكتة الفجة والتعاملات اليومية • فكان أن كتب محرر مجلة Illustrated London News ــ وهو يرقب بانزعاج هذا

الاستخدام اللعوب لأساطير شهرزاد ـ تعليقـا يصلح أن يكون خاتمـة لهذا الفصل :

لسنا متأكدين عما اذا لم تكن مشـــاعر الاحترام التى نكنها لليالى السمر العربية قد عكرت بدرجة ما ونحن نجد أن أساطيرها قد حولت الى مشاج ٠ ذلك لأننا آمنا بهذه الى أقصى الحدود ، وغالبا ما تعاملنا مع النسخة برهبة ، ونحن نطرق مليا متابعين أفعال الجن والغول والسحرة الأفارقة ، والذين وضعنا فيهم ثقتنا وايماننا كاملين ، حتى تجنبنا تمـــاما تسميات السيد (لين) غير المريحة ، وان كانت صحيحة دون شك ، لأنها غيرت تماما اصدقاءنا الخلفاء والوزراء جميعا (٨٤)

هوامش الفصل الثاني :

(١) ظهرت هذه القصيدة فى مجلة Century Illustrated Magazine العـدد ٨٧ (سلسلة جديدة رقم ٦٥ ، ١٩١٣) ٠ والقصيدة ، كما هو واضح ، تعتمد (الانطباعات) الشعبية والدارجة عن الشرق العربى ، والتى تقرن عادة بتلك القراءات الأولى لألف ليلة وليلة ، وهى قراءات مدفوعة بحب الغريب ، حيث الغامض والخطير والملون ، هو فى واقعه تعويض أوجدته الحكايات ، دون أن يسعى القارىء الاعتيادى الى تهديمه بالتساؤل والتفحص والبحث عن الحقيقة ٠

(٢) حول هذا الموضوع ، راجع والاس كيبل براون فى مقالته (شعبية كتب الأسفار الانكليزية ٠٠) ، ص ٧٤ ، هامش ١٨ ٠

(٣) جاء التعليق فى معرض دراسة لترجمة ادوارد وليم لين لألف ليلة وليلة فى العدد ٥٧٢ (تشرين أول ، ١٣ ، ١٨٣٨) ، ص ٧٣٧ ٠

(٤) الاقتباس مأخوذ من مقالته (ما الذى يقدمه لنا الأدب الانكليزى) فى نسخة ٠
Alexander Ireland's Book Lover's Enchiridion : Thoughts on the Solace and Companionship of Books (London : Simpkin, Marshall, 1833), p. 287.

(٥) ظهرت مقالة Bagehot المعنونة (أناس ألف ليـــلة وليلة) فى مجلتــه National Review العدد التاسع (تموز ١٨٥٩) ، ٤٤ ـ ٧١ ٠ انى مدين فى التعرف على كاتب هذه المقالة الى محررى the Wellesley Index to Victorian Periodicals المجـــلد الثالث ، المادة رقم ١٥٤ ٠

ولتكرر هذه المقالة فى مجال البحث الحالى ، سيتم اختصارها كما يلى NR ، وتؤشر فى نهاية كل اقتباس أو تنصيص أو تنويه مع أرقام الصفحات ذات العلاقة ٠ أما بالنسبة لـ James Mew فقد ظهرت مقالته عن (الليالى العربية) فى مجلة Cornhill العدد ٣٢ (كانون الأول ١٨٧٥) ، ٧١٣ ـ ٧١٤ ، ٧٢٥ ٠ وفى التعرف على كاتب المقالة أعلاه انى مدين أيضا الى Wellesley Index ، المجلد الأول ، المادة رقم ١٤٨٣ ٠

(٦) (نسخة لين من الليالى العربية) ، ترقيم جديد ٨ (١٨٤٠) ، ص ٦٤٤ ٠

(٧) مقالة Cyrus Redding في مجلة New Monthly Magazine (حزيران ١٨٤٤) ص ١٥٠ •

وبالنسبة للاشارة الى Thomas Wainewright تقرأ مقالته بعنوان (معرض الاكاديمية الملكية) والمعاد نشرها في London Magazine في مجموعة مقالاته ونقده ، جمع وتحقيق W. C. Hazlitt (منشورات London : Reeves 1880 (ص ١٤٠) •

(٨) (سلسلة جديدة من ليالى السمر العربية) المنشورة في مجلة New Monthly Magazine العدد ١٦ (سلسلة ٢ ، ١٨٢٦) I ص ٣٣٦ — ٣٣٧ • بالنسبة للمؤلف ، راجع Wellesley Index ، المجلد ٣ ، المادة رقم ٨٩٤ •

(٩) يلاحظ بهذا الصدد كتاب Edith J. Morley المعنون Life and Times of Henry Crabb Robinson الصادر عن دار J. M. Dent اللندنية ، عام ١٩٣٥ ، ص ١٤٤ •

(١٠) الاقتباس عن كتاب Leigh Hunts Literary Criticism تحقيق C. W. Houtchens and Lawrence H. Houtchens الصادر عن (N. Y. : Columbia Univ. Press, 1956), p. 246.

(١١) المرجع السابق • من المفيد أن (لى هانت) سبق أن أعرب عن رأى مماثل وهو يعلق على تمكن لين من نقل ذلك الوصف الحي لمشهد السوق في قصة (الحمال وبنات بغداد الثلاث) • بهذا الصدد ، يمكن مراجعة مقاله المعروف New Translations of the Arabian Nights, والمنشور في مجلة London and Westminster Review العدد ٣٣ (تشرين أول ١٨٣٩) ، ص ١١٨ • وجاءت أول اشارة فعلية لاسم المؤلف الصريح على لسان بيرتون في مقالته (Terminal Essay) أو المقالة الخاتمة في المجلد العاشر ، ص ٩٢ ، الهامش ٣ ، وكذلك على لسان Victor Chauvin ، المجلد الرابع ، ص ١٠٢ أما بصدد ملاحظات هازلت حول نقد كوليرج ، يمكن مراجعة مقاله « حول الأحلام » في أعماله Miscellaneous Works of William Hazlitt والتي تقع في خمسة مجلدات Philadelphia : Carey and Hart, 1848) حيث وردت المقالة في المجلد الثاني ، ص ١٥٥ •

(١٢) تراجع حول الموضوع رسالته بتاريخ ١١ أيلول ١٨٧٨ الى زوزان بيفر في رسائله الموجودة ضمن أعمال جون راسكن، تحرير وتحقيق E. T. Cook and Alexander Wedderburn. الصادرة عن (London : G. Allen, 1903 — 12) المجلد ٣٧ ، ص ٢٥٨ الاشارات القادمة الى هذه النسخة ، الا اذا ورد غير ذلك •

(١٣) مقالته « أسلاف البريفائيلية » في الأعمال ، المجلد ١٢ ، ص ٣٧٨ — ٣٧٩ • بهذا الصدد تراجع أيضا مقالته Arrows of Chace في حياة جون راسكن الصادرة عن : (London : George Allen, 1912) المجلد الثاني ، ص ٣٨٤ والأعمال ، المجلد ٣٤ ، ص ٥٨٣ ، حيث تتوفر صورة للتعديلات والاضافات التي أجراها راسكن آنذاك وهو يراجع قائمة لبك عن أحسن الكتب •

(١٤) حياة جون راسكن ، المجلد الثاني ، ص ١٤٣ • تراجع أيضا خواطر السيدة Burne Jones في Memorials of Edward Burne Jones الصادرة عن (N. Y. : Macmillan, 1904) المجلد الأول ، ص ٣٠٠ •

(١٥) الأعمال ، المجلد ٣٤ ، ص ٥٨٥ • وكذلك اختيارات راسكن التي ظهرت

بعنوان (السيد راسكن حول انتقاء الكتب) في أحسن الكتب المائة المنشورة في العدد الخاص ٢٤ (ص ، ٨) من مجلة Pall Mall Gazette

(١٦) « الاستهلال » أو The Prelude ، المجلد الخامس ، ص ٤٦٢ ــ ٤٦٣ ٠

من النافع أن يشار الى أن النسخة التي ذكرها الشاعر ووردزورث في قصيدته أعلاه مازالت غير (مشخصة) ، ولهذا السبب تعد ملاحظات John Livingston Lowes حول الموضوع صحيحة لحين توفر غير ذلك ــ يراجع كتابه Road to Xanadu الصادر عن (Boston and N. Y. H. Mifflin 1927) ص ٤٦١ الهامش أما قائمة المزاد Rydal Mount المنشورة في Transactions of Wordsworth Society (المجلد ٦) فانها تشير الى امتلاك الشاعر اللاحق لنسخة سكوت من الليالي (الرقم ٤٥٦ في قائمة المبيعات) ونسخة غالان الفرنسية (طبعة ١٧٢٩) ٠ الرقم ٥٣٨ في القائمة ذاتها ٠

(١٧) من السيرة الذاتية في الأعمال الكاملة لتوماس دى كونزى ٠ تحرير وتحقيق David Masson المجلد الأول ، ١٢٨ ــ ١٢٩ ، الهامش ٢ ٠

(١٨) من مقالته « سلسلة جديدة ٠٠٠ » في مجلة New Monthly ، ص ٣٣٦ ٠

(١٩) ورد النص في Tomalin's (Shorthand Report of Lecture V) الوارد في نسخة E. H. Coleridge من رسائل صاموئيل تايلر كوليرج الصادرة عن (London : W. Heinemann, 1895) المجلد الأول ، ص ١١ والهامش ١ ٠

(٢٠) ورد ذلك في كتابها

Notes of an Overland Journey through France and Egypt to Bomday, (London, 1841).

(٢١) Memorials of Edward Burne- Jones ، المجلد الأول ، ص ١٤٢ ٠

(٢٢) وردت الاشارات الى قراءات هذا النفر المرموق في الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية الانكليزية ، لا سيما كوبر وكريغوري وكتو في كتاب المؤرخ الناقد Richard Altick المعنون English Common Reader المطبوع ١٩٥٧ (اعادة طبع ١٩٦٣ عن مطبعة جامعة شيكاغو) ٠ الصفحات ١١٩ ، ٢٢٨ ، ٢٦٥ على التوالي ٠ ومن أجل معلومات أكثر تراجع Amy Cruse في كتابها الفكتوريون وكتبهم المنشور ١٩٣٥ ، طبعته الثالثة المستخدمة هنا ظهرت عام ١٩٦٢ عن (London : Allen and Unwin) الصفحات ٢٨٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ــ ويقدم روبرت كالفن وتفرد في مقالته (الليالي العربية والرواية الانكليزية) المنشورة في مجلة Dial ، عدد ٧٠ (آذار ١٦ ، ١٩٦١) ، ص ٢٧٠ ، جردا قصيرا وبديعا لآخرين من القراء ٠

كما هو شان هانت ، كان ديكنز قارئا متحمسا للحكايات ، واستمر كذلك ــ يراجع بهذا الصدد Harry Stone في ــ Charles Dickens, Uncollected Writings From Household Words, 1850-1859 بمجلدين والصادر عن Bloomington : Indiana Univ Press 1968) المجلد الأول ، ص ٢١٠ والهامش ١٣ ــ وكذلك مقالة المؤلف نفسه المسماة Dark Corners of the Mind Dickens' Childhood Reading, في مجلة Horn Book العدد ٣٩ (حزيران ١٩٦٣) ص ٣٠٦ ــ ٣٢١ ٠ وكذلك مقالة Jane W. Stedman المعنونة Good Spirits : Dickens' Childhood Reading, في مجلة Dickensian المجلد ٦١ ، العدد ٣ (أيلول ١٩٦٥) ، ١٥٠ ــ ١٥٤ ٠ ولمزيد من المعلومات عن هانت يراجع كتابه Lord Byron and Some of his Contemporaries

(الطبعة الثانية ، لندن ١٨٢٨ ، المجلد الأول ، ٤٣٨ ـ ٤٣٩ ، وكذلك كتاب Mrs. James T. Fields المعنون رف من الكتب القديمة (London : Osgood, 1894) ص ٤٨ ـ ٤٩ .

أما حنين Thackeray الى جنة الطفولة فقد دفعه الى الاستمرار في قراءة الليالى والحكايات المماثلة . ورسالته الى الشاعر تنسون تستحـــق التأشير . تراجع نسخــة Gordon Ray المعنونة رسائل واوراق خاصة الصادرة Cambridge, Mass. : Harvard Univ. Press, 1945-6). لا سيما المجلد الرابع ص ١٥٢ .

كان Burne - Jones يقول « ان القصص العربية تفتنه حتى انه جمع منها كنزا في ذهنه ، واحب ان يتحدث عنها .. فتلك البقعة من آسيا كانت بالنسبة له وطنا ثانيا قصيا ، ففي خياله كان يعيش ويرحل الى هناك منذ شبابه » . راجع المجلد الثانى ، ص ٤٣ و ٥٥ من Memorials أما امرسون فقد كتب في « المجتمع والخلوة » أن شهرزاد تحكى هذه القصص لتنقذ حياتها ، وسرور أوربا الشابة وأمريكا الشابة بهذه القصص يبرهن على أنها حصلت على ما تريد بحق » . الاقتباس عن كتاب James O'Donnell Bennett المعنون الكتب المحبوبة كثيرا : أحسن مبيعات العصور ، منشورات (N. Y. : B. Liveright, ١٥٩ . ولمزيد من المعلومات حول قراءة كارلايل لليالى يراجع David Masson في Edinburgh Sketches and Memoirs الصادر عن (London and Edinburgh : Adam and C. Black, 1892) ص ٢٢٩ ـ ٢٣١ ، وكذلك F. Roe في Thomas Carlyle as a Critic of Literature الصادر عن (N. Y. : Columbia P. P. 1915) ص ٥

وكان وليم بتلر ييتس قد اشار الى انه اعتاد على قراءة الحكايات يوميا ـ يراجع في هذا المجال Allen Wade. ed. Letters of W. B. Yeats، الصادر عن : London) Rupert Hart-Davis, 1954) ص ٨٣١ ـ ٨٣٢ . وفي ختام هذه الملاحظات عن شغف أبرز كتاب ومثقفى العصر لا بد من التعريج على جورج برناردشو الذى رأى في تفضيله الشخصى المستمر للحكايات علامة صحة موقفه النقدى . اذ قال : « في طفولتى » كانت مسيرة الحج والليالى العربية الأمران الأدبيان المثيران وهذا ما يشير الى أنى كنت في بدايتى ناقدا جيدا كما أنا عليه الآن ، على الرغم من أنى آنذاك لم استطع أن اقدم أسبابا ذكية لهذا الرأى كما انا قادر الآن ـ راجع مقالة « كتب طفولتى » في مجلة Literary Digest المجلد الأول ، العدد ٣ (تشرين أول ١٩٤٦) ص ١ .

(٢٣) كانت مقالة هنلي Henley قد احتوتها مجموعته النقدية المعنوية Views and Reviews في أعماله ، المجلد الخامس (اصدار London : D. Nutt, 1908 ص ٢٤٩ ـ . واعتبرت المقالة رائعة نثرية ، حيث احتوت بتكثيف وجمال أسلوبي أجواء عالم شهرزاد كما لم تحتوها مقالة أخرى ، كان J. B. Priestly قد كتب الى Kennedy Williamson حولها قائلا : « بالنسبة لى كان هنلي قد بلغ منتهى الرقى في مثل تثمينه لليالى العربية » . ورد ذلك في كتاب وليامسون W. E. Henley : A Memoir الصادر عن (London : H. Shaylor, 1930) ص ٦٢ . ولم يكن Kipling أقل تأثرا ، حتى أنه لاحظ صدق واخلاص أنه « لو كانت هذه الأشياء بضائع للاتجار في العالم الآخر فانى سأبيع بفرح قدرا كبيرا مما كتبت لأحوز على قطعة تامل ـ تألق ـ الهام أو ما تريد أن تسميها ـ كتبها [هنلي] عن الليالى العربية في كتاب صغير من المقالات والعروض » . راجع بعض منى Something of Myself ص ٨٢ .

(٢٥) من تعليقـــه على رواية مريدث حـــلاقة شاغبات والذى ظهـــر فى مجلـــة Saturday Review (١٩ كانون الثانى ١٨٥٦) ، واعيد نشرها فى نسخة Ioan Williams عن مردث .

(٢٦) من « المقدمة » لليالى السمر العربية الصادرة عن (London : J. Burns, 1847) المجلد ١ ، ص ٢ .

(٢٧) « الليالى العربية » مجلة Cornhill Magazine ص ٧١٢ .

فى سلسلة Critical Heritage الصادرة عن (London : Routledge and Kegan Paul, 1971) ص ٤٣ .

(٢٨) « ألف ليلة وليلة » ، العدد ٣٥٩٦ فى (٢٦ أيلول ، ١٨٩٦) ، ص ٤١٢ .

(٢٩) مقالة سير جون لبك : « حول لذة القراءة » ، مجلة Contemporary Review عدد ٤٩ (شباط ١٨٨٦) ، ص ٢٤٠ ـ ٢٥١ . كانت هذه المقالة فى أصلها ورقة عرضت على كلية الشغيل (Working Man's College) . واحتوت اختيارات لبك من الكتب الجيدة ، وعندما نشرت فى مجلة Pall Mall أثارت جدلا كبيرا شارك فيه عدد من الكتاب والدارسين . وكان راسكن ولبك وموريس وويلدن مدير مدرسة هارو والرحالة هـ. أم. ستانلى قد وضعوا الليالى بين المائة المختارة ، كما هو مدرج على الصفحات ٤ ، ٧ ، ١١ ، ١٧ ، ٢٢ من مجلة Pall Mall ، العدد الخاص ٢٤ . أما اختيارات الفيلسوف Comte فقد احتواها كتاب Frederick Harrison المسمى (بين كتبى) ، الصادر عن (London : Macmillan, 1912) ص ٤٠٢ .

(٣٠) شوفن ، المجلد الرابع .

(٣١) يراجع Boris Segalowitch فى كتابه Benjamin Disraeli's Orientalismus الصادر فى برلين ١٩٣٠ ، ص ٣٤ ـ ٣٥ .

(٣٢) ورد النص فى Notebooks of Samuel Taylor Coleridge تحقيق كاثلين كوبرن :(London : Routledge, 1973) ، المجلد ٣ من Notes ، الفقرة ١٩٠ ٢٩٠/٢٥٠٠ يراجع أيضا كتاب شليغل تاريخ الأدب ، القديم والحديث (أدنبره ١٨١٨) ، المحاضرة ٨ .

(٣٣) حول نصيحة بايرون ، يراجع R.E. Prothero فى تحقيقه لكتاب Works of Lord Byron, Letters and Journals فى ٦ مجلدات صادرة عن (London : Murray, 1903) المجلد ٢ ، ص ٢٥٥ (رسالة ٢٨ آب ، ١٨١٣) .

(٣٤) انتقد بعض معاصرى Moore مسعاه المتكلف لايجاد « جنة حلوى » على حد تعبير British Review العدد العاشر ، ١٨١٧ ، ص ٣١ ـ ٣٢ .

(٣٥) يمكن ملاحظة ص ١٧٦ فى كتاب شيرر و ٩٠ فى المجلد الثانى من رسائل كيرن . ويلاحظ الانغماس الذاتى نفسه فى كتاب الرحالة H. Light والمعنون Travels in Egypt, Nubia, Holy Land (الصادر فى لندن ١٨١٨) ، ص ٢٣٠ ، وفى رسائل B. Disraeli الصادرة فى لندن ١٨٨٥ ، وكتاب Alexander King Lake المعنون Eothen والصادر عام ١٨٨٤ . للمزيد حول هذه النقطة ، يراجع رشاد رشدى فى مقالته بالانكليزية « المسافرون الانكليز فى مصر فى حكم محمد على » المنشورة فى مجلة كلية الآداب الصادرة عن جامعة فؤاد الأول ، المجلد ٤ ، القسم الثانى ، (كانون

الأول ١٩٥٢) ، ص ١ ـ ١٦ كما أن نورمان دانيال يقدم معلومات أخـــرى فى كتابـه Islam Europe and Empire، ص ٤٨ ـ ٤٩ .

(٣٦) يستطيع الدارس مراجعة الكتب الانكليزية الموضوعة فى تاريخ الايماء والمسرحية ، واهم من هذه هو

Catalougue of Additions to the MSS. Plays Submitted to the Lord Chamberlain. 1824-1851.

(London : B.M. Publications, 1964), and «Register of Lord Chamberlain's Plays.

المجلدات ١ ـ ٦ الموجودة فى المتحف البريطاني برقم مخطوطات اضافية ، ٥٣ ـ ٧٠٢ ـ ٧٠٧ .

(٣٧) « رسالة الى الآنسة باور فى ٢٦ شباط ١٨٦٣ » فى رسائل ديكنز ، تحرير وتحقيق أخت زوجة وابنته الأكبر الصادر عن (N. Y. : Scribner's, 1879) ، المجلدات ، ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

(٣٨) « ترجمات من الليالى العربية » المنشورة فى العدد ٣٣ (تشرين أول ١٨٣٩) ، ص ١٠٣ . يرمز الى هذه المقالة 'NT' فى الاشارات القادمة ، وتدخل مع رقم الصفحات بعد كل اقتباس .

(٣٩) اقتباس هانت نفسه من كتاب هول ، ص ٨ .

(٤٠) من الجدير بالتأكيد أن « الرومانسيين » الكتاب وطيلة العصر ، من هانت الى جون بين ، كانوا يفضلون (تسميات) غالان على الأسماء الدقيقة التى نقلها لين عن العربية ، ذلك لأن غالان أثر كثيرا على الذهن الرومانسي وأصبح من الصعب اقتلاع الأسماء التى أعطاها شخوصه من هذا الذهن . وهكذا كان ديكنز وهو يذكر (هارون الرشيد) يلفظه حسب ما ورد عند غالان ، قائلا فى ذات الوقت « دعنى أستعيد هذه التسمية المحرفة ثانية ، فهى تعبق بالذكريات الحـــلوة » . ورد الاقتبـــاس فى كتاب S. Monod المعنون ديكنز الروائي والصادر عن مطبعة جامعة أوكلاهوما فى عام ١٩٦٨ ، ص ٣٢ ، وحول الموضوع نفسه ، يراجع جون بين فى مقالته المعنونة « ألف ليلة وليلة » ، الجزء الثانى ، المنشورة فى مجلة Q. Magazine (نيسان ١٨٧٩) ، ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩ .

(٤١) مقالة « الليالى العربية » ، المنشورة فى مجلة Edinburgh Review ص ١٦٧ ، ومقالة سى. أج. توى المسماة أيضا « ألف ليلة وليلة » المنشـــورة فى مجلة Atlantic Monthly ، العدد ٦٣ (حزيران ١٨٨٩) ، ص ٧٥٧ .

(٤٢) حول دى كونزى ، تنظر السيرة الذاتية واعترافات متناول المخدر فى الأعمال ، نسخة D. Masson ، المجلد الأول ، والثالث ، ١٢٨ ـ ١٢٩ ، ٤٤١ ـ ٤٤٢ بالتعاقب .

(٤٣) انظر سدنى كولفن فى كتابه : John Keats : His Life and Poetry .. الصادر عن Scribner's فى عام ١٩١٧ ، ص ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٨٤ ـ ١٨٥ ، ١٩٠ ـ ١٩١ ، ١٩٥ ، ٢٠٥ . وكذلك أم. آر. ردلى فى كتابه :

Keats' Craftsmanship ; A Study in Poetic Development

الصادر عن (اكسفورد : مطبعة كلارندن ، ١٩٣٣) ، ١١٧ ـ ١١٩ ، ١٢٤ ـ ١٢٥ ، ١٦٠ ـ ١٦١ ، ١٦٤ ـ ١٦٥ والملاحظات . وكذلك W. W. Beyer فى كتابه

Keats and the Daemon King الصادر عن مطبعة جامعة اكسفورد عام ١٩٤٧ ، الصفحات : ٧ ، ١٧ ، ١٥٠ ، ١٧٥ ، ٢٧٢ · كما ينظر H. B. Forman فى تحريره وتحقيقه للأعمال الشعرية وكتابات أخرى لجون كيتس الصادرة فى أربعة مجلدات عن دار نشر ريفز اللندنية فى عام ١٨٨٩ ، المجلد الأول ، ص ١٤٠ ــ ١٤١ ·

(٤٤) ظهرت مقالة مكسيم رودنسون تحت عنوان « الانطباع الغربى والدراسات الغربية عن الاسلام » فى Legacy of Islam تحرير C.E. Bosworth, J. Schach (الطبعة الثانية ، مطبعة كلارندن ، ١٩٧٤) ، ص ٤٨ ·

(٤٥) حياة ورسائل واشنطن اريفنغ تحرير بييرية أم · اريفنغ الصادر عن (N.Y. : Putnam, 1864) ، المجلد ٣ ، ٣٤٨ ــ ٣٤٩ ·

(٤٦) المقالة بعنوان (Genii and Fairies ...) وظهرت فى العدد ٣٠ (٢٢ تشرين أول ، ١٨٣٤) ، ص ٢٣٣ ·

(٤٧) Leigh Hunt's London Journal . العدد ٣٠ (تشرين أول ١٨٤٣) ، ص ٢٣٣ ·

(٤٨) ان موقف كوليرج ليس بمعزل عن حركة كاملة اسهمE. S. Shaffer فى وصفها حديثا ب « الرومانسية الهلنية » والتى كان الاستشراق أحد سماتها ويرى Shaffer ان الاستشراق ذلك الذى ارتبط ب « النزعة المدرسية النصية التاريخية والتى مورست فى دراسة التوراة منذ الاصلاح » ، وهو تخريج يعوزه الاكتمال فهو يتجاهل أن (الحركة) لم تتخذ سمة واضحة قبيل ظهور الف ليلة وليلة مترجمة · انظر كتابه 'Kubla Khan' and the Fall of Jerusalem الصادر عن مطبعة جامعة كمبردج ١٩٧٥ ، ص ١٤ ·

(٤٩) حول موقف نكل ، راجع كتاب الاستاذ وليم نايت W. Knight المعنـون Memoir of والذى ظهر فى Glasgow عام ١٨٩٦ ، ص ٤١ · أما بالنسبة لهنلى ، تراجع ق قصيدته فى المجلد الأول من الأعمال ، ص ٦١ ·

(٥٠) Leigh Hunt's London Journal (٢٢ تشرين أول ، ١٨٣٤) ، العدد ٣٠ ص ٢٣٣ ·

(٥١) Apologia Pro Vita Sua ، تحرير وتحقيق David J. De Laura ، النسخة الصادرة عن نورتن ، ١٩٦٨ ، ص ١٤ ·

(٥٢) رسالته الى توماس بول فى ١٦ تشرين أول ١٧٩٧ فى رسائل صاموئيل تايلر كوليرج تحرير ارنست هارتلى كوليرج ، الصادرة عن (London : Heinemann, 1895) المجلد الأول ، ص ١٦ ·

(٥٣) المرجع نفسه ، ص ١٢ ، « رسالة الى توماس بول فى ٩ تشرين أول ١٧٩٧ » · وبقصد اشارات أخرى تراجع ص ١١ ، هامش ٩ ، وكذلك الأعمال المجموعة ، المجلـــد الرابع ، القسم الأول . تحرير باربرا روك ، الصادرة عن دار نشر Routledge اللندنية فى ١٩٦٩ ، ص ١٤٨ ، هامش ٣ · وفى المكان ذاته ، ذكر كيف أن المظهر الخارجى المرعب لقصر فى المحلة التى يسكنها كان يقترن فى « خياله الطفولى مع المشاعر والأوهام التى تثيرها فيه ·· قراءة ليالى التسلية العربية » ·

(٥٤) راجع كتاب لوس Road to Xanadu ، ص ٤٥٩ هامش ·

(٥٥) « المحاضرة ٨ ، دون كيشوت » فى نسخة T. M. Raysor لمجموعة نقــد كوليرج المتنوع ، الصادر عن مطبعة جامعة هارفارد ١٩٣٦ ، ص ١٠٣ ٠

وحسب ظنى كان كوليرج يعنى كلا من هازلت ومسز Barbauld والتى انتقدها عندما اعترضت على غياب الوعظ الأخلاقى فى قصيدته الشيخ القديم والتطرف فى اللامعقول فيها ، لاحظ مذكرات ٣١ مايس ١٨٣٠ من Table — Talk فى نسخة Rayson المحررة ، ص ٤٠٥ ٠

(٥٦) Notebooks of Samuel Taylor Coleridge ، المجلد الأول ، ص ٨٤٨ ، ١٢٥٠ هامش ٠

(٥٧) لاحظ عدد من الدارسين تأثير الواثق على اسحق دذرائيلى فى مجنون ليلى (١٧٩٩) وعلى سائى فى ثعلبه (١٨٠١) وجون هاملتون فى Safie (١٨١٤) ، وتوماس مور فى Lalla Rookh (١٨١٧) ، وبنجامين دزرائيلى فى Alroy وعلى بارى كورنول فى قصائده ٠ لمزيد من المعلومات تراجع فاطمة موسى محمود فى مقالها بالانكليزية « بكفورد : الواثق والحكاية الشرقية » فى الكتاب الذى أعدته تحت عنوان : William Beckford of Fonthill : Bicentenary Essays (1960. rpt. Port Washington : Kennikat Press, 1972).

الصفحات ٨١ — ٨٣ ٠ كما تراجع أيضا Marie Eide Meester فى التأثيرات الشرقية فى الأدب الانكليزى للقرن التاسع عشر ، المطبوع فى (أمستردام ١٩٦٧ ، الطبعة الأولى ١٩١٥) ، ص ١٩٠ — ٢٢٢ ٠

وفى ملاحظة ثبتها مع قصيدته Giaour (١٨١٣) أثنى بايرون على الواثق ٠ ومن المفيد أن باول الم مور عد الواثق « احدى الوثائق الأساسية لأى شخص يروم دراسة مصادر الحركة الرومانسية » حيث ان صورة الملعون ذى القلب الملتهب التى كونت خاتمة الرواية هى « النموذج والصورة الرئيسين للحياة والأدب الرومانسيين » ٠ انظر كتابه Drift of Romanticism (N.Y. : H. Mifflin, 1913) الصفحات ٣٣ و ٣٦ على التوالى

(٥٨) حياة ورسائل وليم بكفورد ٠٠٠ (لندن : هاينمان ، ١٩١٠) ، ص ٢١ ٠

(٥٩) الاقتباس مأخوذة عن J. W. Oliver فى حياة وليم بكفورد ، طبعة (London : Oxford, 1932) ، الصفحات ٣١ — ٣٢ ٠

(٦٠) من كتابه « ابن انكلترا الأكثر ثراء الصادر عن لندن » (Centaur Press. 1962) ص ٤١ ٠

(٦١) Drift ، ص ١٢ ، ١٤ ٠

(٦٢) حول غرام كريستينا روزتى بالليالى يمكن للدارس ملاحظة رسالتها فى ١٨ تموز ١٨٧٦ لأخيها دانتى ، فى Family Letters ، تحقيق وتحرير وليم مايكل روزتى الصادر عن (London : Brown, 1908) ، ص ٥٧ ٠ ومعروف أن قصيدة (المدينة الميتة) التى اعتمدت فيها على قصة الرجال المتحجرين فى الليالى ، تحوى نكهة قصيدتها الذائعة « سوق الغول » ، لا سيما فى وصف الفواكه الملونة المختلفة كما أشارت D. M. Stuart محقة فى كتابها المعنون كريستينا روزتى (London : Macmillan, 1930) ص ١٦ ٠ وفى مقالته عن (أصول القصيدة الأخيرة) المنشورة فى مجلة MLR ، العدد ٢٨ (١٩٣٣) ص ١٥٨ — ١٦٠ ، أوضح الدارس Ifor Evans كيف أن « وحــدة التفاصيل المأخوذة من كيتلى (كتابه Fairy Mythology) مع الدوافع الليلية العربية

تركت أثرا واضحا على سوق الغول » • وفي كتابه عن الشعر الانكليزي في نهاية القرن التاسع عشر : (1933, rpt. London : Methuen, 1966) يقدم ايفانز معلومات مفيدة اخرى حول تأثر الشاعرة بالليالي ، ولا سيما على الصفحتين ٩٣و٩٥ ••

(٦٣) يمكن أن تكون قصيدة « المبعد عن البصرة •• » لتنسون معتمدة أصلا على قصة نور الدين والفارسية الحسناء ، كما أشار Paden • لكن ذلك الحنين الى مدينة فردوسية وذلك النفس السوداوي ينبه الى معرفة بتجربة Bharam في « الرجل الذي لم يضحك ثانية » • يراجع بهذا الصدد W. D. Paden في كتابه تنسون في مصر (اصدار Lawrence : Univ. of Kansas, 1942) ، ص ١٣١ •

(٦٤) رسائل جون كيتس ، تحرير وتحقيق H. E. Rollins واصدار مطبعة جامعة هارفرد ، ١٩٥٨ ، مجلد ٢ ، ص ١٣٠ •

(٦٥) هذه والاشارة السابقة مأخوذتان من مقدمة ابنته May الى اعماله المجموعة . اصدار Russell ، طبعة ١٩٦٦ ، المجلد ٥ ، ص ٢١ و ٢٤ من المقدمة •

(٦٦) الاشارة الى Tennyson's Memoir التي كتبها ابنه ، اصدار ماكميلان ، ١٨٩٧ المجلد ١ ، ص ٣٤ • وكان الفكتوريون قد أعربوا عن مشاعر مماثلة ، اكتظت بها رسائلهم ومذكراتهم •

(٦٧) كان عنوان مقالة هلم « حول بعض مميزات الشعر الحديث » وظهر في مجلة Englishman's Magazine ، العدد الأول (آب ١٨٣١) ، ص ٦٢١ • وأعيد طبع المقال في عدة كتب حديثة . آخرها تحرير J. D. Jump في سلسلة Critical Heritage عن الشاعر ، اصدار مطبعة Routledge ١٩٦٧ • والاشارات الآتية الى النقد الذي عاصر ظهور القصيدة هي الى هذا الكتاب الأخير ، الا اذا قيل غير ذلك •

(٦٨) هذه والاشارة الآتية مأخوذتان من كتابه Tennyson : The Growth of a Poet من اصدار مطبعة جامعة هارفرد ، ١٩٦٠ ، ص ٣٩ •

(٦٩) لاحظ رسائله في أيلول ١٨٣٥ ونيسان ١٨٤٠ الى وليم رجي ومسز كارمايكل سمث في رسائل وأوراق خاصة ، المجلد ١ ، ٢٩٧ ، و ٤٣٩ •

وكانت مسز كاسكل كالآخرين قد استخدمت القصة نفسها لوصف تعاسة بطلتها ، اذ كانت أحلام ماري بارتن قد بلغت نفس ما آلت اليه أحلام النشار راجع الفصل السابع من رواية Mary Barton

(٧٠) مراسلات توماس كارلايل ورالف والدو أمرسون ، في مجلدين ، من اصدار Chatto and Windus اللندنية ، ١٨٨٣ ، المجلد ١ ، ص ٣١٦ •

(٧١) قصص عيد الميلاد ، تحرير وتحقيق G. K. Chesterton ، طبعة Everyman's ١٩١٠ . طبعة مكررة ١٩٦٥ ، ص ٢٣٣ •

(٧٢) قصائد جورج مردث في مجلدين (اصدار London : Times Book Club, 1912) المجلد ١ ، ص ٢٥١ •

(٧٣) من استعراضها للكتاب في مجلة Westminster لشهر نيسان ١٨٥٦ • أعيد طبع المقالة في كتاب Williams عن مردث ضمن سلسلة Critical Heritage ص ٤٧ •

(٧٤) المصدر السابق ، ص ٤١ ، والاقتباس مأخوذ عن مقالتها في مجلة Leader (كانون الثاني ١٨٥٦) •

(٧٥) من كتابه Gossip in a Library الذي صدر (London : Heinemann, 3al. ed. 1893) ص ٣٢٦ ·

(٧٦) من مقدمتها الى طبعة Penguin من جين اير (١٩٧٢) . ص ١٣٠ · الاشارات القادمة سوف تذكر في داخل الدراسة نفسها ·

(٧٧) انظر كتابها Charlotte Bronte : Evolution of Genius طبعة كلارندن ، ١٩٦٧ ، ص ٣٣٣ و ٤٥ ــ ٤٦ بالتعاقب ·

(٧٨) نسخة الليالى الانكليزية الصادرة عن Longman عام ١٧٨٣ ، المجلد ٤ ، ص ٣١٢ ·

(٧٩) ورد هذا في كتابه روائيون في عالم متغير من اصدار مطبعة جامعة هارفرد ١٩٧٢ ، ص ٥٢ ·

(٨٠) راجع كتابه Memories and Portraits ، الصادر عن Scribner's في عام ١٩٢٣ ، ص ١٣٢ ·

(٨٢) يراجع Michael Booth بهذا الصدد ، لا سيما مقدمته الى المسرحيات الانكليزية في القرن التاسع عشر (اصدار كلارندن ، ١٩٧٦) ، ص ٣٢ ·

(٨٣) كان الرأى السائد آنذاك بين الكتاب هو أنه « لا من نكتة تحت عمامة او طربوش » ، وهذا يعنى أنهم كانوا يتعاملون بجد مع الشرق · لكن Planche تحدى ذلك ، فارضا شيئا من الفكاهة على اعاراته وافاداته من الحكايات لاعدادها للمسرح · وفى جمعه بين المضحك والمرعب ، الغريب والعادى ، جاء Planche بمهازل وتسليات مسرحية كانت رائجة فى حينها ، كما يذكر Booth على الصفحتين ١٨ ــ ١٩ ·

(٨٤)الاقتباس مأخوذ عن مطالعة نشرتها المجلة لايماء Nelson Lee المعنون اللصوص الأربعون ··· ، وذلك فى عدد ٩ كانون الثانى ١٨٤٧ ، ص ٢٦ ·

الفصل الثالث

أشكال التجاوب النقدى :

ـ التثمين الرومانسى لجماليات شهرزاد

« ٠٠ كنت اقرأ له لأرفع من معنوياته ، وكان هو يحب ذلك كثيرا ٠ كانت هذه كتبا غير مناسبة ٠٠ على الا أتحدث عنها هنا مطلقا ٠٠ لكننا لم نكن نعلم أن فيها أذى » :

« وكان يحبهن ؟ »

تساءلت لويزا ، ونظرتها الباحثة مسلطة على سيزى طوال الوقت

« نعم كثيرا ! لقد أبعدته هذه الكتب عما يلحق به الاذى فعلا ٠ وفى ليال عديدة كان ينسى همومه وهو يستغرق متعجبا عما اذا كان السلطان سيدع السيدة تمضى فى القصة ، أو أنه سيقطع رأسها قبل انتهائها » ٠

لم يكن بنقاد وكتاب نهاية العصر الاوغسطى ومطلع القرن التاسع عشر حاجة الى انتظار ردود فعل القراء وتجاوبهم : بل أثبتوا من البداية انهم قراء نهمون لحكايات شهرزاد ٠ ففى مختلف كتاباتهم ورسائلهم الشخصية وتعليقاتهم يلاحظ الدارس اعجابا واضحا يبلغ فى بعض الأحيان ضربا من (الغرام) بتلك الصور والاخيلة المغرية ٠ فهكذا كان W. C. Taylor يعلن فى عام ١٨٣٤ :

ايتها العزيزة المفرحة شهرزاد ! من الذى لا يحب ان يستعيد ساعات المتعة المسترقة تلك الساعات التى كانت تمنح الى قصصك والتى تمكنت فيها فى ألف ليلة وليلة تاجيل ضربة القدر وتغيير ذلك القرار الشديد للقاسى شهريار (١) ٠

وفى الوقت نفسه كانت مجلة الاثنيم الصادرة فى ١٦ آب ١٨٣٤ (العدد ٥٣٣ ، ص ٦٠٥) تتساءل :

« من ذلك الذى لا يتذكر بمتعة فرصة قراءة الليالى العربية أول مرة ؟ من ذاك الذى لا يعود ثانية الى هذه الصفحات ببهجة متجددة ؟ » وبعد ذلك بسنوات ، كان محرر نسخة Select Library يقول : « ان

عدم المعرفة بالليالى العربية يعنى لا مبالاة أدبية ، وهى تهمة لا احد منا مستعد لتحملها » (٢) ٠

وتتأتى أهمية هذه الآراء من حقيقة أنها تنطلق من نزعة تحـد واضحة لاتجاهات معارضة أو مختلفة فى الوسط الثقافى خلال العقـود الأولى من القرن التاسع عشر ٠ فالذى تطرحه التعليقات المذكورة وتفصح عنه أن الليالى مازالت تحظى برواج مميز ، وهو رواج يستحق الملاحظة والبحث عندما نضعه ضمن ذلك المجال الثقافى (millieu) ، وهو مجال تميز آنذاك بسمتين : أولاهما ، المعارضـة (المحافظة) للرواية عموما لأسباب دينية ودنيوية ـ مادية فى آن واحد ، والثانية ، انتعاش الفلسفة النفعية Utilitarianism والتى ترى ان (المنفعة) هى المحرك والدافع فى العلاقة البشرية ، كما انها المعيار والجدوى فى نتائج هذه العلاقة ٠ واذا كان انتعاش الفلسفة التى وضع أسسها Bentham Mill وابنه جون ستيورات قد رافقت ظهور الفلسفة الوضعية وامتزجت معها ، فان طبيعة الحركة عموما تؤكد كيف يمكن ان تولد الفلسفات التغيرات الاجتماعية أو تنتج عنها ، متداخلة أو متفاعلة مع قدر من التغير المعنوى فى الطرائق وأساليب الاستنتاج ٠ وهكذا ، كانت ولادة الفلسفة وثيقة بالتغير الصناعى وانعكاساته المادية والمعنوية على (تكوين المدينة) والعلاقة التى اسماها كارلايل وآخرون بـ Cash—nexus ٠ كما انها متداخلة مـع التغير الحاصل نمطت هذه العلاقة ، بما يجعل الأشياء الأخرى تبصر وتقيم حسب فائدتها ٠ وهكذا ، لم تحظ الرواية باحترام ، الا اذا كانت تسهم مباشرة فى الوعظ أو التثقيف !! ومن جانب آخر ، كانت الديانة قد شهدت اتجاهين : الاتجاه الرسمى الكنسى (أى البروتستانتى) الذى يؤكد على (العمل الجهيد الجاد وعلى الطهارة) والاتجاه المغاير الذى يبحث بأساليب مختلفة عن قيمة روحية ٠ واذا كان الاتجاه الأول هو السائد ، كان الثانى قد ازدهر فى اجواء متحدية ، وكانت حركة Oxford بين المثقفين وتحول Newman وصحبه عن الكنيسة البروتستانتية الى الكنيسة الكاثوليكية تحولين جاء بهما ذلك التحدى المادى للروحانية !!

وهكذا ، وجدت الكنيسة الرسمية (البروتستانتية الانكليزية) نفسها فى موقع داع لقيم الطبقات الوسطى صاحبة المصلحة الرئيسية فى هذه التغيرات المادية (عقب اتساع المدن وازدهار الصناعة والتصـدير ٠٠ الخ) : فالتأكيد على قيمتى (العمل الجاد) و (الطهارة) هى تأكيدات دنيوية فى حقيقة أمرها ، ذلك انها تحمى مصالح الرأسمال المنتفع وتحفظ (تكوين) العائلة بوصفها الوحدة الحيوية فى مرحلة ارادت فيها هـذه

الطبقات الصاعدة ان تبدو بمثل تلك الطبقات الارستقراطية من قبل : غنية مستفيدة من الجهد المبذول فى المعامل والمؤسسات ومراكز التسويق، وجيدة مظهريا ، بما يتيح لها التأثير فى الآخرين ، والتعويض عن ماض بائس مقارنة بالعوائل الأكثر نفوذا فى السابق فى مجتمع انكليزى يعتمد أصلا أسس التفاوتات الاجتماعية فى علاقاته ٠

والدافعان المذكوران يعنيان : أن أدب التسلية قــد يكون مقبولا شريطة الا يهدد (العمل) بما يلهى ويشغل ، والا يوجد فى اذهــان الفتيات ميولا واخيلة مثالية تمنعهن من (التعامل الجاد) مع الحياة ، أو تشجع عندهن النزعات الرومانسية أو الشهوانية ٠٠ الخ أى ان (الأدب التصــورى أو الخيــالى) مر فى خلال تلك العقود ولتلك الأسباب فى مرحلة امتحان وتحد حرجين !!

لكن الذى يهمنا هنا ونحن بصدد دراسة (الاستيعاب الرومانسى الأدبى) للحكايات وأشكال فهم جماليات شهرزاد هو ان عددا كبيرا من النقاد كانوا مستعدين للرد على أية محاولة للانتقاص من هذه الجماليات ٠ ومثل هذه الحقيقة تثير أسئلة وتستلزم أجوبة فى ضــوء التيــارات المتصارعة فى تلك المرحلة ٠

فعلى الرغم من ان النقد الأدبى فى تلك المرحلة تعامل مع (الرواية) فى احايين عديدة فى ضوء الرفض (المنفعى) و (الدينى المتحمس) لكل ما يعد مضيعة للوقت وملهاة مخدرة ، مؤذية ، الا أن هذا النقد لم يكشف عن عداء للحكايات على أسس (خلقية) أو (اجتماعية) ، تستثنى من ذلك بالطبع تلك الاعتراضات (الاوغسطية) أو (الاتباعية الجديدة) على شكل تقنيتها وأساليب كتابتها ، وهى اعتراضات مردهــا التفاوت بين (أسس النقد المعتمدة) آنذاك وبين طبيعة الحكايات الغازية المهددة لها !! صحيح ان الحكايات أصبحت لباسا يرتديه من يريد ويكيفه لحاجاته ، كما هو شأن الناشر (شارلز نايت) الذى ولع بالكتاب لانه يحتوى بعض القصص (المفيدة) حسب تقديره « المنفعى » ــ كمصطلح فلسفى ــ لكن النقد الأدبى لم يضع نفسه معارضا لهذه الجماليات بشكل حاد ، حاسم كما حصل ازاء مختلف الأعمال والكتابات آنذاك ٠

من جانب آخر : كانت طبيعة الاجواء وأشكال الافادة من تكييف الحكايات واعدادها تثيرجدلا وتحديات ! وهكذاكانت مجلة Monthly Review فى عددها الأول (ترقيم جديد ١٨٢٦ ، ص ٣٦٣) ترد على هذا الجو المعادى للرواية ، ملتزمة فى الوقت ذاته حكايات شهرزاد فى مواجهــة

موقف بعض الكتاب الوعظيين والمتزمتين الذين ســادوا آنذاك من أمثال السيدة شرود Sherwood والآنسة أجورث Edgeworth ، والذين قاموا أيضا بتكييف واعداد حكايات وعظية وتعليمية :

> قد نحترم جهود السيدة شرود والعاملين بها من الممتازين حسنى النية ، والذين يسعون الى استبدال احلام الخيال الشرقى الكاذبة بحكايات دينية ومنزلية : لكنهم لا يمكن مطلقا ان يثيروا فينا شجى أو حبورا على النحو الذى يفعله مؤلفو ليالى السمر العربية المجهولون »

وبعدها بثلاث سنوات ، كانت مجلة Asiatic Journal (المجلد ٢٨ ، العدد ١٦٧ ، تموز ١٨٢٩ ، ص ٥٦٠ ـ ٥٦١) تحمل مقالة للدارس المستعرب الفرنسى المرموق البارون دى ساسى ، أكد فيها سمات السحر الخالد فى الحكايات · فنجاح الحكايات ، كما يقول : « لم يتناقص جراء تغيرات الأزياء وتبدلات العادات » · واذا كانت بعض الأعمال والأجناس الأدبية قد استبدلت بأخرى ، فان الليالى كان لها دائمـــا « محررون وقراء » ، كما ان « اسم هذا العمل السحرى اصطنع غطاء وجواز مرور لمستوردات واسعة من البضائع المهربة ، دون ان يقلل ذلك ولو قليلا من رواجه » · أما W.C. Taylor فانه كتب الى مجلة Foreign Quarterly (عدد ١٤ ، كانون الأول ١٨٣٤ ، ص ٣٥٠) معربا عن شغفه بالحكايات على الرغم من حسه بتزايد التأكيد (البنثامى النفعى) على (الحقائق العملية) : « فعلى الرغم من خطر التعرض الى سخرية وهزء هذا العصر النفعى ·· مازلنا نود ان نلهو فى مشاهـــد الخيال الشرقى العجيبــة الجامحة » ·

وأهم من ذلك بكثير ان بعض النقاد استعملوا الحكايات على انهـا أساسيات نقدية فى تقويم وتثمين الأعمال الروائية والقصصية الانكليزية المعاصرة فى المرحلة التى نحن بصددها فى هذا البحث · وهكذا فعند التعليق على روايات سكوت Waverley التى ظهرت فى عام ١٨١٤ كان ناقد مجلة British Critic المحافظ يمتدح وثائقيتها التاريخية ، مشيرا عند مقارنتها بحكايات شهرزاد الى أن رواية سكوت « يجب ان توضع فى المستوى نفسه مع ليالى السمر العربية ، حيث ان فى الليالى تبدو القصة ـ مهما جلبت انتباهنا لبرهة ـ أقل أهمية بالمقارنة مع الصورة الامينة المطروحة فيها لطباع الشرق وعاداته » (٣) · ومن جانب آخر كانت

مجلة British Review لشهر تشرين الثاني ١٨١٨ منشدة أكثر الى فن سرد شهرزاد القصصي (المتداخل والملتف) ، معتبرة هذا معيارهـــا الحاسم في تقدير جودة كتابة سكوت في Tales of My Landlord « ان الليالى العربية تلك أثارت الاعجاب طويلا لحوادثها التي لا تنتهي وسردها المغرى » كما تقول المجلة « يحتمل ان يتم التفوق عليها في العدد . على الرغم من أنها في الواقع كما هي عليه اسما ألف وواحدة » (٤) ·

وأكثر قربا الى موضوعنا حقيقة ان نقاد القرن التاسع عشر رضوا عن (عناصر) معينة في الليالى ما كانوا يسمحون بها في غيرها من الأعمال ، لاسيما ما يتعلق منها بـ (الاحتمالية) و (الاخـلاق) ، أي بالعنصرين الذين يكونان بأشكال متواضعة أو متطرفة أساسي أغلب النقد الأدبي المنشور آنذاك · وغريب ان يستمر هذا الأمر الى نهاية القرن · فعند التعليق على ليال عربية جديدة لروبرت لويس ستيفنسن مثلا · اشارت مجلة Saturday Review (٤ تشرين أول ، ١٨٨٢ ، ٦٠٩ - ٦١٠) الى « اننا ·· لا يمكن أن نتحمل ان يقوم السيد ستيفنسن ·· في لياليه العربية الجديدة بتحويل رئيس نادي الانتحار [في القصص ذاتها] الى كلب أو معزى » · اما مجلة Westminster Review فانها كانت أكثر حـدة في التعامل مع منشورات العصر ، معترضة أيضا على « اللامحتمل » في قصص ستيفنسن وعلى أسلوبه « المتكلف » و « نبرته السوداوية » في عدد ١١٩ (كانون الثاني ١٨٨٣ ، ص ١٣٨) ، موبخة اياه لغياب الوعظية المباشرة في حكاياته (العربية المزيفة) :

> ان الليالى العربية الأصلية تخلت بدون شك عن
> كثير تأمله على صعيد الوعظ الأخلاقي ، لكنها تمتلك
> بدرجة فائقة مزية اللون المحلي ·

تضاف الى هذه الحسنة حقيقة ذلك الجمع البديـــع بين الطبيعي والخارق بما يدعو الناقد الى ابتداع أسس جديدة في التعامل معها :

> في أرض السراب والوهم المشرقة التي يقطنها الجن
> حيث كل شيء يتحقق بالسحر والرقى يصعب توقـع
> ان يلائم مقياس اخلاقي صارم ، لكن حكايات ستيفنسن
> عربية باسمها فقط ·

لكن ناقد المجلة لم يزودنا نحن القراء بكثير من الملاحظات بشأن

تنوع ردود الفعل ازاء قيمة العمل الاخلاقية والتصورية . على الرغم من انه سعى الى الدفاع بذكاء عما أعده نقصا فى فن شهرزاد وعلى الرغم من انه راعى سمتى (التسلية) و (الوثائقية) اللتين جعلتا من الكتاب رائجا بين جمهور قراء العصر المذكور .

لكن هذا النقد لا يعني تقليل شأن جهد ناقد المجلة المرموقة ، اذ من الصعب ان يتوفر ناقد أو دارس واحد على الجوانب والسمات جميعا من تلك التى تجعل كتابا من هذا النوع ذائعا هذا الذيوع ومؤثرا بالدرجة التى لوحظت من قبل . أى أن ثراء الحكايات (الاجتماعى ـ الجمالى) وقدرتها على التجاوب مع الاذواق المختلفة يضعان الدارس فى موقف صعب ، ولا سيما اننا نفترض ان أغلب الدارسين لهم مواقفهم ومفاضلاتهم ، وهى مواقف ومفاضلات تفترض حسا ما بأحقية شىء أو جانب على حساب شىء أو جانب آخر .

وطبيعة هذه الحكايات نفسها هى التي اثارت ردود الفعل والمفاضلات والاختبارات النقدية والذوقية المختلفة ، كما انها وفى الوقت نفسه توضح أسباب هذا التعدد ، وحيث ان أغلب التيارات والمواقف النقدية كونت بداياتها فى العقود الأولى من القرن ، من المناسب فى مجال هذه الدراسة البدء بالتعريف بهذه البدايات تناول اشكال نموها وتطورها خلال العصر الفكتورى .

ومقدمة هنرى ويبر لحكايات الشرق التى ظهرت عام ١٨١٢ تستحق التأشير فى هذه التوطئة ، لان كاتبها يكاد يجمع بين عصر مضى وعصر فى حالة مخاض . فهو المعروف بولعه بالادب الوسيط ، كان ايضا يبصر « جماليات » الادب الرومانسية ، فى الوقت نفسه الذى يعد الادب فيه قادرا على التزويد بالمعلومات والاتيان بالمعرفة . وهكذا كان فى نقده الغالب يتوافق مع ذلك البحث عن « الوعظ » الرقيق والتوجيه السليم ، ذلك الذى كان اتجاها ايجابيا فى حركة اوسع واعم سبق ان اقرناها بالنزعتين (النفعية) و (الكنسية ـ الدنيوية) . فوجد هنرى ويبر فى (خزانة الرواية البارعة والصور الرائعة) كما يقول فى وصف الحكايات، دروسا فى الاخلاق ، وهى دروس لم تقدم « بتلك الهيأة المتزمتة من الاوامر الصارمة والوعظ الدكتاتورى » بل جاءت « على هيئة أمثلة وأفعال ، وهو امر أكثر راحة وبهجة » . ولم ينته هذا الولع بهذه السمة طيلة العصر : فبعده بحوالى ستين عاما حملت مجلة Cornhill فى عددها الثانى والثلاثين لشهر كانون الاول ١٨٧٥ (ص ٧٣٢) اسهام جيمز ميو الذكى فى دراسة الليالى . وعلى الرغم من ان هذه المقالة الدقيقة بحثت فى مختلف

سمات الليالى ، الا أنها وفى حدود التعاطف مع الجانب الاخلاقى الذى نحن بصدده ابدت ميلا خاصا للدروس والعبر فى الليالى ، لاسيما « تلك النصيحة المعقولة لذلك الخياط العربى الذى يحسن الظن بالناس حتى التطرف » ، وكان ان أخبر الدرويش الثانى بأن عملا كقطع الأشجار والاخشاب اكثر ادرارا للارباح من المعرفة والثقافة فى عصر مادى ، كما ان (ميو) عد نصيحة نور الدين على الى ابنه لكى يكون رجلا حاذقا وعمليا جديرة بان تجعل الليالى تحمل اسم « انجيل الشرق ، حيث تستحق خشب الارز ، واغلفة مرصعة بالجواهر ، وحروفا من الذهب السائل مخطوطة على صفحات من الرق الارجوانى » ٠ من جانب اخر ، كانت مجلة Monthly Review (١ ترقيم جديد ، ١٨٢٦ ص ٣٦٥) تكتب بنفس سوف تتابعه بعدها بعقود مجلة Spectator (٢٥ تشرين الاول ١٨٨٢ ، المجلد ٦٥ ، ص ١٥١٣ ـ ١٥١٤) حيث ابدت شغفا بذلك الخيط الدقيق من (الاخلاقية التأملية) الحزينة التى تميز الحكايات عامة وقصة (مدينة النحاس) بخاصة ، والتى تهدف ان « تطبع على ذهن العابث واللعوب حسا بلا جدوى الحياة والملك الدنيوى » ٠

لكن مثل هذا التركيز على (الاخلاقية) الفطرية فى الحكايات ليس مقطوعا عن قضية اهم واشمل فى تاريخ حركة النقد الادبى الانكليزى ، اذ كما اشير من قبل ، لم تكن الاحاديث والتعليقات حول جدوى الاعمال القصصية غير دفاع مبطن عن منفعة هذا الجنس الادبى ، اى الرواية ، فى مواجهة التهزىء (النفعى) لكل ما هو تخيلى ٠ وعلى الرغم من ان الحكايات ليست حكايات وعظية أو مباشرة ، الا أنها ترتكز على جوهر اجتماعى ـ اخلاقى لا يمكن نكرانه ٠ وعندما تزدوج هذه السمة مع حسنة الحكايات الاساسية بوصفها نتاجات تصورية ، فانها لابد ان تكون قد ساعدت فى تأسيس شهرة الحكايات فى انكلترا ، ولم يكن غريبا بعد هذا ان تكون الليالى واحدة من الاعمال القليلة التى يستعين بها المدافعون عن الرواية فى تصديهم لخصومهم من المتزمتين ٠

ولا يقل أهمية جانب آخر من الاهتمامات النقدية فى جوهر الحكايات ومحتواها ذلك هو المنهج الاجتماعى (السوسيولوجى) والذى ـ وان كان يتعثر بحكم ضعف المعلومات المتوفرة عن محتوى الحكايات ـ الا أنه كان واضحا فى عدد من الدراسات أبرزها فى العقود الأولى كتاب جون دنلوب John Dunlop المعنون (تاريخ الرواية ١٨١٤) ومؤلف سسموندى الذائع والمسمى وجهة نظر تاريخية فى أدب الجنوب الأوروبى ٠ وكان كل من الكاتبين يؤكد الاصول (البورجوازية) المدينية لاوضح الحلقات القصصية الموجودة فى المجموعة : اى انهما وضعا بعض الاسس التى بنى

عليها واعتمدها دارسون مجدون آخرون من امثال ادوارد وليم لين وولتر باجت وجون بين وستانلي لين بول وريشارد فرانسس بيرتون ، وهم يتفحصون تداخلات الفحوى الثقافي ـ الاجتماعي للرواية العربية الوسيطة لكن مدخل جون دنلوب لم يكن متحررا من ذلك التزمت (الاتباعي ـ الجديد) • فكوريث يهدف التحرر من ذلك الالتزام الطوعي لم يكن متحمسا لتجرد هذه الحكايات من « بساطة الطبيعة » لكنه وجد نفسه على الرغم من ذلك ميالا الى الاعتراف بوجود طرح حيوي للطبقات الاجتماعية المختلفة • وهكذا فان (حسنة) الحكايات الاساسية كما يرى تكمن في « تصويرها الذي يستحق الاطراء للطباع الشرقية ومكر الخدم ، ونفاق الدراويش ، وفساد القضاة وأثر الاستبداد المميت •• وجرأة ومكر النسوة اللواتي يغامرن بشدة تتناسب مع القوة التي تستخدم في حجزهن » • وبروح مماثلة عالج سسموندي وضع الحكايات البغدادية الحضري (المديني) لاسيما تصويرها للمغامرات التجارية المختلفة ، ومساعي التجار لبلوغ الربح تارة والخلاص من المصادفات والمشكلات تارة اخرى •

ويقول سسموندي :

> نحن نلم في هذه الحكايات بأسلوب أناس امتهنوا التجارة كما يحصل عندما نعرف عن أمة تتصف بميلها الى الحرب في رومانسيات الفروسية • وهكذا فان مظاهر الغنى والبذخ تتنافس مع عطايا الجن الرائعة •

وبعد ان يسهب في ايضاح هذا الجانب وشرحه ، يضيف سسموندي: « ان الابطال يقطعون الممالك البعيدة دون كلل ، كما ان مصالح الأتجار تثير عندهم حب استطلاع نشط ، تماما كما ان الاشتهار يوقظ روح الفرسان القدامى » • وتداخلات مثل وجهات النظر هذه وأهميتها يمكن أن تتأكد بعد حين : فاذا كان (سسموندي) يثمن النتاجات الأدبية في ضوء مناخها الاجتماعي بغض النظر عن اعتبارات معاصريه الأدبية أو الأخلاقية فان النقاد الذين جاءوا من بعده من أمثال وولتر باجت كانوا يسمحون لمثل هذه الاعتبارات بالتحكم بوجهات نظرهم في (جماليات) الف ليلة وليلة •

وثمة اتجاه آخر في (نقد) الحكايات وضحت بداياته فى العقود الاولى من القرن فاذا كان الاتجاهان (النفعى) و (الدينى المتزمت) يريان فى حكايات المغامرة والخوارق أمرا يبهر العقل الشاب ويلهيه ، فان عددا كبيرا من نقاد أوائل القرن أرادوا أن يقفوا بوجه هذا التغير ، معتبرين ذلك تحديدا ركيكا للادب التصورى · ولعل محرر نسخة Suttaby (١٨٠٧) من الف ليلة وليلة الانكليزية يستحق الذكر فى هذا المجال · فهو وان جاء حلقة بين جيلين وعصرين ، الا ان اسهامه فى (التوطئة التقديمية) التى ورد ذكرها فى الفصل الاول كان مؤثرا فى الكتابات المنشورة آنذاك فهو يبتدىء جدله (ص ١٩ من التوطئة) بالاشارة الى أن (المزج الذكى) بين الواقعى والخيال العجيب فى الحكاية العربية يبهج القارىء ويسره دون أن يستدرجه بعيدا عن الحقيقة فى ممالك خيالية · وهكذا ، فان مغامرات هارون الرشيد ــ على سبيل المثال ــ « على الرغم من انها تقف على حدود غير الممكن والمحتمل فى بعض الاحيان ، لكنها تقع ضمن نطاق الفعــل البشرى ، ويمكن ان تؤديها مخلوقات بشرية » · اما فى القصص التى تكثر فيها الشخوص الخارقة « حيث يتم تجاوز كافة حدود الاحتمالية المعقولة ، وحيث ندخل علنا الى ممالك الخرافة » فان المحرر يقــول فى تفسـير (الاستمتاع الجمالى) « ان متعتنا لا تعانى نقصا أو ضآلة بسبب الثقــة الاخلاقية بأن الحوادث التى نقرأها لا يمكن ان تكون قد حصلت فعــلا ؛ لكنها « اى المتعة » تبقى حية بحكم الشعور الطبيعى الذى يبديه الشخوص دائما مهما تكاثرت العجائب » ومثل هذه المزية الجمالية أثارت انتباه اثنين من كتاب العقود الاولى البارزين ، هما كوليرج وتوماس كيتلى ·

فكلاهما يريان ان الحكايات تمتلك مواصفات تؤهلها تماما لان تقبل نقديا ، ذلك لانها تبقى مصدرا للجذب والاغراء غير المؤذى بحكم كونهــا قادرة على تعزيز المتعة والارتياح دون فرض مطالب وشروط على ذهــن القارىء ، وبحكم قدرتها أيضا على ابقاء المسافة التى تفصل القارىء عن عوالمها الخاصة · وفى واقع الكتابة آنذاك ، كان كيتلى يرى ان هذه الحكايات مفضلة « على « الرواية الحديثة » لانها « تتجاوز ممالك الاحتمالية على الفور، ومن ثم لا يمكن أن تلحق أذى عن طريق اثارة الترقبات الرومانسية ازاء مصير البطل أو البطلة فى داخل القارىء » ومثل هذه الآراء ذات أهمية ، لا لانها ذات علاقة بالاتجاهات والمواقف المعاصرة ، آنذاك ازاء الحكايات ، ولكن لانها تقع ضمن اتجــاه واسع لدراسة الحكايات والتمتع بمزاياها الجمالية ، وهوه اتجاه تعزز طيلة القرن التاسع عشر ·

وهناك نزعة أخرى وثيقة الصلة بالاتجاهات المذكورة ، وهي وان ترى وجود مواصفات اجتماعية ومؤثرات مناخية على تركيب الحكاية العربية ، لكنها كانت تبصر بعض القياسات واخطاء الاستعمال الاوغسطي (القرن الثامن عشر) لطريقة التفسير التاريخي • اذ كما اشير من قبل كان توماس وورتن Thomas Warton قد كتب عددا من الاطروحات الموسعة بشأن ما اعتبره الاصل العربي للحكاية الرومانسية ، مقيما هذا الاعتبار على اسس (مناخية) واخرى اجتماعية فهو مثلا كان يرى ان (الحكام الشرقيين) كانوا كسالى دون عمل ، وهم بسبب ذلك يشجعون السرد القصصي ليبهجوا اذهانهم العاطلة ويثيروها • هذا التفسير سبق ان اشرت الى سبب ضعف اساسياته (من نحو عدم المعرفة بتاريخ الشرق ، والانبهار بالبعيد الغريب على حساب المعقول والناضج والراجح والانساني) ، لكن جون دنلب Dunlop سرعان ما وجد في هذا التفسير شيئا مقبولا لديه • فبعد الاعتماد على بعض وجهات نظر (وارتن) وتكرار بعض ما ذهب اليه جيمز بيتي Beattie كتب دنلب باسهاب عن هذا الموضوع في تاريخ الرواية (١٨١٤) وهو كتاب على الرغم من ضعفه كان رائدا في حينه بين الكتب التأريخية المطبوعة • وبغض النظر عن ذيوعه ، الا ان عددا من المطلعين على آداب الشرق وجدوا في (تحليلاته) المذكورة بشأن المناخ والحكومات امرا مضحكا •

وهكذا ، كان السير فرانسس بلكريف (Palgrave) على سبيل المثال - يقول ساخرا : « ان ثقتنا قليلة في الاثر الذي يفترض ان يتركه المناخ على السمة الاخلاقية للبشرية : ونحن نشك في ان العبقرية ايا كان نوعها ترتفع فعليا وتنخفض حسب زئبق مقياس الحرارة » (٩) وبعد ان يشير Palgrave الى أن دنلب (يورتن) أي (يتحدث شأن وارتن) وان كليهما يتنكر للحقائق الاجتماعية والتاريخية وهما يسندان صفة العطالة والكسل الى الحكام الشرقيين ، ويربطان بحكم ذلك بين الرواية والعطالة والاهمال يتوصل بالكريف الى استنتاجات مازالت تكتسب اهميتها في ضوء بعض الكتابات المتغطرسة التي ما برحت تتحدث عن (عقول مسطحة واخرى مركبة •• الخ) فهو يرى في مثل هذه المواقف « ذلك الحس المغرور بالتفوق والذي حسبه ينظر كتابنا الى الآسيويين عادة - ص ٣٨٨ » •

لكن اهتمامنا في هذا الموضوع لا يقتصر على مشكلات (النظرية التاريخية) ، بل يتعداها الى رأي بلكريف في طبيعة الحكايات العربية ، وهو رأي يقترب الى آراء ومواقف ادبية اخرى في مسعى نشط لتخليص الحكايات من انطباعات دارجة وافتراضات نقدية ليست دقيقة • فالحكايات

حسب تفسير الكاتب المذكور تكشف عن مزايا تسر وتفيد على نطاق بشرى، لكونها ليست مجرد مشاهد ترف وافراط (حيث تسير كل الأشياء بالمعجزات) لكن « حكاة الخرافة العرب » كما لاحظ الكاتب (٣٨٩) «يبدعون فى الحدث المضحك والظرافة الاصيلة ، وفى تبيان الكثير الذى يمكن تحقيقه ، هل نسى السيد دنلب الاحدب الصغير ؟ » وبعد ان يمضى الكاتب فى اثارة تساؤلات حول نهج دنلب Dunlop لمكونات الحكاية العربية ، حسم مناقشاته قائلا : « مهما يمكن له (أى لدنلب) أن يجد من بهاء وأبهة) شرقية ومن (حلية وزينة منمقة مترفة) فان هذه قلما يمكن أن تقرن بـ (مناظر) و (مناخ) العرب » · وبعد أن فرغ الكاتب من هذه القضية ، منبها الى ان تحميل الشرقيين هذه المواصفات هو سمة تعصبية ، أكد أهمية العنصر الضاحك والفكه غير المنسجم ، وهو بذلك وضع اليد على أحد مصادر (المتعة) التى وجدها كتاب آخرون من أمثال تاكرى Thackeray وهنلى Henley فى الحكايات (١٠) ·

وعلى الرغم من ان المكان هنا لا يتسع للاسهاب فى ايضاح اهمية المبادرات الأولية المذكورة فى دراسة (جماليات) الحكايات العربية وتخليصها من الموروث والمتعصب ، الا ان من الواجب الاشارة الى وجود هذه البدايات فى مطلع القرن : وهى بدايات ستطور لاحقا فى اتجاهات واضحة المعالم ليست معزولة عن وقائع مختلفة تكون بمجملها (الوضع الثقافى) العام ابان حكم الملكة فكتوريا · ولا يقل أهمية عن ذلك التأكيد المتزايد على دقة ترجمة الحكايات أو نقلها أو تحريرها · واذا كان ريشارد هول Hole (١٧٩٧) وعدد من مساهمى مجلة Gentleman's (١٧٩٨ ، ١٧٩٩) قد دعوا الى نسخة دقيقة من الليالى العربية تتلاءم والروح العلمية الظاهرة آنذاك ، فان الاثر الذى تركوه جراء مثل هذه الدعوات يتضح فى ظهور عدد من الترجمات الجديدة التى وان اعتمدت على نسخة غالان الفرنسية ــ الا انها حملت مقدمات ليست عادية فى دراسة المحتوى الاجتماعى للحكايات !!

وهكذا فان مقدمة جوناثان سكوت Jonathan Scott المطولة الى ترجمته عن الليالى قد تكون مرتبكة فى مواقع عديدة ، الا انها أكدت فى الاقل ذلك التعالق الوثيق بين (ماكنة الخوارق) ــ اى التفاصيل البنائية المعتمدة على العنصر الفوطبيعى · وبين المحيط الاجتماعى ــ الدينى الذى صورته الحكايات ذاتها(١١)·وعندما تؤخذ هذه المواقف والآراء والاجتهادات متحدة ، فانها تكون جميعا طبيعة الاستقبال النقدى للحكايات العربية وأشكال التجاوب معها فى العقود الأولى من القرن الجديد ·

لكن هذه الاهتمامات الجادة ـ برغم أهميتها ـ يلزم الا تلهى قارىء الأدب ودارسه عن حقيقة مهمة : تلك هي ان ألف ليلة وليلة قرئت ودرست على أنها مجموعة قصص ، كما ان شهرتها بين القراء تحققت من جـــراء كونها تجمع بين المتعة والتسلية بدرجة عالية ٠

وهكذا ، يقرأ المرء فى مجلة Critical Review لعام ١٧٨٦ (العدد ٦٢ ، ص ٣٨) مثلا ٠٠ ان هذه الحكايات « جلبت انتباه كل قارىء بحكم بهاء أوصافها وسحر خوارقها قبل أن نعلم انها تعرض صورة أمينة لطباع الشرقيين والمحادثات الشرقية » ٠ اى ان الليالى العربية ـ وبغض النظر عن قيمتها الاجتماعية أو اللغوية ـ راجت لبهاء صـــورها ورؤواها المغرية وبريقها الجمالى ٠

وهكذا كان سى ٠ اج ٠ توى ـ وهو يكتب فى العقود الأخيرة من القرن ، حزيران ١٨٨٩ ـ يذكر فى مجلة Atlantic Monthly (عدد ٦٣ ، ص ٧٦٢) ٠٠

« لحسن الحظ ان استمتاعنا الادبي بالليالى لن يعتمد على معرفتنـــا باصولها ٠ فهى شأن التكوينات الادبية الاخـــرى البطيئة النمو ، فان جمالها وكنوزها يقبع جزئيا ٠ على السطح ، ويغور جزئيا فى الاعماق ٠ لكن المغامرة والسحر والفكاهة والفطنة والعواطف سهلة التذكر والادراك ، اما الوجدان الدينى والاجتماعى الأعمق فيجب التنقيب عنـــه فى بعض الاحيان » ٠

لكن توى Toy وان اختصر بدقة طبيعة المسالك النقدية فى نقـــد الليالى العربية آنذاك ، الا انه لم يسلط اضواء على تداخـــلات التجاوب حتى مع السمات « السهلة التذكر والادراك » التى ميزها عن تلك التى تستدعى قدرا من الدرس والبحث ٠٠ وبدل أن تعكس تجاوبات العصر الذى نحن بصدده تثمينا منسجما باستمرار لجماليات شهرزاد ، فانها فى واقعها تؤشر عددا من الاجتهادات المختلفة التى تقع ضمن (تجاوبات) واحدة ٠ فاذا كان النقاد الرومانسيون وجمهور القراء يجتمعون على شىء ، فان آخرين من نقاد منتصف العصر الفكتورى كانوا يجتمعون على شىء مغاير ، يؤكدونه ويفخرون به ٠ وهكذا ، كونت المجموعة الأولى فى السمات التى خصها توى بالشرح الهدف الوحيد من القراءة ، فى حين ان « الرؤية المعاصرة » غالبا ما لونت مواقف نقاد مختلفين ٠٠ فقد كان كوليرج مثلا يرى فى الحكايات نموذجا ذكيا نادرا لشكل الرواية الرومانسية ، حيث تتوفر المتعة كما يتوفر التجاوب فى توحد وجدانى تصورى ، وهو أمر كان يجتمع عليه آخرون من أمثال هانت وهينلى وجيمز ميو وستفينسن ٠ لكن

اخرين لم يكونوا يحملون هذا الاتجـــاه الذهني ، فعزلوا بين القـــراءة والتجاوب ، وكان ان اصبحت القراءة بالنسبة لهم امرا دراسيا فولعوا بـ (التحليل) الذي غالبا ما اعتمد بعض مقومات وركائز النقد (الواقعي) و (الاتباعي) · كان وولتر باجت مؤسس مجلة الايكونومست الحالية ومؤسس مجلة National Review الرصينة في العقد الاول من منتصف القرن الماضي هو ممثل الاتجاه التحليلي المذكور ، لكن هذين الاتجاهين في قراءة الليالي يتداخلان في بعض الاحيان تداخلا وثيقا ، وذلك عندما يتعرض هؤلاء الكتاب لقضايا الذكريات الطفولية والمواقف العاطفية المختلفـة · ولا يفترق الاتجاهان عن بعضهما بوضوح الا عندما يتم تجاوز هـــذه المواقف باتجاه تحديد درجات الاستيعاب والتجاوب الناضج مع جماليات الفن القصصي ·

وحيث ان (النزعة الرومانسية) كانت واضحة تماما خلال هــذا العصر ، قوية ومؤثرة تارة ، وضعيفة امام التيارات الاخرى تارة اخرى ، فانها تستحق التأشير من حيث أهميتها وفحواها النقديين وهي ـ كمـا أشير من قبل ـ تأتي في مقدمة غيرها من النزعات بحكم التصاقها الحيوي والعضوي مع تلك الخلجات الانسانية والعواطف والآمال الرقيقـــة التي سبق ان تم تشخيصها عند البحث في قراءات الرومانسيين ·

ليس سهلا ـ بكل تأكيد ـ البحث في سمات هذه النزعة جميعا على الصعيد النظري ، كما ان تسليط الضـــوء على طبيعة مواقف النقـــاد الرومانسيين مهمة كبيرة ، وهكذا لابد من تحديد بعض العلامات البارزة في هذه المواقف ضمن بحث من هذا النوع : لذلك ، سيتجه تأكيدي الى : (1) تفسير النقاد الرومانسيين لنص الحكايات بصفتها ذلك النمط مـن النتاج التصوري ذي الآفاق غير المحدودة الذي يولعون به عادة ، محاولا خلال ذلك لفت الانتباه الى بعض تداخـــلات ذلك الولع الرومانسي الأدبي بالخارق والغريب والسحري والطقوسي ، رابطا هــــذا الاتجـاه بالارتداد الدائم عن القوانين (الاتباعية الجديدة) والمواصفات (الواقعية) في الكتابة وعن ذلك النمط من لتفكير الهندسي والروح التجريبية (أو الوضعية) التي ميزت مرحلة (التنور) ، أو العصر الاوغسطي ، كما سمي القـرن الثامن عشر · (2) كما انى اود ان ادرس الولع بالحكايات العربية في ضوء تلك الميول الرومانسية الواضحة كالاعتقاد بوجود الله في كل مكان، والاعتقاد بأن الكون وجود عضوي ، وذلك البحث الرومانسي الدائب وراء اللامحدود والغامض وكل ما يقع خارج حدود المنطق والتجربة الحسية · فهذه جميعا تمثل المبادىء الجمالية في النقد الابداعي والتي تميزت بهـا كتابات كوليرج وغيره

من جانب آخر ، لابد من شرح لطبيعة نسخة الحكايات التى اتحدث عنها فى هذا الباب ـ كانت هناك ـ كما هو معروف ـ مجموعة من النسخ امام جمهور قراء القرن التاسع عشر ، لكن الشىء الذى لابد من حسمه من البداية ان كافة هذه النسخ ولحين ظهور ترجمة (لين) عن العربية ، كانت مأخوذة من نسخة غالان الفرنسية ، وهى النسخة التى اعدها غالان عن الاصل (المكتوب والمتداول المنقول) دون اهتمام فعلى بالتفصيلات . وعلى الرغم من ان هذه النسخة صدرت عنها مختلف النسخ مأخوذة فى أغلب الاحيان عن ترجمة شارع Grub . فانها بقيت اجــود من المحاولات الجارية لتعديلها أو صقلها ، شأن نسختى سكوت وفورستر ، واذا كانت الترجمات الاكثر دقة قد تجاوزت هذه الترجمة من حيث الاهمية الدراسية والادبية ، فان نسخة غالان (الانكليزية) ظهرت فى ســتين طبعة على الاقل ، ناهيك عن عشرات الطبعات التى ظهرت بها بعض الحكايات منفردة ، أو مجتمعة مع غيرها . وعندما كتبت مجلة Saturday Review الصادرة فى الثالث عشر من كانون الاول ١٨٩٠ (ص ٦٨٨) معلقــة على طبعــة Aldine المأخوذة عن نسخة Scott (المأخوذة بدورها عن غالان) قلت بحق :

> هذا هو النموذج الذى حدا بشبابنا ولعدد مــن الاجيال يحلم بغرائب الشرق البهى ، ويمكن ان يقال دون حرج ان هذا النموذج كان له آلاف القراء ، فى حين ان نسخة لين الاكثر علما كان لها مجرد مئات ، أمــا نص بيرتن المتخصص جدا فكان له عشرات فقط .

اما مجلة Athenaeum (العــدد ٣٧٥٢ ، ٢٣ ايلول ١٨٩٩ ، ٤١٣) فقد عقدت مقارنات مماثلة ، بقصد التنبيه الى (فتنة نســـخة غالان الجمالية) عندما توضع فى مجال المقارنة بالنسخ الأخرى المترجمة عن العربية . فهى تقول ، معيدة بعض ما ذهب اليه هانت من قبل :

> كان يستحق المجد لكونه اول من جاء بالليــالى العربية الى اوروبا .. وكان تفسيره ، برغم كل مثالبه ، يمتلك تلك المعايير الادبية والتى جعلتها تروق للملايين القراء وبمختلف الالسن ولمدى مائتى عام .

واذا كانت مثل هذه الآراء تنبه الى طبيعة رواج نسخة غالان بين جمهور القراء ، فان تفضيل كتاب من أمثـال وولتر سكوت وستى ولى

هانت وبعدهم راسكن وهنلي ينبه الى وجود (فتنة) ادبيـــة ممتزجة بنسيج الحكايات ، (١٣) وهكذا ، كان هنلي في خاتمة القرن يكتب مقالة عن الحكايات بأسلوبه الساحر والذي يرتقي بالانطباعات الادبية ارتقاء ذاتيا ، واضعا القارىء في أجواء ورؤى تغري وتسحر ، تماما كما كانت قد سحرته هو نفسه ، فتمثلها نثرا · وعندما تمتزج هذه النسخة مع ذكرياته الدقيقة وتجـاربه الشابة فانها تولد بالنسبة له من جـديد ، بصفتها ·· كما يقول ·· « تلك الليالي العربية الوحيدة دون منازع » · ويتساءل في مقالته (آراء وعروض ، الاعمال ، المجلد ، ٥ ، ٢٢٥ ـ ٢٥٦) :

لا ، ذلك الشعور اللذيذ المتجدد والذي اتعلق به باستمرار ، وحتى ازاء بعض السلع المسحورة كتراب الذهب وخشب الصندل والسمسم والقماش المذهـب وخدم سود يحملون السيوف المعقوفة ، لمن أنا مدين به ، الا لهذا الفنان النادر المبهج ؟

واذا كانت ذكريات هنلي الانطباعية الشديدة التكثيف تمثل نموذجا متميزا لذلك الغوص الكامن في عالم الليالي المغرر ، فانها من الجانب الآخر تشهد بوجود (جودة) مادية تمكن المترجم الفرنسي من تجسيدها بوضوح · ولفهم هذه السمة ، لابد من رؤيتها من خلال وجهات نظـر كتاب (غير رومانسيين) متحررة من (غيمة الرؤية الذهبية) وهالة الخيال اللتين وصفتهما هارت بيجر ستو H. B. Stowe مؤلفة كوخ العم توم في واحدة من تعليقاتها على الحكايات (١٤) · لكن ستانلي لين بول قد يكون مناسبا ،لا لأنه حفيد لين فحسب ، ولكن لأنه ايضا اقرب الى الواقعيين والمدرسيين منه الى غيره · وهكذا ، فعلى الرغم من كل مؤاخذاته على غالان في مقالته المعروفة والمنشورة في مجلة **Edinburgh Review** (تموز ١٨٨٦ ، العدد ١٦٤ ، ص ١٦٧) كان بول يضع اليد على سر السحر في نسخة غالان ، واصفا اياها بأنها « أكثر النسخ فنية ، واحسن تفسير أدبي لليالي بين الموجود الآن » · وأنهى مناقشته لهـذه النسخة (ص ١٧٠) بقوله :

طالما الناس يثمنون كتاب قصة جيد ، فان غالان سيحتفظ بمنزلته، وعديد منا نحن الذين تربينا عليه من المحتمل أن تستمر مفضلين المحبوب القديم ، بكل مثالبه وثغراته ، عندما يقارن بأحسن الترجمات كمـــالا ومدرسية » ·

كان وولتر باجت صاحب نفس مشابه لبول · فهو – وان كان متمردا على رومانسيته الاولى – لكنه يحتفظ بذلك الصفاء الذهنى الذى اتاح له ان يكون موضوعيا ، فهو يرى ان للمترجم والمعد ·· اى غالان ·· شأنه فى جعل النسخة ساحرة ومؤثرة ، ولولا اختلاط مـــزاج المترجم الشخصى بالمادة المترجمة لما ظهرت بهذه الجودة :

> ان نسخته تحمل من فكرة الف ليلة وليلة كما هى متوفرة للقراء العرب القدر نفســه الذى تحمله ترجمة بوب Pope لالياذة هومر الاغريقية · ولكن فى حالتى بوب وغالان ، كانت هناك قوة وحيوية لدى المترجم نفسه امتدت فمنحت الحياة للعمل بغض النظر· عن الاصل الذى جاء عنه – ص ٤٥ و NR

اما جون بين Payne مترجم اكثر النسخ الادبية كمالا – فانه تحدث باسهاب عن (القيمة الفنية الداخلية) لعمل غالان ، مؤكدا قدرته على نقل روح الشرق الرومانسية الفعلية فى اسلوب يجمع بين « الجزالة والجرأة ، القوة والجلال » · ويقول بين وهو يكتب لمجلة New Quarterly Magazine (كانون الثانى ١٨٧٩) :

> فى الحقيقة يبدو لى ان هذه المحاولة الاولى – وان لم تكن كاملة – لنقل الازهار السحرية للخيال الشرقى فى حدائق أوروبية لا يمكن ان تستبدل تماما ، ولهذا لم يبق للعاملين فى هذا المجال غير ان يأملوا اضافة شىء لها لا محوها (١٥) ·

لقد كان حس (بين) وذوقه الادبى قادرا على تمييز فعل الاحداث السردية المجردة وتأثير الماكنة الرومانسية وعفوية الفكاهة والعـاطفة · وهكذا كان جوزيف جيكبز Joseph Jacobs يثنى بعده بسنوات على هذه السمات والتى « تنطبق عليها تسميات ادغــار الان بو (العجيب والخيال » بكل معانيها » (١٦) ·

وفى مقدمته لنسخة ١٨٩٦ من ترجمــة غالان (ص٢٧ – ٢٨) أوضح جيكبز ان غالان ترك اثره الحاسم بسبب وعيه باغراء الاجــزاء الرومانسية ، وهو اغراء دائم يعنى بالحتم ديمومة رواج هذه الترجمة . لكن هذا التخريج وان بدا منصفا من الخارج ، الا انه يتجاهل حقيقة ان

المغامرات والحوادث الرومانسية لا يمكن ان تحقق مثل هذا التأثير والرواج لولا سرد مؤثر . اى ان سجية غالان الروائية دفعته الى تجريد عدد كبير من الحكايات من الالوان المحلية والمواصفات الوطنية (اى مواصفات البلدان والعادات) لكى يحقق سردا متدفقا : وهو امر اثنى عليه (لى هانت) (ص ١١١ و NT) . ومن جانب آخر لم يهمل غالان صفة (التكديس الوصفى) اى ذكر الجزئيات والتفاصيل الحديثة الصرفة . وعندما يتساند الاسلوب مع الماكنة العامة فى الحكاية فان هذا الامتزاج والتعاون يجعل الخارق بالضرورة يتداخل بالطبيعى ، والمستحيل بالممكن، والواقعى بالخيالى حيث يقود ذلك بالضرورة الى زعزعة المنطق الذى يغلف ذهن القارىء فى البداية ، وبعد ذلك تبدأ عملية (التنشئة الفنية) حيث يقاد القارىء بالتدريج الى القبول بكل ما هو قائم وموجود . اذ كما يقول (جيمز ميو) فى مقالة لمجلة Cornhill (ص ٧١٥) :

> فى كل مكان كان الراوى يمزج بمهارة لحمة الغامض والمستحيل بسداة الفعلى والمحدود .. أى ان رقاص سردها يتحرك الى الامام والى الخلف بين الواقعى والمثالى ، بين الحقيقة المحدودة بوضوح وبين الفكر المطلق غير المقيد .

وفى النصف الاول من القرن كان آخرون من رواد الرومانسية يعون هذا المزج الدقيق وهم يسعون الى فهم طبيعة الاغراء الذى مارسته شهرزاد . وهكذا ، ففى مقالة متميزة لمجلة American Review (كانون الاول ١٨٤٧) كان جى . يو . يو ـ بك G. W. Peck يتحدث باسهاب عن هذا الموضوع ، مؤكدا هذا المزج الذى من شأنه ان يجعل « الملكة العقلية تبدأ بالاجهاد جراء مسعى التمييز » بين الواقع والخيال، وهكذا تكتسب اغرب الامور « قوة الحقيقة ـ ص ١٢ » ومرد سهولة هذه التنشئة الفنية فى عوالم شهرزاد حقيقة انها لا تأتى بأية « مقدمات لاستمالة المخيلة » بل تأتى بكل ما لديها دون ادنى شك بقدرتها على النجاح أو بغرابة ما لديها حتى « تعطى الروايات المستحيلة قطعا اكثر من تأثير الحقيقة » .

وبكلمة اخرى فان الراوى يداعب الرغبة العفوية لدى القارىء لكل ما هو عجيب وغريب وهى رغبة فطرية تلقائية . كما انه ينفتح على ولعه بالغوص فى الغامض ، وكذلك حسه بالضعف امام عالم من الالغاز . وامكانات شهرزاد الادبية فى تحقيق هذا الاثر هى مزاياها ومحاسنها

المميزة في كونها راوية مجيدة مبدعة ، فهي عندما تمزج الطبيعي بالخارق تخدع القارىء ، دافعة اياه للاعتقاد بأن العجيب يجاور الواقع ويتداخل معه ، والآنى يمتزج بالقصى والبعيد . كما ان تخطيها للتسلسل المنطقي يمر دون ان يشعر به احد في عالم من الايمان والامل ، يثق فيه الواحد بأن التدخل الالهي محتوم ولابد منه بما يعنى ان هناك اقيسة جديدة تخص علاقة البشر بالعالم الخارج عنهم . وحسب تفسير جيكبز (المقدمة ص ٢٦) ، فحالما « تنقطع سلسلة التسبيب » نجد انفسنا فى « عالم مجنون .. حيث لا قياس هناك بين السبب والنتيجة . فقطرة عسل قد تسبب سقوط مملكة ، ونواة خوخ مهملة قد تلحق أذى وتثير غضب القوى غير المرئية التى تحيط بنا » .. ومن الجدير بالتأكيد هنا ، ان هذا العنصر الرومانسى فى (تركيبية) الحكايات يكتسب هذا الجذب والبهاء بحكم طبيعة تأسيسه داخل الثيولوجيا الاسلامية وداخل المعتقد الاسلامى . ويضيف جيكبز فى المكان ذاته : فوق هذا العالم « يتواجد بكآبة الكيان المتجهم للانتقام الاسلامى والمعروف باسم القسمة ، والذى يمثله على الأرض امير المؤمنين الخليفة » (*) .

اى ان جيكبز يفهم الحكايات كما فهمها Peck بوصفها عملا قصصيا ينهل من المعتقد الاسلامى والايمان بفوق الطبيعى .

ومثل هذا التجاوب مع الحكايات يعنى ضمنا استعدادا للقبول بالتسليم السائد فيها بالوجود المقدس (أى الالهى) ورضوخا لغياب التركيب المنطقى فى الحكايات . وبكلمة اخرى ، فان غوصا كاملا وتاما فى عوالم الحكايات وتمتعا فعليا بجمالياتها لا يمكن ان يتما دون بعض (الاستعدادات الرومانسية) ، اى الميول الاساسية عند الذهن الادبى الرومانسى . وهكذا ، فان مثل هذه القراءات والملاحظات السابقة تنسجم مع تيار الحركة الرومانسية فى الادب وتطوره فى ذلك الاتجاه الذى كان يتشكل من قبل تحت تأثير الفلسفة الألمانية المتسامية Transcendentalism وليس مغامرة ان نقول ان عالم شهر زاد (العضوى) اى الذى يتداخل فيه الطبيعى بالخارق تأثيرا وتأثرا ، لابد أن يكون قد مثل للرومانسيين نسخة من الواقع الدينى الذى كانوا يبحثون عنه . فالحقائق المتسامية

(*) من الواضح ان جيكبز ليس كثير الالمام بالديانة الاسلامية ، كما انه يحاول ان يأتى بـ (الميثولوجيا) الاغريقية الواضحة المعالم فى المسرحية الاغريقية ويطبق بعض مواصفاتها على الليالى . والذى يعنيه هو (القدر) وما يأتيه من حظ أو نصيب كمعتقد ، وكيف ان عطايا الخليفة وعقوباته تأتى غير مسببة بوضوح مما يجعلها تبدو فى الحكايات جزء من هذا القدر .

Transcendental التى تشع داخل المجموعة ليست مختلفة عن تلك التى جاء بها Novalis وأثر بوساطتها فى الذهن الرومانسى ٠

وفى هذا المجال لابد من الاشارة الى واحد من الذين تأثروا كثيرا بالفلسفة المذكورة ، وقدموا فى مجالها اسهامات معـــــروفة فى الادب الانكليزى ، ذلك هو كارلايل ٠ فعلى الرغم من عدم ثقته بالرواية والقصة الا انه تابع فى الحكايات صورا للواقع وبقايا من افكار ازلية : « اشياء هى عندك لكنها ليست غير اصداء لاشياء » ٠ وطبيعة الليالى هذه ، كما يشير كارلايل ، اى طرحها لحقائق خارج حدود العقل ، هى التى «مازالت تأسر كل قلب » (١٧) ٠ وهكذا ، فان المواصفات التركيبية والخصائص النمطية للحكايات ، لا سيما تداعى المنطقيـــة والتسبيب ، تتوافق مع وجهات النظر الرومانسية حول الله والخلق ، وتتجاوب مع وصف كوليرج للاعمال الفنية الخيالية النقية ٠

فسواء كنا فى عوالم الليالى أو فى عوالم البحار القديم لكوليرج فان الذهن الحـــالم ينفتح على جريان متدفق من المتداخـلات والتعالقات والارتباطات دون تحكم ذلك العقل الوضعى أو التجريبى حيث الروابط الميكانيكية ، ودون ان يعبأ بالتسبيب الاخلاقى ٠ وعندما كان يتحدث عن الحكايات فى (المحاضرة ١١) لاحظ كوليرج انه فى الحلم أو اليقظة ـ النائمة تقود هذه التدفقات من الترابطات الى تصورات وافكار عن القوى الخارقة ٠ وهكذا ، وجد فى الحكايات « نفس النشاط الذهنى فى حالة الاحلام ، اى اجهاد المخيلة فى ربط واعادة تشكيل الاشياء المتداولة المعروفة لكى تنتج صــورا جديدة ومدهشة » (١٨) وحــول هذهه النقطة يضيف Peck تفسيرات اخرى بشأن مشـــاغل المخيلة ٠ الوهـــم أو المخيلة التصورية فى قضايا وأحداث معينة داخل مجموعة الحكايات ، فهو يرى أن المخيلة Fancy تسير حسب « ارادتها الحلوة ، كما تفعل فى الاحلام بالضبط » دون خطة منطقية واضـــحة ٠ وهى بدل ان تجلب اهتمام القارىء بوحدة الحدث ، فانها غالبا ما تتحرك حسب معــدلات شبيهة بالموسيقى ٠٠ ويذكر Peck قصـــة الأمير أحمد كمثال ٠ فهى « تشبه المقدمة الموسيقية ، حيث الموضوع بدل ان يدخل فى مفتاح ذى علاقة ، يجب ان يمضى بجرأة من صغائر واحد الى كبار آخر ، حيث يكون الانتقال النغمى ، فى مكان سرى ما ، عبر الباب الحديدى » ٠

ويشخص Peck مقطوعة اخرى ، هى تلك التى تقدم رحـــلة سندباد السادسة والتى تشبه فى تكوينها العام الاحلام التى تحدث عنها كوليرج من قبل ٠ فبعد ان تحطمت السفينة فى عرض البحر ولاقى

رفاقه البحارة حتفهم ، ترك السندباد نفسه ينساب مع التيار مارا داخل قبو مظلم لعدة ايام وهو على الاغلب نائم • وعندما يستيقظ ، يجد نفسه فى بلد مشرق منبسط يحيط به عدد كبير من السود • وحسب تفسير Peck (ص ٦١٣ ــ ٦١٤) ، فان هذا الانتقال من « عتمة الكهف الخانقة الى النهار المشرق فى بلد كسرندب ، هو احد اكثر المفاجآت المفرحة التى تم تصويرها » • والقصة بعد ذلك تعزز ما جاء به Peck حول دور المخيلة ــ الوهم Fancy والتى « لا تعمل حسب جهد متواصل متصل، بل على شاكلة الماء فى اعلى الينبوع ، يرتفع وينخفض ، متدفقة دائمـا الى الاعلى بتدفق مفاجىء طاغ خارج حدود العقل » •

اما من حيث ردود فعل القارىء الاعتيادى ازاء الكتابة التصورية كالحكايات ، فان العديدين بدوا وكأنهم يقبلون برأى كوليرج ، فهو يرى ان مثل هذه الكتابات لا تسىء الى حشمة القارىء كما انها لا توجد تورطا عاطفيا عميقا ، أى انها لا تدفع القارىء الى تمثل العواطف المطروحة فيها • ويضيف كوليرج ، ان « هذه الحكايات لا تسبب شعورا عميقا من النمط الاخلاقى ــ دينيا أو متعلقا بالحب • لكن هناك دافعا تحركيا يتم ايصاله الى القارىء دون انفعال ، وهذا هو سر كون هذه الحكايات تقرأ وتثير الاعجاب عامة » (١٩) •

وفى هذا المجال ، تكون الحكايات قريبة الى قصـــائده الرؤوية ، لاسيما الملاح القديم ، على الرغم من التدخل العلنى للوجدان الاخلاقى فى خاتمة القصيدة الأخيرة • وهكذا فعندما كان كوليرج يجيب على اعتراض Barbauld بشأن ما اعتبره غياب الأخلاقية (أى التوجيه الأخلاقى الوعظى) ، قال كوليرج ان هذه القصيدة :

> « كان يجب الا تحتوى توجيها اخلاقيا شأنها شأن قصة الليالى العربية حول التاجر الجالس الذى يأكل التمر بجانب بئر وهو يرمى النواة على جانبــــه !! ويا للهول ! سرعان ما ظهر جنى وهو يقول أنه يجب أن يقتل التاجر المذكور ، ذلك لأن واحدة من النواة ، كما يبدو ، اصابت عين ولد الجنى واطفأتها » (٢٠) •

أى ان قصة كهذه لا تحتوى وعظا أخلاقيا ، لكنها حسب الجماليات الأدبية للفلسفة المتسامية (الباطنية التى لا ترى ان التجربة الحسية أو اللمسية قادرة على بلوغ الادراك) ترى ضمنا ان الكون متكامل عضويا ، يرتبط غامضه بواضحه ، غريبه بشائعه ، وخارقه بدنيويه • وكل فعل

حتى وان كان خـارج حـدود المنطـق والادراك الاعتيـادى له مسبباته ونتائجه .. وبكلمة أخرى ، كان الجنى محقا ، لأن التاجر لم يكن يراعى الأجواء المحيطة به ، متصورا اياها أجواء خالية من مخلوقات الله لا لسبب غير أن دنيويته جعلته يبصر الخلاء المنظور دون غيره ، فكان ان رآه خاليا من الوجود .

ومن حيث طبيعة تكون مثل هذه الأفعـال التى تطـرح مثل هذه الاشـكالات طـرحا عفـويا امتداده الفعلى فى طبيعـة ادراكات الذهن الرومانسى ، فان كوليرج يرى ان أفعالا كهذه تتأتى من أذهان (سلبية) ، أى من أذهان فى حالة من الحلم أو اليقظة ـ النائمـة ، حيث يكتظ بارتبـاطات متدفقة غير مثقلة بالتسبيب التقليدى ، وهى من ثم تمتلك الكثير من صدق الوجدان والمشاعر كما هو الأمر فى حالة (الغيبوبة) أو (الرؤية المتسامية) . وبدل أن يكون كوليرج فى مثل هذا التنظير غير عابىء بالبعد الأخلاقى ، كما كانت السيدة Barbauld تعتقد ، فانه فى الواقع كان يرى الأشياء من زاوية أكثر تساميا ، حيث ان الطبيعة الكونية كما وصفها (كارلايل) من بعده ليست مجرد « بهيمة ماكنة ـ بخار ميتة » ، بل هى عضوية مترابطة ، وهكذا ، فان اعتراض كوليرج التنظيرى هو على تلك التجريبية الهزيلة التى لا تبصر غير سببية الأشياء ، وميكافيلية العلاقات .. فالوعظية سمة الأذهان السطحية ، فى حين ان الحكايات تطرح شيئا آخر فى مفاصلها الخوارقية ، مستفيدة فى ذلك من المجال (الدينى ـ الاسطورى) الاسلامى : وهو مجال لا يبصره الباحث الاعتيادى عن الوعظ الأخلاقى . أى أن المطلوب فى عالم تختفى فيه الحدود بين العادى والخارق (بحيث ان فعلا يبدو غير مقصود يورط صاحبه فى صراع مع عالم الخوارق) مستويات جديدة للاستيعاب والفهم . وما يمكن أن يقال بحق التاجر فى القصة ذاتها يمكن أن يطبق على البحار القديم فى قصيدة كوليرج ، فسواء قادت فعلة التاجر الى عمى ولد الجنى أو قاد مقتل الطير فى قصيدة كوليرج الى سلسلة من الاشكالات ، فان الفعلين فى واقعهما أربكا (النظام الأخلاقى) فى كون عضوى وبدل البحث عن وعظ وتوجيه ، كان على النقاد أن يبصروا القيمة التصورية لمثل هذه الأعمال الأدبية ، وهى قيمـة تميزها عن غيرها من الأعمال المعـاصرة فى مجال الرواية والقصة وغيرهما .

لكن دراسة النقد الرومانسى لليالى لا يمكن أن تعد دون أن تأخذ بنظر الاعتبار المناقشات الدائرة آنذاك حول الأدب الخيالى (التصويرى) . فمن المعلوم أن دفاع كوليرج عن هـذا الأدب كان موجهـا الى السـيدة

Barbauld ، وهى التى جهدت مع دعاة الوعظية فى الكتابة أن « تحول أدب اليافعين من كنز خيالى الى مخزون للمعرفة النافعة » (٢١) وعندما نريد أن نبحث الصراعات الدائرة فى ذلك الحين بين دعاة الأدب التصورى ومريديه من جهة وخصومه وأعدائه من جهة أخرى يكون من المفيد أن نتذكر أنه اذا كان (المتدينون المتحمسون) ودعاة الفلسفة النفعية قد أعربوا علنا عن عدائهم لمثل هذا الأدب ، فان الرومانسيين أثبتوا انهم لا يقلون قدرة على دخول مثل هذه المعارك ، مسفهين خصومهم ومدينين ضيق عقولهم ومحدوديتها ٠ أما الذى يعنينا هنا ، فهو علاقة هذه الصراعات بالموضوع الذى نحن بصدده ٠ فبحكم رواجها وذيوعها ، كانت الليالى ـ كما أشير من قبل ـ تستخدم دائما لتعزيز آراء الرومانسيين بشأن القيمة الجمالية اللازمة التى تقترن بالأدب التصورى دون غيره ٠ .

وابتداء بكوليرج و (توماس كيتلى) و (لى هانت) وانتهاء بديكنز و (جيمز ميو) Mew ، كان هناك اتجاه مستمر ، متصاعد لتأكيد قدرات شهر زاد على ايقاد القابلية أو المكنة التصورية ، وتربية الوجدان واعداد الذهن لكى « يؤدى بشكل أحسن مهماته الأشق » كما يقول محرر نسخة Select Library (المقدمة ، ص ٦ و ١٥) ٠ لقد كان البنثاميون لا يقلون حماسة عن دعاة الأدب الخيالى فى الدعوة للمزيد من التربية والتعليم ، لكنهم ـ لا سيما أولئك الذين أسهموا فى الأعداد الأولى لمجلة الفلسفة النفعية آنذاك Westminster ـ كانوا يحصرون مصطلح التربية والتعليم ب « المعرفة المفيدة » أو النافعة ، فى حين أن الرومانسيين كانوا يعنــون بالمصطلح « خليطا صحيحا من النظام والغذاء المبــاشرين وغير المباشرين » ، وهى فكرة وردت على لسان الشاعر ووردزورث (٢٢) ٠ لكن رواج الحكايات العربية بين أفراد المجموعتين يثير جملة تساؤلات حول الذى عناه أفراد كل مجموعة بمصطلح الثقــافة أو التربية ٠ فمن بين طائفة البنثاميين (النفعيين) كان (شارلز نايت) قد ساعد فى ترويج الكتاب بصفته أبرز ناشرى العصر ، لا لسبب غير أنه رأى فيه (وثيقة اجتماعية) لا تقــل قيمتها أو تتدهـــور بحكم كونهــا مجموعة من القصص ، لكن الرومانسيين رأوا فى الحكايات غذاء للذهن ! ! وكان تفضيل ووردزورث للرومانسيات العربية وغيرها ـ التى تعد « كبيرة الفائدة فى استدعاء المقدرة الذهنية » حسب قوله ـ فى قلب الموقف الرومانسى النقدى ازاء هذا العمل الذى نحن بصدده ٠ وهكذا ، عندما كان يكتب الى « صديق » فى عام ١٨٠٦ حــول تعليم ابنــه الأخــير ، ميز ووردزورث بين مجرد اكتساب المعرفة الصرفة من بطون الكتب وبين قراءات الحكايات وقصص الخرافة ٠ وكان أن اقترح على الأب أن « يتركها تتمتع بحرية بهذه المشاعر والصور

والتى ستغذى ذهنها بمسرة صامتة » ٠ ومثل هذا الغذاء ، كما لاحظ ووردزورث ، يتوفر « فى حكايات الخرافة وأحسن السير والتواريخ » ٠ وفى تلك الرسالة نفسها انتقد ووردزورث التربية التى تعتمد الكتب المجردة (٢٣) ولم يكن توماس مختلفا عن ووردزورث فى موقفه ازاء الأدب الروائي والخرافى ، فى حين أن كوليرج اعتبر الحكايات أكثر الأعمال المرغوبة التى بامكانها أن تزود العقل « بحب العظيم والكامل » ، كما تشير رسائله في التاسع والسادس عشر من تشرين أول ١٧٩٧ ، والموجهة الى توماس بول (٢٤) ٠ أما تجربة ديكنز الشخصية نفسها ، فانها تعزز من وجهات النظر السالفة ٠ حيث ان الليالى حسب اعترافه أبقت مخيلته متجددة حية ، وأوقدت «أمله فى شيء خارج حدود الزمان والمكان» (٢٥) ٠ وفى النصف الثانى من القرن كان جيمز ميو يؤكد ما ذهب اليه ديكنز ٠ ففى مقاله المنشور بمجلة Cornhill ص (٧١٤) استنتج انه ما من كتاب « معد بهذا الشكل لايقاظ امكانات الذهن واستدعاء ذلك الاعجاب الشغوف بالمثالى ، وهو أمر غالبا ما يعقب بطاقة أعظم وتعطش أشد الى ما يفترض الناس أنه معرفة أعلى » ٠

لكن (لى هانت) كان أكثر رصانة من غيره فى مسعاه لتوضيح الموقف الرومانسى من حكايات كهـــذه ٠ ومقالته التى كتبها لمجـــلة ـ London and Westminster (تشرين اول ١٨٣٩) فى معرض التعليق على ست طبعات جديدة من ألف ليلة وليلة بالانكليزية ، تستحق اهتماما خاصا لا بسبب قدرات الكاتب على استيعاب مواطن الفتنة فى الحكايات وايضـــاحها حسب ، ولكن أيضـــا بسبب مسعاه الدقيق لاقحام الحكايات الشائعة فى تلك الأيام فى صراع دائر حول قيمة الأدب التصورى ، ووضع أعداء هذا الأدب فى حرج امام استثناء كهذا !! كما أن (هانت) لم يكن عدوانيا ، فهو بهدف تصحيح مواقف (البنثاميين) ازاء هـــذا اللون من الأدب ٠ وعندما نعرف أن مجلة Westminster كانت داعية للمعـــرفة المنفعية ، وخصما للآداب التصورية ، فان الكتابة فيها آنذاك ليست مهمة سهلة ، لكنها فى تلك الحقبة وعند تسلم الفيلسوف والكاتب (جـــون ستيوارت مل) رئاسة تحريرها شهدت تغيرا ملحوظا يمكن أن يعد لصالح الأدب ، لاسيما بعد أن تعرض (مل) نفسه الى تغيرات داخلية ، جعلتـــه يرتد بعض الشيء عن طبيعة التربية التى ترباها فى ظـــل والده بنثام Bentham وهكذا ، كانت مقالة (هانت) آنذاك دعوة لفهم أفضل للآداب ، أى أنها ليست رفضا قاطعا للنزعة النفعية ٠ وهكذا بدأ مناقشته

بالاشارة الى أن الرواج الكبير الذى لم يكن له مثيل من قبل ، وفى عصر علمى ، يعنى توكيدا للحاجة البشرية الدائمة الى كتابة تصورية :

ليس، هذه النسخة [أى نسخة لين] هى واحدة من عدة نسـخ صـادرة أخذت بالتزايد عددا خلال العشرين عاما الأخيرة ولكن ضمن هذه المرحلة ، التى هى أكثر المراحل عملية وعلمية فى تاريخ العالم ، ازداد حب الكتابة الخيالية بمعدل مساو لهذا النمو وبقوة موازية ، وكأن هذا الحب يتقصد فى تسفيه النبوءة) ٠

والذى يعنيه (هانت) بالكلمات الاخيرة تلك التنبؤات التى شاعت حول انحسار مد الكتابات الخيالية ٠ وأضـاف وهـو يضرب على الوتر نفسه :

لا ، لنقل : كأن الطبيعة نفسها ، من خلال الفن قررت أن تتيـح لجميع امكانات الانسان فرصا عادلة ، دون أن تدع منفعة ميكانيكية تعلو ان لم تصحب بقدر مساو من الخيال والشعور (ص ١٠٢ ـ ١٠٣)

والذى يهم (هانت) كثيرا هو البرهنة للماديين المتخشبين فى عصر القطارات والماكينات والتلغراف أن رواج الليـالى يؤكد حقيقـة ان هذه المكتشفات وما يترتب عليها من تجارة وأعمال وازدهار أصحاب المصالح الكبيرة والصغيرة لايمكن ان تحول البشر الى علب جاهزة ، ولأن تلغى الميل الانسانى الى ما هو خيالى وما هو خارق ، اذ ان هناك أشياء غامضة وغير مرئية يستحيل للذهن التجريبى أو النفعى والمادى أن يلهم بها ٠ ويكفى أن يكون الانسان نفسه معرضا فى أية لحظة للحس بفزع طاغ أو رهبة جليلة أمام مختلف الاحاجى والاسرار الكونية ، حتى اذا كان هذا الانسان قد حصل على مختلف التدريبات العلمية والعملية البحتة (راجع ص ١٠٨ NT) وعندما يتجرد الانسان من قوة التصور والخيال ، كما يرى هانت ، فانه يكون كالموسيقى عندما تعوزها النغمة ! اذ ان العقل والخيال يكمل أحدهما الآخر فى وجدان متداخل منسجم : ويضيف ساخرا :

ان آمال الفلاسفة الميكانيكيين متواضعة تماما فى الواقع ، فكل الذى يبغونه هو وضـع حـد للشعر والرومانس ٠ ولكن دعونا نبصر القليل الذى هم بشأنه (ص ١٠٦ ، NT،) ٠

وبعد أن لاحظ أن منطقا كهذا يدلل على صغر العقل وسذاجة الرؤية، قال ان عقلا بلا أخيلة انما هو « كسماء دون زرقة » أو « كزهور دون عبير » (٢٦) ٠

وحتى اذا سلمنا بأن العصر العلمي حقق المعجزات على صعيد الاكتشافات والأعمال ، فان الحكايات ما زالت تتحدى هذا العقل ـ كما يشرح هانت ـ بمصابيحها السحرية وبسطها الطائرة وكلمات تعاويذها المذهلة ٠ وهكذا فعندما تقارن الاكتشافات الجديدة بما جاءت به شهر زاد، فان هذه المكتشفات ما زالت متخلفة ازاء ما توصل اليه الخيال : أى أن الجنس الأدبى الذى يقرنه الرومانسيون بشهرزاد سيبقى يناجى الرغبة البشرية فى العجيب وفى المختلف ٠ ومن المفيد أن يشار فى هذا المجال الى مقاله (جيمز ميو) التى سبق ذكرها من قبل ٠ فعلى الصفحة (٧١٤) كان جيمز ميو يؤكد ما سبق أن ذكره (هانت) بعقود ، على الرغم من أن طبيعة المجتمع الانكليزى شهدت متغيرات فعلية واضحة جراء النمو الصناعى والاكتشافات العلمية ٠ ومجرد شيوع ماكنة الخوارق الشهرزادية فى ذلك العصر يعنى ـ فى تقدير ميو ـ « أن الرومانس لم يضح به بعد على مذبح العلم » لكن (هانت) كان يهدف الى بلوغ ذلك الانسجام الذى يركض وراءه الرومانسيون باستمرار : فهم لم يعادوا العلوم بقدر ما كانوا يريدون توفيقا صحيحا بين العلم والرومانس من خلال معرفة خصائص وآفاق كل منهما ٠ والليالى تتناسب وهذا التوفيق بحكم امتلاكها لعنصرى الواقعية الثرية والأدوات والآفاق التصورية٠وحتى الأدوات الرومانسية (أو الماكنة، من خوارق مختلفة) توضح ضمنا الرغبة البشرية لتجاوز حدود (العقل) و (التجربة الحسية) : وهكذا ففى واقع الحال لم تعد المكتسبات العلمية الحديثة غير تحقيق طموحات بشرية لتفسير الأشياء وبلوغ المجهول ٠ فالرومانسيون ، لا سيما هانت ، كانوا يتفقون مع Novalls فى أن البحث العلمى هو كشف للمجهول ، واللامحدود والغامض ٠

ومن خلال تأكيد على مكتسبات شهرزاد التى لا تبارى فى مجال التصور والتنبيه الى نمو الابداع العلمى والقصصى ، كان هانت يريد أن ينهى جدله بقوله ان العلم والرومانس قابلان على التعايش حقا ، واذا كان رواج الليالى فى عصر العلم يبرهن بحد ذاته على ذلك ، فان حقيقة كون هذه الحكايات من خلق الأمة نفسها التى قدمت العلم والمعرفة الى العصور الأوروبية الوسيطة هو البرهان الحاسم على امكانية التعايش المذكورة ، يقول هانت بفرح ظاهر :

ان المثير حقا هو أن الشعب الذى ندين له بهـذا الكتاب ، هو نفسـه الذى قـدم الكيمياء التى أنهت خرافاتنا ·

وبعد أن يستشهد بقول سسموندى لتأكيد ما ذهب اليه ، يستنتج هانت أن هذه « المصاحبة بين الرواية والعـلم ، بين التسلية والمعرفة ، وبالعكس ، تأكدت من ظروف صغيرة وأخرى كبيرة ، وفى كافة مراحل التاريخ – ص ١٠٦ ، NT »

لكن مسعى (هانت) لتخفيف حدة عداء البنثاميين للأدب التصورى يمكن أن يفشل لولا تأكيده أيضا على (المنفعة) المتأتية من قراءة الحكايت· لقد كان هانت يعتمد عكازات مفيدة كتخريجات سسموندى المحترمة بين الاوساط الأدبية والثقافية عامة · كما أنه كان فى منهجه يتقدم على ديكنز الذى طرح معادلات مماثلة فى رواية لاحقة من رواياته هى **أيام صعبة** · ففى تلك الرواية كانت الحكايات أبلغ أثرا من المعرفة المكتبية والتلقين · أما (هانت) فانه أفرد مجالا خاصا لمنافع الليالى ومحاسنها : فأشار الى انها توسع الكون خارج حدود المرئى ، آخذة بالقارىء الى عوالم جديدة ، متيحة له التوسع فى مداركه والتطور فى امكاناته بانسجام · وكان وهو يقتبس عن سسموندى يطعم الاقتباسات بتعليقات داخلية احيت جدله مع رواد الفلسفة النفعية · يقول سسموندى :

انهم [أى القاصون العرب] مبدعو تلك الميثولوجيا المشرقة حيث الجن والمخلوقات الأخرى ، التى توسـع من حدود العالم ، وتكدس الثروات وقوة الطبيعة البشرية [أسمعتم أيها الجامدون والعاديون يا أيها الذين يبغون العيش بالخبز وحده] ، والتى دون أن تصعقنا بلفزع ، تحملنـا الى حيث عـوالم العجـائب والمعجـزات – ص ١٠٥ (٢٧) ·

وفى مكان آخر أسهب (هانت) فى الحديث عن القيمة الحقيقيـة للحكايات ؛ أى تجاوبها مع حاجة البشر الآنية الى الايمان ومع التعاطف مع المجهول · لكنه هنا كان معنيا بشكل خاص بذلك (البحث الرومانسى)؛ وبذلك الولع القلق بالغامض والقصى · فهو يقول فى واحدة من مقالاته :

> ان الليالى العربية تتجاوب مع تعاطف البشرية مع عالم الخوارق ، المجهول الملىء بالمخاطرة والمجازفة ، مع الممكن والبعيد • انها تأتى بالعجب الموجود فى أشيائنا العادية •
>
> من كتاب ـ نقد لى هانت الأدبى ، ص ٢٤٦

وهو يعد الحكايات مركزية فى أية ثقافة أدبية ، لكونها قادرة على تطوير الذوق وتهيئة الانسان لمهمات أخرى • وعلى الرغم من أن الحكايات « قد توجد نفاد صبر متزايد واهمالا جزئيا لواجبات هنا أو هناك » الا أنها لا بد أن تسهم فى خلق « استهجان للقبيح » وهدوء يبتعد عن الغضب حول الأمور التافهة ، كما أنها تشدد من ميلنا نحو النمو الذهنى « موجدة لنا دائما مملكة من العزلة والجمال يرجع اليها الذهن لاستعادة بعث نفسه ، حتى يعود الى أشغاله ومهماته بأمل وجلال London Journal ٢٢ تشرين الأول ، ١٨٣٤ ، ص ٢٣٦ » لكنه وجد فى الحكايات أيضا دروسا وآراء ذات قيمة عملية للغرب ، لا سيما فى مجال العدل والأمل والتعاطف : « ان هذا الكتاب المدهش يهم الغرب أكثر من الشرق ـ المصدر نفسه ، ص ٢٣٣ » فهو يدع الناس « يتحررون من أنفسهم •• وهو بالتالى يعارض تماما أسوأ أنواع الانانية » • كما أنه « يبقى الناس منتظمين » بحكم ما فيه من قصص حول الحق والعدل وتقلبات الدهر ، كما أن نزعة الأمل والتفاؤل فيه تنسجم مع « تقدم المجتمع » • وهو اذ يستعمل هنا مصطلحات دارجة فى كتابات عصره ، فانه يريد الايحاء للآخرين بأهمية كتب كهذه فى الترويج لنفس المفاهيم المتداولة انذاك ، والتى تكون جزءا من ثقافة عصره ، كما أن الحكايات فى تقديره تنمى نزعة الكرم والتحمل فهو يقول :

> « بامكان الانسان الذى يساعده حب الجمال المطروح فى الحكايات على أن يكون منسجما مع بنى جنسه ، والذى تريه الحكايات أيضا سخف وتفاهة سلوك الملوك الاعتباطى أو معاذير هذا السلوك البشرية ، بأمكان هذا أن يخلو بنفسه بسلام مع العطايا والنعيم المتأتى من قراءة حكاية شرقية » •

ولكن سواء قدمت الحكايات مفرا من العالم الى أرض مثيرة مغرية تتوافق مع تصورات الذهن الرومانسى ، أو أبدت النصيحة الاخلاقية والمنفعة المعرفية ، فان ألف ليلة وليلة كانت واضحة التأثير فى الوسط

الثقافي كما تشير الملاحظات أعلاه ٠ والذى يهم فى هذا الموضوع أكثر هو علاقة هذا التأثير بتزايد العنصر الرومانسى فى الكتابة الروائية ٠ لقد كانت ملاحظات (بيتى) وروبرت هرون حول تأثير الحكايات فى الرواية الانكليزية معززة باجتهادات وارتن حول أصل الرواية الرومانسية بدائية فى حينها فى مرحلة لم تكتمل فيها أية محاولات واضحة للتدقيق فى أصول الأجناس الأدبية وطبيعة نموها ٠ أما نقاد القرن التاسع عشر فقد اسهبوا فى الكتابة عن سمات هذا التأثير ، سواء كان ذلك موضوعا على هيئة تقنيات مستعارة أو فى اعمال محاكاة مختلفة من حيث الجودة ٠ وفى الواقع كان (جيمز ميو) يرى أن طريقة شهرزاد الذكية فى اثارة اهتمام القارىء أو المستمع (أو السلطان) هى التى قادت الى أسلوب المسلسلات الشائع آنذاك ٠ يقول ميو : (ان العادة الدارجة فى الدوريات لضمان دوام اهتمام القارىء بتقسيمات للحبكة موضوعة باقتدار (ص ٧١٧ Cornhill) قد ترجع الى حيلة شهرزاد الماهرة » ٠ كما أن الناقد نفسه كان يرجع صدى ما قالته جورج اليوت من قبل ٠ اذ اشارت الكاتبة الى « أن أغلب أشيائنا الجيدة ٠٠ [ومن بينها] حكايات الأطفال والرومانس ، رحلت الينا من الشرق » (٢٨) ٠ اذ كان ميو يرقب مختلف الافادات المأخوذة عن الليالى والكتابات الأخرى التى تحاكيها ، موضحا (على ص ٠ ٧١٢) :

أن مخيلة شهرزاد الخصبة قد أنجبت أطفالا ،
غرباء كما هم أقوياء ، متعددى الهيئات كما هم عديدون
ــ أنها معين الرواية الذى لا ينضب ، حبة مسك سخية
العذوبة شديدة الحلاوة ، دون خسارة محسوسة فى
النوع أو الكم » ٠

وعلى الرغم من أهمية الآراء المذكورة ، ألا أنها كانت معنية بالظواهر دون محاولة لوضع الحكايات وحجم استقبالها ضمن قالب نقدى داخل الحركة الرومانسية ٠ ومرة أخرى كان (هانت) أكثر اقتدارا من غيره فى هذا المجال ، (فأصدقاؤه اللامعون) ــ كما يحلوله أن يسمى الحكايات العربية ــ ليسوا معزولين عن العوامل والمتغيرات داخل الاجواء الثقافية آنذاك ٠ بل هو يضع الحكايات ضمن العوامل التى أسهمت فى الارتداد عن « الشك المادى المفرط » فى العصر الأوغسطى (ص ١٠٣ ــ ١٠٤ ، NT) ٠ وفى مجالها هذا وبحلتها الفرنسية استمرت نسخة غالان تداعب الخيال الرومانسى ، وعادت شهرتها ثانية كما ازدادت أهميتها الأدبية بعد

عودة أنتعاش النزعة الرومانسية في أذواق خواتم القرن التاسع عشر ٠ اذ عاد الرومانس ثانية الى الرواج لأسباب عديدة ، كأن يكون ارتدادا عن الروح العلمية والمادية ، أو تصعيدا للفردية فى مواجهـــة الديمقراطيـــة السياسية ٠ لكن الذى حصل فى تلك العقود الأخيرة هـــو أن دعـــاة الرومانس شنوا هجوما علنيا ضد الواقعيين ٠ ومرة أخرى ، ان الذى يهمنا هنا ليس تفسير هذه العودة ، بل هو معرفة علاقة الليالى العربية بهذا الرواج ، كما جاءت تفسيرات هذه العلاقة فى كتابات نقاد أواخر القرن :

كانت المعركة الأدبية في العقود الأخـيرة واضحـــة المعـــالم بين الواقعيين ، خلفاء جورج اليوت فى الرواية ، وبين جيـــل الرومانسيين الجدد ، خلفاء الجيل الأول وجماعة ما قبل رفـــائيل فى الرسم (*) ٠ وفى الواقع توزعت الاتجاهات المتصارعة الى مدرستين : الواقعية الوريثة هي ما سميت بمدرسة هنرى جيمزو W. D. Howells and Henry James والأخرى مدرسة روبرت لويس ستيفنسن وجماعة Saturday Review (**)

(*) برغم صغر مجموعة الرسامين والشعراء الذين انشأوا هذه « الاخوة » فى عام ١٨٤٨ الا أنها واحدة من الاتجاهات الفنية المؤثرة فى الأدب الانكليزى ٠ وكان دور دانتى غابريل روزتى وأخيه مايكل وأخته كريستينا كبيرا فى هذه المجموعة ٠

وهى تبتدىء برفض ما هو جاهز ، والعودة الى ذلك الشوق الروحانى الذى ساد فى يوم ما قبل رفائيل ٠ وهذا الشوق يقودنا الى هم الجماعة الأول : العودة الى الطبيعة فى العواطف والتفاصيل ، نابذين كل قانون طارىء ، وكل ما هو مصطنع ، ومحاولين منح الفن دقق الحقيقة ٠ وهكذا كان راسكن مؤثرا فى هذه المجموعة وداعية الى افكارها وكانت قصيدة « السيدة المباركة » لروزتى واحدة من تعبيرات الحركة الأساسية : فهى تحمـل التوق الروحانى ممزوجا بتصويرية حسنة عالية ٠ وهى تجمع (الخارج) مع التفصـيل الاعتيادى ، ولا سيما فى اطار المحسوسات ، بحيث تحقق الصورة ـ القصيدة ذلك الطموح فى جعل الشعر صورا نابضة تستعيد اجواء القرون الوسطى ، عندما كان الخارق يقترن بالطبيعى فى مزاوجة صحيحة ٠ وكان (ميلاى) و (بيرن جونز) و (مورس) من بين أعضاء هذه الحركة المؤثرة فى الفن الأدبى ٠

(**) يقترن اسم هنرى جيمز بالاتجاه الواقعى : فالواقعية تعنى ضـــمنا التسليم بالديمقراطية ، أى باحترام الفرد ، وبالتالى برسمه بحيث يكون مركز الثقل فى الكتابة الروائية ٠ والواقعى بعد ذلك معنى بأثر الفعل فى الشخصية ، وما يستتبع هذا الأمر من تفحص لداخل الشخوص فى مواجهتهم للقضايا والخيارات الأخلاقية ٠ واذا كان جيمز قد طور (الرواية النفسية) بصفتها أحد ابرز الاتجاهات الواقعية فى الرواية ، فانه بدون شك ليس مقطوعا عن جورج اليوت ، أو عن معاصريه من أمثال هولز ومارك توين وآخرين ٠ لكن جيمز نقل النقد الروائى الى مستوى رفيع ، بحكم تصوره التطبيقى للكتابة الواقعية =

وبقدر كون الصراعات الثقافية الدائرة آنذاك متعلقة بقضية الاستبطان النفسى للشخوص والعمق الأشكالى للحبكة ، فان الرومانسيين الجـــدد يرون أن هذه مهمة أخرى ، غير مهمة الرواية ٠

كما أنهم يرون أن مصطلح « الرواية » ليس لازما لهم ضرورة وأنهم اذا وجدوا الآخرين يلحون على وضع نتاجاتهم تحت هذه التسمية ، فانهم هم أنفسهم يشعرون أن مصطلح « رومانس » يقدم تسمية مـــلائمة لما يكتبون ٠ والليالى بالنسبة الى ستيفنسن تقـدم أحسن الأدلة على كفاءة الرومانس النقى فى التجاوب مع الانفعالات والعواطف الانســانية ، ومداعبة طموحات الانسان القابعة فى دواخله ودغدغتها ٠ وهكذا فهو فى مقاله « شغب عن الرومانس » يرى أن شيوع أى جنس أدبى ورواجــه يعنى بالضرورة وجود مادة بهيجة غنية ٠ وفى هذه المقالة المنشورة فى Longman's Magazine (المجلد ، ١٨٨٢ ـ ١٨٨٣ ، ص ٧٤) يقول : « ان الليالى العربية التى تحب عامة أكثر من شكسبير ٠٠ تأسر فى الطفولة ، وتفرح فى الشيخوخة » لكن هذه الليالى نفسها ، فى تقدير ستفنسن ، لا تثير اهتماما « أخلاقيا أو ثقافيا » ٠ فبالنسبة له تكمن مواطن نجاحها فى حوادثها وحبكها وليس فى تحليل أو استقصـــاء أو عمق ٠ فهنا ـ كما يرى ستيفنسن ـ « لا نحيى بوجه أو صوت بين مجموعة الملوك والجن والسحرة والشحاذين المتخشبين ٠ فالمغامرة كما هى مجردة تزود بالتسلية ، وهى تعد كافية » ٠ وفى مرحلة كانت فيها الحكايات العربية « مطلوبة طلبا شديدا » كما تذكر مجلة Saturday Review (٤ تشرين الثانى ، ١٨٨٢ ، ص ٦٠٩) كانت اشارة ستيفنسن الى الحكايات العربية ذات أهمية كبيرة فى منح جدله ثقلا مناسبا ٠ وكانت المجلة ذاتها قد اتفقت مع ستيفنسن فى تأكيد « القيمـة الخالدة وغير القابلة للدمار للحدث البسيط أو النقى » ، كما انها اعترضت على Howells لموقفه من الرومانس ٠ ورأت المجلة (ص ٦١٠) ان رواج حكايات شهرزاد يبرهن على السحر العذب للرومانس ذلك السحر الذى تعجز الروايــة الحديثة عن تقديمه ٠

تقول المجلة : « ان العالم سيمل سريعا من (التحليـــل) مهما

= أولا ، وامتلاكه لما أعده مبادىء النقد الروائى ، واذا كان النقد الروائى يعول فى السابق على ما يتوفر فى النقد المسرحى والشعرى ، فانه الآن امتلك مواصفاته الواضحة ٠ ومهما قيل فى تفسير (الواقعية) فان تعبير هولز بأنها (المعالجة الحقيقية للمادة) يضعها فى اطارها الصحيح ضمن نظرية (المحاكاة) ٠

كان علميا • لكنه لن يمل أبدا من القصص الحسن ، وكنز القصص الحسن هو الليالى العربية » ويبدو أن مجلة Saturday Review قد كونت موقفا واضحا ازاء هذا االصراع بين جماعة الرومانس والرواية الواقعية • فهى بالاضافة الى اهتمامها بسحر حبكة الحدث فى الليالى (عدد ٧٠ ، ١٣ كانون الأول ، ١٨٩٠ ، ص ٦٨٨) سخرت بمكر ليس من معدى الحكايات ومحرريها الذين أرادوا تحويل الكتاب الى أطروحة تاريخية ـ اجتماعية ، حسب ، وانما من أعداء الرومانس الذين تبعوا جيمز وهولز فى الدعوة الى جنس أدبى مغاير • وهكذا ، فحين كانت المجلة تتحدث عن نسخة J. H. McCarthy من ألف يوم ويوم (العدد ٧٤ ، ١٢ تشرين الثانى ، ١٨٩٢ ، ٥٦٩) قالت :

> ان الهنات والثغرات الصغيرة فى هذه التسلية الجليلة يجب ألا يلح فى ذكرها ، لئلا يقوم السيد مكارثى باعلان همته بوصفه مستشرقا فيقوم بترجمة سيرة أحد شيوخ فارس وتهميشها • فمتى ما قام بذلك فانه سيلغى أيام راحتنا القليلة التى ما زال أخلاقيونا الروائيون يسمحون لنا بها • واذا ما فعل ذلك فانه سيأتينا ب (وعظ) بديل •

وتعد الآراء المذكورة مميزة للاتجاه الرومانسى السائد فى ثمانينات القرن التاسع عشر وتسعيناته • وفى الواقع كان رايدر هكرد Rider Haggard وهو يكتب «عن الرواية» فى مجلة Contemporary Review (العدد ٥١ ، شباط ١٨٨٧ ، ص ١٨٠) يخص بالذكر ألف ليلة وليلة وروبنسن كروسو بوصفهما مثالين متميزين فى التدليل على خلود الرومانس وعلى « طرقات الخيال النقى ومعتزلاته » ، تلك الطرقات والمخابىء الغنية • وكان ستانلى لين بول Lane—Poole يتخذ موقفا مشابها على الرغم من كثرة اختلافاته حول المقصود بترجمة الحكايات العربية وتقديمها للكتاب والجمهور الانكليز • فهو يتفق مع مدرسة الرومانس فى مناهضة الاتجاه الآخر ، كما تشير آراؤه فى مجلة Edinburgh Review (تموز ١٨٨٦ ، ص ١٩٣ ـ ١٩٥) عادا ان « الماكنة الخارقة » ومغامرات « الخليفة القلق هرون » وسائل وملائكة حب ، وهو تفسير يعنى ضمنا ان (الحدثية) فى الحكايات تستعير كثيرا من أبدية الموضوع وأزليته كما هو منسوج فى داخل الشبكة المسحورة لتركيب الحكاية ، وهكذا فعندما

كان يجيب على (الطلب النقدى) المتزايد على (الواقعيـة) و (رسـم الشخوص) كان (لين بول) يرى أن كل جنس أدبى له صفاته التى تستدعى أساليب وطرائق نقدية مناسبة ، وهو اجتهاد سبق أن ذهب اليه (هنرى لوس) كما نعلم (٢٩) · فهو يقول مثلا ، (ص ١٩٦) ، ان جميع الشخوص والأدوات موجودة « لملء صورة الحياة الاسلامية ، ولكن لا أحد من هـؤلاء يمتلك شـخصية ذاتية معينة » · وهكـذا فاذا كنا نبحث عن (السـحر الرومانسى) فى الحكايات ، فانه يكمن فى السرد المتدفـــق وليس فى التشخيص : « انها الحكاية ·· وليس رسم الشخوص ··· التى تؤلف جوهر الليالى العربية ، ولسنا متأكدين من أن هذا يدعو للأسف » وحيث ان التأكيدات على « رسم الشخوص » و « استبطانهم » أثارت حفيظته ، فانه قال ساخرا : « لقد بقى بين صفوفنا عدد غير قليل من أولئك الذين يحبون الليالى العربية ، تماما كما يحبون مونتكرستو وايفنهو ، ولا يتناقص هذا الحب بسبب غياب الاستبطان او التفلسف » · وفى اعمال من شاكلة هذه الحكايات كما يقول (ص ١٩٦) يبحث المرء فى العادة عن التسلية أكثر من أى شىء آخر :

« ان رسم الشخوص حسن فى مكانه المناسـب ، لكننا نعتقد أنه عنصر غريب فى كتاب قصصى بسيط نقى ، ولهذا لا بد أن نعترف أننا لا نفتقد ذلك كثيرا فى ألف ليلة وليلة » (٣٠) ·

لكن هذه الآراء تفضح نزعة دفاعية عندما توضع فى مجال المقارنة باجتهادات الرومانسيين الاوائل وتفسيراتهم : فحيث يواجه الرومانسيون اللاحقـون التأكيدات المعاصرة على الاستبطان فى رسـم الشخوص وعـلى التفصـيل الواقعى فى الرســم وعلى التسلسـل المنطقى فى البناء كانوا مدعوين الى الدفاع عن مفاضلاتهم ـ ولعل هذا الدفاع واضح المعالم اذا درس فى ضوء الرد الرومانسى عامة ضد الروح المادية والعلمية وضد النزعة (الديمقراطية) التى ظهرت فى تلك العقود الأولى فى مطلع ثلاثينات القرن التاسع عشر ، ولحين ازدهارها عند ظهور دفاع جون ستوارت مل (عن الحرية) فى كتابه (عام ١٨٥٧) الذى يحمل هذا العنوان ، والذى اصبح بمثابة نقطة التحول فى أفكار العصر السياسية ·

فالتحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية بدت واضحة وجلية تماما فى تلك العقود ، ولأنها كذلك كان لا بد من ارتـــداد رومـانسى جديد :

ولم يكن غريبا ان تنطلق الارواح الرومانسية باحثـــة فى غياهب

الممالك البعيدة ، كما فعل بيرتن و (دوتى) وبلانت ، ومؤججة نفوس آخرين للغوص فى التعالقات الغامضة داخل الكتابات الشرقية ، فى حين أن آخرين شعروا برغبة شخصية متزايدة للهروب فى عوالم جمالية من صنعهم . وهكذا كانت الليالى حسب اعتراف هنلى (آراء وعروض ، ص ٢٥٢) تزوده « بكلمات من الحشيش المخدر لهذه الحياة » : حيث أصبحت الأحداث وكنوز الضحك والعواطف تفعل فيه فعل المخدر ، فى حين أن ستيفنسن وجد فى غناها (الحدثى) ـ أى كثرة حوادثها ـ ملجأ هو بأمس الحاجة اليه للخلاص من محنته الشخصية الحادة . وهكذا كان يكتب الى الاستاذ مايكل جون قائلا :

عندما أتعذب ذهنيا ، تصبح القصص ملجأى . انى اتناولها كما أتناول المخدر . وأنى اعتبر كاتب القصة ضربا من أطباء الذهن .

ويضيف أيضا « عندما نحاصر فى زاوية موجعة فاننا لا ننسجم مع شكسبير ، ولا مع جورج اليوت ـ ولا حتى بلزاك » ذلك لأن هولاء لا يقدمون تلك الراحة الذهنية التى يبحث عنها بالحاح فهو يريد :

> « شارلز ريد ودوماس والليالى العربية وأحسن ما لدى سكوت ، نحن نريد القصص ، وليس الفعل الشعرى السامى الذى يمثل العالم » . وبعد أن يوضح وجهة نظره ، ينهى بحماسة « نريد الحدث ، الاثارة ، الفعل ، ألا تبا لفلسفتك » (٣١) .

وكان ريشارد بيرتن يتجاوب مع الحكايات بشكل مماثل قبل أن ينهض بمهمة (الاستاذية) الشاقة ، أى قبل أن يقدم على ترجمة الحكايات واضافة الشروح والهوامش لها ، والذى يبدو من خلال تجاوباته الأولى أن بيرتن وجد فى دراسة الليالى وترجمتها خلاصا من ذلك القهر الذى استبد به ، ومن ذلك الحزن السوداوى الذى فرضته عليه ظروفه ، فهو يذكر فى « توطئة المترجم ـ المجلد . ص ٧ » كيف أن ذلك المشروع « برهن على انه تعويذة ، طلسمان ضد الملل والكآبة : كان مستحيلا أن تفتح الكتاب دون أن يتكون طيف ، دون أن تتشكل صورة فى ألياف الذهن ، دون أن تنتعش عشرات الذكريات والمشاهد » .

بكلمة أخرى استمرت الليالى فى الضرب ، على ذلك النبض الحساس فى المخيلة الرومانسية سواء تمتع بها الرومانسيون على أنها مأوى تصورى أو خلاص من الألم والملل الى حيث يوجد عالمهم الشرقى الخيالى ، ولكن اذا

كان الرومانسيون الأوائل يحصلون من نسخة غالان على (صورة مخادعة) لشرق بديع ، قصي ـ وان كـــان شرقا هشا ـ يلتجئــون اليه خياليـــا ويستطيعون صياغة واعادة تركيبه ذاتيـــا بحيث يتناسب مع أهــوائهم وخيالاتهم ، فان أواخر الرومانسيين لم يكونوا كذلك ٠

وكان بيرتن ـ بأسلوبه الصورى المعهود ـ قــادرا على شرح هذا الاختلاف في (مقالته الخاتمة) ـص١٠٢ـ والتى انهى بها مجلداته المترجمة والمهمشة ٠ فهو هنا يطرح طبيعة العلاقة المتأتية جراء تغيرين : أولهما النسخة المتوفرة ، وثانيهما حجم التغيرات الخارجية الأخرى ٠ وهما تغيران يؤثران علنا أو ضمنا فى طبيعة موقف القارىء من الحكايات فقراءة الواحد للحكايات كما هي فى نسخة غالان لا تاتى بمردود مماثل لقراءة ترجمة Payne أو لنسخة لين وبيرتن ٠ ويرى بيرتن أن حكايات غالان :

« تثير رغبات غريبة وصعبة الوصف ٠ كما ان خياليتها المدهشة توجد تنورا ذهنيا غير محسوس وزيادة فى قوة المخيلة ، بحيث تجعل الواحد يحلم أن خلف هذه الحكايات يقع الجديد وغير المرئى ، الغريب وغير المتوقع »٠

أما بعد ظهور ترجمة (لين) المعززة بالاضافات والهوامش والشروح والصور عام ١٨٣٨ ـ ١٨٤١ وظهور الدراسات المختلفة حول الحكايات ، فن هذه الاخيرة لم تعد تبصر كما كانت ، بل أصبحت وثيقة حياتية كما هى عمل تصورى وكانت الصورة التى طرحتها نسخة لين وصور هارفى هى صورة واقع اجتماعى ـ اقتصادى لا يقل حقيقة وتعقيدا عن عــالم القارىء الفعلى ، وهكذا فبدل أن يعيد صياغة أو خلق طيف ٠٠ لشرق غامض يتناسب وروحه الباحثة المنقبة ، كان الرومانسى من الجيل الثانى يقدر فقط أن يقيم علاقته مع الحكايات بوصفها ملجأ جماليا أو معتكفا أدبيا يستطيع أن ينسحب اليه من المشكلات الذاتية والخارجية المحيطة ، بحيث توفر له القصص نفسها الراحة والسلوى ٠

لكن الاكتفاء بالتركيز على التجاه سيتفنسن وبيرتن التصورى الى عالم شهرزاد الفنى يعنى تعمدا واضحا فى تجاهل السمات الأخرى للنزعة الرومانسية البارزة فى طبيعة الاستقبال الأدبى الانــكليزى لألف ليلــة وليلة ٠ فاذا كان ستيفنسن قد حصل على الراحة من مغامرات الخليفة الليلية ، فان آخرين من أمثال Yeats تعاملوا مع عالم الليالى على انها رمز أدبى للشهوة من جانب والتصوف من جانب آخر ٠ كما ان آخرين

من أمثال دنكان بلاك مكدونالد تعاملوا مع هذا العالم على انه أرض للايمان والمسرة ، معتمدين فى تشكيل مواقفهم على ذلك الايمان الاسلامى بقدرة الله ووجوده فى كل شيء • وعندما كان مكدونالد يقارن الحكايات مع الحمار الذهبى لابولايس كان يقول : « ان عالم الليالى العربية هو عالم الله » • والمسلم بالنسبة الى مكدونالد « انسان » برغم « اعتقاده بالسحر وحسه بقوة السحرة » ، ذلك لأن المسلم « يقف على أرض الله ، وتحت سمائه ، وهو يستطيع ان يدخل امام حضرته فى أى وقت طارحا مصيبته امام أعلى المجالس » • ويستنتج مكدونالد ان بين المسلم وربه « لا يوجد أى حاجز ،وهو واثق تماما من الله » (٣٢) •

ومثل هذه الاجتهادات قد لا تبدو وثيقةالعلاقة بما نحن بصدده ، لولا انها تتماشى مع الاتجاهات السائدة فى نهاية القرن للتعامل مع الكتاب بوصفه عملا فنيا خياليا الى أبعد الحدود • وموطن الفتنة فى كتاب كهذا بالنسبة الى الذهن الرومانسى فى هذه المرحلة هو انه يستدعى طيفا ما يوحى بالشرق دون ان يتحدى معتقدات القارىء الموروثة • واذا كانت نسخة لين قد واجهت بعض تحديات الرومانسيين الذين نموا وهم يجدون فى نسخة غالان العواطف والانفعالات والرؤى التى تتناسب مع تركيب ذهنهم ، فان أواخر الرومانسيين ارتدوا على لين أيضا ، واجدين فى منهجه وطريقة تحريره للحكايات اقحاما مدرسيا غير فنى • وكان جون بين Payne قد اقدم انذاك على ترجمة الحكايات بأكملها بين ١٨٨٢ ـ ١٨٨٤ • وكان (بين) هذا وريث رسامى ما قبل الرفائيلية ومعاصر الجماليين (*) • وعرف بترجماته الكثيرة عن (الجماليين الفرنسيين) •

ولهذا فعندما أقدم على ترجمة الليالى كان يريدها كاملة أولا ،

(*) (الجمالية) : يقصد بالجمالية والجماليين هنا حركة العقود الأخيرة فى القرن التاسع عشر فى انكلترا : وهى حركة كانت تصر على عزل الفن عن الموضوعة الأخلاقية ، وكان ان ولد مصطلح (الفن للفن) أو البرج العاجى للفن فى التعبير عنها • وتعد مقدمة أوسكار وايلد فى (صورة دوريان جراى) واحدة من ابرز بلاغات الجماليين • لكن هؤلاء اعتمدوا أيضا قصائد جون كيتس الجمالية ، ومقدمة Gautier الى (المدموازيل ماوبن) التى ظهرت فى عام ١٨٣٦ • وهناك علاقة وثيقة بين جماعة أوسكار وايلد وبين الجيل السابق من (ما قبل الرفائيلية) • لكن الاسهام النظرى فى تطوير النزعة الجمالية وتأكيدها بأبعادها (التنظيرية) هو ما كتبه وولتر بيتر ، لا سيما مقالته الذائعة عن (النهضة) و (مارياس الابقورى) ، تلك الرواية التى تعد واحدة من بين أبرز التطبيقات الجمالية فى الكتابة الابداعية •

ويحتضن جيل الجماليين مجموعة من الشعراء من أمثال دوسن ولانغ ولاينل جونسون وأدمن كوز •

وموضوعة في صياغة أدبية خالصة ثانيا • وهكذا ، تعامل معها كنتاج « ذى سمة أدبية وقصصية نقية » • فى حين ان (هنلى) نفسه كان فى تلك الأثناء يعيد كلماته المشهورة عن نسخة غالان ، بصفتها التى زودته بتلك العاطفة وذلك « الهزل والرخاء المادى الذى كثر بجنون »(٣٣) •

وكان لا بد ان تساير هذه الاجتهادات ــ كما يبدو ــ طبيعة الظرف الثقافي انذاك : أى ذلك الذى شهد الارتداد الجمالى على النزعة الفكتورية فى الأدب • فاذا كان الفكتوريون قد تعاملوا مع الحياة بمظاهرها الخارجية ، معتمدين على مرتكزات فلسفة العصر فى بناء شخوصهم ، مؤكدين على سمات الاصطراع الاخلاقي أو الاجتماعي أو الغرور الوطني ، فان أوسكار وايلد وعددا كبيرا من شعراء أواخر القرن وكتابه دعوا الى « ارستقراطية الفن » ، أى الى التمرد على ما اعدوه تجاوزا على الآداب والفنون • وضمن مسيرة الليالى فى عصر الملكة فكتوريا ، كان لا بد ان يثور الجماليون على (لين) احد ممثلى ذلك العصر بنزعاته المدرسية والاجتماعية ، وحرصه على توخي الدقة والموضوعية ، وايصال المعرفة •

ولم يكن غريبا ان يكتب مكدونالد فى السنوات الأخيرة عن رأيه فى ان الليالى كتاب قصصى وليست وثيقة اجتماعية وبعد ان اعترض على نسخة لين التى حولت الكتاب الى وثيقة فى علم الاجتماع ، قال مكدونالد : « بالنسبة لغير المستعربين (أى لغير علماء العربية من غير العرب) ان عالم الحكايات لا وجود له على أرض أو فى زمن ، انه أرض تعاويذ وسحر لا يوجد لها مثيل ، ولا يمكن ان توجد » (٣٤) • وبعد ان قارن نسختى لين وغالان ، قال ان الأخير أبقى على ذلك الطيف ، على ذلك التصور المخادع لشرق بهى ، ناقلا قراءه الى أرض شبيهة بالاحلام ، فى تجربة لا بد ان « تدمرها تشكيلة التعليقات والهوامش » • ويقول أيضا ان الشخص الذى « يقرأ ويحلم ويطوف فى أراضى أسرار خلف جبل كاف ليس بحاجة الى عكازات مدرسية » • وعندما نعرف ان اراء مكدونالد ظهرت فى خاتمة القرن وانها ترى فى الليالى مخرجا وممرا الى واقع دينى منشود أو خلق تصورى لخيالات ورؤى مقبولة ، فان موقفه النقدى هذا يمثل بصورته المعروضة هنا نهاية مطاف النزعة الرومانسية النقدية وقمة تألقها فى التجاوب مع الحكايات العربية •

هوامش الفصل الثالث :

(١) « حكايات عربية جديدة » مجلة Foreign Quarterly RevieW ، العدد ١٤ ،

(كانون الأول ١٨٣٤) ، ص ٣٥٠ • حول اسم المؤلف ، يراجع Wellesley Index المجلد الثانى ، رقم الفقرة ٣٣٦ •

(٢) ليالى السمر العربية (لندن : طبعة James Burns, ١٨٤٧) ، المجلد الأول ، ص ٢ من المقدمة •

(٣) النص مأخوذ عن تحقيق John Hayden للنقد المعاصر لوولتر سكوت Scott : the Critical Heritage (لندن : طبعة Routledge and Kegan ١٩٧٠) ص ٦٩ •

(٤) المصدر السابق ، ص ١٧١ •

(٥) ورد ذلك فى History of Prose Fiction والنسخة المعتمدة من تحقيق Henry Wilson (لندن : طبعة George Bell ١٨٨٨) ، المجلد الثانى ، ص ٥٠٧ •

(٦) المصدر السابق ، ص ٥٠٨ •

(٧) وجهة نظر تاريخية فى أدب جنوب أوروبا ، نقله الى الانكليزية Thomas Roscoe (الطبعة الثالثة ، منشورات Henry G. Bohn ١٨٥٠) ، المجلد الأول ، ص ٦٢ ـ ٦٣ •

(٨) حكايات وروايات ذائعة (لندن : طبعة whittaker ، ١٨٣٤) ، ص ٣٣ • ورد رأى كوليرج فى تفسير السحر الشـــهرزادى فى المحاضرة ١١ المعاد نشره فى كتاب Raysor المحقق بعنوان Coleridge's Miscellaneous Criticism اما وجهة نظره فى الرواية المعاصرة بوصفها « مؤذية لنمو الخيال ، والتقدير والاخلاق » فانها جاءت فى الصفحة ١٩٥ من الكتاب المذكور •

(٩) جاء ذلك فى عرض لكتابدنلوب عن تاريخ الرواية في مجلة Quarterly Review العدد ١٣ (تموز ١٨١٥) ص ٣٨٥ • أما الاشارات التالية الى هذا المقال فانها سترد ضمن النص معززة بارقام الصفحات • وانى ادين الى وولتر كراهام فى التعرف على مؤلف المقالة المذكورة ، وذلك فى كتابه النقد المحافظ فى مجلة كورترلى ، ١٨٠٩ ـ ١٨٥٣ ، الصادر عن (نيويورك : مطبعة جامعة كولمبيا ، ١٩٢١) ، ص ٤٦ ، وادين فى ذلك الى كل من هل وهلن شادوك شاين فى كتابيهما the Quarterly Review under Gifford الصادر عن (Chapel Hill : Univ. of N. Carolina P., 1949) ص ٤٨ • ويبدو ان وليم كفورد كان قد أجرى بضعة تعديلات على المقالة المذكورة قبل نشرها فى مجلته •

(١٠) بهذا الصدد ، يمكن •• على سبيل المثال •• مراجعة ثاكرى فى Journey From Cornhill to Cairo فى الأعمال (طبعة Kensington نيويورك : Scribner's ١٩٠٤) المجلد ٢١ ، ص ٣٢٧ • أما « الليالى العربية » لهنلى فقد أعيد نشرها فى آراء وعروض فى اعماله الكاملة ، المجلد الأول ، ص ٢٥٤ بالانكليزية •

(١١) وردت آراء ريشارد هول بشأن ترجمة غالان فى كتابه ملاحظات ، الصفحات : ٩ ـ ١٠ ، و ٢٢٠ ـ ٢٢١ • أما الملاحظات الواردة فى مجلة Gentleman's فانها جاءت فى العدد ٦٨ (نيسان وأيلول ١٧٩٨) ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ، ٧٥٧ ـ ٧٥٨ ، وفى العدد ٦٩ (كانون الثانى ١٧٩٩) ص ٥٥ ، والعدد ٦٩ أيضا (شباط ١٧٩٩) ، ص ٩١ ـ ٩٢ •

(١٢) المقدمة ، المجلد الأول ، ص ١٧ •

(١٣) من أجل التعرف على المزيد عن مواقف سكوت وسثى وراسكن وتجاوباتهم ، يرجى مراجعة (رسالة تقديمية) لرواية Ivanhoe لسخة Every man's

١٩٦٥ ، ص ١٧ ــ ١٨) والأعمال الشعرية الكاملة بالانكليزية (طبعة ابلتون فى نيويورك ١٨٥٦) ، الكتاب الأول ، ص ٢٣٢ ، من أجل الملاحظات عن Thalaba ، وكذلك « الماء الذهبى » لراسكن فى الأعمال ، المجلد ٣٥ ، ص ٦٣٩ بالتعاقب .

(١٤) من « المقدمة » الى A library of Famous Fiction Embracing the Nine Standard Masterpieces of Imaginative Literature طبعة (نيويورك : Ford ١٨٧٣) ، ص ٨ .

(١٥) من الجزء الأول من مقالته المعنونة « ألف ليلة وليلة » ، المجلد الثانى (كانون الثانى ١٨٧٩) ، ص ١٥٤ . وكانت المقالة قبل ظهورها فى الجزء التاسع من ترجمته لألف ليلة قد نشرت دون اسمه فى المجلة الدورية المذكورة ، ونسبت اليه بعد حين من قبل W.A. Clouston فى كتابه بالانكليزيـــة الشـــعر العربى للقراء الانكليز (طبعـــة كلاسكو الخاصة ، ١٨٨١) ، ص ٣٦٤ .

(١٦) « المقدمة » الى ألف ليلة وليلة ، ترجمة ادوارد وليم لين (لندن : Gibbings ١٨٩٦) ، المجلد الأول ، ص ٢٧ .

(١٧) راجع مقالته Corn Law Rhymes فى مقالات متنوعة ونقدية ، فى الأعمال (نسخة كولير ، ١٨٩٧) ، المجلد ١٦ ، ص ٣٠٤ ، وكذلك Varnhagen Von Ense's Memoirs المجلد ١٦ ، ص ١٧٣ ، و Count Cagliostro المجلد ١٥ ، ٤٨٧ .

(١٨) الاشارة من تحقيق رسر نقد كوليرج المتنوع ، النص الانكليزى ، ص ١٩٣ .

(١٩) المرجع السابق ، ص ١٩٣ ــ ١٩٤ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٤٠٥ (من أحاديثه على المائدة بتاريخ ٣١ مارس ١٨٣٠) .

(٢١) من كتاب ريشارد التك ، النسخة الانكليزية ، ١٣٨ ، هامش ٢٢ .

(٢٢) الاشارة الى Memoirs ، كتبها كريستفر ووردزورث ، تحرير هنرى ريد (بوستن : Ticknor ، ١٨٥١) ، المجلد الثانى ، ص ١٧٨ .

(٢٣) رسالة ١٦ كانون الأول ، ١٨٤٥ الى Tremenheere فى رسائل ، السنوات الأخيرة ، المجلد ٣ ، تحرير دى. أى. سلنكورت (اكسفورد : كلارندن ، ١٩٣٩) ، ١٢٦٩ ، وكذلك السنوات الوسيطة ، المجلد الأول ، ١٩٣٧ ، ١٠٤ بالتعاقب .

(٢٤) بخصوص Keightley يراجع مؤلفه بالانكليزية حكايات وروايات شائعة ، ص ٣٣ أما بالنسبة الى كولرج ، فالاشارات الى الرسائل المجلد الأول ، صفحات ١٢ و ١٦

(٢٥) أورد ذلك معاصره جون فوستر فى حياة شارلز ديكنز (لندن : طبعة Chapman and Hall ١٩٠٤) المجلد الأول ، ص ٩ ــ ١٠ .

(٢٦) كان النقاد الامريكان قد لجأوا الى جدل مشابه انذاك وهم يعترضون على الاهمال (النفعى) للرواية . يراجع بهذا الشان E. G. Langdon فى مقاله « أصل حكايات السمر العربية » ، الجزء الخامس منه ، مجلة Literary World ، المجلد ٣ (١٣ مايس ١٨٤٨) ، ٢٨٦ . وانى مدين فى التعرف على هوية الكاتب واسمه الى Dorothee M. Finkelstein فى كتابها Melville's Orienda (١٩٦١ ، طبعة جديدة ١٩٧١) ، ص ٣٦ ، هامش ٢٠ .

(٢٧) الاقتباسات مأخوذة عن ترجمة روسكو لنظرة تاريخية الى ادب جنوب أوروبا ، المجلد الأول ، ص ٦٣ ٠ الحروف البارزة تشير الى تعليقات Hunt

(٢٨) جاءت مقالتها عرضا لرواية حلاقة شاغبات في مجلة Leader ، المجلد ٧ (٥ كانون الثانى ١٨٥٦) ٠ أعاد نشرها (اين وليمز) في كتابه : Meredith : the Critical Heritage ص ٤٠ ٠

(٢٩) تراجع مثلا مقالته عن (شيرلى) فى مجلة Edinburgh Review ، المجلد ١٢ (كانون الثانى ، ١٨٥٠) ، ١٦٦ ٠ وهذه الرصانة تلاحظ أيضا فى تثمينه لألف ليلة وهو بصدد مراجعة حلاقة شاغبات في مجلة Saturday Review ، المجلد الأول (١٩ كانون الثانى ، ١٨٥٦) ، أعيد نشرها فى كتاب اين وليمز المار ذكره ، ص ٤٣ ـ ٤٥ ٠

(٣٠) كان بيرتن يقف وقفة حادة ضد هذا التفسير ، فكتب يقول : « هكذا تجاهل بول اخلاقية هذا المؤلف العالية ، والعواطف والمراثى العجيبة والدعابة ، والوجدان الرقيق ومسحات التصوير البديعة والفردانية الشخصية والتمييز اللطيف بين الابطال والبطلات العديدين ، وهى عناصر تجتمع كليا لتجعل منه كتابا لكل الأزمان » ٠ من أجل المزيد ، يراجع مقاله « سيرة الكتاب حيث التوقف عند آراء العـــارضين له ومراجعتهـــا » فى Supplemental Nights المجلد السادس ، ص ٣٥٠ ٠

(٣١) « رسالة الأول من شباط ، ١٨٨٠ » فى الرسائل ، جمع وتحرير سدنى كلفن (نيويورك : Stribner's ١٩١١) ، المجلد الأول ، ٣٢٢ ٠

(٣٢) كتابه بالانكليزية الموقف الدينى والحياة فى الاسلام ، وهو مجموعة محاضرات فى الديانات المقارنة القاها فى جامعة شيكاغو عام ١٩٠٦ (شيكاغو : مطبعة الجامعـــة ١٩٠٩) ، ١٣٨ ـ ١٣٩ ٠

(٣٣) الاشارات الى Henry, Payne هى الى مقالتيهما « ألف ليلة وليلة » ، القسم الثانى ، ص ٤٠٠ ، و « ليالى السمر العربية » فى آراء وعروض ، ص ٢٤٩ بالتعاقب ٠

(٣٤) « حول ترجمة الليالى العربية » ، الجزء الثانى من المقالة ، المجلد ٧١ (٦ ايلول ١٩٠٠) ، ص ١٨٥ ٠

الفصل الرابع

نسخة لين :

وتغيرات الموقف الأدبى فى العصر الفكتورى

هناك مخزن آخر تباع فيه كتب الأطفال ، ليس سيئا ، لكنه يسترعى النظر ·· اذ ان فيه الطلسمان العظيم ، الليالى العربية الفريدة ، هناك قاسم بابا ينشطر الى أربعة كشبح مريع ، يتعلق هناك فى كهف اللصوص ، يسبح فى الدم ، وحيث تتلاحق هـذه الغرائب التى لا تبارى فى ذهن السيد بنج ، مسح على ذلك المصباح السحرى فى داخله ، حتى انه وهو يولى وجهه صوب الشارع المزدحم ، كانت جمهرة من الأشباح تقف فى خدمته ، وكان ان عاش ثانيـة ، وبحبور جديد ، تلك الأيام السعيدة الخوالى قبل حلول حقبة بكسنف Pecksniff

(مقتبس من شارلز ديكنز ، رواية مارتن شازلقت . الفصل الخامس) ·

يكاد يكون الاقتباس السابق من رواية شارلز ديكنز خلاصة دقيقة لطبيعة التغيرات فى الاستجابة لحكايات شهرزاد ، وهى تغيرات لم تتبلور بمعزل عن تحولات اجتماعية وحضرية ـ اقتصادية كبيرة فى المجتمع الانكليزى ، كانت لها آثارها الواضحة فى اتجـاهات الذوق وسمات التعامل مع الأدب التصورى ، فمرحلة Pecksniff التى يلمح اليها ديكنز اصطلاحا هى مرحلة رجال الأعمال والفلسفة النفعية ، حيث النزعة العملية الصرفة تؤدى ضرورة الى انحسار الخيال والتصور : وتبقى مرحلة ما قبل هذه التحولات ربيعا طفوليا خصبا يسبح فيه الخيال ويطوف · وهكذا كانت الحكايات هى رمز ديكنز لذلك الربيع الريفى الذى تكاد فلسفة العصر وسياسته تجهزان عليه · ومن جانب آخر ، فان الاقتباس نفسه يعنى ضمنا تبلور الحس بالانفصام : بين العلنى والباطنى ، الظاهرى والسرى فى النفس البشرية : فاذ تستلزم المرحلة ممثلة ب Pecksniff عملا دائبا لا مجال فيه للخيال والتزاما ذرائعيا صرفا ، فـان السيد (بنج) مدعو الى التقيد بذلك : ويبقى هاجسه الباطنى هو خلاصه الوحيد الذى يجد رمزه فى عوالم الحكايات العربية السرية ·

واذا كانت الحكايات العربية السائدة فى الأجواء الأدبية الانكليزية

حتى ذلك الحين هي تلك المأخوذة عن ترجمة غالان ، فان المرحلة الجديدة بطابعها الأكثر تميزا لم تعد تميل الى حكايات باهتة اللون والتفاصيل . وكان لا بد من نسخة تنسجم مع ذلك النزوع الدراسي المتجـــرد من الاهواء والمفاضلات الشخصية · وهكذا جاءت ترجمـــة ادوارد وليم لين Edward W. Lane وعند التفريق بين ترجمتي غالان (١٧٠٤ ـ ١٧١٢) وبين ترجمة لين ١٨٣٨ ـ ١٨٤٠ ، وايضاح طبيعة رواج كل منهما يقول (S. Lane-Poole في مجلة Edinburgh Review (ص ١٩٢) انه Lane الذى (حقق أهمية الليالى العربية بوصفها عملا يعطى صورة عن الحياة والطباع الاسلامية) ففى السابق كانت الحكايات تعامل على انها « روايات رومانسية » ، ثم يفصل القول فيشير الى انه فى « العصر الحاضر من المحتمل ان يقول أولئك الذين تربوا على النسخة الانكليزية من ترجمة غالان ان الحكايات تتألف بشكل رئيسى من مغامرات مستحيلة شخوصها جن وعفاريت وعناصر خارقة مماثلة » ·

من جانب آخر لا يمكن ان نتعامل مع هذا التخريج بقبول وتسليم كاملين : ففى الواقع تعتمد فى داخل تخريج Lane—Poole أشكالات التعميم فى الدراسة والتنظير الأدبيين · فعلى الرغم من نزعة العصر السائدة فى طلب المعرفة والمعلومات الدقيقـــة ، وفى تفضيل (النافع) و (العملى) على التصورى الا ان ذلك لا يعنى غياب نزعات مماثلة ـ وان كانت أقل وضـــوحا ـ فى العصور الســـابقة ، لكن هذه النزعات وان قادت الى فلسفة العصر الفكتـــورى التى نحن بصـــددها الآن ، وجدت ضالتها فى بعض الأحيان فى ترجمة غالان · فعندما تغيب الكتب المعرفية الجادة عن الشرق ، وتصبح الحكايات مصدرا لهذه المعرفة كان لا بد ان يتعامل معها عدد كبير من الناس على أساس انها أوثق من غيرها فى توفير المعلومات عن الشعوب الشرقية · ولم يتوان دارس مجد مثل هنرى ويبر Weber من أن يعلن فى تقديمه لحكايات الشرق (ص ٢) ان هذه الحكايات هى سجلات لطباع المجتمعات الشرقية وأخلاقها ، حتى ان قيمتها لم تعد مثار ، شك (لا سيما وان أصالتها وقرب صورها من الواقع أكدها أكثر الرحالة الى الشرق علما وأمانة) · وبعده باثنى عشر عاما ذكر جيمز موريير James Morier فى (رسالة تقديم) الى مغامرات الحـــاج بابا (طبعـــة بنتلى ١٨٥١ ، ص ٦) انه « من بين جميع الكتب المطبوعة حول الموضوع تقدم ليالى السمر العربية أكثر الصور صدقا عن الشرقيين » ·

ويمكن لمثل هذه الانطباعات والملاحظات ان تبدو (دون أساس) لدارس ضليع كستانلي لين ـ بول ، لكنها برغم ذلك تمثل نمطا من انماط التعرف على نسخة غالان والتجاوب معها بما يعني ان دارسا مثله يجب الا يغمطها حقها عند الدراسة · لكننا اذا استثنينا ذلك ، يمكن ان نتفـق مـع المنحى العام لمناقشاته · عـدا ذلك لا يمكن الا الاعتراف أيضا ان تجاهل غالان للخصائص الوطنية وتأكيده على قضايا السحـر والتعاويذ والرقي والآلية الرومانسية وصما نسخته ب (سمة عدم نفع ثابتة) على حد تعبير وولتر باجت ، وهي مثلبة قلما نتوقـــع من نقاد منتصف العصر الفكتوري ان يغضون الطرف عنها حتى وان اعترفوا بمهارة غالان في ابراز العنصر القصصي · ويكاد يكون وولتر باجت (مؤسس مجلتي National Review في منتصف القرن الماضي ، ومجلة Economist المستمرة حتى الآن) هو ابرز نقاد ذلك العصر في طرح مواصفات موقفهم ازاء نسخة غالان فالأخيرة وان « لم تضح بشيء من حيوية الأصل وروحه » لكن غايتها « لم تكن لتسليط الضوء على تاريخ أو أخلاق أو طباع · بل ان تلك الغاية كانت ان تقرأ وان تكون مادة قراءة جيدة ·· ص ٤٥ » ·

واذا كانت سمات (الموافقة) والاعتراض المطروحة ضمنا في موقف باجت تمثل تلك الرصانة ونزعة الاتزان اللتين ميزتا اذهان منتصف العصر الماضي المتنورة ، فانها ليست بالضرورة قائمة موجودة في كـل ما كتب انذاك ، أي اننا ونحن بصدد فرز اتجـاهات الذوق والنقـد الأدبيين ، لا بد ان نبصر الهويات القائمة ونتفحص تجـاوباتها حسب أساسين : السائد والمميز من جهة والتعصبي أو المحدود من جهة أخرى ، وهكذا كانت هناك آراء أخرى غير التي طرحها باجت أو لين : اذ كان محرر مجلة Eclectic (ترقيم جديد ٨ ، ١٨٤٠ ، ص ٦٤٥) يرى في نسخة غالان نسخة عديمة النفع ورائجة دون استحقاق عندما توضع في موضع المقارنة بنسخة ادوارد وليم لين · ويقول المحرر المذكور « ان النسخة القديمة كانت ولزمن طويل موضع سرور أوروبا ، ولـكن حان الوقت الآن ان تنسحب انسحابا أكيدا امام خليفتها النشطة » ·

وبعد ان قدح بنسخة غالان واصفا اياها بالتفاهة وصعوبة القراءة ، يضيف بغرور : « في الواقع يمكن ان يسمح لنا بالاعراب عن دهشتنا ازاء شيوعها بهذه الصورة ، ونحن احرار في ان نعترف بانه ولحين وقوع ترجمة (لين) بين أيدينا ، لم يكن بمستطاعنا قراءة أكثر من عدد محدود من ألف ليلة وليلة » ·

و « كطرح طائش لمادة الروايات الشرقية فى لباس أوروبى » فان نسخة غالان فى تقدير المحرر المذكور تعوزها « السمات الخاصة للأسلوب الشرقي ، والتى من شأنها ان تمنح الكتاب سمة الطبيعية » (*) ٠

وسواء في اصراره على المحاكاة أو اشـارته الى قرب النص من الواقع ، فان محرر تلك المجلة المتخصصة الرائجة انذاك يعبر عن التجاوب (اللارومانسى) مع الحكايات ، وهو تجاوب أخذ يظهر فى عدد من الكتابات المؤثرة فى ابرز المجلات فى أربعينات القرن المنصرم ، أخذا بالتكامل والتعمق فى العقود اللاحقة انسجاما مع تيارات العصر الواضحة فى توخى الواقعية و (الموضوعية العلمية) ، وهى تيارات مبنية على مفاضـلات جديدة تؤلف (روح العصر) أو ال Zeitgeist كما كان ماثيو ارنولد يود ان يقول فى مقالاته النقدية ٠ واذا كان الأخير يعتقد ان فى الامكان اعتماد مقومات أو أسس اثبتت ديمومتها وعمق معانيهـا وجمالهـا الأدبى Touchstones فان واقع الحال يشير الى أن (تفضيل التفصيلات والدقائق والتى من شأنها تقريب النص الى الواقع) لا يعنى بالضرورة (العفة) و (التجرد) ما دام الكاتب فى طور التكوين : وهكذا فان كان (لى هانت) يفضل نسخة غالان لعدد من المواصفات والأسباب ، فانه لم يندفع على الأقل فى التنكر لبعض محاسن نسخة ادوارد وليم لين ٠ لكن محرر مجلة (Eclectic) انكر فى نسخة غالان حتى تلك (الحيوية) التى لم يتورع معاصره المعروف وولتر باجت Bagehot من الاعتراف بها على مضض ٠

ولا يراد من هذا التعليق تهزئة غياب الحماسة المؤيدة للمواصفات الرومانسية لحكايات شهرزاد ، بل توجيه الانتباه الى (ردود فعـل) و (انماط تجاوب) مختلفة تماما عن ذلك (الاستقبـال الرومانسى) لليالى العربية ٠

ويتحتم علينا ان نفترض ان المحرر المذكور ــ وهو يمتدح السمات نفسها التى قلل غالان من شأنها ــ لا بد ان يتفق مع مأخذ لين Lane على (سثى) Southey وغيره من الذين اعتقدوا ان غالان اجرى تحسينا على الأصل العربى وهو يقدم نسخته من الحكايات الى القارىء الاوروبى ٠ ومن حيث الاطار التاريخى فان المحرر نفسه لا بد ان يؤلف مع Lane

---

(*) كان المصطلح الوارد فى متن دراسة المجلة المذكورة هو naturalness والذى يعنى عند نقاد منتصف القرن التاسع عشر (انسجاما مع الواقع) ، بما يتناسب والاتجاه الواقعى السائد آنذاك ٠

وغيره نفسا جديدا هيأ الاجواء امام دارسين وكتاب على شاكلة John Payne وستانلى لين بول الذين وصفوا نسخة غالان بأنها مجرد (احتيال) . كما ان الاجواء هذه هي التى دفعت بجيمز ميو James Mew ان يسخر من تلك الرقة المتناهية التى جعلت غالان ــ حسب تقديره ــ يتخلى عن الغريب على العادات والاعتبارات السائدة فى الصالون الاجتماعى) أى موائد وجلسات (متنفذى المجتمع) انذاك (١) ٠

واذا أردنا الدخول فى التفصيلات التى ابرزها محرر المجلة الدورية المتنفذة فى أوساط الطبقات الوسطى (*) ، تجدر الاشارة الى تصريح المحرر بان « مرحلة تصديق الخرافات قد ولت ، ولم تعد العفاريت أو قوى الجن قادرة على خداع القارىء الناضج وخلق رعب مسل لديه ــ ص ٦٥٧ » ٠

والتصريح قد يبدو عاديا فى سياق مسلماتنا الحالية ٠ لكنه فى عصر لم يزل يؤمن بالخوارق ولم تزل الديانات فيه نافذة لم يكن أمرا عاديا ٠ فحتى وقت قريب كان Newman يعلن ارتداده عن الكنيسة البروتستانتية لتحولها الى آلة دنيوية حسب تقديره ، واجدا راحتــه وسلواه وطمأنينته فى الكنيسة الكاثوليكية حيث الشعـــائر والتسليم بالخوارق والبابوية المتسلسلة تكون حلقات أساسية فى معتقـــده الذى أعلنه فى سيرته Apologia التى كانت مثار جدل كبير ٠ وهكذا لم يكن تصريح المحرر هراء ، أو كلمة كالتى يطلقها كاتب فى الهواء : فهو يتفق مع النزعة الدنيوية للكنيسة السائدة ٠ ومع مادية الطبقات الوسطى النامية بسرعة ، ومع روح العصر العلمية التى بدأت تخضـع المسلمات والمعتقدات الى تدقيق نظر وتفحص شديدين متمثلـــة بكتاب دارون (أصل الأنواع (The Origin of Species)وهى الروح نفسها التى دفعت ارنولد فى تلك الحقبة الى انتقاد طبقات المجتمع الانكليزى ، وتلك التى حفزت نزعة اليوت للبحث فى الدوافع النفسية للسلوك ٠ وتأكيد المحرر على (طبعانية) نسخة لين و (خصوصيتها) الأسلوبية لا يمكن ان يؤخذ بمعزل عن ثلاث لوازم رئيسة فى النقد الروائى انذاك : دقـــة التصوير exactitude والاحتمالية Probability والتطابق مع الواقع Verisimilitude ٠ وهى لوازم لم تظهر من فراغ كما أشير من قبل ٠

(*) بهذا الشأن يراجع ريشارد التك فى كتابه الذائع The English Common Reader ص ١١٧ ٠

بل تمثل روح العصر بسماتها الأساسية · وعندما تأتى نسخة لين لتعنى بهذه فانها لا بد ان توضع وتعالج في سياق النزعة الواقعية النامية فى الأدب الانكليزى ، تلك النزعة التى وصفها الناقد Richard Stang بحق على انها « الحركة الفنية الأكثر عطاء فى منتصف القرن التاسع عشر » (٢) ·

وعلى الرغم من ان الدعوة الى ترجمة دقيقة معززة بالشروح لم تكن جديدة الا ان تجاوب ادوارد وليم لين مع الدعوة المذكورة وتطويره للمشروع الذى توقف Torrens عن المضى فى أكثر من ربعه هو الذى يستحق التأشير عند البحث في دلالات صدور هذه النسخة فى العقد الرابع من القرن التاسع عشر · وحيث ان هذه النسخة كانت تقع في سياق النزوع الواقعى تحت وطأة الديمقراطية السياسية والعلوم وتزايد التأكيدات البورجوازية على « اللياقة » فى الأدب ــ أى تجنب العواطف والمشاهد الجنسية ــ فان نسخة ادوارد وليم لين كان مقدرا لها ان تحظى باعتراف كبير فى عصر الملكة فكتوريا لا على أساس كونها من كتب (غرف الاستقبال) فحسب ، بل على أساس كونها أيضا أحسن التقارير الوثائقية المسلية عن المجتمع العربى الوسيط !! ففى غرف الاستقبال اللازمة فى بيوت العوائل الوسطى كانت نسخة لين تقف فى الصدارة بعد الانجيل ونسخة باودلر المشذبة لمسرحيات شكسبير · واذا عرفنا ان هذه (الغرف) تمثل محط فخر واعتزاز الفكتوريين حيث الاناقة واللياقة والضبط العائلى لعرفنا كم ان نسخة لين وجدت عند العوائل الوسطى عناية وودا خاصين · اذ كان لين قد شذب كل ما اعتبره مشينا ، واضعا كل قصة فى سياقات من الهوامش المعنية بتحليل مجتمع الحكاية وظروف تأليفها ، منسجما فى اتجاهه هذا مع الذوق السائد . كما تحاول الصفحات القادمة ان تبين · وفى الواقع فان جدوى نسخة لين وعلاقتها الانية والمباشرة مع الوضع الأدبى الفكتورى تتبدى بوضوح كبير عندما تدرس بقدر علاقتها وارتباطها باهتمامات العصر المذكور لا سيما فى نطاق الحشمة و (المنفعة الاخلاقية) ومحاكاة الواقع ·

فلكى نحيط علما بالأسباب التى دعت لين Lane الى تشذيب نسخته من الليالى العربية أى الى حذف كل ما يعد منافيا للذوق والأدب . علينا ان نتعرف على طبيعة المهمة التى هو بصددها فى ضوء حشمة قراء الطبقات الوسطى المفرطة فى منتصف ذلك القرن · فلين لا يعد نفسه مجرد مترجم . بل هو مستشرق أو مستعرب يحيط بموضوعه ويتوقع من الآخرين ان يعرفوا عنه ذلك · فالحكايات التى بدت للأوروبيين وكأنها

ابرز كتب العرب ومؤلفاتهم لم تكن كذلك في تقديره وحسب معرفته بل هي مجرد قصص مسلية تسرد أمام السوقة والمبتذلين · أي انه تعامل مع الحكايات كما يتعامل معها العربي المتعلم المعاصر لجيله (أي لجيل لين) الذي ما برح ينتقص من الحكايات ويصفها بانها أقاصيص لا تصلح لغير الذهن الجاهل (٣) · وحيث ان هـــذه القصص قيلت وسردت لتمتيع الجمهور من عامة السكان آنذاك ، فان بعضها يفيض بوصف تصويري للحياة المنزلية ، لا سيما الجنسية ، للطبقات المتنفذة التي تغري عزلتها ويثير نمط حياتها المختلف شتى التصورات في الذهن المحروم · وحتى اذا تجنبنا الخوض في الشروح النفسية والاجتماعية لهذه النزعة السيئة الصيت بين الرواة ، الا ان من المفيد الاشارة الى أن المؤرخين العرب كانوا ينظرون الى هذه الحكايات بقرف · معتبرين اياها مبتذلة لا تستحـــق اهتمامهم · هنا يقف (لين) مع المؤرخين ، لكنه يرى في رواج الليالي في أوروبا أمرا آخر يلزمه بتحريرها من المتعلقات المشينة لكي تكـون مفيدة ومصـــدرا للمعلومات · أما الشائن فقد حذفه لأنه في تقـــديره لا يتناسب مع طهارة العربي · وهكذا حذف بعض المشاهد على شاكلة الحمال والثلاث بنات في حمام المنزل في مدينة بغداد ، والذي قال لين في تبرير حذفه : انه يقدم « فكرة مخطوءة عن أخلاق السيدات العربيات وطباعهن » (٤) ·

من الجانب الآخر هناك (الظروف المحيطة) بادوارد وليم لين : فهو ابن ذلك المجتمع الذي بالغ آنذاك في التهيب من كل اشارة تعد منافية للخلق أو الحياء : وكما تشير مراجعـات المجـــلات الدوريـــة ودراساتها ، فان نسخة (لين) تجاوبت مع الطلب المتزايد على نسخة تلتزم ب (اللياقة المعاصرة) أي لياقة الطبقات الوسطى التي ترى في كل اشارة الى الجنس والغرام شيطانا يغري الفتيات ويدفعن الى الطيش · ففي عام ١٨٣٩ كان بي· أي· بوت يكتب في مجلة Foreign Quarterly Review (ص ١٥٧ ـ ١٥٨) عن هذه النقطة ، مطمئنا الجمهور الى أن الحكايات لا (تحتوي الآن على شيء يمنع الاطهر أو الأكثر تزمتا من القراءة) · ولهذا السبب كان الناقد يرى في نسخة لين « خدمة عامة للجمهور ، لا تخص انكلترا وحدها ، بل هي شاملة ، بحكم شموليـــة الحكايات » · ويوضح أيضا ، انه « اذا عرفنا مدى تأثير الحكايات ·· فان من السهل تصور تأثير طهارة (نسخة لين) في كل طبقـــة من القراء » · ولم يكن بوت Pote وحده صاحب هذا الرأي ، اذ ان باجت Bagehot نفسه كان يلتزم هذا الموقف · فهو وان اشار الى ان لين « عرقل كثيرا في مشروعه بحكم مقتضيات اعداد كتاب لغرف الاستقبال

وتكييف العربى الى شروط اللياقة الانكليزية ــ ص ٤٥ » لكنه أكد أيضا ضرورة تشذيب الكتاب « من كل ما من شأنه الاساءة الى الذوق الحديث الصعب الارضاء فى الكتابات المحترمـــة ص ٦٤ » ٠٠ ولم يكن حتى (لى هانت) شديد المعارضة ، لطبيعة الحشمة التى طبعت أسلوب ادوارد وليم لين : فهو وان ينتقد افراط لين فى الاجتشام الا انه يعترف بان الحمال و (جميلاته الثلاث) « شخصيات مروعة » بالنســـبة للمنحى الانكليزى المحافظ (NT ص ١٢٨) ٠ وفي رسم ملامح هـــذا المنحنى تجدر الاشارة أيضا الى نقاد أواخر القرن من أمثال ستانلى لين بول Poole فهو عندما يرد على اتهامات الآخرين لخاله أوضح فى مقاله الذائع فى مجلة Edinburgh Review NT (ص ١٧١) ان هدف المترجم هو تزويـد (جمهور القراء عامة من الجنسين) بنسخة تحتوى على « أحسن ما فى الأصل » دون ان تبقى على ما هو « غير مقبول قطعا فى أوساط هـــذا الجمهور » ٠ واذا اردنا التحقق من سلامة موقف (لين) فليس أمامنا غير مطالعة آراء آخرين مبالغين فى العفة مبالغة شديدة وهم يدعون الى مزيد من التشذيب والحذف ٠ وفى الواقع كانت مجلة Eclectic Review السالفة الذكر تعلن متبجحة (ص ٦٥٠) : « يلزم ألا نعترض فى بعض الحالات حتى على المزيد من التصرف الذى وطده بعقلانية » ٠

وليس أقل أهمية فى التدليل على النزوع الفكتورى للاحتشام فى الكتابة ذلك الميل المتجدد فى النصف الثانى من القرن للتصدى لموجات الوصف (الجمالى) أو (الطبيعى) ، حيث التأكيد على السمات والأفعال الجسدية الظاهرية أو البيولوجية التى تخص تفاصيل الحياة الجنسية ٠ واذا كانت الثمانينات قد شهدت ظهور ترجمتى John Payne وريشارد بيرتن اللذين جاءا بطبعات كاملة تعتمد الأصـــل كما هـــو غير عابئة بالمعارضة القائمة لهذا الاتجاه آنذاك ، فان السنوات القلائل التى مضت شهدت قيام فايلر تاونسند Fyler Townsend بما تردد (لين) فى أدائه : فاذا كانت طبعة سكوت من حكايات غالان مبتسرة ومشذبة أصلا ، فان تاونسند قام بتشذيب جديد « لكى تقدر أكثر الفتيات براءة على قراءتها بصوت عال لاخوتها وأخواتها دون توجس أو ندم » (٥) ٠ وما كان من مجلة (اثنيم) الصادرة فى الثامن والعشرين من تشرين أول ١٨٦٥ (العدد ١٩٨٣ ، ص ٥٧٣) الا أن ذكرت بخبث أن « هذه النسخة قد شذبت نحو الأحسن أو الأسوأ » ٠ وحتى بعض أولئك الذين أعجبوا بترجمة غالان كانوا يسايرون الذوق السائد فى طلب العفـــة ونشدان الحشمة ٠ فهذا هاترسلى Hattersley لم يمتدح فى غالان (فنيته) كما فعل الآخرون ، بل وجد فى انسجامه مع الذوق الرفيع والأخـلاق

الحسنة أمرا يستحق الاطراء . ففي مقالة عن ألف ليلة وليلة نشرتها مجلة Dublin Review في شباط ١٨٤٠ (ص ١١٣) أوضح الكاتب ان المشاهد الشهوانية في الحكايات لا بد ان يكون لها تأثيرها المؤذي في القاريء غير الحصيف أو العارف : لكنه شعر بالارتياح لأن هذه المشكلة لم يعان منها الانكليزي حسب تقديره بحكم ذلك الصمت المطبق ازاء موضوعات الجنس في الكتابة . وفي مواجهة الطلبات المتزايدة على ترجمة متكاملة لألف ليلة وليلة ، وجد هاترسلي ان اختيارات غالان تسوغها اسس خلقية ، ذلك لأن الراوي الشرقي على حد تعبيره لم يكن « يقص حكاياته على اليافعين أو اليافعات ولو فعل ذلك لما انتفع أي هـؤلاء من المستمعين من قصصه » . ولهذا يرى الكاتب ان « السير بتؤدة ضرورة في متابعة أمر هذه القصص الممتعة ، فعديد من القصص التي صادفناها في المخطوطات يعجز التغيير أو الحذف عن جعلها صالحة للظهور منشورة أبدا » ـ ويثبت الكاتب ـ على نحو ما فعل غيره ـ اعتراضاته المتأثرة بالمسلمات والآراء المتعصبة ضد الشرق ، حيث يلوم الشخصية الشرقية على أساس انها ذات « انفعالات عنيفة » ، وعلى أساس ان « جميع النسوة لسن قادرات على القراءة » . وشأن عديدين من كتاب عصره أيضا ، كان (هاترسلي) ينهي اطروحته باشارة الى المرأة الانكليزية : « ربما نحن لا ندري الا قليلا بالتأثير الحسن الذي يتأتى جـراء الرقابة الصـامتة والهادئة للجنس الالطف في أدبنا » . أي ان هذا الجنس وبحكم مشاركته القراءة والكتابة لا بد ان يأخذه الكتاب بنظر الاعتبار وهم بصدد التأليف . وحيث يبني هاترسلي مناقشاته على التشويهات المتوارثة ازاء الشرق لكي يسوغ التزامه بالأخلاقية الفكتورية المثالية (أي اخلاقية التهيب من كل اشارة للعواطف والجنس والاقتصار على التمسك العـام بالاسرة) فـان الكاتب لا بد ان يعد (التشذيب) خـطوة لازمة يتوقـع من الجميع مراعاتها .

وعدا هذا الانشغال بالأخلاقية المسلية (حيث الوعظ يوضع في اطار القصصي) وبالصمت ازاء الجنس ، فان نقاد العصر الفكتوري كانوا يراعون قضية (المعرفة النافعة) كثيرا : وفي الواقع كانت هذه من الأسس أو اللوازم المتكررة في كتابات العصر ، وحتى قبيل سيادة هذه الاتجاهات كان (لي هانت) يبذل جهدا خاصا لتوطيد (منفعة) نسخة غـالان من الحكايات العربية في عصر بدأ منذ حين بتقويم الأدب في ضوء المنافـع العملية التي يقدمها للقاريء ، من مواعظ ودروس وتجارب وأخلاق . وكان محرر نسخة Select Library من ألف ليلة وليلة يشرح موضحـا

لجمهوره (المقدمة ، ص ٥) ان الحكايات توفر مصدر منفعة للقارىء الذى يبحث عن ذلك • وجاء فى تقديمه للنسخة التى توافقت فى ظهورها فى أواخر الأربعينات مع ذلك النزوع النفعى الذى ميز فلسفة تلك الأجيال السائدة : ان آلة الحكايات وطبيعة السرد المسرحى والصور الاجتماعية كلها تحمل فى ثناياها التعاليم والمواعظ الضمنية • اما بعض الحكايات كـ (الشخص الأعمى بابا عبد الله) و (الاخوات الغيورات) فانها تعلم وتوعظ علنا • ومثل هذا التصنيف لانماط المنافع يستحق ابرازا فى متابعة كالتى نحن بصددها : فاذا كان جيل الرومانسيين أقل ولعا بالوعظ والتلقين ، فان جيل ادوارد وليم لين طور اهتماما ملحوظا بعادات الشرق وأخلاقه • وليس أكثر تدليلا على هذه النزعة المنفعية (نسبة الى الفلسفة السائدة آنذاك) من حقيقة ان (شارلز نايت) Charles Knight ــ وهو احد ابرز ناشرى العصر الذين أخذوا على عاتقهم مهمة نشر (المعرفة المفيدة) ــ كان كبير الاقتناع بنسخة لين • فقد أشار فى كتابه المعروف مختارات من حياتى المهنية (لندن : برادبرى ١٩٦٤ ، المجلد الثانى ، ص ٢٥٨) بارتياح واضح الى انه « ليس من ليال عربية أخرى يمكن ان تحقق احتياجات أولئك الذين يرغبون حقا فى فهم العادات وانماط الكلام الشرقية مثل هذه الليالى » • كما ان هذه النسخة فى تقديره « تستحق اعجاب الأشخاص المتعلمين » •

ومن الأمانة الاعتراف بأن ظهور نسخة غالان المشذبة أثار ولعا بالشرق عند الدارسين ، وكان من نتائج هذا الولع ان كثرت الدعوات لتعزيز فحوى الحكايات الاجتماعى • وظهرت مقالات ومقدمات عديدة ، لتأييد أو تدعيم صورة الشرق المطروحة فى هذه النسخة : لكن هذه كلها لا يمكن ان تقارن بذلك الانجاز الذى حققه (لين) ، فهو أول من طرح الشرق كما هو ، بتعقيده ويسره ، وبوصفه واقعا متكاملا امام الجمهور الانكليزى ، حتى اتفقت مجلات أثنيم Athenaeum (تشرين أول ١٨٣٨ ، العدد ٥٧٢ ، ص ٧٣٩) ودبلن Dublin Review (شباط ١٨٤٠ ، العدد ٨ ، ص ١٢٧) و Eclectic Review (١٨٤٠ ، ترقيم جديد ، ٨ ، ص ٦٥٠) جميعا على هذه النقطة • والذى يهمنا أيضا فى معرفة مسببات هذا الرواج الذى حققه (لين) بين أوساط مثقفة معروفة ومتنفذة حقيقة ان الأسلوب الذى اعتمده ــ والذى رآه أقرب روحا الى الأصل ــ شبيه بالأسلوب الكتابى أو التوراتى : وهذا الأسلوب الذى جفل منه (هانت) ــ ولا سيما فى المقطوعات الفكاهية ــ هو نفسه الذى لاقى هوى عند جيل اعتاد على قراءة الكتاب المقدس • وعندما سعى (لين) الى تقليد الخصائص

الأسلوبية العربية ومحاكاتها ، فانه جاء بنسخة حظيت بقبول سريع بسبب تشابهها مع العهد القديم في نسخته السائدة آنذاك • وفي الواقع كانت مجلة Athenaeum (عدد ١٣ تشرين الأول ١٨٣٨ ، رقم ٥٧٢ ، ص ٧٣٩) أول من انتبه الى سر هذا الاغراء ، ملاحظة بفرح ان لين

« اعتمد مصطلحات قد تبدو قديمة أو فظة لآخرين عدا الانكليز : ولا سيما اننا متدربون منذ الطفولة على قراءة الكتاب المقدس ، ذلك الكتاب الذي هو نفسه مترجم ترجمة دقيقة » • ولم يكن مدهشا بعد ذلك ان تدعو مجلة Eclectic (ص ٦٥٠) ذات الولع الديني المتميز كافة دارسي التوراة الى تفحص الليالي بوصفه كتابا يمكن ان يحصلوا منه على « فكرة أوضح عن الأخلاق الشرقية والعادات والمشاهد أكثر بكثير مما يمكن ان يحصلوا عليه من ابرز كتب الاسفار وأكثرها حكمة » • أما أي• جي• لانكدن ـ الكاتب الامريكي ـ فقد زود مجلة العالم الأدبي (لا سيما عدد ١٣ مارس ١٨٤٨ ، ص ٢٨٦) بمقالة مسلسلة ختمها بملاحظة لا بد انها راودته بحكم هذه السمة الأسلوبية لنسخة ادوارد وليم لين من الحكايات العربية • يقول : « يحق لنا ان نفخر بعمل ألف أول دافع لذهن الدكتور ادام كلارك ، والذي جراء شغفه السابق به ، نحن مدينون بشكل رئيس لأكثر التعليقات التوراتية فائدة ونفعا » •

وعدا كونها استجابة للمطالبات النقدية بالحشمة والمعلومات ، فان نسخة لين انسجمت تمام الانسجام أيضا مع ذلك النزوع المتزايد للواقعية • فهو بعد ان زود كل حكاية بهوامش اجتماعية وتاريخية واضعا الجميع في اطار واضح عائدا بكل حدث او نادرة الى ظروفها التاريخية ـ الاجتماعية استطاع تقديم صورة غنية للحياة العربية ، ولاسيما في مصر: وبهذا الأسلوب لم تعد الماكنة الرومانسية التي سحرت الذهن الرومانسي تحتل مكانها المبرز في الحكايات ، بل اصبحت ثانوية في تركيب عام ذي اطر متماسكة وواقعية • وهذا يعني ان المحرر ـ المترجم (لين) تعامل مع الليالي العربية واستوعبها على انها مرآة للمجتمع العربي ، متمسكا بمنظار واقعي يتناقض كثيرا مع الرؤية الرومانسية عن الشرق • وليس مصادفة ان يعترض لين على وجهة نظر (لي هانت) بشأن القيمة الفعلية للحكايات•

فذكر في دراسته التي رافقت المجلد الثالث من ترجمته (ص ٦٨٦) :
« ان قيمتها تتأتى من الكمال والامانة في التعامل مع شخوص عرب لهم عاداتهم وطباعهم ، على الرغم من ان سحرها يكمن دون شك وبشكل رئيس في سمات اخرى » · اى اننا عندما نريد التمييز بين نمطين من التجاوبات النقدية ـ الجمالية . لا نجد احسن من التخريجات المماثلة لرأى (لين) المار الذكر · فهو لا يرى في ماكنة شهرزاد الرومانسية (الخوارق والطلاسم والرقى) تعبيرا عن رغبة الانسان في الغوص داخل الغامض والقصي الغريب بل يقفز الى مرحلة لاحقة لهذا التفسير ، وذلك بأن يربطها باطار دينى ـ اجتماعى ويضعها في داخله ، حيث تصبح الخوارق (من جن وشياطين وسحرة) ذات ادوار وطاقات واضحة ومنمطة · فهو ليس بصدد اصول الديانات ونشأتها وسر اعتمادها الخوارق والغوامض ، بل بصدد توزيع الأدوار والطاقات حسب ما تراها هذه الديانات ضمن نظمها وتقاليدها واجتهاداتها · يقول في مقدمة نسخته (المجلد الاول ، ص ١٤) : « لا تعد الحكايات الاكثر مبالغة في هذا العمل ذات طبيعة لا تصدق حتى من قبل الطبقات المتعلمة في الشعب العربى » · ولكى يعرف قراءه بالظروف التى رافقت تأليف الحكايات ، يضيف لين : « لقد سكنت في ارض مازال الناس فيها يعتقدون بثبات ان الجن يأتمر بامرة الساحر أو مالك الطلسمان ، وانه يشارك في احداث كل يوم » كما انه يشرح كيف كان ينصت « الى قصص عن افعال الجن وهى تسرد بوصفها وقائع وحقائق من قبل اشخاص محترمين تماما ، ومن قبل اولئك الذين لا يمكن ان يتنازلوا ويقرأوا حكايات الف ليله وليلة ، لا لسبب اخر غير كونها خرافات وليست مكتوبة بأسلوب التاليف الادبى الانيق المعتاد » ·

كما اشير في التقديم لهذا الموضوع اذن ، لا يمكن ان تدرس نزعة لين هذه لمنح كل ذكر أو اشارة أو تلميح سمة الحقيقة بمعزل عن الذوق المعاصر ومطالباته بالاحتمال ومحاكاة الواقع · وليس مصادفة ان تعلن (مرآة الثقافة الفكتورية) ـ كما اسمى مارشاند مجلة Athenaeum في عدد ٢٥ أيلول ١٨٤١ ان ذيوع الرومانس على وشك الانتهاء لأنه « يتنافى وروح العصر · فالقرن التاسع عشر يتميز بنشدان الاكيد والواقعى ·· انه بشكل رئيس عصر التحليل والنقد » (٧) · وقبل قرابة ثلاثة اعوام (١٣ تشرين اول ، ١٨٣٨ ، العدد ٥٧٢ ، ص ٧٣٩) امتدحت هذه المجلة لين لأنه « يقدم في شروح ايضاحية مربوطة بالفصول العديدة ، صورة حية ، امينة للشرق » ولأنه يقودنا « بشكل كامل الى خصوصية الحياة المنزلية بين العرب » · ولم يكن ناقد المجلة المذكورة الوحيد الذى اطرى واقعية لين · اذ كان هاترسلى يثنى ثناء خاصا على الصور واللوحات

الفنية التي عززت الحكايات والتي رسمها وأعدها هارفيHarvey خصيصا لنسخة (لين) • ففي مجلة Dublin (شـــباط ١٨٤٠ ، ١٢٧) يرى هاترسلي ان هذه اللوحات « تضع الواقع مجسدا أمامنا بحيوية ووضوح لا يمكن أن يبلغهما أي وصف في العالم » • أي ان شروح لين معززة بهذه اللوحات تأتي بشرق متداخل ومعقد مختلف عن ذلك الذي اعتاد الذهن الرومانسي وفي ظل نسخة (غالان) على تصوره والانسحاب خياليا اليه •

وليس صعبا على ناقد الادب ودارسه ان يثبت ان نسخة ادوارد وليم لين تقدم في الواقع صورة لشرق فعلي على خلاف (شرق) الرومانسيين الذي ابتدعه الخيال الشعري وعاش فيه : وحيث ان مهمة التثبت من هذا الأمر قابلة للاجتهاد الشخصي ، ومن ثم للاخلال بالموضوعية ، فان اعتماد مؤشرات الظروف المحيطة بظهور تلك النسخة هو الذي يقودنا الى تحقيق موضوعي من طبيعة واقعيتها وحقها بهذا التمييز •

لم تعد بعد ظهور هذه النسخة (٣٨ ــ ١٨٤١) الصورة الرومانسية لشرق غامض شبيه بالاحلام ممكنة القبول ، وسرعان ما تخلت عن مكانها امام تلك « الصورة الحية » لمجتمع واضح المعالم ، كما جادل هاترســـلي Hattersley جدلا مقبولا في مقاله السابق (ص ١٢٧) ــ ولعل ابرز ما يؤكد لنا ظهور التمييز بين الشرق الفعلي والحكاية بوصفها عملا فنيـــا تعـــامل الكتاب والشعراء أنفسهم مع هذا التمييز • فبعد ظهـــور هذه المعلومات عن الشرق لم يعد ممكنا الخلط بين الحكايات وبين الشرق ، كما لم يعد ممكنا العودة الى تلك الصورة الرومانسية القديمة في مواجهـــة واقع حي • واذا كان الانسان بحاجة دائمة الى ربيع طفولي من نوع أو اخر، أو أنه يبقى بأمس الحاجة الى موقع في المجهول يطوف فيه في بعض ساعات العزلة والانسحاب ، فان كتاب الرواية ونقادها فصلوا بين الشرق الذي جسدته نسخة لين بهوامشها وصورها وبين ملاجىء الليـــالي العربيـــة ومخابئها الجمالية • اي ان الليالي العربية لم تعد بديلة للـــواقع ، بـــل اصبحت معزولة عنه على انها كتاب قصصي يوفر تجربة جمالية مستقلة ! وهكذا ، ففي كلمة الى « نساء وشغيلة بريطانيا العظمى » ــ ص ٣٧٦ ، المجلد ٢٨ ، الاعمال ، Fors ــ • كان جون راسكن يفيد من ماكنـــة الحكايات الرومانسية لتوثيق تمييزه بين الواقعي والحقيقي من جانب ، وبين الخيالي والوهمي من جانب آخر • واذا كان راسكن نفسه واقعيا مازال ينهل عطاءات الخيال لتحويلها في نسيج التجربة الفعلية شأن بايرون فانه كان يرى ان الحكايات العربية لا تؤلف خطرا على الذهن (ايام اشتداد الجدل حول النفعي المباشر والخيالي) مادام هذا الذهن يستوعبها على هذا الاساس : فهي تسلية دون ان تتمكن منه وتسيطر عليه • لكن موقف

Charles Dickens يقـدم أمثلة أحسن وأكثر قربا لموضوعنا : فبدل ان يخلط بين الحكايات وبين الشرق الفعـــلي كان ديكنز يبصر الحكايات الشهرزادية على انها صورة وهمية أو روائية لحياة نشطة ومرغوبة يتمناها الذهن • هكذا كان شخوصه يتعاملون مع الحكايات العربية • ففى مخزن البضائع القديمة كان ريشارد سوفلر Richard Swiveller يستيقظ بعد أيام من حمى مستمرة أقعدته فى الفراش ليجد الصغيرة (التى أسماهـا الماركيزة) جالسة بهدوء وانتظام فى غرفته التى كانت حينئذ ولأول مرة مرتبة ترتيبا دقيقا : ولم يكن ذهنه فى تلك الحالة قادرا على التمييز بين الحقيقة والخيال • فما كان من خياله الوثيق العلاقة منذ زمن بالحكايات وقصصها الا أن يسرح فى تصور خلاصته أنه نقل شأن شخوص الليالى من مدنهم الى أماكن ومدن أخرى فى عالم شهرزاد الملئ بالمخاطرات العجيبة التى تتحدى التفسير والشرح :

« أنا أحلم » قال ريشارد « انه لأمر واضح •• »
« هذه ليلة عربية ، هذا هو الأمر » قال ريشارد :

« أنا فى دمشق أو القاهرة الفخمة • والماركيزة جنية ، وبعد رهان مع جنى آخر حول أجمل الشـــباب الأحياء وأحقهم بالزواج من أميرة الصين ، جاءت بى الى هنا ، غرفة وكل شيء ، لتقارن بيننا ــ الرواية ، الفصل ٦٤ » •

أما فى رواية مريدث فتوريا فان مردت Meredith يشـــير الى حكايات شهرزاد على أنها محض « أخيلة وأوهـــام » • يجب ألا تخلط بطلته بينها وبين الواقع • عليها فى ضوء ذلك أن تحد من هذه الأوهام المأخوذة « من الحكايات العربية عن مساعدة الجن والطيور المسحورة ، وهى انطباعات تسكن بنشاط فى ذهنها حتى أنها تخاف من أن يفقد هذا الذهن سيطرته على الأشياء » •

وهذا التمييز بين الحكاية من جانب وبين الشرق يتوضح أيضا فى رواية مردث الاخرى حلاقة شاغبات : ففى هذه الرواية كان الروائى يولع بمحاكاة أسلوب السرد القصصى الشرقى ، ولكـــن ليس بابراز صورة رومانسية للشرق ، وهى حقيقة لم تغب عن بال ناقدة متوقدة كجورج اليوت • ففى عرض لها للرواية المذكورة فى مجلة Leader (كانون الثانى ١٨٥٦) أوضحت جورج اليوت أن المؤلف قد برهن على القدرة على امتلاك أساليب شهرزاد وطرائقها التقنية ، مقدما عمــلا لا يفضح « أى تجاف بين الفكرة والشكل » (٩) • وهكذا كان رأى

صديقها الناقد اللامع آنذاك جورج هنرى لويس George Henry Lewes فبعد أن أشار الى أن حلاقة شاغبات أكثر شرقية من ديـوان غـوته و « أقل نزوعا للمحاكاة المتزمتة من قصائد Ruckert الشرقية » قال ان الروائى – فى تقدير الناقد نفسه – « بلغ تمـاما روح الرومانس العربى ، مازجا مزجا سائغا أسلوبه بتلك الصبغة البـلاغية العربية وصورها » (١٠) · وليس أقل تمثيلا لهذه النزعة النقدية الأدبية من ذلك العرض الذى نشرته مجلة Athenaeum بشـأن الرواية المذكورة لمردث فى الخامس من كانون الثانى ١٨٥٦ (العدد ١٤٧١ ، ص ٦ – ٧) · فبعد الثناء على مؤلفها (مردث) لقوة خياله ومهـارة تركيبه ، أبرز النـاقد اجتهاد مردث فى تنـاول (المـادة الشرقية) و (التقنية) المناسبة · فبدل أن يمضى فى محاكاة طرائق الاستشراق المزيف (فى الحكاية والرواية والشعر) ملأ مردث « قرابة أربعمـائة صفحة بالحوادث والمشاهد والشخوص والعادات واللغة ، وهى كلهـا عربية دون زلل » ·

وعدا أهمية رواياته فى تأكيد الفصل بين الشرق وفن الكتابة الشرقية ، وبينه وبين حكاياته ، كان جورج مردث بليغا فى نقده وهو يعرض للقضـية ذاتهـا · (فالاستشراق المزيف) أو (التزييف الاستشراقى) بوصفه ظاهرة أدبية لم يكن بمعزل عن الذهنيات السائدة تلك التى جاءت بفلسفة العصور التى تناولها هذا البحث أو قامت على اجتهاداتها : ففى ظروف غياب المعرفة بالشرق ، أو عدم تطور أساليب التمحيص العلمى والمعالجة (الموضوعية) كان الذهن الأوروبى يضيف من عنده لما هو ظاهرى ، حتى جاءت نتاجات الاستشراق الأدبية مليئة بالاستعارات والمسميات الشرقية تحيط بهيكل ما عن مغامرات بائسة عن أمراء أو جن ، وكأن الشرق لا يملك غير الأمـراء والأمـيرات ، ولا تتأسس فى عوالمه غير قصص الخوارق ، ومغامرات العشاق ·· وعلى الرغم من ذلك الافتتان الرومانسى لبايرون وغـيره بالشرق ، الا أن (التجارب) التى جاؤوا بها – وان بدت فى كتابات بايرون وكأنهـا منقـولة عن الوقائع – كانت خاضعة للنزعة الذاتية العـامة ، حافز الرومانسيين ، أو نارهم المتوهجة التى تتسلط على المادة الخام كمصباح يضىء ويوقد ويختلط متداخلا بالمادة نفسها ، حتى تتحول من أمر خارج الشاعر أو الأديب الى شيء منه ، يصعب عزله عن تلك الاشعة الداخلة، والآتية فيه وهو يعود عملا ابداعيا · لقد كانت النزعة الرومانسـية تجاوزا واضحا للمعرفة الموضوعية التى يتوخاها كتاب ومفكرو منتصف القرن التاسع عشر فى ظل الظروف التى سبق أن أشرت اليها ·

وهكذا كان جورج مردث يعترض حتى على مسرحية علاء الدين لـ Oehlenschlager في دراسته عنها المنشورة في مجلة Westminster لعام ١٨٥٨ (المجلد ٥٩ ، رقم جديد ١٣ ، ص ٢٩٢) (١١) • فالمقال نفسه يفصح عن ذلك الحس المتزايد بالشرق ، وبأن ذلك الواقع لا يقل تعقيدا عن غيره ، وهذا الحس هو الذى دفع مردث الى تحذير الشعراء من « مغبة اعتماد أنموذج شرقى ، أو موضوع شرقى ، لاسيما عندما يكونون تحت وطأة انفعال شخصى » • وبدل ذلك الاهتمام (السطحى) بالألوان والتفاصيل المحلية لخلق صورة رومانسية مسطحة للشرق تتيح للشاعر أو الكاتب قدرا من الحرية لاظهار طموحاته واهتماماته وهواجسه فان تأكيد مردث على تمثيل تام لطرائق الشعور والفكر العربى ليس بعيدا عن ذلك الاهتمام (الفكتورى الوسـيط) المتزايد بمشـابهة أو محاكاة الواقع • وبالنسبة لمردث ، فان (الطرح الذاتى) للشرق من شأنه أن يشوش لا أن يعيد خلق المشرق • وأسباب التخريج الأخير عديدة • فعدا كون الطرح الذاتى يخل بالحس بالترابط بين الأشياء ، فانه يأتى فى العادة بـ « عنصر غريب على الشرق الذهبى ، وهو عنصر قلما يقدر على التمثل فيه • قد يقدرون (أى الكتاب) على تجميع أكداس من الصور ، وتلوين الصحراء بألوان جذابة حية ، لكنهم لا يمكن أن يبدو عربا • فالشرق يعج بالانفعال والوجدان والشعر والمرح ، لكن هذه السمات جميعا ذات نسيج مختلف عما لدينا » • وفى الواقع ، يرى مردث أنه من أجل أن يستدعى الكاتب صورة المشرق الفعليـة كالتى تيسرت بعد صدور نسخة ادوارد وليم لين من ألف ليلة وليلة عليه — أى الكاتب — « لا أن يبصر ، بل أن يعيش خياله فى ، الصحراء والذهن العربى » • لكنه يعترف أنه ليس بمقدور عديدين فعل ذلك • « فقليلون هم الذين يمتلكون قوة كافية من التعاطف مقرونا بالخيال ليتخلصوا من الغرب ، ويبدأوا بحرية • كما أن هذا الأمر يستلزم مقدرة دراميـة وتمكن من المحاكاة » • ولم يكن Oehlenschlager هو وحده الذى أثار تشخيصات مردث الخطيرة لموضوع الاستشراق ، فهناك غوته وريكرت ومور أيضا : فالذى يقدر منهم على الانفصام عن (غربيته) والتعاطف وبمقدرة خيالية متميزة مع الذهن العربى ، قد يبلغ تلك الندرة الفنية، أى انسجام الفكرة بالأسلوب فى تناغم موسيقى واحد ، كالذى يتم فى أجود الأعمال الابداعية ! واذا كان غوته قد « وفق ونجح » فان ريكرت كان أقل حظا • أما Tom Moore و فريلكراث Freiligrath فقد كان نصيبهما الفشـل ، ذلك لأنهما « استحضـرا صـورا بديعة ، أحدهما بحماسة نارية والآخـر ببهـرجة » • وكان يعنى (مور)

بتشخيصه الأخير : ففى Lalla Rookh كان (مور) يكتب وهــو أسير تعصبه الغربى ضد العرب والشرقيين ، وهو أمر جلل لم يسامحه (مردث) عليه ، يقول Meredith : اذا كان العمل الشاق والجهد قد مكنا مور « الاتيان بذخيرة كبيرة من الأزياء » الا أنه كانت « تعوزه عبقرية منح قصصه أكثر من الحياة المصطنعة الظاهرية » ٠

وهكذا لم تكن قصيدة الكتاب غير عمل غنى بالتفصيلات الملونة « أخفق فى بعض الاحيان بحكم هــــراء الاحتكام الجانبى الى عواطف واحاسيس غربية تماما » ، فالشاعر (مور) ـ على حد وصف (مردث): « لم يكن كامل الايمان بالشرق » ٠

لم يكن هذا الحس الادبى بتنوع الحياة والشـــخصية العربيتين وعمقهما قائما قبل حين ، وهو حس يعنى ضمنا طبيعة التحول الثقافى الجــارى والذى كانت ترجمة (ادوارد وليم لين) بصورها وهوامشها أحد شواهده ٠ كما لم يكن واضحا الحد الفاصل بين تقليد الكتــابة الشرقية ومحاكاتها وبين نزعة مردث التى تدعو الى التعاطف والخيال بوصفهما أساسيين لتمثل التجربة العربية وطرحها فى أسلوب مناسب هذا على صعيد الكتابة الابداعية ، أما على أصعدة القراءة ، فهناك أيضا تنوعات مختلفة لمتابعة الجمهور الأدبى للحكايات الشرقية بعامة ، والعربية بخاصة ٠ فما الذى يميز القراءة (الرومانسية) أصطلاحا عن قراءة فكتوريى الخمسينات ؟ ان الرومانسى يقرأ ألف ليلة وليلة لكى ينسحب الى عوالم السحر والافتتان فيها ، ولكن يلهو بتفصيلاتها ، محققا تمتعه النهائى والحاسم من الشروط الموضوعة ضمنا على مخيلته ليمزج الحوادث والمشاهد فى انطباع غنى وحى متكامل ٠ وكانت مناقشة Prck المسهبة لنمط القراءة المذكورة اجتهادات مثيرة للاهتمام ٠ فهو يوضح فى دراسة نشرتهـــــا مجلة American Review (كانــون الأول ١٨٤٧ ـ ص ٦١٢) : « عندما يكون السرد القصصى تفصيليا مملا ترتبك الذاكرة ولا تبقى على انطبــاع بهذا التنوع والتشابك » ٠ ولكن عنــدما تتابع وصف شهرزاد المفصل « تجبر المخيلة على الحلول محلها » وذلك بأن « تجمع فورا كالمثقال أكداسا من البضائع المتناثرة فى كل متناسق » ٠ والجدل المذكور يكون أساس التصور الرومانسى للعملية الابداعية ، كما أسهب فى وصفه رائدها فى انكلترا كوليرج Coleridge ولكى يعزز الناقد من جدله المذكور أشار الى تلك المفاصل السردية التى تصف هدايا ملك سرندب الى الخليفة ٠ فعند قراءة هذه « بمعـــدل السرعة الاعتيادية والذهن مهتم بتطور القصة ٠٠ لا تكون تفصيلاتها واضحة

أمام الذهن بعد مرور لحظة ، كما يكون ثراء الكل » • أى أن التفصيلات تتظافر أمام الذهن فى كل متوحد لا قيمة للجزئيات أمامه : ويشير Peck الى أن هذه التفصيلات « تمزج على الفور فى أنبيق المخيلة لتكون انطباعا مفردا عن هدية تستحق مقام ذلك الملك البهى القوى » •

هذا الوصف لنمط القراءة يدرج باختصار جميل أساسيات الولع الرومانسى بقصص شهرزاد • فالقارئ الرومانسى الأدبى لا يبغى أكثر من الاستمتاع الآنى ، حيث تكون التفصيلات مجدية بقدر تماسكها وتناسقها اجماليا لتحقق للمخيلة القدرة على المزج المتوحد والانطباع الكلى :

•

لم يكن نمط القراءة الفكتورية للحكايات مشابها ــ فقراء منتصف العصر لم يكن لديهم الوقت الكافى لمثل هذا النمط من القراءة ، فوقتهم لا يسمح لهم بالتجوال طويلا فى مواطن الخيال الشاسعة • كما أنهم يعوزهم ذلك الاستعداد الشعرى الذى يتيح عادة لحظات من الحبور البديع • ففى ظل سيادة الفكر النفعى تنسحب ومضات الابداع ، وتخلى مواطنها امام الاسواق والمنشآت ومراكز التأهيل والتدريب • كان (لين) يتجاوب مع روح عصر جديد ، فجاء للقارئ بمخزن من المعلومات المفيدة ، وبعدد من الصور التى زينت مجلداته الثلاثة ، لتحرر (مخيلة) القارئ من تلك الضغوط التى وصفها Peck والتى تضطرها الى التأليف والجمع والتنسيق فى كل مزيج متوحد •

ليست هذه قضية عادية • فالصورة المجسدة أو اللوحة المعنية بالتفصيل القصصى تلغى دور المخيلة ، وتوفر أمام ذهن القارئ ما كان يفترض أن يقضى وقتا فى تأليفه وجمعه ومن ثم تصوره • وفى مناقشة ذكية للوحات وصور (هارفى) التى زينت نسخة Lane كان محرر مجلة Eclectic يوزع القراء الى نوعين : أطفال يستحصلون متعتهم من الأحداث العجيبة المتناسبة مع جهلهم ومحدودية تجربتهم ، والناضجين الكبار والذين ما عادوا يستمتعون بماكنة الخوارق والعجائب، ذلك أنهم يحققون متعتهم من المشاهد والصور التى تتكون فى أذهانهم أثناء قراءة الحكايات :

« ان بهجته (أى هذا القارئ الناضج) تتحقق بأساليب أخرى ، وبشكل رئيس فى الصور التى أوحت بها القصص ــ ص ٦٥٨ » •

وبعد التطرق الى بعض التفصيلات الوصفية الشهرزادية يشرح الناقد نفسه : أن القارئ الناضج « يجب أن يكون قادرا على رؤية جبال منكدسة

فوق الغيوم ، وكآبة الوديان الرهيبة حيث يجوز أن يظهر الجن الاشرار للعيان أمام مرأى البشر » • وحيث ان « المتعة » الجمالية تتناسب فى حجمها مع هذه المقدرة على خزن مثل هذه المشاهد فى الذهن وتوحيدها في صور ، يخلص الناقد الى القول بأن مثل هذا المسار يعني ضغطا شديدا على ذهن القارئ ولهذا السبب لم يكن الفنان (هارفي) وهو يزود نص ترجمة (لين) بصور تعتمد استيعاب القصص وفهمها وتلتزم بقدر كبير من الأمانة التصويرية ازاء الطباع والمشاهد الطبيعية ، قد هيأ خلاصا للقارئ من هذا الجهد الكبير على مخيلته فحسب (أى جهد توحيد الجزئيات في مشاهد متخيلة فى الذهن) ، بل انه أيضا « فاق جهود القارئ فى مسعاه ليرسم لنفسه ، حتى وان تصور شيئا قريبا الى وصف المؤلف » •

ولم يكن هذا الجدل والتسبيب غريبا على معاصرى الناقد المذكور • اذ كان بى • أى • بوت B. E. Pote يكتب لمجلة Foreign Q. Review (المجلد ٢٤ ، ١٨٣ ، ص ١٥٧) حول الموضوع نفسه • فهو يصف صور (هارفى) على أنها « تبدو تماما وكأنها أحلام فى خيال القارئ وقد صيغت فى الوقت نفسه فى عيئة ما ، حيث تحاك بخيال سريع على مشارف الحكايات وهو يقرأ ، بحيث انه من الصعب تصور (وهم) أكثر سرورا أو كمالا من الأشكال الجليلة التى وفرها القلم ، وهو يعطى لكل مفهوم ما زال فى طور التكوين قوة أو لمسة الحقيقة والواقع » • وبكلمة موجزة فان كلا من الرسام هارفى والمترجم ـ المحقق لين أحبطا قوة الليالى العربية الايحائية من خلال فعل واضح دؤوب لتصوير كل تفصـــيل وتعزيزه بالهوامش واللوحات : وكان أن جعلا الحكايات ذات تأثير تصورى محدود تقع ضمن صفحات وغلاف كل مجلد ، وكان لا بد لانجاز من هذا النوع ان يتناسب مع النزعة الواقعية السائدة فى الكتابة آنذاك •

وبعد أن طوعت الحكايات العربية فى عصر الملكة فكتوريا الوسيط ، وبعد أن لم تعد جامحة كما كانت لتصبح أليفة مناسبة لغرف الاستقبال ومعاهد التأهيل المهنى والمكتبات ، أقبل رسامون آخرون ليضعوا لمسات العصر على الحكايات • لكن الشيء الذى عجزت النزعات السائدة فى الأوساط المنتقدة داخل المجتمع عن الحد منه ، هو ذيوع نسخة غالان ، تلك النسخة الموجزة ، الميسرة ، المتوفرة بطبقات مختلفة بين جمهور كبير من القراء خارج تلك الأوساط • وبدل أن يضيف الرسامون أمثال الاخوة دالزيل وأرثر بويد هاتن وميليه على لوحات هارفى شيئا رأوا أن فى الامكان وضع نسخة غالان نفسها فى مسار النزوع الواقعى الجديد ، لكى تتناسب مع روح العصر : فأقبلوا عليها معززين طبعاتها المختلفة

باللوحات والصور ، ومانحين أجواءها الضبابية شيئا من التماسك الواقعي الذى تريده الروح الجديدة ·

وهكذا كان لورنس هوسمان Lawrence Housman يقول عن رسوم هاتن B. A. Houghton لحكايات شهرزاد التى ترجمها غالان: ان هذه الرسوم « تقدم الدعابة والشفقة ورسم الشخوص ، وهى أمور أخفقت فى تقديمها القصة نفسها · وفى يديه أصبحت أم علاء الدين شخصية كوميدية لذيذة » (١٢) ·

وهكذا ، لم يتحدد ذيوع الليالى بتزايد النزعة الواقعية ، بل وجدت بين محبيها وعشاقها من بذلوا جهدا خاصا لوضعها فى سياق المجرى الرئيسى للحياة الثقافية ، أى الحركة الواقعية التى قادت بالتدرج وفى ظل متغيرات جديدة الى منحى زولا الطبيعى ·

واتجاه تصوير الحكايات أو اسـناد ماكنتها الرومانسية وغيرها بشروح وأطر سوسيو - ثيولوجية لا يقع فى مجـال النزعة الواقعية المتصاعدة حسب ، وانما فى سياق العودة الكلاسية الجديدة ، والتى كان من بين أبرز دعاتها النقاد ماثيو أرنولد فى منتصف القرن التاسع عشر · ولكن بقدر تعلق الأمر بالحكايات تجدر الاشارة الى أن هذا الاتجاه وان كان يتوافق مع الذوق المتزايد فى تفضيل (محاكاة الواقع) أو الارتداد عن (الذاتية) فى الكتابة ، الا أنه تطور تجاوبا مع نسخة ادوارد وليم لين · ففى ذلك الرداء الدراسى المهيب كانت هذه النسخة مختلفة تماما عن سوابقها لتتيح الفرصة أمام عدد كبير من النقاد للانفصال عاطفيا عن الليالى العربية بوصفه كتابا قصصيا يلتصق بذكريات الطفولة وصورها وبراءتها · كان غالان قد قدم نسخة عايشها عدد كبير من الكتاب سنوات طويلة فى طفولتهم وفى كبرهم أيضا ، لكنهم فى ضوء المتغيرات العقلية والعلمية الجديدة فى منتصف القرن ما عادوا يرون فى تلك النسخة غير ذكرى من أيام الطفولة تثير الشجون والعواطف الساذجة ·· صحيح ان بعضهم كديكنز مثلا قد بقى عاشقا مغرما بالحكايات ، آملا دائما الابقاء على هذا الارتباط ، لكن الاتجاه الآخر لم يكن غائبا فى ذلك الحين، نعم ، كان ديكنز وهانت وهنلى وستيفنسون قد استمروا على قراءة الحكايات وتذكر مشاهد منها ، كما أن آخرين وهم يواجهون ذلك الشغف العصرى بالتفصيلات الحقيقية والواقعية كانوا يصرون على استعادة ذلك الربيع · فكان كتلى وتايلر W. C. Tayler يعلنون عن حنينهم لذكريات عن الحكايات تقدر على تمزيق « الساعات الغائمة ، المظلمة من الحياة » على الرغم من أنهم يقرون أن « تلك الأيام قد ولت ·· تلك الأيام التى

كانوا يعتقدون فيها اعتقادا راسخا بعجائب مصباح علاء الدين والخاتم » (١٣) • أماالآخرون من أمثال وولتر باجت Bagehot من الذين كانوا قراء متحمسين للحكايات العربية فى صغرهم ، ولم تكن الحكايات بالنسبة لهم مجرد « قصة بل حلم » ، فانهم وجدوا فى العودة لها فى كبرهم « أمرا يبعث على الحزن NR ٤٦ » •

وعند محاولة العودة الى الحكايات فى نسخة غالان وجد باجت أنها لم تعد قادرة على بعث السرور فى قلب القارىء الناضج أو فى ذهنه . ليس فقط لأن روح العصر العلمية كذبت عالم السحر والطموح المطروح فى تلك النسخة ولكن لأن « سنوات التعقل » وضعت حدا للطموح والأنانية (NR ص ٤٧) • وبلهجة انسحاب وتنازل • لخص وولتر باجت موقفه على النحو الآتى :

« اذا كنا نبصر الحكايات بمتعة ، فان ذلك يحصل فى الغالب من خلال مدخل الذكريات القديمة ، نحن نستمتع بانبعاث الأحاسيس الشاحبة وليس بالاثارة التى توفرها القراءة الجديدة • فالشىء نفسه فقد ذلك السحر الذى كان قد أسرنا من قبل NR ، ٤٦ » • والمشاهد التى كانت « تبعث فينا الرهبة » والحوادث « المفزعة » فقدت تلك « القوة على الاتيان بالأثر نفسه الذى كانت تثيره فينا فى أيام الطفولة » • أما « اذا أردنا رؤية الأشياء كما بدت لنا من قبل » فيذهب باجت الى « أن علينا أن نعود بمخيلتنا الى بوابات الحياة ، ونستدعى لهذا الغرض صبانا » •

لكن الاعتراف بالهوة التى تفصل القارىء الناضج عن انطباعات صباه لا يعنى بالضرورة اعتماد القدرة التحليلية لدراسة الحكايات العربية موضوعيا • وفى الواقع لم يكن يسيرا أمام نقاد عصر الملكة فكتوريا اعتماد (الابتعاد النقدى) بقصد البحث فى الذى يقبع خلف خيط السرد الشهرزادى المغرى • فحيث انهم مازالوا أسرى لذكريات الطفولة الملتصقة بنسخة غالان ، وجدوا أن من الصعب الخلاص من أثر تلك « الحشيشة الثقافية ــ الذهنية » التى أعدها باجت نفسه « عاملا مخدرا لذلك الخيال الصبى NR ٤٧ » • وكان أن جاءت نسخة ادوارد وليم لين سلوى وراحة واسعاف : فهى معززة بالشروح والهوامش التى تفترض أصلا دراسة واستيعابا وتمحيصا ، وهكذا يقول باجت : « حيث انه لم يعد بالامكان احياء المشاعر القديمة قوتها الماضية نفسها ، فمن المريح ، اذا رغبنا فى العودة الى قراءة القصص الشرقية ، أن تظهر لنا فى تلك الهيئة التى منحها اياها السيد لين : فهى الآن مختلفة تماما بحيث تبقى أدمغتنا متحررة تماما من الانذهالات القديمة ، لكنها أمينة تماما لتتيح المجال لولادة سلسلة من الاهتمامات الجديدة -- NR ص ٤٧ » •

ويمكننا هنا ان نتوقف قليلا عند اصطلاح الاهتمامات الجديدة اذ ان هذا ما يعنينا فى هذا الجزء من الدراسة • فقد وجد (باجت) وغيره من نقاد هذا العصر فى غرف شهرزاد المسحورة ، وفى ثنايا تلك القصص والنوادر التى يتداخل فيها الخارق والغريب بالعادى والقريب ، فى نسخة (لين) ما يستحق التركيز والبحث فى (أهمية) الحكايات الجمالية الفنية والسوسيولوجية • وهو يقول فى هذا المجال : « نحن نسأل أنفسنا ما القيمة الجوهرية ـ العضوية intrinsic لها بوصفها انتاجا أدبيا ، ثم نسأل أنفسنا ما المعلومات التى تقدمها عن الناس الذين من وسطهم ولأجلهم قد كتبت NR ص ٤٧ » • صحيح أن الدعوة لدراسة الحكايات على أنها وثيقة ـ اجتماعية ليست جديدة فى ذلك ، وصحيح أيضا أن الاهتمام بسماتها الجمالية كان موجودا من قبل ـ لكن الجديد من جانب النقاد وكتاب المقالة الفكتوريين هو النزوع لممارسة (روح كاثوليكية) ـ أى تلك الروح النقدية المتجردة ـ فى دراسة الآداب الأجنبية ، والسعى الجاد لتجاوز ذلك الالتصاق الشاب بالحكايات من أجل وضع معايير نقدية دقيقة تتيح لهم التعرف على سمات العمل الفنى ، كما هو شأن وولتر باجت • وكلا الموقفين يتشابهان من حيث الغاية ، كما أنهما حققا نتائج مثمرة ومثيرة فى آن واحد • وحيث انى أروم مناقشة الموقف الفكتورى ازاء الثقافة العربية الاسلامية فى فصل لاحق ، فانى سأعرض فى الصفحات القادمة لموقف النقد الفكتورى الوسيط للحكايات العربية ، معتبرا باجت أكثر اقتدارا من غيره على تمثيل هذا الموقف ، لأسباب تتوضح فيما بعد •

كان عنوان دراسة باجت ـ كما أشرت فى فصل سابق ـ هو أناس أو شعب الليالى العربية ، وظهرت هذه الدراسة فى عدة صفحات فى مجلته المتنفذة • وكعادة أغلب المجلات الدورية المتخصصة لم يظهر اسمه على الموضوع ، لكن الدلائل ، كما أوضح القدير وولتر هاتن ، تشير الى أن الأسلوب والموضوع والتفصيلات والاشارات الشخصية جميعها تؤكد كون الكاتب رئيس تحرير المجلة نفسه • والذى يهمنا أيضا فى هذه الدراسة حقيقة أنها لا تظهر معرفة حسنة بالسمات والمواصفات الجنسية (كحكايات نثرية لبعض القصص حسب ، وانما تفصح عن طريقة معالجة وتحليل متقدمة فعلا ، مقارنة بمقالات أخرى ظهرت عن الحكايات العربية • ويظهر أن باجت قد لجأ فيها الى مزيج من الأساليب والأسس الكلاسية (الاتباعية) والاليزابيثية والواقعية لتقييم عمل غنى متداخل ومتنوع ، يرفض التوزيعات والتقسيمات القسرية ، ويتطلب أسسا أخرى مختلفة عن تلك التى اعتادها نقاد العصر • وعلى الرغم من أن مقالة باجت المذكورة ليست

معنية بشكل رئيس بجماليات شهرزاد (أى بفن القصة) لكنها مع ذلك تكشف الكثير عن طبيعة الاهتمامات والمفاضلات الفكتورية فى خمسينات القرن المنصرم ، وهى لهذا السبب تمثل اتجاها أدبيا يختلف اختلافا شـــديدا عن (التجــاوب والاســتقبال الرومانسى) الذى نوقش من قبل ٠

وفى هذه المقالة ، كان باجت (فنيا ووعظيا ، ارشاديا Prescriptive فى آن واحد) ، متناولا الليالى العربية بالنقد والمعالجة فى ضوء أساسيات جمالية معينة ، (كالتأمل المأساوى) فى معنى الموت ، والرد ازاء (تغيرات الحظ ومعاكساته) و (الاصطراع بين الارادة والظرف) و (الاستياء الكامن فى الذهن الغربى) و (الاحساس النشط بالخيار) ــ حيث الانسان مخير لا مسير ــ فى الأدب الغربى ، وقلة دور الحظ والمصادفة فى كتابات هى نتاج مجتمع يؤمن بالفعل الفردى والمعاناة الانسانية الشخصية ٠ هذه هى المبادىء التى كونها باجت ، واعتمدها أدوات فى مناقشته ، وهى جميعا موضوعة فى اطار عصرى من التفكير ، وهو اطار ينهل كثيرا من الروح الواقعية والشكلية (skeptical) * التى توجت الفكر الفكتورى الوسيط فى انكلترا فى خمسينات وستينات القرن التاسع عشر ٠

(*) تنطلق هذه الفلسفة ، كما توضح التسمية ، من عدم التسليم بالغيبى والمطلق ، وتعتمد أسسها الفلسفية مقالة John Locke المعروفة بصدد الاستيعاب البشرى والتى ظهرت عام ١٦٩٠ ٠ وفيها اعتمد لوك التجربة الحسية على أنها مصدر للمعرفة ، والتى تتحقق عند اعتماد (العلاقة الميكانيكية) وطريقة التحليل ٠ وجاءت تأكيدات Newton على (اليقين التجريبى) لأية فعالية لكى تعزز من هذا الاتجاه ٠ فاذا كان قانون الجاذبية يفسر قيام الاجرام ووجود الأجسام ، فان قانونا مماثلا يحكم المعرفة ، وتصبح الاقترانات ذات مكانة أساسية فى المعرفة ، وانطلق اومندلاو Edmund Law من اعتبارات مماثلة فى مقاله عام ١٧٤٧ . وطور هذا الاتجاه فى اعتبار الحس الداخلى أو الخارجى اساس مادة الافكار : فالذهن هو الذى يستلم ويقارن ويميز ٠

ويبقى David Hume متميزا فى اعتماد الطريقة الاستدلالية التجريبية فى الموضوعات الأخلاقية فهو يرفض النظرية العقلانية التى تبناها الأفلاطونيون ــ وحتى Locke والتى ترى وجود نظم عقلانية ثابتة للخطأ والصواب ٠ أما هو فانه يرى الشعور أساسا فى الادراك الأخلاقى ٠ وبكلمة أخرى ، فان اعتماد (الشعور) أو (الحس) أو (التجربة) عامة على أنها أساس السلوك والمعتقد يقود بالحتم الى التشكيك بالمسلمات المعتمدة فى المؤسسة الكنسية ، وكان لابد أن تقود هذه الفلسفة الى تناقض واضح مع رأى الكنيسة وهكذا رأى الكاتب Beattie أن فلسفة كهذه لا تحتاج الى (عبقرية أو تعلم أو ذوق أو معرفة بالبشرية) بل تحتاج (سيطرة معتدلة على المفردة ودرجة عالية من الغرور والادعاء) و (الروح اللادينية) ٠

حول المزيد راجع كتاب M. Carre والذى عنوانه

Phases of Thought in England (London : Oxford Univ. Press, 1949), p.p. 280-304.

كان (باجت) قد طور اتجاهين فى دراسته ازاء أسلوب الراوى وشبكة حكاياته العجيبة • فشأن Peck – أقر باجت تلك السمة التفصيلية المسهبة catalogue-like للسرد القصصى ، لكنه رأى أن الميزة الرئيسية لهـذا السرد أن « أسلوب الراوى برمته يتناسب مع هدوئه وتراخيه ـ ص ٧٠ ، NR » ، بما يعنى أن الراوى صاحب مزاج ورؤية يختلفان عن السرد القصصى فى الغرب ـ فبدل ان يقفز من حدث الى آخر أو يحذف تفصيلا غير ذى اثر على الحدث ، يقوم الراوى أو القاص الشرقى ـ فى تقدير الكاتب نفسه ـ « بايطاء كل الأرض التى تتوسط ذلك وفى بعض الأحيان بمعدل سرعة بطىء » لدرجة أن القارىء يكون قد أجهد فى نهاية المطاف بنوعية ضخمـة وكثيرة من الأحداث • أى أن الليالى العربية عندما تعالج فى ضوء التقاليد الأدبية الانكليزية تطرح تقنيات وعادات سردية مختلفة اختلافا شديدا • فاذا كان « الروائى الانكليزى يخبرك أن بطله زار سيدة ، منتقلا بعدئذ الى ما دار فى ذلك اللقاء » فأن القاص العربى « سيخبرك كيف دق الباب وكيف فتحه له خادم يتجلبب بالسواد ثم كيف دخل ، ويصف كيف تجرد من لباس رأسه ليصعد السلم ، وكيف دخل ص ٧١ ، NR

كان باجت أكثر توجسا وهو يدرس (ماكنة) الحكايات العربية ، أى عقدها واشكالات خوارقها وتعاويذها وعجائبيتها : فهذه الكتابة تفضح فى دواخلها سرعة وطلاقة حركة وسطحية بدل العمق والثبات والتماسك • فقد يتفق باجت مع NR فى تداخل فعل الأسلوب والمخيلة فى مؤلفات من هذا الجنس ، لكنه لا يطرى هذه السمة اطراء المعجب • ذلك لأنه يعترض فى النتيجة على اسهابات شهرزاد الوصـفية ورحلات مخيلتهـا وتحليقاتها ، فهو ـ على سبيل المثال ـ معجب بتعامل الراوى مع (العنصر الخارق) ، حيث يتبدى فى ذلك ايمان راسخ مقرون « بتمكن غير اعتيادى للمخيلة ـ ص ٦٩ ، NR » فشأن هانت (١١٤ ـ ١٢٢ ، «NT») يثنى باجت على تمكن ادوارد وليم لين من نقل مشاهد مثيرة لا « تبارى فى أثرها التصويرى ص ٦٩ ، NR كتلك التى تتحدث عن شخير العفريت أو تجربة سيدى نعمان مع الغول أو ظهور الجن من الاناء غير المختوم • لكن الذى ينتقده فى هذا النمط من الكتابة هو « ذلك النزوع للاغراق فى المغالاة » ذلك أن « مجرد التكديس من شأنه أن يدحر الغاية ، ويسحق نقطة ارتكاز الايمان التى تبنى حولهـا المخيلة fancy •• ص ٦٩ ، NR » • وعندما يختار باجت مشـاهده من « قصـة مدينة النحاس » لتوثيق أطروحته ، فانه يحلل هذه من منظور مختلف عن ذلك الذى تميز به الرومانسيون عامة و Peck خاصة • فهو يختلف عن Peck ، فى كونه مهتما بكتابات تتناسب مع مفهومه الكلاسى (الاتباعى) للانشاء المقبول •

وهكذا ، فبدل التجاوب مع اسهابات الرواة الوصفية كان ذهنه التحليلي يبحث عن » التركيبات المتوحدة » التى من شأنها – فى تقديره ، كما هو الحال فى تقدير الاتبـاعيين عمـوما ·· ان تثير دون ان تربك العقل الصاحى · ويخلص باجت الى ان « التقارير عن معارك ملايين الجن ، وجيوش الحيوانات الوحشية ومجاميع الشياطين ، تتعبنا فقط ، ومن ثم تغمرنا بأوصاف الثروة والبهاء المستحيلين بدلا من ان تؤثر فينا (ص ٧٠ ، NR) » ·

لكن اعتراض باجت فى السابق على هذه « المثلبة الشائعة ·· ص ٦٩ ، NR » يستحق أن يلاحظ فى ضوء علاقته برأيه الكلى فى نسيج الحـكايات · لقد كان الناقد المذكور يرى أن تركيب الماكنة القصصية والتفصيل الوصـفى متأثران كثيرا بالممـارسات والمعتقدات الاجتماعية والدينية · وكان أن تعامل مع بعض الأشكال القصصية العربية بوصفها تعبيرا أو تجسيدا ل « المزاج الشرقى ·· ص ٧٠ » · ذلك أن « النتاجات الخيالية » فى اجتهاد الكاتب هى « تعبير عن تمايزات اجتماعية جذرية ·· ص ٤٩ » · واذا أردنا ان نتعرف على تداخلات تقديراته الأدبية ، علينا التعامل باسهاب دقيق مع تحليله لتأثيرات ظروف المجتمع الاسـلامى الوسيط فى السلوك البشرى ، كما هو منعكس فى الحكايات العربية : ذلك أن هذا هو الاعتبار الرئيسى الذى يطبع نقد باجت للسمات الجمالية للحكايات · وجدير بنا فى الوقت نفسه وقبل الشروع بتلخيصهـا أو نقدها التعرف على حدود مدخله : فنزوعه الواقعى – على سبيل المثال – دفعة للتركيز على بعض الحكايات ذات الأصول البورجوازية ، متليا نتيجة ذلك عن عدد كبير من الحكايات التى سحرت الرومانسيين ، تلك التى من شأنها تحدى منهجه الواقعى فى التقريض والنقد · ومن جانب آخر ، فان ميله الكلاسى (الاتبـاعى) قاده الى تجاهل وجود عـدد كبير من اللصوص والأشرار والأوغاد والمحتالين ، أولئك الذين كانوا محط اهتمام دنلب فى مطلع القرن (فى أثناء ازدهار الرواية القوطية والرواية المدينية الجديدة) و (جيمز ميو) فى النصف الثانى من القرن نفسه ، عندما بدأت (الطبيعية) تبرز على انها اتجاه فى الثقافة ·

يضاف الى ذلك اعتبار آخر · فدراسته يمكن أن تعنى أكثر من ذلك بالنسبة لنا نحن القراء عندما نضعها فى اطار ظروفها الأدبية الآنية · فمن المفيد ان نتذكر انه قبل ثلاث سنوات وفى مجلة باجت نفسها ظهرت مقالة الناقد الفكتورى W. C. Roscoe لتتناول جماليات الرواية ، فى عصر لم يقدم بعد أية دراسات جادة لهذا الفن · وكانت المقالة تدور حول Defoe ، وفيها ربط رسكو بين نمو الرواية ، بوصفها جنسا أدبيا وبين

الديمقراطيــة السـياسية !! ففى تقديره الضمنى كـان توسـيع نطـاق الحريات الفردية يعنى ويتضمن فى الوقت نفسه اعترافا بأهمية الفرد وقيمته ، وهو تخريج مناسب نستطيع أن نجد تعزيزا له فى التأكيدات المتواترة والمعاصرة على (التشخيص الداخلى) أو الرسم النفسى للأبعاد الباطنية للشخوص •

كانت الفكرة ذاتها قائمة فى ذهن باجت ، ولهذا السبب كان يتعامل مع الحكايات فى ضوء الظروف الاجتماعية للعصور الاسلامية الوسيطة ، مستنتجا أن عدم اهتمام الرواة العرب برسم الشخوص يعبر عن غياب اهتمام مماثل بالفردية ، حيث يرى باجت أن « التفرد القوى » لا يبدو فى الكتابات العربية والاسلامية الوسيطة • أما سر ذلك فى تفسيره ، فيرجع الى أن الدولة والدين كانا يفرضان نمطية وتماثلا على المجتمع برمته • وحيث ينمو الفرد فى ظل عادات وتقاليد (اجتماعية ـ دينية) شديدة منذ الرضاعة ، ويتدرب على الامتثال والرضوخ لها طوال حياته ، فانه يذوب فى داخل المجتمع دون أدنى ميل للتمرد • ففى تحيته أو جلوسه أو تعامله تقفز الى ذهنه ولسانه وجسده بعض اللوازم والاعتبارات التى أصبحت ضربا من العادة وصارت بالنسبة له « عفوية كالهضم ، دون أن تعيقه ، شأنها شأن زيه أو عباءته الفضفاضة » • ولم يجزم باجت بغياب الخصائص ، بل يصحح تعميمه المذكور ، مشيرا الى أن المسلم « قد يمتلك تعبيرا عن خصـــائصه الشخصية أو الشـــاذة ولربمـــا أكثر من غالبية الأوربيين » •

لكنه يضيف أنه فى ظل هذه الحرية « تخلد أكداس من الحيـــاة الاعتيادية غير المثارة على الاطلاق •• معتقدات لم توضع موضع التساؤل ومسؤوليات لم ترفع أو تنح جانبا •• ص ٥٦ NR» • وعلى الرغم من أن التدريب المبكر له شأنه فى ايجاد مثل هذا الموقف فى تقديره ، لكنه يرى أن هناك أسـبابا أخرى للاختلاط والتمازج الاجتماعى والتجانس الشامل • وقبل مناقشة هذه الاجتهادات فى ضوء المعاكسات المتوفرة لنظريته لا بد من استيعاب أوسع لما يقدم من تفسير • فهو يرى ان السبب الرئيس يرجع الى : « امتلاك ثيولوجيا وديانة لا تقبل مبادؤها وعقائدها التساؤل ، مرتكزة بثبات على كتاب لا يعد سجلا للوحى ، بل هو الوحى نفسه » •

ولم يكن الجانب الاجتماعى ـ الدينى هو الوحيد الذى تعتمده مناقشة باجت ذلك لأنه يشدد أيضا على (الطبيعة التسلطية الجائرة) للأنظمة السياسية فى العصر الوسيط ، وحسب ما تكشف عنه الحكايات ، فان « هذا النظام السياسى •• لا يتيح غير ندرة من الحرية أمام الامكانات ،

بحيث ان العبقرية والاقتدار المخلص لا يقودان الى ترقية ، أما الاهمال والعجز فلا يحولان دون مغنم وود ٠٠ ص ٥٥ NR » أى أن باجت وهو معنى برسم الفروق بين نمطى الكتابة الغربى والشرقى ، يربط هـذه باختـلافات سـياسية واجتماعية • فى تلك المرحلة فى تاريـخ الفكر الفكتورى كانت مقالة J.S. Mill (عن الحرية) قد ظهرت لتمثل فلسفة الطبقات الصاعدة حسب مبادىء ال Laissez Faire حيث المنافسة الحرة هى الأساس ، وحيث المقدرة الفردية تأتى فى الصدارة ، بوصفها مبدأ عمليا يقوم على أنقاض القيم والمسلمات والعادات التى تخلخلت أثناء ظهور نتائج التحول الصناعى والمدنى وانعكاسها على واقع البنية والعلاقات •

كان Mill يدعو الى الديمقراطية ، لكنه كان يهتم فى تلك الأثناء بالحرية الفردية ، بعدما بدت الديمقراطية قابلة للذيوع على أنها فلسفة عصرية على الصعيد السياسى • ولم يكن باجت بعيدا عن هذه المناقشات ، وفى الواقع ، بدا فى هذه المقـــالة ، وكأنه يتوقع من قارىء جـــدلى controversial أن يتحداه ، اذ قد يلجأ هذا القارىء الى خط المناقشة الذى اعتمده Mill ضد (الرأى العام) ، حيث ان الديمقراطية السياسية (التى تعتمد مبدأ الأكثرية) قد تكون على شاكلة (الاندماج الاجتماعى الشرقى) فى خنق (الفردانيـــة) • كان هــذا هو اعتراض Mill على ديمقراطية الأكثرية ، وهو اعتراض قد يطوره آخر فى مناقشته للمجتمعات الوسيطة : فالعادات والتقاليد والمسلمات تكون كذلك لأنها مقبولة من قبل الاكثرية ، كما أن الديمقراطية السياسية هى واجهة الأكثرية ، المعبرة عن طموحها • لكن تساؤل Mill فى حماية الفرد هو : أين موقع الذى يشذ عن هذه المسلمات والمعتقدات والعادات والأمور المقبولة الأخرى سياسيا أو اجتماعيا ! كان Mill يرى أن الشىء الذى يستحق أن يلاحظه هو وغيره من دعاة الديمقراطية هو حماية الفرد الشاذ ، المنعزل والعبقرى أيضـــا : فالديمقراطية بمفهومها الغربى ليست بالضرورة أكثر عدلا من (الاندماج الاجتماعى الشرقى) •

كان باجت مستعدا لهذا النقد المعارض والمتوقع • فهو أولا يسلم بخطورة (الاندماج) لأنه يرى فيه اطارا ظاهريا مقيدا • لكنه ينطلق فى استقصاءاته من اعتقاد بأن الغرب قد تجاوز هذا الاطار فى ضوء المنجزات الديمقراطية السياسية فى القرن التاسع عشر • فهو يشير ضمنا الى شكوك Mill فى الرأى العام ، الذى من شأنه فى اعتقاد الأخير الحد من نزعة الانسان للابداع والانعتاق وذلك لأنه ــ أى الرأى العام ــ يفرض قيودا استبدادية على الفعل الخاص ، أو الميل الشخصى • وهذا ما اصطلح

Mill على تسميته بـ (الأمركة) ، اشارة الى الديمقراطية الأمريكية فى تلك الأثناء ، تلك التى كانت صورة لرغبات الطبقات الوسطى التى تكون جل المجتمع الأمريكى فى المنافسة الحرة ، وفى الضمانات السياسية للأغلبية فى آن واحد · لكن باجت يقول ، ان (الأمركة) وان كانت شرا لا بد منه ، لكنها تفضل على الميل الشرقى للاستحواذ على الارادة الفردية :

« فى أمريكا يحدد الرأى العام ويسحق ، لكنه فى مصر يمتص ويستحوذ ـ كلاهما سىء ، لكن الأخير شر عميق النتائج · الأول مجرد قيد ، أما الأخير فهو مخدر · الأول يحاصر الناس فى الأشياء الصغيرة على الأغلب ، الكنه يترك الأمور الرئيسية حرة · أما الآخر فانه يرخى قيوده فى الأمور الظاهرة ، لكنه ينهك الطاقات الحيوية ·· ص ٥٦ NR » ·

هذا هو الاجتهاد الذى جاء به باجت ، واعتمده فى الدراسة الأدبية، حيث ان الظروف المذكورة فى تقديره ذات أثر مدمر فى الأدب · فهو يبصر الحكايات العربية بوصفها وثائق اجتماعية ، ولكنها لا تفصح عن ميل للانشقاق أو المعارضة أو الفعل البطولى ، وغياب الميل فى رأيه ينعكس فى ضعف اهتمامات الحكاة والرواة فى (الشخوص المرسومين بدقة واستقصاء نفسى عميق) ، ولم يبحث الناقد فى حلقات الحكايات المختلفة ، كما أنه لم يميز بعد بين (التقليد الأدبى) والبناء الجديد فى الحكاية · وكان أن طرح أمثلة لتعزيز الاشكالات الاجتماعية للفعل الأدبى عددا من الأساليب المتوارثة التى تخدم نظرة الترابط السوسيو ـ أدبى ·

فالشخوص فى تحليله لا يمارسون ارادة واضحة فى الفعل بحكم ايمانهم المطلق بالمقدرة الالهية ، وتسليمهم بالتعاليم والعادات الاجتماعية والدينية · كما أنهم لا يطرحون حسا فعليا أو اهتماما حاسما بضرورة تحقيق أهدافهم أو غاياتهم فى مجتمع تكسب فيه الثروة عبر مخاطرات ومغامرات تجارية غير أكيدة ، وعطايا ملكية وأميرية غير مضمونة أو غير متوقعة ، وكسب قلق واكتشافات مفاجئة لكنوز سرية ومخيفة يتولى رعايتها العنصر الخارق أو العجائبى · وحيث ان هذه هى السمات البارزة للمسالك المغامرية التى ترويها الحكايات ، يقترح باجت أن القلق الرومانسى وغياب الضمانات ـ الأمر الذى كان يغرى خيال هانت ص ١٣٥ ، «NT» ·· هو سبب آخر لوجود اللامبالاة والتسليم لدى

شخوص الحكايات . والأسباب مشتركة هي التي تفسر عند باجت غياب الاهتمام برسم الشخوص .

وفي ضوء هذا التخريج ، يرى الناقد ان منظوري الكتابة الغربي والشرقي متباعدان . ففي الرواية الغربية - على سبيل المثال - يرى باجت أن الفرد المعني يمارس جهدا واضحا لتحديد مسيرته أو بلوغ هدفه ، في حين ان بطل الحكاية الشرقية لا يمتلك « مقدرة دافعة » ذلك لأنه هامشي لا تساعده مزاياه ومعارفه كثيرا في هذا العالم . يقول الناقد في ضوء قراءته للحكايات : « كل ما يطلب من البطل هو أن يقبل كل ما يقام لشأنه معلنا اعتماده على المقدرة الالهية . وليس هناك من امتحان لضبط النفس مطلوب منه أكبر من الاشتراط بالا يذكر اسم الله وهو يحمل قرب الجنة من قبل روح شريرة ، أو عدم فتح باب محرم . ص ٥٣ - ٥٤ NR » .

وقبل المضي في التعريف بتطبيقات (باجت) لا بد من مناقشته قليلا في هذا المجال . فمن الواضح ، أن باجت لم يكن قد تعرف على كتابات عربية أخرى ، كما أن المقاييس التي اعتمدها هي ارشادية أو تنظيمية ، ومن شأنها أن تكون محدودة هي الأخرى ، ولعل ذلك لكونها لا تناسب حلقات الحكايات المختلفة ، والتي أشرنا الى أنها تجمع بين التاريخي والخيالي المتطرف والواقعي المديني . فوجهات نظره بشأن (الاندماج الاجتماعي) و (الاعتماد المطلق على الله) قادته الى الاعتقاد بأن النظام الاجتماعي - الديني الوسيط يخنق القدرة الابداعية ويستنزف الخيال - وهو في هذا الميدان خلط بين مقومات الديانات ، والتي تتشابه في سمات رئيسية منها الثقة بالقدرة الالهية ، وبين التسليم السلبي ، الذي قد ينتعش في حالات معينة لها مسببات أخرى ، اجتماعية أو سياسية أو قهرية بصورة عامة . أي أن النتيجة لا يمكن أن تكون سببا !! ولهذا ، يمكن ان يصح ما ذكره عند الحديث عن عدد كبير من الكتابات الأوربية غير المعتمدة على تقاليد كلاسية (لاتينية أو اغريقية ، حيث تقوم الأخيرة على صراعات أو مصالحات بين أفراد وآلهة) . كما أنه يتنكر للعدد الآخر من الحكايات القاهرية ، والتي يكون فيها الفرد (مهما بدا شقيا غير أهل لغير الملهاة الأدبية ضمن أقيسة باجت نفسه) فاعلا ومخيرا ، يتأثر سلبا أو ايجابا بأفعاله .

عدا ذلك ، هل يمكن أن تعامل (حكاية) متواردة ومنقولة شفاها في أغلب صورها في ضوء مقاييس التأليف (الاتباعي) ؟ لكن باجت يمضي في عقد مقارناته ، حيث تبدو حكايات شهرزاد بالنسبة له ، وحسب

التمييز الكولريجي المعروف ، من تأليف (الوهم) — Fancy — أو الخيال لا المخيلة Imagination . وقد يكون محقا هنا في نطاق الحكايات المغرقة في التفصيل العجائبي : حيث ان المخيلة تثيرها وتحركها الوقائع الحياتية الأعمق وذلك البحث الشديد من أجل الحقائق ، في حين أن (الوهم) يتلاعب بقشور الأشياء ومظاهرها المسطحة : « ان المخيلة توجد دائما وهي تستهلك المادة المتيسرة ، في حين أن (الوهم) يطوف في مجال واسع ويختار . الأول يقتطف القلب من الغموض ، في حين أن (الوهم) يأسر كل جمال طائر — ص ٣٨ «NR» » .

وحيث ان التمييز بين الوهم والمخيلة كان شغل النقاد الشاغل منذ زمن فان (باجت) أولاه اهتماما كبيرا في تطبيقاته : فهو يرى ان المخيلة « وفي مساحة صغيرة ... تعرى أسرار القلوب جميعا ، وهي تتجاوب لا مع أعمق العواطف فحسب وانما أكثرها شمولا أيضا » . أما الوهم « فانه يسهب في الصغائر ، جاعلا من مشاعر الناس وآرائهم لعبا » . ولكي يفرق الحكايات بوصفها نتاجات للمقدرة الأخيرة عن المخيلة ، يشير الى الكتابات الكلاسية : « اقرأ هومر كيف ان القصة تترسخ في مزايا أفراد معدودين ! » فهو يرى ان الأحداث الخارجية لا تغري غير (الوهم) ، وهو ما يكون أغلب حكايات شهرزاد . في حين ان الكتابة الاتباعية تطرح شيئا مغايرا « انها ليست حكاية طروادة التي تغني بل غضب Achilles انه ليس ما يحل بالرجال الذي يشكل المادة التي تهم المخيلة ، بل ما يفعله بعضهم وما كانوا عليه » .

والتمييز الأخير أساسي في مناقشة باجت : فالذي يعده وبحكم ميله الكنسي الذي أشرت اليه — حاسما في التأليف الابداعي هو الفعل البشري ، وليس الحوادث المسرودة والمغامرات التي تريح الذهن الرومانسي . فاذا كانت التفصيلات المعينة التي اعترض عليها بالغة الأثر والتأثير في هذا الذهن ، فانها ليست كذلك بالنسبة لذهن يبصر قيمة الأدب من خلال الاقتدار والفعل البشريين . وكان ان تابع في تاريخ الأدب الانكليزي وعيا متصلا بالعمل البطولي ونتائجه ، وذلك من خلال « تعالق بين الارادة والظرف .. ص ٤٩ NR » كما يقول . أي ان باجت وهو يتجاهل الأصول المدينية لبعض الحكايات ، كان يلجأ الى أسس وأقيسة كانت شائعة منذ دعوة ماثيو أرنولد Arnold الى المقومات الكلاسية في التعامل النقدي الأدبي ، والتي احتوتها مقدمته المعروفة لعام ١٨٥٣ . وكان من شأن التعقيدات والتداخلات التي طبعت تمييز باجت السابق ان تقوده الى بناء (نظام) نقدي أدبي عن فروقات بين الحكاية الشرقية النمطية وبين أرقى فنون الأدب الروائي الغربي ، أي تلك الروايات التي

تعتمد موضوعات الحياة والموت ، والمأساة والشفقة . وتراجعات أو تقلبات الدهر والحظ • هذه سمات كلاسية للكتابة ، ومن المرجح أن تكون غريبة على الحكايات الشعبية ، لكن باجت لم يعر القضية كبير اهتمامه بسبب شيوع الليالى العربية ، وهو شيوع واسع فى الغرب دفع عديدين الى التسليم والاعتقاد بذيوع مقارب فى بلدانها التى تكونت هذه الحكايات فيها • وهكذا خلص باجت الى مقارنات مع أرقى الفنون ، مشيرا الى أن غياب الاهتمام العميق بالفعل الانسانى فى الحكايات العربية ينم عن ضعف الاحساس بالحياة والموت وتعثر أو حتى اضمحلال الايمان بالالتزامات الشخصية ، مقارنة بما تطرحه الرواية الغربية أو الكتابة الهومرية : والنتيجة فى سياق الفرضية المذكورة هى ان الحكاية العربية تعد جنسا متخلفا عندما توضع بجوار أحسن أشكال الرواية التصورية فى الغرب • ويقول باجت فى اسناد هذه الخلاصة ، ان القاص العربى بدل ان يطرح التصاقا جادا بوقائع الحياة العميقة ، يمر مرورا عابرا على الموت وكأنه ليس أكثر من « عنصر أو وقفة فى مغامرة •• ص ٤٩ NR » •

وليس معزولا عن هذا التأكيد على الفعل البشرى والاحساس بالالتزام المسئول فى الكتابات الكلاسية والاليزابيثية (المسرحية بخاصة والتى تعد منطلقات باجت الأساسية) التركيز على المزاج الشخصى للانسان فى التجاوب أو الانفعال ازاء تقلبات الدهر • ولكن فى القصص الشرقية فى رأى باجت « لا يطلب منك ان تتعاطف مع أى شخص ، ولكن مع ما يجرى معه •• ص ٥٠ NR » • أما فى الأدب الغربى التصورى فان تقلبات الدهر لها سمات ونتائج مغايرة • ففى هذا الأدب تنبعث هذه التغيرات والتقلبات – اضافة الى أسباب أخرى – من التذمر الشخصى للبطل ، أو من استبطانه وتقصيه الذهنى لحياته ودوره ، وفى أحيان أخرى تتأتى هذه من عيب أو خلل مأساوى لا يستطيع المرء السيطرة عليه أما فى الرواية الشرقية ، كما يذهب باجت ، فان المغانم والزوجة الجميلة عوملت وكأنها « مكونات أكيدة وناجعةللسعادة البشرية •• ص ٥٠ NR » أما خسارة هذه الممتلكات فانها تعنى التعاسة والعذاب • وعندما يبحث باجت فى مسببات هذا الموقف فانه يرى – محقا فى بعض الأحيان – ان المغانم والممتلكات تكتسب هذه الأهمية فى الحكاية لا بسبب قيمتها ومردودها العمليين حسب ، ولكن بسبب امكانية المصادرة التى ميزت سلوك ذى النزوات المرتجلة وغير المشروعة من الحكام • ولهذا السبب اكتسبت مظاهر الغنى فى حكايات المجتمع العربى الاسلامى الوسيط

قدرا من القلق وعدم الثبـــات ، جعلها تمنح القصص أجواء من الشك الرومانسي ظللت اطر الحكايات المدينية بشكل خاص ٠

لكن الذي يعده باجت مثلبة خطيرة هو (برودة ولا مبالاة) الراوي وهو يروي أحداثا مؤلمة ٠ فبدل التركيز على المعذب وردود فعله ، تغريه الأحداث نفسها ، خالصا الى (تعويض أدبي غريب عن العذاب كأن يكون ذلك معونة جار أو شخص آخر للمعذب أو المقهور ٠ والحكايات على هذه الشاكلة لا تفصح عن احساس بالعواطف والانفعالات العميقة ٠ ويبدو ان باجت كان قد قرأ رأي لين – ولربما آراء Peck ، ص ٦١١ ، وهانت ص ١٢٢ – ١٢٣ (NT) – بشأن عواطف الشفقة والرثاء المتوفرة في الليالي ، لكنه اعترض على ذلك مشيرا الى ان عنصر العواطف المذكورة Pathos ليس مرادفا للوجدان أو العذاب ٠ وحتى قصة شمس النهار التي غالبا ما أشير اليها لاحتوائها على هذا العنصر هي « حكاية انفعال لا شفقة ، وطبيعة المعالجة برمتها توحي للذهن الاوربي على الأقل بانطباع انها صورة مغالية لوهن الانفعال المدلل – ص ٥١ NR » ٠

وحيث ان هذه النواقص تشير الى أن طرح الشخصية في غناها ومجدها أو في ظروف معاكسة لم يكن هم هذه الحكايات المباشر ، فان (باجت) يعتبر قلة الاهتمام بالفعل البشري فرقا حاسما بين الرواية الانكليزية والليالي العربية ، وهو فرق تتجمع حوله التمايزات التصورية والاجتماعية الأخرى لتكون أجناسا مستقلة وغير متوافقة :

ان الرواية الانكليزية هي مثل رسوم الأشخاص ، والليالي العربية مثل مناظر طبيعية يقدم فيها الناس ٠

ففي الحكاية الشرقية « ليس هنـــاك من اهتمـام متصل مثابر بالشخصية الفردية أو التأثير والتأثر » ذلك ان « الرجال والنساء يحاكون وكأنهم يطرزون في نسيج الحكاية ، انهم دمى تمثل بهم أحداث غريبة ٠٠ ص ٤٩ NR » ٠

لم يكن ذهن باجت ذهنا متعصبا ، لكنه كان أسير قيم أدبية معينة ، كما أشرت من قبل ٠ وهو هنا يسعى لكي يكون شاملا في تحليله ، لكنه على الرغم من ذلك أهمل بعض الموضوعات الخطيرة ذات العلاقة باهتماماته٠ فما الذي يقوله عن التنوع المضموني والتقني في الحكايات ، ذلك التنوع الذي يصعب اخضاعه الى أقيسة تنظيمية أو ارشادية ٠ وهكذا فعلى الرغم من ان دراسته تؤشر نضجا متميزا في النقد السوسيولوجي وتنبه الى ذلك الولع الفكتوري المتزايد بالانماط الواقعية والكلاسية الا انها لاتجلي

أمر الفحوى الاجتماعى - الأدبى للحكايات العربية . وكان (التفاوت ، بين طريقته ومنهجه من جهة وطبيعة العمل (أى الحكايات) من جهة أخرى قد قاد الى استنتاجات لا تتسم بالدقة ، لا سيما ازاء معنى الليالى وجدوى فحواها الاجتماعى . فهو يعرف مثلا ان هذه الروايات « هى مجرد جزء من الأدب الخفيف لشعب ذى ذكاء حيوى متألق ، وفى بعض الجوانب ، متطور جدا .. ص ٤٨ ، لكنه على الرغم من ذلك يتجاوز الطبيعة الخاصة لـ « الأدب الخفيف » غير متميز أثر ذلك بين الذهنين الشعبى والنقدى ، الساذج والمتأمل . ولكونه وضعيا - ارشاديا فانه كان لابد أن يتجاهل السمات (الجنسية) التى تميز الحكاية المصرية عن البغدادية ، قصة الحب التقليدية (أى المتوارثة المفاهيم والأبنية) وقصة الحياة المدينية . كما انه لم يستطع تسبيب وجود حكايات كتلك عن جلد السندباد أو عن مهارة خادمة على بابا ولا حتى تبرير ذلك المناخ الثقافى المحتدم الذى أشرته بعض الحكايات . وفى واقع الحال ، كان باجت وهو يسىء فهم اعتماد المسلم على العناية الالهية يذكر فقط الأمثلة التى تتناسب واطروحته ، وفى النتيجة تغاضى عن عدد من الموضوعات التى كان بامكانه ان يلقى عليها نظرة فاحصة وبالحتم .. مفيدة للباحثين فى أمرها .

وهكذا فانه وان كان يؤمن بأثر الانماط الاجتماعية فى الكتابة التصورية الابداعية) الا انه على - سبيل المثال - لم يقدم شرحا لغياب التسبيب الوضعى (التجريبى) فى الحكايات العربية ، كما انه لم يقدم حلا لاشكالات ما يبدو استسلاما أو لا مبالاة بالحياة الموت فى الرواية العربية الوسيطة . ولعل مفارقات أسس التثمين التى اعتمدها باجت تبدو جلية عندما توضع فى منظور المقارنة بالاتجاهات الأخرى فى القرن التاسع عشر .

لقد اعتمد Peck طريقة مقاربة لتلك التى لجأ اليها باجت ، مقارنا بين شخوص شهرزاد والشخصيات الشكسبيرية . ولكنه - اى Peck - بدل ان يغفل الوضع الاجتماعى لكل نموذج ، وجد الشخصيات الشهرزادية من وحى الحياة المدينية فى القصص القاهرية والبغدادية . وبعد الثناء على تشخيص (اى رسم شخصية) هرون الرشيد لاحظ Peck ان ملوك شكسبير « هم نوع مختلف من الرجال ، وبعضهم ، ممن كان على شاكلة هاملت او لير مثلا ، قد وضعوا فى مواقف محرجة أكثر من تلك التى واجهها هرون » ذلك لأن حكم الأخير « يبدو كأنه مر رائقا هادئا حتى ان الخليفة لم يكن لديه الكثير

الذى يفعله بعد ساعات العمل غير تمتيع نفســـه بالتجوال متنكرا فى بغداد ، متلقفا المغامرات ٠٠ ص «٦٥» ٠

ومن جانب آخر ، فان مهمة التعرف على الأسباب التى تقف خلف عدم قناعة باجت بجماليات شهرزاد تحدونا الى تفحص جدوى مقاييسه فى التعامل مع الحكاية العربية بوصفها جنسا أدبيا مستقلا ٠ فهو ينطلق مثلا من ذلك الولع الغربى بسيادة التصوير البشرى فى النحت والرسم والتأليف الأدبى ، ومثل هذا المنطلق يعنى حتمية اغفال جوهـــر الفكر الاسلامى الوسيط ، أى الايمان بالسيادة المطلقة لله عز وجل ، بما يملى تجاهل التصوير والتجسيد البشرى ، وهكذا فان التأكيد على الموت أو رسم الأجساد البشرية يعنى ضمنا (تدخلا كافرا) فى سيادة الله على خلقه ، وهو أمر لا يطيقه الذهن الاسلامى المؤمن ٠ ومن المنطلق نفسه ، تبدو الحياة أحجية ، صممها واطلع على خفاياها الخالق وحده ٠ ولهذا السبب ، كان الذهن الوسيط يتردد كثيرا فى تبسيط هذه الحياة فى رواية ضمن سياقات وصفية أو تقاليد وحيث ان مثل هذا الأمر يعنى فرض قيم بشرية على الخليقة ، فان الذهن الابداعى الوسيط كان يتهيب كثيرا أمام أمور تبدو وكأنهـــا كفر أو طعن بالمعتقدات الأساســـية فى الديانة ٠ وحتى عندما يكون الراوى ضائقا بمعتقداته بوصفها حدودا بوجه الابداع والتصور فانه يبقى محتفظا بقدر كبير من الاحتراس ، بادئا كل حكاية من هذا النوع وخاتما اياها بدعاء وتضرع حارين الى الله عز وجل طالبـــا عطفه ورحمته وتوجيهه لئـــلا يغريه الشيطان بارتكاب الخطايا والاثام ، وتجاوز التزاماته الدينيـــة ٠ وهذا البدء والانتهـــاء يصدق على عدد كبير من الممارسات الابداعية أو حتى التأليفية فى النتاجات العربيـــة الوســـيطة ٠

وفى هـــذه الحـــكايات بالذات حيث يتوافر للراوى الخلاص من التزاماته فى البـــداية والخاتمة كان يتوافر ما ينقض بعض تعميمـــات باجت ، وهى تعميمات لم تتوفر ـــ كما يبدو ـــ على كافة الحكايات بقدر توفرها على بعضها مسندة بشروح ادوارد وليم لين التى أوحت له ضمنا ببعض اجتهاداته ٠

ودراسة جادة للفن الاسلامى الوســـيط قد تفصح عن كثير من المعلومات المفيدة حول الأبعاد الرمزية والايحائيـــة لبعض ســـمات هذا الفن ٠ ولكن وفى اطار هذه المناقشة ، يجدر ذكر هذه الفرضية : ان الفنان العربى الوسيط طور مخرجا للوازع الابداعى بشـــكل زخرفة عربية (ارابسك) دقيق متناسق يمثل أعقد الفنون التى بلغتها عبقرية

الابداع الفنى البشرى ، وما يصح عن هذا الارابسك ، يصح أيضا عن الفنى القصصى المتداخل والمتصل ، فكلاهما يعتمد طرائق فى التناسق والتداخل الايحائى ، وهى طرائق تعويضية على صعيد الابداع عن المحرمات فى الرسم والكتابة ، اى عن مركزة الجهد الفنى والطاقة الابداعية فى استبطان البعد النفسى للفعل البشرى . وهكذا اتجه القاص العربى والشرقى الى سرد متدرج من الأحداث العجيبة والتفاصيل الغريبة فى سياق لم يتضح تماما أمام تفحص بعض النقاد .. اذ على الرغم من عدم احاطة بعض نقاد بداية القرن بالتداخلات الدينية (الثيولوجية) للفن القصصى العربى ، الا ان بعضهم كان مطلعا على جوانب جمالية لهذا الفن . ففى مقالة عن (الرواة الشرقيين) نشرتها مجلة London Magazine (مايس ١٨٢٨) ـ العدد ٢٠ ، ص ١٨٦ ـ يقول الكاتب ان العربى (يبدأ كل حكاية عائدا بها الى ما قبل كلما تمكن من ذلك » وبدل « ان يسرع بالمستمع الى منتصف المشهد » يسعى الراوى الى « أن يقوده فى مدخلين أو ثلاثة ، لكى يبقيه ولزمن طويل فى قلق بشأن المدخل الصحيح الى مشهد الحكاية » (١٤) ومن جانب آخر فان التشديد على تفاصيل الحياة اليومية بشأن ردود فعل الانسان ازاء تقلبات الدهر غير متوقع ليس لأن كثرة مثل هذه الأحداث تجعل منها موضوعا شائعا لا يقبل عليه المستمع فحسب ، ولكن لأن الخضوع الى ارادة الرب ومشيئته الجليلة يعنى ضمنا قبول العدالة الالهية . وليس أكثر أهمية لقراء النقد الأدبى المقارن من ذلك التفاوت بين ثقة الراوى العربى الثابتة بهذه الارادة الربانية وبين موقف كتاب العصر الفكتورى الوسيط ازاء (المصادفة) فى الرواية .. فيتصاعد هيبة الواقعية والجبرية العلمية (حيث المحتمات العلمية والتسلسل السببى تحل بديلة للجبرية القدرية) وذيوع (الشكية) أخذ النقاد يؤكدون أهمية التسلسل السببى والميكانية المنطقية ، والتى لم تترك مجالا لـ (المصادفة) أو (القدر) بوصفها علامات للتدخل المقدس (الالهى) فى الحياة البشرية ! اما فى الليالى العربية المنبعثة من أوضاع ومعتقدات دينية راسخة ، فان الايمان بالتدخل الارادى الربانى يعنى ضمنا ان (المصادفة) والقدر لا يقلان عن المنطق والتسبيب فى تمتين الترابطات البنائية فى الرواية المقبولة .

واذا كانت مقالة باجت تنطلق من ميل كلاسى واضح واعتماد على القوالب (الدرامية) النقدية ازاء الرواية عامة والحكاية العربية خاصة ، الا انها تحتوى برغم ذلك على اجتهادات أدبية ناضجة . فشأن عدد كبير من نقاد العصر ، كان باجت يعترف بوجود شخصيات مرسومة رسما

عميقا فى الليالى · وكان ان ركز على الشخصيات الكوميدية ، كشخصية حلاق بغداد · حيث تفصح الحكايات عن (أسلوب مرح وأنيس فى التعامل مع موضوعات الدعابة ، والتى لايمكن ان تنشأ الا بين اناس ميالين الى الدعابة والفطنة ، ومسرورين للاستمتاع بفرص الضحك والحبور ·· ص ٦٠ NR » وتنسجم مع ذوق الكاتب شخصيات كشخصية الخليفة ووزيره · وفى دراسة ذكية لأفعال الخليفة وأعماله (ص ٦١ ــ ٦٢ NR) ميز باجت الرغبات المتصارعة والأمزجة المتضاربة التى تطرحها الحكايات ، والتى تجعل من الخليفة الرشيد شخصية رومانسية كبيرة · وحيث يعتمد باجت فى هذه الدراسة على حكايات هارون وهوامش لين المسهبة فان استقصاءاته بشأن هذه الشخصية تعد إسهاما مهما فى دراسة قضية (التشخيص) فى الليالى العربية · ومن الواضح ان هذه الاستقصاءات كانت بالغة الأثر على الدراسات اللاحقة ، وبضمنها دراسة (جون بين) الذكية للاسباب النفسية التى قد تقبع خلف المغامرات الليلية فى الحكايات (١٥) وعدا هذا الاهتمام فان باجت يجل هذا الرسم الدقيق لشخصية هرون لأسباب أخرى تتعلق بمزاجه الكلاسى ، وميله لأعمال متناسقة البناء · فحيث ان الخليفة ذو شمائل بطولية ومقتدرة وحيث انه يجمع فى شخصه « الحصانات الملكية مع حرية العلاقة الخاصة ·· ص ٦٢ NR » فان الرشيد يمنح الفعل (وحدة) ويفرض على الكل تخطيطا ذا معنى :

> ان وجود هذا الشخص المعرف والمهيب ، الذى يستخدم نفوذه دون حدود وفى حوزته امكانات جبارة · هذا المرتكز الجليل يمنح هذه المجموعة من الحكايات وحدة ومادة وحتى بوجوده تبقى محتاجة الى المزيد : ذلك لأن هذا الكتاب ، وفى جوانب عديدة عبارة عن تجميع مختلط دون انتظام ·· ص ٦٣ NR

واذا تجاوزنا اهتمام باجت المحصور بالحكايات ذات الأصول المدينية ، فان دراسته تشغل مكانة متميزة فى الاستقبال النقدى الأدبى لحكايات ألف ليلة وليلة · وبتركيزه على ما يبدو مغايرا للاقيسة الاتباعية فى التأليف فان باجت يطور فى الواقع تلك المقارنة الذكية التى عقدها (ريشارد هول) من قبل بين المعبد الاغريقى والجامع الشرقى ، وهى مقارنة معمارية عقدها بقصد تبيان سمات الائتلاف

والاختلاف بين المزاجين الشرقي والكلاسى (اللاتينى - الاغريقى) فى الكتابة (١٦) . لكن جدوى دراسة (باجت) ليست محدودة بهذا التطوير الناضج للمدخل المذكور الذى ظهر فى نهاية القرن الثامن عشر . ذلك لان اسهامه الفعلى يتلخص فى محاولته لتخليص الحكايات وانقاذها من (الاغراق العاطفى الرومانسى) فى التجاوب والانفعال ، مثيرا بذلك اجواء جديدة ومحفزا اتجاهات لم تكن بادية على السطح فى الواقع الثقافي الانكليزى .

وعندما يلاحظ الاسهام المذكور بقدر علاقته بجهد ادوارد وليم لين فى دراسة الحكايات العربية فان مقالة باجت هى انضج الدراسات الأدبية للحكايات المذكورة على انها سجل وثائقى للعادات الاجتماعية والثقافية والطباع الشرقية فى العصر الاسلامى الوسيط ، على الرغم من تحفظنا السابق على منطلقات المعالجة . وتأكيده على التعالق بين الأنماط البنائية التصورية فى الكتابة وبين الظروف السوسيو - ثقافية ، ساعد باجت فى تمتين المذهب الشائع فى القرنين المعنيين لتثمين الحكايات بوصفها مخزنا للمعرفة والمعلومات عن الحياة الشرقية . ومن الجانب الآخر ، فان قلة اهتمامه بالحوادث وتقلبات الدهر والاقدار الخارجة على الارادة الفردية ، تعنى اهماله لمصدر الشغف الرئيسى للذهن الرومانسى فى الحكايات كما لاحظنا فى فصل سابق .

فى الواقع كان باجت يقرن الذهن الرومانسى بالصبا والطفولة ، اذ ان الرومانسى وتلميذ المدرسة فى تقديره يحققان المتعة من تلك « المقدرة السطحية على التعاطف الشخصى مع صاحب المغامرات وتمثل تجاربه - NR .. ص ٥٠ » ولأن الحكايات فى نظره معنية بتقلبات الدهر والحظ دون الغوص فى انفعالات المعذب وتجاوباته أو ردود فعله ، فانها « تستثير الوهم والذهن لا الوجدان .. ص ٥١ » كانت مقالة باجت قد ظهرت عام ١٨٥٩ . وفى تلك العام توفى (لى هانت) ذلك الشغوف بالليالى حتى أواخر أيامه . ولو بقى حيا وسألوه عن رأيه فى أقران باجت لفتنة الليالى بذهن طالب المدرسة ، فانه لابد ان يعيد الى الأذهان ما كتبه من قبل فى مجلة London and Westminster Review الصادرة فى تشرين الأول لعام ١٨٣٩ . ففى تلك المقالة (ص ١٠٤) سخر (هانت) من الكلاسيين الجدد ، الذين عقدوا تآلفات مشابهة ، غير عارفين ب « غريزة الحكمة المتفوقة الكامنة فى الطبيعة الطفولية » التى خصها الشاعر ووردزورث بالكثير من تعليقاته وشعره . فمن الواضح أن رغبة باجت الشخصية لتجاوز ولعه العاطفى البالغ بالحكايات أيام صباه دفعته الى الاستخفاف بالمواصفات الرومانسية التى سحرته

من قبل ، كما بقيت تفتن وتسحر أكثر من روح رومانســية فى ذلك العصر المتجبر ٠

لكننا ونحن نتقصى مثــل هــذه الاتجاهات المتعددة فى التجاوبات والردود النقدية علينــا أن نتذكر دائما ان هذه جميعا تفصح عن أنماط متعددة ومتباينة من (العلاقة) و (الارتداد) و (التحالف) و (العداء) مع ترجمات دون أخرى من ألف ليلة وليلة ٠ فطبيعة ترجمة Galland الرومانسية أثارت تجاوبات تتباين مع تلك التى اوجدتهــا نسخة لين المهشمة ٠ ومن جانب آخر فان الحكايات العربيــة وان عادت مجددا الى كونها كتابا قصصيا فى ترجمة John Payne (١٨٨٢ ـ ١٨٨٤) الا ان ميول المترجم الجمالية ورساخة ولعه الدراسى بالآداب الأوروبيــة الوسيطة حولت الحكايات الى (مغامرات فروسية) مكتوبة بأســـلوب يتسم ـ على حد تعبير المستشرق مكدونالد ـ « بثراء وغرابة أثاث شارع Wardour ومنسوج العصور الوسيطة المزين » (١٧) (*) ٠ وفى سياق التعالقات وردود الافعال نفسه كان الكاهن (كامرن مان) قــد كتب عن الحكايات وكأنه مدفوع بأجواء الترجمة المذكورة الوسيطة ليعقد مقارنات بين الحكايات وبين « موت الملك أرثر » الذى أصبح عماد قصص المغامرة والرومانس الكنسية (١٨) ٠ ومن الواضح ان الكاهن لابد وان يتعامل مع الحكايات وكأنها تمثل الفلسفة والشريعة الاسلامية ، بعدمـا تعامل مع فروسية الملك ارثر على أساس انها خلاصة التضحية والفداء المسيحى ٠ وخرج الكاهن المحترم باستنتاجات تنسجم مع بقايا التعصب الكنسى التى لم يبرأ منها بعد ! (١٨) واذا كانت نسخــة Payne بأسلوبها الأوروبى الوسيط ومصطلحاتها الجمالية قــد اوجدت ردودا وتجاوبات جمالية واخرى متعصبة للفكر الأوروبى الوسيط ، فان نسخة Burton اثارت أيضا انماطا مختلفــة من الردود والآراء ٠ كان بيرتن ـ مثلا ـ يؤكد رسم الشخوص فى الحكايات العربية ، فما كان من J. F. Hewitt الا ان يطرى الحكايات التى تضىء ببريق لا يخبو وهى تقدم حضورا دراميا للشخوص ! وهكذا فعندما قارن بين الراوى العربى الوسيط والروائيين الأوروبيين المحدثين عــد الأول حائزا على الاقتــدار نفسه فى « جعل الشــخوص يرسمون ميولهم وظروفهم المحيطــة فى

(*) كان مكدونالد يشير الى جماعة ما قبل الرفائيلية والجماليين ، فى مجالى النحت والرسم ٠ اذ كان (موريس) قد أبدع أنذاك فى انتاج الأثاث المتميز ، وفى اضفاء الوان خاصة على زجاج الشبابيك والأبواب التى أعدها ٠ حيث سادت مسحة العصور الوسيطة مجددا فى الارتداد على الماكنة الصناعية التى حولت الفن الى سلعة !

محادثاتهم وأفعالهم ومكاسبهم » ، وهو تخريج يتعارض مع اجتهادات باجت ، كما يتعارض مع تخريجات Stanley Lane - Poole. Stevenson · (١٩)

وعدا هذه التداخلات التي تستحق الملاحظة والمراعاة في أية دراسة نقدية ـ تاريخية ، فان هناك محاولات أخرى يصعب وضعها في اتجاهات واضحة كالتي اشرتها هذه القراءة · فهناك جهد متصل للبحث عن الحقائق والحكم والمضامين التي تخص البشرية جمعاء والتي جعلت من الحكايات تخرق مختلف استار التعصب والتزمت ، بالغة قلوب وعقول عديدين من الذين يصعب تأطيرهم في سياق دوه غيره · فبالاضافة الى ما سبق ان تحدث عنه (Leigh Hunt) كان John Eagles قد اوضح بعض ومضات الفتنة في الحكايات · ففي اسهامه المعنون « بضع كلمات عن الروايات ـ حوارية «Blackwoods Edinburgh Magazine العدد ٦٤ تشرين الأول ١٨٤٨ ص٤٧٢ ـ يرى الكـاتب ان اولئك الذين لا يقيمون اعتبـارا لحكايات شهرزاد لابد ان يكونوا ذوي « خيال استرضائي » قليل حتى وان كانوا « من بين أكثر المخلوقات البشرية عقلا وحكمة » · واضاف الناقد ، وكأنه يتوقع المناقشات الدائرة في خاتمة القرن التاسع عشر ، ان « السحر الذي يجعل الليالي العربية مقبولة في جميع البلدان » يتأتى من اللمسات المشرقة « التي تتحـدث عن طبيعتنا المشـتركة » وعلاوة على « الافادة الكبيرة من الغوامض » فان « هنا وهناك أيضا رذاذا من التبسيط الساذج في شكل غريب ، ليرينا ان جميع الأمم تمتلك شيئا مشتركا » ·

ومهما تنوعت المداخل الأدبية التي تطورت خلال القرن ، سـواء أكدت النزعة الاجتمـاعية أو الرومانسـية أو اهتمت بالمزايا الشـاملة للحكايات فان مجرد المسعى لدراسة ألف ليلة وليلة باسهاب واللجوء الى مختلف الأدوات النقدية المتيسرة في الدراسة يجب أن يلاحظا على انهما من الأدلة الاضافية في تعزيز استنتاجاتنا السابقة حول شعبية الحكايات العربية وذيوعها بين القراء والنقاد على حد سواء · وعندما تلاحظ في اطار الاتجاهات النقدية الرئيسة في القرن التاسع عشر فان الليـالي العربية قد اثارت وحفزت ردود فعل وتجاوبات واجتهادات واراء ذات علاقة بابرز تيارات النقد الأدبي ، مشكلة فصلا كبير الأهمية في تاريخ النقد الأدبي في ذلك القرن · وفي اختتام هـذه الدراسـة للمعالجات الأدبية ، اجد نفسي مضطرا الى العودة الى وولتر باجت ثانية : فهـو على الرغم من كل تحفظاته الكلاسية ، انهى مقالته ملاحظـا بأن « عبقرية الساحر المجهول تستحق كثيرا من الاعجاب ، فأثره السحري قد سلط فتنته على جمهرة لا تعد ولا تحصى من القـراء ـ ص ٧١ NR » ·

هكذا كان أثر الحكايات فى الذهن الأوروبى وهو أثر يصعب (حتى في دراسة معنية به كهذه) تبين كافة جوانبه وسماته !!

هوامش الفصل الرابع :

(١) بالنسبة الى تعليقات (لين ـ بول) و (ميو) و (جون بين) حول مثالب ترجمة غالان ، راجع مجلة Edinburgh Review ، ص ١٦٨ ، ومجلة Cornhill ، ص ٧١٨ ـ ٧١٩ ومجلة New Q. Magazine (كانون الثانى ١٨٧٩) ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣ بالتعاقب .

(٢) راجع كتابه نظرية الرواية في انكلترا ١٨٥٠ ـ ١٨٧٠ (لندن Routledge، ١٩٥٩)، ص ١٣٩ .

(٣) لعل من المفيد الاشارة الى هذا الاهمال مرده بدرجة رئيسة خسة أسلوب عدد من الحكايات وفحواها والتى لم تكن ترقى الى مفهوم الأدب عند العرب . يراجع بهذا الصدد مقال « حول أصل الليالى العربية » فى مجلة Asiatic Journal (تموز ١٨٢٩) ، ص ٥٦٠ حيث يوضح المستشرق لبارون دى ساسي أن الحكايات المذكورة « لم تحتل مركزا مميزا فى أدب الشرق » وأنها « غير مناسبة ... بسبب أسلوبها ، لكى تعد بين نماذج البلاغة والذوق الصحيح » .

وظهرت اشارات مشابهة عديدة فى كتابات القرن التاسع عشر . وللمزيد ، تراجع المصادر التالية : مجلة Athenaeum (العدد ٥٧٢ ، ١٣ تشرين أول ، ١٨٣٨ ، ص ٧٣٩) ، وملاحظات بيرتن تعقيبا على ما ذكره النديم فى الفهرست وذلك فى « المقالة الخاتمة»، ص ٧١ ، والأخرى عن مساع عديدة لكتاب مصريين معاصرين له حاولوا اعادة كتابة الليالى ، ص ١٤٧ . ويراجع أيضا Payne فى الجزء الأول من مقالته المارة الذكر ، ص ٣٨١ ، وستانلى لين ـ بول فى مقالته أيضا ، ص ١٨٥ ، Anna Leache« الليالى العربية الحقيقية» فى مجلة Cosmopolitan ، المجلد ٢٦ (آذار ١٨٩٩) ، ص ٤٨٣ .

ولعل من اللازم أن نشير الى ما ذكره (لين) بارتياح وقبول ، من أن الشيخ عبد الرحمن الجبرتى قد سعى لاعادة كتابة حكايات شهرزاد ويقول لين : « ان المواطن المصرى كـــان شغوفا بقراءة الحكايات حتى أنه تكبد عناء تنقية لغة نسخة منها كانت بحوزته ، حيث انه حذف وغير كل ما يسيء الى الأخلاق دون أن يمتلك سمة الفطنة التى يمكن أن تعتقها من هذا السوء ، مضيفا فكاهات من عنده ، ومن صنع أدباء آخرين » . تراجع نسخة ألف ليلة وليلة ، تحرير وتحقيق ادوارد ستانلى بول (طبعة لندن Bickers ، ١٨٧٧) المجلد الأول ،الفصل الأول ، الهامش ١٨ ، ص ٦٦ .

وكان أدباء المجتمع العربى الوسيط المتنفذين يعترضون أيضا على كل ما تعوزه (النفعية او الوعظية) . وكان أن عدت الحكايات كتابا سخيفا ، ومضيعة للوقت . وقد يكون المقال الذى نشره محرر مجلة المقتطف الصادرة فى القاهرة (المجلد العاشر ، ١ تموز ١٨٨٨ ، ص ٦٤٨) ذا علاقة بموضوعنا اذ يطلب فيه المحرر من اليسوعيين نشر كتب أكثر فائدة من الحكايات ، فى مجالات الطب وغيرها .

(٤) الف ليلة وليلة ، تحرير ادوارد ستانلي بول (الهامش ٢٢ في الفصل الثالث من المجلد الأول ، ص ١٩٣) ٠

(٥) ليالي السمر العربية : نسخة جديدة منقحة وملحقة بهوامش ٠ تحقيق قداسة فايلر تاونسند (لندن F. Warne ١٨٦٦) ، المقدمة ، ص ٥ ٠ وأعيد طبع هذه النسخة في عام ١٨٦٩ ، ١٨٧٤ ، ١٨٨٧ ، ١٨٩١ ، ١٨٩٢ ٠

(٦) يلاحظ مثلا تعليق هانت حول القصص الوعظية ، في مقالته بمجلة New Monthly ص ٣٣٨ – ٣٣٩ ٠

(٧) ذكر ذلك اقتباسا ريشارد ستانغ ، ص ١٤٦ ٠

(٨) الأعمال (Memorial Ed N. Y Scriber's المجلد ٧ ، ص ٢٨١ ٠

(٩) ذكر ذلك اقتباسا Ioan Williams Meredith : the Critical Heritage ص ٤٧ ٠

(١٠) المصدر السابق ، ص ٤٣ ٠

(١١) في معرفة المؤلف ، يراجع Gordon S. Haight في مقالة « جورج مردث ومجلة «Westminster» » المنشور في Modern Language Review المجلد ٦٣ (كانون الثاني ١٩٥٨) ، ص ١٣ ٠

(١٢) « المقدمة » ، لكتاب Arthur Boyd Houghton طبع (لندن : Kegan Paul عام ١٨٩٦) ، ص ٢٤ ٠ من المفيد الاشارة الى أن لوحات هارفي الحقت بنسخة Routledge لعام ١٩٥٤ ، والتي كانت طبعة معادة من نسخة غالان ٠ راجع Chauvin ، المجلد الرابع ، ص ٧٥ ٠

ومن أجل الاطلاع على نسخ أخرى مصورة في هذا القرن مأخوذة عن ترجمة غالان ، راجع البيبلوغرافيا التفصيلية في نهاية الكتاب ٠

(١٣) بصدد Taylor Keightley وبحثه Tales and Popular Fictions ص٣٣، ومقاله الثاني المعنونة « حكايات عربية جديدة » ، ص ٣٥٠ ٠ وعلى الرغم من أن (مؤلف) المقالة المنشورة في مجلة London Magazine كان يود منح مادته شيئا من المسوغات الأصولية والادعاءات بشأن جدتها ، الا أن هذه المقالة مأخوذة – باستثناء تعديلات طفيفة – عن مقالة للكاتب الألماني (فون هامر) منشورة في مجلة New Monthly Magazine (كانون الثاني ونيسان ١٨٢٠) ، الجزء الأول ، لا سيما ص ١٦ – ١٨ ٠

(١٤) ظهرت مقالة Payne بعنوان « الف ليلة وليلة » في مجلة New Q. Magazine (كانون الثاني ١٨٧٩)، ص ١٦٢ ٠

(١٥) يراجع كتاب Hole المعنون « ملاحظات عن ليالي السمر العربية » ، ص ١٧ – ١٨ ٠

(١٦) مقالة مكدونالد المعنية هي « حول ترجمة الليالي العربية » ، الجزء الاول ، مجلة Nation المجلد ٧١ (٣٠ آب ١٩٠٠) ، ص ١٦٨ ٠

(١٧) ظهرت مقالة مان في مجلة North American Review المجلد ١٨٤ (كانون الثاني ١٩٠٧) ، ص ١٥٠ ــ ١٥٦ .

(١٨) حول وجهة نظر بيرتن ، راجع « المقالة الخاتمة » في المجلد العاشر ، ص ١٣٠ ، و ١٣١ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٦٧ . أما مقالة Hewitt فعنوانها « التاريخ كما يحكى في الليالي العربية » وظهرت في مجلة Westminster ، المجلد ١٥٣ ، العدد ٣ (١٨٩٥) ، ص ٢٥٤ .

(١٩) BlackWood's Edinburgh Magazine المجلد ٦٤ (تشرين أول ١٨٤٨) ، ص ٤٧٢ ــ ٤٧٣ . بشأن المؤلف يراجع Wellesley Index المجلد الأول ، الرقم ٢٧٩٦ .

الفصل الخامس

«بانوراما» الحياة الشرقية *

(*) « البانوراما » هى شمولية النظرة والرؤية والاتجاه حيث تبصر الجوانب والتفاصيل من نقطة التمركز الشـــديد • ولغياب مصطلح مرادف ، آثرت ابقاءها • وكانت الحكايات العربية قد وصفت كذلك فى مقالة ريشارد بيرتن الخاتمة (ص ١٣٩) •

ليس من اليسير تقييم الجهود التى بذلت خلال قرنين من الزمان للغوص فى تشابكات أجواء الليالى العربية وظروفها ، كما أنه ليس سهلا اعادة تركيب محيطها الأخلاقى أو السوسيو ـ ثقافى : اذ ان علينا ابتداء أن نلم بأنماط النقد الاجتماعى الرئيسة ، وعلاقة هذه بالمحيط الانكليزى نفسه • كما أن علينا أن نحيط بمنظور كل من مترجمى الليالى العربية وأساليبه فى الاختصار والاضافة والتحقيق •

ذلك أن الحكايات ، بسبب طبيعتها الثرية المتداخلة ، قد مرت فى اجراءات تكييف و (ترويض) لدرجة انهـا كانت تعبر (فى كل زى انكليزى مختلف ترتديه) عن وجهات نظر مترجمها أو محررها ، بما يعنى ضمنا اتجاهات المجتمع الثقافية السائدة •

ومن الجانب الآخـر ، كانت هذه الحكايات قد عدت منذ البداية (خلاصة مركزة) لحياة المسلمين على الرغم من تحفظاتنا السابقة على نسخة غالان المحرفة • وكان أن أثارت ردود فعل عديدة تقع بشـكل حاسم فى سياق الاتجاهات الثقافية السائدة لتلك العصور ، متناسقة مع الانطباعات الدارجة عن الاسلام والعرب خلال المراحل نفسها • لكن هذه الردود والاجتهادات والانطباعات كانت أضعف من أن تقدم تقديرا شاملا ل (البانوراما) المتغيرة للحياة الشرقية • كما أنها من الجانب الآخر ، غالبا ما كانت تحتوى على تشويهات متوارثة للمعتقد الاسلامى • وحتى منتصف القرن التاسع عشر ، كان هذا الرأى يصدق على أغلب ما كتب ، باستثناء جهـــود المبرزين من المستعربين والمستشرقين ، والدارسين المتنورين • وهكذا ، كان نقاد منتصف القرن يشعرون بقلق واضح ازاء ما كان متوفـرا ، وطبيعة تأثيراته فى الذهن الانكليزى ، فقد كانوا يعترفون أن غلب كتابات الرحالة أنذاك « لم تبلغ غير القشرة الخارجية من الشخصية الشرقية » (١) • وكان هؤلاء النقاد يشعرون بالتمزق بين التشويهات المتوارثة من جانب وغياب الدراسات العميقة عن الثقافة العربية من جانب آخر : واعترفوا فى النهاية أنهم يعجزون عن الغوص فى حكايات شهر زاد ، والبحث فى السمات المتداخلة لاجتهادات الراوى وأساليبه السردية • لقد كتب برنارد كراكروفت Bernard Cracraft فى دراسة النقدية عام ١٨٦٨ :

> اذا سعينا للتغلب على أثر الحكايات نفسها ، ذلك الأثر الذى يبهر ويصيب بالدوار ، فذلك لكى نبصر بعين ناقدة تعاقب الأفكار وتسلسلها ، اذا حاولنا بلوغ أصـــول ظهورها بطريق التحليل والتخيـل ، أو اعادة تركيب المجتمع الذى انبثقت عنه من خلالها ، فاننا سندخل فجأة فى عالم آخر من التفكير ، ونتعثر فى مدخله فى بحر متلاطم من التهيؤات و التصورات ـ كتابه مقالات ، ص ٧٢ ٠

هذا الكلام ليس عاديا فى معايير دراسـة التفاوت بين التسـليم والتحليل ٠ فعلى الرغم من أن كاتبه يبدو مرتبكا قلقا ، الا أن هذا القلق هو عنوان (الانسحاب النقدى) والصحو الأدبى اللذين ميزا جزءا كبيرا من النقد الأدبى فى منتصف ذلك العصر (٢) : ومجرد محـاولة بلوغ أساسيات (التحليل) تعنى التخلى عن سلبيات الثقافة المتوارثة (من تعصب وانبهار سطحى واسقاطات ذاتية) وتجاوز المرتكزات والثوابت النقدية فى التمييز بين أنماط الكتابة الأدبية وأجناسها ٠

وبدل الخضوع للفرضيات المتوارثة ، أثار كراكروفت عددا من الأسـئلة حول (نسبية) الانطباعات وبحث عن ممسك صلب لمعنى الحكايات بالنسبة للعربى الوسيط نفسه ٠ فهو يرى أن هذه الحكايات عندما توضع ضمن أجوائها الوسـيطة فقط ، يمكن أن تزودنا ببعض الاشارات والأدلة الى الأفكار الفعلية والعواطف الدقيقة لجمهور مستمعيها فى العصر العربى الوسيط ٠ فهو ـ أى الكاتب ـ اذ يرى أن ثمة عبقرية واجتهادا يقبعان خلف « بسـاطة » الحكايات البادية على السطح ، يسعى لتقصى « الفكرة التى هى أكثر عمقا » التى جاء بها الذهن العربى الوسيط ، وطبيعة « تطورات » هذه أو تبلورها خارجيـا فى شـكل « آثار أدبية » باقية (مقالات ، ص ٧٦ و ٧٣ بالتعاقب) ٠ أى أن الناقد يبصر النتاجات الأدبية بوصفها تجسيدا لفكرة جوهرية تقبع فى عمق حيثيات الذهن العربى الوسـيط وقدراته ٠ ولكن ما الذى يدعـوه الى فرضية من هذا القبيل ؟ ٠ أكان ذلك بسبب تعامله الواعى مع الحكايات على انها نتاجات ذكية ؟ يرى كراكروفت أنه حتى فى حالة عدم توفر أدلة تاريخية للبرهنة على الثراء الثقـافى للظروف الآنية التى أوجدت الحكايات وتحكمت فيها ، فان رواج الليالى الكبير وبين الايـال مختلفة برهان حاسم على وفرة عمق مضمونى فيهـا ٠ وهكذا يستعين الكاتب

بمسلمة قديمة حين يقول « لا من كتـاب تملك الناس ٠٠ دون نسب قومى أصيل من القوة والامتداد الأدبى الضخم ٠٠ ص ٧٥ » ٠

صحيح أن الناقد والدارس المذكور لم يقدم ـ على صعيد التطبيق ـ اسهامات واضـحة فى مجـال اعادة تأليف أو بناء الظروف الاجتماعية والثقافية التى تطرحها الحكايات جزئيا ، لكنه كان على الأقل ملما بثراء هذه الحكايات وبالمشكلات المعقدة التى تكتنف أية مناقشات فى هذا الميدان ٠ ومازالت الأسئلة التى أثارها تتطلب أجوبة حاسمة وتستدعى مزيدا من البحث والتحليل الى يومنا هذا ٠ كما أن المشكلات التى أشار اليها ، تؤكد مدى ما يحتاج الدارس المولع بالبحث فى قضية كهذه من الاحتراز والدقة : ان من الصعب تقديم خلاصة عادلة للمجهـودات التى بذلت فى القرن التاسع عشر لدراسـة الفحوى الاجتماعى ـ الثقافى للحكايات دون أن نأخذ بنظر الاعتبار بعض التداخلات الدقيقة ك (تكيف) الليالى العربية للمحيط الانكليزى وتناسـبها معه ، وهو محيط جديد عليهـا ، وتلائمها مع الطبيعـة ذات النزعـات المتعـددة ، وكذلك (العداء) المتبقى للاسلام بوصفه ديانة وثقافة دخيلة ٠

لذلك ، يكون من الضرورة البدء بالمشكلات المارة الذكر ، بحيث نبتدىء ب (العداء) للاسـلام مركزين على بعض تنوعات هذا العداء ، كما هى مطروحة فى بعض الدراسات التى ظهرت عن الليالى العربية ٠

من السهل على القارىء متابعة العداء المتوارث للاسلام فى كتابات كتلك المقـالة التى نشرها P. Q. Keegan بعنوان « لقطات من الأدب الانكليزى ـ الشرقى » ، حيث يطرح الـكاتب تفسيرا عنصريا للدين يتناسب مع أفكار دعاة الاستغلال الاستعمارى وطموحاتهم ٠ فبـدل أن يعتمد الكاتب فى استنتاجاته ازاء الآداب والمعتقدات الشرقية على مراجع أساسية ورئيسية ، كان كيغان يحدد استشهاداته المنشورة فى مجلة New Monthly Magazine (حزيران ١٨٧٧ ، رقـم جـديد ٩ ، ص ٦٧٤ ـ ٦٨٧) بالكتابات المقلدة والاستشراقية المزيفة كالواثق لبكفورد وحاجى بابا لجيمز موريو و أناستاسيس لتوماس هوب ٠ اما الكاهن (كامرن مان) فانه قد بذل جهدا خاصا للبرهنة على تفوق الحضارة المسيحية على الحضارة الاسلامية ، معتمدا ـ كما أشرت من قبل ـ عـلى مقارنات بين رومانسيات أرثر والحكايات العربيـة (٣) ٠ قد يكون (مان) مغتاظا من تحامل (بيرتن) على الحضـارة المسيحية وتفضيله الاسـلامية عليها ، فما كان منه الا أن استنتج بأن الحكايات العربيـة لا تنم عن شىء آخر غير القسوة والشراسة والشهوة والقبح ٠ وكان لابد

ل (مان) ـ وهو يسعى لتثبيت أطروحته ـ أن يتجاهل تلك الحكايات المعنية بالتسامح بين الديانات وبعث الشفقة والفروسية ، مستعينا فى استدلالاته ببعض الممارسات المدينيـة المطروحـة فى حكايات بغدادية وقاهرية تصدق فى سماتها الرئيسة على ممارسات مماثلة فى حضارات مدينية أخرى • وخلص (مان) الى ان رومانسـيات أرثر متفوقة على الليالى فى موضوعات معينة كالصـداقة والحب الطاهر • ولكى يختتم مقارناته بما ينسجم والحيثيات المطروحة فى صلب المقالة ، أشار الى أن العملين يكشفان عن ديانات مجتمعاتهما الوسيطة (ص ١٥١) • وعقب مضيفا أيضا ان كلا منهما « يقدم صورة مجسدة عما فعله القرآن لحضارة عالم وما فعله العهد الجديد لحضارة آخر » • وبكلمة مختصرة ، فان الكاهن (مان) تعامل مع الديانة الاسلامية على انها حكايات تتحدث عن طموحات محدودة وعن اهتمامات غير مجدية ، فى حين أن مفاتن شهر زاد لم تكن فى نظره أكثر من نوادر وهروبيات طفوليـة فى اطار بانورامى « من المخلوقات البشرية الحقودة الكريهة ـ ص ١٥٤ » •

هناك تنويع آخر على نزعة العداء هذه فى كتابات تفصح عن تململ واضح بين الشغف بالليالى العربية من جانب وبين الحقد على الاسـلام والشرقيين من جانب آخر • ففى كتابه حيـاة محمد (طبعة ١٨٤٠ ، ص ٢٩٨) كان الكاهن Samuel Green مثلا يطرى « جمال الليالى العربية ووعظها الأخلاقى » على الرغم من ذمه للافكار الدينيـة والشريعة الاسلامية • ولم يكن موقفا (هاترسلى) ومحرر مجلة Eclectic مختلفا• لقد طالب الاثنان فى التقديم لموضوعيهما بضرورة اللجوء الى النفس الكاثوليكى و « التصميم الحازم على عدم الرضوخ لأول اهتزاز تعصبى » لكنهما اعتمدا فى نقدهما المناوىء للاسلام على اشارات شهرزاد المبعثرة لاحابيل النسوة (٤) صحيح ان نقاد منتصف القرن تجاوزوا شيئا من ثغرات الاتجاهات السالفة ، لكنهم طوروا أساليب وأقيسة جديدة لا تتفق مع مستويات النقد فى العصر الأوغسطى ، لا سيما ازاء بعض الموضوعات المحدثة التى تخص المرأة والحرية الفردية • فنحن نعلم مثلا ان المعلومات الكثيرة التى توفرت خلال السنوات القليلة عن الاسلام وعمق وصـاياه الأخلاقية وشدتها جعلت من الصعب على خصومه التحدث عن « ليونة » أو « شهوانية » حتى وان تكررت بعض هذه فى الحكايات : لكن النقد المعادى تركز الآن حول موضوعى (تعدد الزوجات) و (عزل النسوة) ، وتم التعامل معهما على أساس كونهما برهانا على احتقار المسلم ل « الجنس اللطيف » !! هذا النقد ينطلق من شيئين :

أولا : الطموح البورجوازى في الحرية ، والذى سبق أن تكررت الاشارة اليه بصفته يكون جوهر ايديولوجية المنافسة الحارة والفلسفة النفعية الصاعدة انذاك · **وثانيا** : غطرسة التفوق التى غالبا ما غــذت التوسع الاستعمارى فى الشرق ·

ولم يكن موقف وليـم ارنست هنــلى فى Views and Reviews (ص ٢٥٦) أقل تعقيدا من المواقف السابقة · فعلى الرغم من افتتانه بالليالى العربيـــة الا أنه كان يعزل سحرها الجمالى عن التكوين الاجتماعى ، الدينى ، واجدا فى أسفل سرد شهرزاد المغرى « الاخفاق المطلق للاسلام بوصفه قوة تدعو للاستقامة الأخلاقية » · أن للحكايات قدرة خاصـــة فى اغراء الذهن الغربى وكان أن أثنى عليها حتى ذلك العنصرى الهاوى الكسندر وليم كنكليك · فصعب عليه أن يعترف للاسيويين بهذه المقدرة الشهرزادية فى الابداع ، فما كان منه الا ان أعد الكتاب من أصـــل اغريقى · ويمضى فى تعزيز تخريجه الغريب قائلا : ان هذه القصص « تكشف عن معرفة كاملة ومألوفة بالأشياء الأسيوية ، لكن فيهـــا من الحياة والتدفق الحيوى ، والكثير من الشخصية الأوروبيـــة النشطة المتوثبة ما يشير الى انها لا يمكن ان تكون من صنع مجرد شرقى ، الذى هو فى القضايا الابداعية شىء ميت يابس » (٥) ·

لكن وعينا بمثل هذه التعقيدات لا تتيح لنا بلوغ استقصاءات دقيقة عن الجهود المتعددة لاعادة تشييد الوجود الاجتماعى ــ الثقافى للحكايات الا اذا راعينا الظروف الخاصة والعوامل الاجتماعية التى تحكمت بموقف كل من مترجمى الحكايات العربيـــة ازاء محتـــواها الاجتماعى · فمن البدهيات ان هذه الحكايات لابد أن تمتلك فتنـــة ما ــ عدا مضامينها الشاملة وبهائها المجلوب ــ لكى تؤثر بهذه الصورة التى أتينا عليهـــا سابقا فى الذهن الانكليزى · وهنا تحضرنى مقارنة سبق أن عقـدتها (مارثا بايك كونانت) فى مطــلع القــرن العشرين · فعندما ترجمت الحكايات العربية والقصص الفارسية الى الفرنسية ، كان الجمهـــور الفرنسى يستمتع بالقصص الفــارسية ، بحيث ســادت الأخــيرة فى فرنسا ، ذائعة ذيوعا لم تبلغه حكايات شهرزاد العربية هناك !! أما فى انكلترا فقد حصل شىء مغاير · فالجمهــور الانكليزى أهمل الحكايات الفارسية ، مبديا حماســا خاصا وشغفا ملحوظا بالحكايات العربيـــة « الوحيدة دون منازع » · وتداخلات مثل هذا الأمر ليست دون فائدة لدارسى التاريخ الأدبى ، لا سيما وأن الحكايات العربيـــة والقصص الفارسية تمتلك بعض العناصر المشتركة ، وتناجى ذلك الشغف بالدخيل المجلوب الذى ساد فى أوربا منذ أكثر من قرنين · لكن القصص الفارسية

كانت « أكثر ميوعة عاطفية وغرابة وتلوينا » بينما تمتلك الليالى العربية شيئا من صلابة الواقع ، كما أشار بيرتن ومارتا كونانت وكب(٦) . واعتمادا على هذا الاستقصاء رأت كونانت ان ثمة تفاعلا كان يقوم بين مزاج شهرزاد الواقعى وبين ذلك الميل الانكليزى المميز للأمور الواقعية ونبذة لكل ما هو غريب أو عديم المعنى . « الا يكون هذا أحد الأسباب التى تقف خلف الشيوع الأوسع لليالى العربية الذى لم تحظ به الحكايات الفارسية ؛ فى حين أن شعبية الأخيرة وازت ان لم تكن قد تفوقت على رواج الليالى العربية فى فرنسا ؟ » (٧) .

ولا تقل أهمية مقارنة أخرى بين ليالى شهرزاد والرومانس العربى عنتر . فالحكايات حققت رواجا لم يكن الرومانس الأخير يبلغ بعضا منه . فعلى الرغم من أنه عد من أبرز الأنماط الروائية العربية وعامله بعض النقاد بتقدير خاص (٨) ، الا أنه لم يكن رائجا بين أوساط القراء الانكليز . ويجدر التنبيه هنا الى أن أجواء البطولة والحرب فيه تتناقض مع جو الليالى المدينى ، وهى حقيقة لاحظها ناقد مجلة Athenaeum (العدد ٥٧٢ ، ١٣ تشرين الأول ، ١٨٣٨ ، ص ٧٣٩) . وحيث ان الرومانس معنى بمغامرات عنترة فى الصحراء بشمسها اللاهبة المحرقة ، فانه « يتنفس روح الحرية » التى تتأكد برعب البطل نفسه من حياة المدينة . أما فى الليالى ، كما يرى الناقد المذكور ، فان التسلط قائم بما لا يدع متنفسا لهذه الحرية الطليقة . وأكثر أهمية من النقطة الماضية قضية المحيط الحضرى للحكايات ، « فسواء كان الخليفة محاطا بحاشيته أو المواطن الثرى بين خدمه ، أو التاجر المغامر يرحل الى ضياع بعيدة ومجهولة بقصد الاتجار والربح ، فان القارىء يلتقى وفى كل صفحة بعلامات واضحة لحضارة راقية ومتطورة » . وحيث ان هذا هو الفرق الرئيس بين العملين ، فليس كثيرا أن نستنتج أن الليالى العربية تجاوبت أيضا مع الميل البورجوازى * للاناقة والوفرة والنظام والاستقرار .

وفى سياق هذا الاهتمام (البورجوازى) الذى بلغ ذروته باقدام (لين) على ترجمة وتهميش الحكايات العربية ، كانت الاعدادات المسرحية والمختصرات والمختارات من كنز شهرزاد محصورة على الأغلب فى نطاق قصص مدينية مميزة كعلاء الدين وعلى بابا والسندباد والنائم اليقظان . وعدا ذلك ، فان نقاد القرن المذكور كانوا أكثر ولعا بقصص غنية

(*) « البورجوازية » كمصطلح ترادف النزعة المدينية لدى الطبقات الوسطى المتأسسة فى المدن الواسعة فى ظل التحولات الصناعية والاجتماعية الكبيرة فى أوروبا .

ب (أخلاقيات) الطبقات الوسطى · وهكذا ، كان باجت مثلا يؤكد أن « الحكايات الأحسن ·· والأكثر تميزا هي تلك التى تعنى بحياة المدينة ومخاطرها والاعيبها ·· ص ٦٨ ، NR » · وليس مصادفة أيضا أن يكتب G. W. Peck الى مجــلة American Review (كانون الأول ١٨٤٧ ، ص ٦٠٣) : « حيث ان معظم مواطنى الليالى العربية هم أناس ذوو أخلاق حميدة ·· فاننا نجد العديدين الذين نتمتع بحضورهم كما نتمتع بصحبة المعارف المقبولين والمرشدين » · وكان أن اهتم Peck بشخصية السندباد بحكم سعيه لاستعادة ثروته ، مبقيا بذلك على نظام اجتماعى عماده الجاه والامتياز · وأثنى باجت لذلك على أدب السندباد وثبات قراره ووطيد عزمه ، وهو بعد هذا « يستحق الغنى الذى كسبه أخيرا ، والحظوة الخاصة التى لقاها عند سلطانه » · ويمضى باجت فى اطراء السمات (البورجوازية) للسلوك والعمل قائلا : « وحتى مناسبة سرد مخاطراته [بينما كان ينصت للحمال وهو يلوم عدم المســـاواة الاجتماعية] تثبت بأنه من معدن الســـادة ، الذين لا يتعنتون فى الخطأ — محافظ تماما فى شعوره ، شخص بوده تحسين أوضاع الذين حواليه ، وذلك بأن يمكنهم من التزام وجهات نظر عقلانية ازاء أسباب عدم المساواة الاجتماعية » ! ·

هذه التخريجات ليست بعيدة عن تلك الفلسفة المحافظـة التى انبعث جزئيا من الفلسفة النفعيـة ، والتى ترى أن التغيرات فى البنية الاجتماعية يجب الا تلغى المراكز الاجتماعية المقبولة (كالجاه والطبقة ·· الخ) والتى ألف (باجت) وحده كتابا عنها ·

لكن رحلات السندباد كانت مقبولة لأسباب أخرى ، أبرزهـا ذلك التأكيد العربى الوسيط فى مفاهيم العمل الشاق والجدية والمهارة ، وهى مفاهيم مدينية حلت بديلة لمفاهيم التفوق العشـــيرى أو الاعتبـارات التجريدية كـ (الشرف) و (الايثار) و (الكرم) : فالمجتمع المدينى يحتوى فى داخله من ينتسب الى أكرم القبائل فى أصوله ، كما قد يسود فيه من قدم من غير هذه الأصول ، وأوجدت بنية المدنية مقومات جديدة للحياة ، كما أنها جاءت بأخلاقيات نفعية وتعاونية استبدلت أو ألغت عادات وتقاليد كانت دارجة فى مجتمعات البداوة و القبيلة · والحكايات نفسها تطرح الكثير فى مجال المقارنة والمفارقة بين هذين الاتجاهين · لكن الفكتوريين تجاوبوا مع نغمة مدينية واضحة ، كانت تلقى اصداء خاصة فى آذانهم التى تمردت منذ زمن على التقسيمات (الارستقراطية والنبيلة) للعلاقات ، وهى تقسيمات كانت تعد الطبقات الوسطى دون مستوى الارستقراطيـة ومجتمع النبـلاء بكثير ، أما الآن ، والأموال فى

أيدى الطبقات الوسطى ، فان (نبلاء) العصر الجديد ليسوا محتاجين الى (الأصل) و (العرق) و (الدم) ، بل انهم يحتاجون الى (العمل الجاد) و (المهارة) و (الواجب) : وهى مفردات الفلسفة السائدة للطبقات الوسطى · وليس جزافا أن يطلق كارلايل وغيره على سادة المجتمع الجديد (قادة الصناعة) ·

وحيث ان الكنيسة الانكليزية قد كيفت وضعها مع مصلحة الطبقات الجديدة التى بدأت تمتلك السطوة ، كان لابد أن تتكرر مفردات (العمل الجاد) و (الواجب) و (الطهارة) فى أدبيات العصر ، فهى وحدها التى تبرر انتعاش الطبقات الجديدة التى كونت المجتمعات المدينية ، كما انها وحدها التى تسوغ التمايز الطبقى الذى ظهر بديلا للتمايز القديم بين (النبلاء) و (الرعاع) ، أو بين الارستقراطية والكسبة !!

وهكذا كان المشهد الأخير فى رحلات السندباد مشهدا تتكرر الاشارة اليه فى عدد من كتابات ذلك العصر : حيث ان الحمال بلغ قناعات جديدة فى خاتمة القصص التى رواها السندباد عن شقائه وكده ومجازفاته · فاذا كان فى المشهد الأول يلوم الظلم الاجتماعى ، قال فى الخاتمة ان السندباد يستحق ما حصل عليه من ثروة بعدما تعرض للمشكلات والصعاب ، وكان أن كسب السندباد (مؤيدا) لوجهات نظره فى أن الظلم والتفاوت الاجتماعى أمر لا بد منه فى عالم لا تتحقق فيه الوفرة دون كد واتزان وجلد · والتخريج الأخير يدلل على الأصول المدينية لهذه الحكايات ، كما أنه يوضح جزئيا سر شعبية هذه الحكايات بين جمهور قراء الطبقات الوسطى فى عصر الملكة فكتوريا ·

ومن جانب آخر ، فان ألف ليلة وليلة تصور عالما منظما وهادئا ، أى أنها تعتمد المقومات الرئيسة لازدهار التجارة والأعمال (٩) · ولهذا كان Peck يثنى كثيرا على هذا التقدير للتجارة الذى كان يتابعه فى الليالى العربية · فالانتظام والضمانات الأمنية و (الشرف التجارى) لوازم فى ازدهار التجارة :

ان البحارة الذين كان السندباد يرحل بصحبتهم فى مغامراته يقدمون أمثلة فى الاستقامة التجارية ، تستحق الاحترام ، ويؤمل أن تكون هذه الاستقامة قد حققت أثرها المناسب فى عقول العديد من الأولاد الذين اشتغلوا فى دروب التجارة والأعمال ·· ص ٦٠٥ ·

ولعل ما يستحق الملاحظة أيضا أن نقاد القرن التاسع عشر بدوا موافقين على أسس العدالة الخيالية (التوزيع المثالى للثواب والعقاب)

المطروحة فى الحكايات • فبالاضافة الى التعليقات العديدة التى ظهرت بشأن الاطار الأخلاقى للحكايات ، تطورت اهتمامات عميقة فى طريقة الراوى فى توزيع الثـواب والعقـــاب • فلاحظ ٠٠٠٠ (ص ٦٠٣) أن السلطان فى (علاء الدين) برهن على كونه رجلا مجربا : اذ على الرغم من معرفته بالمصادر (السحرية) لثروة علاء الدين ، فانه قبله زوجا لأبنته ، متخذا بذلك موقفا ينسجم مع تفضيل الطبقات الوسطى للزيجات التجارية • لكن بعض النقاد الفكتوريين كانوا يسيئون فهـم ما يسميه جيمز ميو « بالتخلص اللامبالى من ابنته [أى السلطان] ٠٠ وتزويجها الى علاء الدين ، العاطل ، الذى لا يمكن اصلاحه ، العاق والمتشرد الفاسق ٠٠ ص ٧٣١ » ، ذلك لأنهم يتذكرون حياته الفاسقة والعاطلة الأولى غير عابئين بصلاحه الأخير وبثروته الجديدة • ويبدو أن (جيمز ميو) كان يمثل قلة قليلة فى هذا التخريج ، اذ ان الحكاية كانت مقبولة تماما بين أوساط القراء فى عصر الملكة فكتوريا • والذى يبدو أيضا أن (ميو) تجاهل اعتماد (التناقض الأدبى) فى رسم الأجواء وتكييفهـا لخدمة البناء الروائى • فالتأكيدات المغالية فى البداية على حياة الفسق والبطالة أريد لها أن تكون فلسفية شـــديدة التناقض مع التحولات الأخيرة فى حياته ، عندما تحول علاء الدين الى رجل عاقل ، مترن ؛ ثرى •

والذى نخلص اليه هو أن الأجواء المدينية كانت مسؤولة جزئيا عن رواج الحكايات العربية فى مجتمع انكليزى مدينى • لكننا يجب الا نهمل أيضا طبيعة عقلية المترجمين وميولهم ، وهى ميول غالبا ما حملت فى ثناياها اتجاهات الذوق وسمات الرؤية الثقافية السائدة ، وليس أمرا عاديا أن تنجز الترجمات الرئيسية لليالى شهرزاد فى مراحـل متميزة على الأصعدة الثقافية ـ الاجتماعيـة • وكان محتما أن تنطبع على هذه الترجمات بعض الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية المعاصرة • وفى الواقع لا يمكن ان ندعى امكانية دراسة كل من هذه الترجمات دون المام بطبيعة النقد المعاصر أو ذلك الذى يلى ظهورها ، لا سيما ذلك المعنى منه بفحواها الاجتماعى والأخـلاقى • فمثل هذا النقد يمـكن أن يكون فهرسا لطباع الجمهور ، وسجلا لحياته واهتماماته التى قد تميزه عن طباع أجيال أخرى واهتماماتها • وهكذا جاء النقد الفكتورى لنسـخة غالان ـ على سبيل المثال ـ ليعكس شيئا من اهتمام الطبقات الوسطى المتزايد بحسن السلوك و (التكتم) فى قضـــايا الجنس ، وكذلك بالدقة العلمية والتفصيل المناسب • وعندما كان (باجت) يعترض على نسخة غالان التى ظهرت قبـل قرن ونصف فانه شخص ما أسـماه ب « خشونة وفظاظة » تلك النسخة ، وهى غلاظة مردها الذوق السائد

« فى زمن المترجم ٠٠ ص ٦٤ NR » ٠ فاذا كان غالان قد عدل وشذب ليناسب أمر الذوق انذاك فان الفكتوريين رأوا فى عمله برغم ذلك شيئا من الخشونة ، ولعل ذلك واضح فى قدح (ستانلى لين بول) لها حتى أسماها ب « سوء الخلق » فى مقدمته لليالى (ص ١٨) ٠ واذا كان باجت وبول يمثلان نزعة الطبقات الوسطى للتكتم المفرط (Prudery) فى الكتابة ، فان جيمز ميو كان يعبر عن الاهتمام الفكتورى الاخر بمحاكاة الواقع ودقة التفصيل : ولهذا السبب كان قد اعاب على المترجم الفرنسى الذى سبقه بقرابة مائة وسبعين عاما ما عده فرض « برقع من الكياسة الفرنسية » على الطباع الدينية والاجتماعية الشرقية ، مقدما فى النتيجة صورة « شرقى ٠٠ وهو يرتدى القبعة الفرنسية السائدة أنذاك ، وقفازا وحذاء من القرن الماضى ٠٠ مجلة Cornhill ص ٧٢٠ » ٠

ومثل هذه الردود الفكتورية تبنى بوضوح على (انتقادات) ادوارد وليم لين للترجمة الفرنسية ، وهى انتقادات سوغت له ضمنا مسعاه لاعادة ترجمة الحكايات وتزويدها بالهوامش والشروح بما ينقذها من الاهمال ويعيد لها حظوتها فى غرف الاستقبال الفكتورية ٠ وفى تنفيذ هذا المشروع كان (لين) يستجيب لمطلب يتكرر فى الكتابات المنشودة عن الطبعات السابقة من الليالى : وهو ايجاد نسخة أمينة ومحتشمة للأصل ٠ وكانت الدعوات قد ظهرت بوضوح فى عام ١٨٢٥ عندما كتب روبرت فرغسون Robert Ferguson عن حدود مهمة اعادة ترجمة الليالى وآفاقها ٠ فهو وان كان يشعر بالحاجة الى ترجمة كاملة يمكن ان تسلط مزيدا من الأضواء على « الطباع الأسيوية والتاريخ الأدبى عامة » الا أنه أضاف مصححا نفسه أنه يقصد الحكايات « القابلة للترجمة » ذلك لأن « بعض مغامرات الكتاب الأسيويين خليعة خلاعة مفرطة بالنسبة لأسماعنا الشمالية » (١٠) ، أى أن الاوربيين متحفظون مقارنة بأسلوب الكتاب الشرقيين في التعامل مع قضايا الجنس وبعض التفصيلات الأخرى ذات العلاقة ، وهذا يلزم المترجم بالتخلى عن كل ما يتحفظ عليه الأوربى فى العقود الاولى من القرن التاسع عشر عندما بدأت الطبقات الوسطى ترتاب بكل ما تلمس فيه تهديدا لاهتماماتها الظاهرة ب (وحدة العائلة) فى منازل موزعة توزيعا معماريا لتأكيد هذه الوحدة من جانب والمحافظة على أصول اللياقة والاستقبال والحديث من جانب آخر ٠

لكن استجابة لين لم تكن محصورة فى نطاق الحدود الاعتيادية للذوق ٠ لقد كان لذوق الجمهور السائد ولشغفه بالمفاهيم العربية

(الكلاسية) للتأليف أثرهما الواضح فى تقصيه للياقة ، لكن هذه اللياقة تحمل فى بعض ثناياها شيئا من التطرف والتزمت الفكتوريين فى بعض الأحايين ، الأمر الذى لم يغب عن ملاحظة مجلة Asiatic Journal أو متابعة (جيمز ميو) فى النصف الثانى من القرن (١١) • وهكذا ، كان (لين) يحذف اشارات عابرة الى حوريات الماء العرايا ، أو تفصيلات تركيبية (ذات علاقة ببناء الحكاية) لأنها معنية بقضايا الاغراء والسفاح• وبعد صدور ترجمته بسنوات استغل بيرتن هذا التشذيب غير الضرورى لكى يتهم (لين) بعدم الأمانة ، وليكون اتهامه مسوغا جديدا لترجمة جديدة يشدد فيها على كل ما حذفه (لين) •

وحيث ان القراء فى الغرب خلطوا كثيرا بين ترجمة لين وترجمة بيرتن ، وحيث أن الأخيرة لها شخصيتها الخاصة التى لا يمكن أن تؤخذ بمعزل عن شخصية بيرتن نفسه كان لابد من التفريق بين الطبعتين ، ثم تبيان ما جاء به بيرتن من عنده من أجل أن يضفى على ترجمته طابع التجديد، وليعوض عن طاقاته الابداعية الأخرى فى شروح لا تمت بصلة للموضوع الذى هو بصدده • وطريقة بيرتن فى الترجمة والتحقيق والتحرير لم تكن وليدة المصادفة ، على الرغم من ملاحظتى السالفة بشأن اسقاطات المترجم الذاتية فى ثناياها • ففى الواقع ، لا يمكن أن نتفهم سر اقدام (بيرتن) على عمله (ترجمة الحكايات المدونة والمنقولة شفاها ، ومن هى فى صلب حكايات شهرزاد أو غيرها من مجاميع قصصية لا علاقة لها بشهرزاد ، وتعزيز هذه بشروح مسهبة) دون عقد مقارنة بين مشروعى لين ومشروعه فى ضوء متغيرات العصر ومستجداته •

كانت نسخة لين – كما أشير من قبل – وليدة العصر الفكتورى ، فحملت السمات الفكتورية بوضوح : من تأكيد على الاحتشام واللياقة • أما نسخة بيرتن فقد جاءت فى خاتمة الثمانينات، أى فى أوج سنوات الارتداد على (الفكتورية) اذ ان الواقعية بوصفها نزعة لها مسبباتها العلمية والعملية كان لابد ان تنمو لتبلغ ذروتها فى سيادة (المذهب الطبيعى) ، حيث ازداد الاهتمام بالحقيقة المجردة ، بعيدة عن الوعظ والارشاد ، والاعتبارات الأخرى فالعلوم كما يرى (زولا) جعلت من الجسد معروضا برمته امام التحليلات البيولوجية وعمليات التشريح الطبى ، ومن الضعف ان نغمض عيوننا ازاء التفصيلات المزعجة فى الحياة • ومتى ما تصورنا طبيعة الظروف التى احاطت بكل من المشروعين ، عندئذ يمكن ان نستوعب اسرار الاصطراع الرهيب بين مؤيدى لين ومعارضيه فى صحف ومجلات نهاية القرن التاسع عشر ، وهو اصطراع قلما بلغ هذه الحدة فى قضايا أدبية سابقة ، اذا استثنينا

ذلك الصدام الحتمى بين الرومانسية والنفعية فى العقود الاولى من القرن نفسه ٠

فلم تكن الزوبعة التى اثارها بيرتن محصورة بين موافق على تصورات لين ومعارض لها ، بل اصبحت صراعا واضحا بين الاخلاقيين الفكتوريين من جهة والطبيعيين والرومانسيين الجدد من جهة أخرى ٠ ولكن لكى نبقى فى نطاق هذا البحث من المناسب التركيز على المفارقة بين منظورى لين وبيرتن ، وهى مفارقة لم تقرر نبرة كل مترجم وآفاق مشروعه فحسب ، وانما هندست أيضا أشكال النقد الأدبى واتجاهاته سلبا أو ايجابا ازاء حكايات شهرزاد ٠

كان (لين) يمتثل لمقاييس (التأليف اللائق) : ولهذا نراه يسعى لعزل (الموضوع) المشتبه به عن الكيان الرئيس للحكايات ، موضحا حيثما جرى هذا التشذيب ان الاضافات المشكوك فى علاقتها بالحكايات ما هى الا من صنع رواة اخرين ، وضعوها لتغذية رغبات المستمع غير المثقف فى بقاع مختلفة من المجتمع العربى منذ التكوين الاول لليالى العربية (١٣) ٠ أما بيرتن فقد جاء الى هذه الحكايات بذهن وتصور مغايرين ٠ فهو تعامل مع حكايات شهرزاد بوصفها (بانوراما) للحياة الشرقية ، وصورة للشعائر والمعتقدات السائدة فى الشرق ٠ وعندما استقبل القراء نسخة لين ، فانهم قوموها على انها قصص تسلية وعظية ، مفيدة ، ذلك لأنها أكدت المعتقدات والطباع الشرقية ، مثيرة سلسلة من التجاوبات والردود (الاجتماعية) و (الاخلاقية) ٠ أى ان طبيعة النسخة ذاتها حفـــزت وأثارت اتجاهات نقدية مماثلة لفلسفتها الرئيسة ٠

أما هدف بيرتن ، كما أعلنه بنفسه ، فهو تزويد القراء بـ « نسخة أمينة لهذا الكتاب (الساغا) الشرقى ، وذلك بالابقاء لا على الروح وحدها بل وحتى على الميكانيك ، على الهيأة والمادة » (١٤) ٠ وحسب هذا القرار ، اراد بيرتن ان ينبه القارىء الى الجميل والقبيح فى الحياة الشرقية ، ممتثلا فى هذا الاتجاه للنزعة الطبيعية المتعاظمة التى أشرت اليها من قبل ٠ فهو من ناحية أكد على نغمة النقاء والطهارة فى الحكايات ، وعلى العواطف العذبة الصادقة والحياة المليئة المفعمة بالحيوية ، وعلى الاخلاق والتصوف ، وعلى ذلك المزيج الدقيق بين المادى والروحانى (TF ، ص ١٥) ٠ ومـن الناحية الاخرى ، كان يعد فظاظة بعض الاجزاء « فظاظة لغة ، لادعـــارة فكرة » (١٥) ، فظاظة غير لائقة لكنها ليست ساقطة ، ذلك لانها لا تفصح عن « انحطاط ماكر أو فسق مقنع TF ، ص ١٤ » ٠ كما كان بيرتن يؤمن بأن لراوى يجب أن يعامل كما هو فى واقعه ، محترف يعتاش على

ما يحصل عليه جراء رواية الحكايات والنوادر • وهذا الراوى غالبا ما يندفع بحكم ميله للدعابة والمزاح وخلاصة من التقييدات المفرطة فى قواعد اللياقة الى الافرط والفسق اللغوى ، مداعبا الرغبات المحبطة والمكبـــوتة لدى مستمعيه وذلك بأن يقودهم معه تصوريا فى « غرف العرس » ساردا لهم « بانتعاش غير محدود كل ما يراه ويسمعه TF ، ص ١٤ » • وهـذا الأمر يستحق وقفة قصيرة : فبغض النظر عن ميل بيرتن المعروف للداعر والغريب ـ البشع ، لابد من الاعتراف لبيرتن بامكانية متميزة فى الابقاء على نبرة الراوى ومحتوى قصصه الاساسى وله الحق فى ان يتباهى بقدرته ليس على اعادة بعث حياة الطبقات الوسطى والفقيرة كما لم تبعث من قبل فى ترجمات سابقة فحسب ، بل انه يمكن ان يتفاخر ايضا بتحريره الراوى الشرقى من القيود الانكليزية المتوارثة التى تعد غريبة على مزاج الراوى المذكور أو ظروفه • ولهذا السبب ، كانت مجلة Athenaeum (١٢ مايس ١٨٨٨ ، المجلد ٦١ ، العدد ٣١٥٩ ، ص ٥٩٤) محقة فى استنتاجها بأن بيرتن « يمثل العربى فى بلاده ، أما لين فانه يمثل المصرى فى القاهرة ، وبشكل ما ، شرقى المسرح الأوربى والكتاب القصصى » • ولكن اذا كان « الأول يروع غير المسافر ويثير اهتمام الانكليزى المعتاد على السفر » ، فان الثانى قد يضع امام مواطنيه صورة الحياة الشرقية بألوان أغنى ، لكنها ليست أقل تقليدية وتوارثا من تلك التى كانوا قد اعتادوا عليها » •

ولكى لا نقاد بعيدا بهذا التمييز بين الترجمتين ، لابد أن نحترز فى التمييز : انه تمييز مناسب بينهما بوصـــفهما عملين يعتمـدان رؤيتين وطريقتين متباينتين • لكن مجلة Athenaeum لم تغفل قط نزعة بيرتن للمبالغة ، أو ، كما أسمتها ، نزعته لكى ينعت (الفأس) بـ (المجرفة) • كما أن هذه المجلة المعروفة بصحوها وموضوعيتها لم تقبل طريقته فى الشرح والتحقيق قبولا كاملا • ذلك اننا ونحن نسعى لدراسة المحتوى الاجتماعى لنسخة بيرتن ، علينا التمييز بين النص الفعلى وبين اضافات بيرتن وشروطه • فبرغم مسعاه لأسر روح النص الأصلى ، لكنه كان ميالا باستمرار اما للتشديد على (فظاظة) بعض الاجزاء أو للتوفر على عذر لتسويغ اضافة من عنده فى قضايا فسلجية أو شخصية • وهكذا ، فان دارس نسخة بيرتن يحتاج الى حذر واحترس كبيرين اذا اراد تقدير أهمية مشروع المترجم وطبيعته •

من الضرورة بعد ذلك البدء بالبحث فى الأسباب التى تقف خلف الجدل الدائر حول ترجمته ، بحيث نحاول عزل التقييمات العاقلة المتزنة عن الردود المتعنتة أو المغالية فى ادعاء العفة ، وهو أمر يلزمنا أيضا بعزل اسهامات بيرتن المتينـة عن مزاجيته الأنانية ومسـاعيه المبتـذلة للاثارة

والتحدى · وحيث أن مقالة ستانلى لين ـ بول فى مجلة Edinburgh Review (تموز ١٨٨٦) كانت مثار مناقشات تالية فى مجال الجدل المذكور ، يكون من العدل الابتداء باعتراضات بول على طريقة بيرتن ومبتغاه ·

كان بول يلوم بيرتن بحكم علمه بالمام الأخير الكبير بالحيـــاة فى الشرق (ص ١٨٥) : فهو يرى أن هذا الالمام لم يحسن بيرتن استعماله ، فتخلى عن المفيد منه ليبرز الجانب الأسوأ من هذه الحياة · لقد حذف لين ، كما يذهب بول ، مقطوعات بدت وكأنها « جىء بها لتسلية الغوغاء الذين يتسكعون امام مقهى حقير ، ذلك لأنها تحوى تعبيرات وتدون ممارسات لا يمكن ان ينزل اليها اناس فى مناصب ومواقع الاشخاص الموصوفين فى الحكايات » · لكن بيرتن ، فى تقدير بول نفسه ، طرح نفسه مدونا للخطايا والفجور : « ان الكابتن بيرتن تمسك بشكل رئيس بهذه العناصر ووجه كلامه الى قراء مماثلين » ·

وتعد ملاحظات Poole معقولة تماما قدر تعلقها بمغالاة بيرتن فى التشديد على التفصيلات الفظة والاضافات الموضوعة · لكنها ، أى الملاحظات ، تعوزها الدقة اذا ما عوملت فى اطار الجدل العام الذى أثارته قضية ترجمة الحكايات الى الانكليزية · فشأن خاله ، كان بول مدفوعا بأنفه ومكابرة كبيرتين ليس من الصعب تبينهما فى الكتابات الفكتورية السائدة : فكان ان اقرن الخلل الأخلاقى بالطبقات الفقيرة ، وهو أمر ليس دقيقا فى المجتمع الاسلامى · كما ان موقفه العام مطبوع بالحشمة الفكتورية المفرطة ، وهى حشمة من الصعب أن تنسحب على موقف (المثقفين العرب المنتقدين) ازاء الحكايات الشعبية · فبرغم انهم لا يعدون مثل هذا الفن ضمن فنون (الأدب المحض Belles Lettres) الا انهم لا يعـدون الاشارة الى العلاقة الجنسية امرا مشينا ، كما تدلل على ذلك كتابات عدد كبير منهم فى العصر الوسيط · والذى لابد من ايضاحه بصدد موقف Pool انه فكتورى فى قراءته للآداب ، وكان ان عد ترجمة (بيرتن) معيبة ، لانها لابد ان تلحق الأذى بالاخلاق العامة وتوجد حـــالة من الانحطاط جـــراء تجاوزها للمفهوم الفكتورى لـ (اللياقة decorum) · فهو يقول فى مقاله (ص ١٧٩) : « ان مفهومنا للكياسة قد يكون تقليديا تماما ، لكن خدشه يبقى امرا خطرا يستحق التوبيخ برغم ذلك » ·

كانت مجلة Saturday Reviehw أنذاك قد التزمت مواقف الطبقات المتنفذة ، كما انها أخذت تتحدث بلسان فئة « خريجى الجامعات من السادة

الدارسين والدارسين السادة » (*) (١٦) ، وهذه المجلة ذاتها التزمت موقفا شبيها بموقت بول·فيقول محررها (٢ كانون الثانى ١٨٨٦ ، ص ٢٦) : « في الخارج يعرف عنا اننا اكثر الامم مغالاة فى الاحتشام ويذكر عنا اننا شذبنا حتى الخالد شكسبير ليناسب اطفالنا · لكننا سنخسر شخصيتنا هذه لا محالة اذا ما انتعش محفل كاماشا سترا » ، أى الجمعية التى ادعى بيرتن انها طبعت ووزعت ترجمته توزيعا خاصا بأعضائها · واذا ما قورنت Saturday Review بغيرها من المجلات الأسبوعية فان لها معاييرها فى النقد والتقويم ، وهى لذلك لم تكن تريد البطش ببيرتن قدر تمثيلهـــا لاخلاقيات المتعلمين من المحافظين ودعاة الأدب المحض : فاعترفت له بشيء من الاحتراز ببعض المحاسن التى انطوى عليها مشروعه · أما المجلات الأخرى من شاكلة Paul Mall فانها اتخذت موقف رفض كامل وازدراء علنى لتجربة بيرتن ، متهمة اياه بشتى التهم ، ومعدة عمله ضربا فى الأدب الداعر ·

وطبيعة هذا النزاع ونتائجه تستحق معالجة مسهبة بعض الشيء · اذ كيف يمكن ان نبصر اقدام كل من Burton John Payne على اعادة ترجمة الحكايات العربية فى ثمانينات القرن التاسع عشر · من المؤكد انه ليس من المعقول ان يعلن اثنان النية فى الاتيان بترجمة كاملة غير مشذبة لحكايات توفرت لها ترجمات أخرى متداولة ومقبولة ، ابتداء بترجمة Galland وانتهاء بنسخة Lane المعززة بالهوامش والشروح · كما لم تكن مجرد مصادفة ان يدعم بيرتن نســــخته بالهوامش الكثيرة المطولة التى وصفتها مجلة Saturday Review (كانون الثانى ١٨٨٦ ، ص ٢٦) بأنها « لطخات فاحشة على الصفحات ، لأنها بذيئة دون ضرورة ، فأصبحت كريهة » · لكن مشروعى Burton Payne يجب ان يدرسا فى ضوء الاهتمام المتزايد بالدقة العلميـــة وبذلك الارتداد الحتمى على التقييدات المتوارثـــة ضد الاشارات الصريحة للحقائق الفسلجية والباثولجية · وتنبه أخلاقيو اواخر القرن الى ان هذين المشروعين يرتبطان بالامتعاض المتزايد من معايير الاحتشام والتكتم لتقليدية التى سادت فى كتابات ذلك العصر ·

كان ستانلى ـبول (مقالته فى مجلة Edinburgh Review ص ١٧٥ ـ ١٧٦) يعد دوافع اقدام بيرتن على اصدار نسخة غير مشذبة من الليالى

(*) المقصود هنا بالسيد هو الـ gentleman صاحب المعايير والمواصفات التى تجعله لائقا شهما فى الحياة الأجتماعية ، حسب التوزيعات الطبقية السائدة فى اوروبا حينئذ · واصبح المتعلم جامعيا من بين هؤلاء مميزا عن المتنفذين ماديا فى أدبه ولياقته وحسن معرفته ·

العربية دليلا على « الهوس » المعاصر الذى اسماه (anthophbia) أو « الذعر من اختيار الاجود » • فامر مشروعى (بين) (وبيرتن) ليس معزولا عن الظاهرة (الزولاوية) ، والتى يعدها الكاتب نفسه ذروة القبح والرداءة• ومقارنة بالاخيرة ، يرى بول ان « فظاظة » النسخ « غير المشذبة » ليست مثيرة لنفس الازدراء الذى توجده « البذاءة المروعة للرواية الفرنسية الحديثة » ، لكنها برغم ذلك « تظل تبعث على الاشمئزاز » وفى تقديره أيضا ، ان الذين انتقدوا خاله لتشذيباته لم يكونوا غير « ادعياء الأيام الاخيرة الذين يرون فى كل ما هو طبيعى امرا صحيحا يجب ان يعلن على سطوح المنازل – ص ١٧١ » • وحيث ان الكاتب نفسه يعتبر موقف « بيرتن » ممثلا للمعارضة (الطبيعية) « للمغالاة فى الاحتشام » اختتم مناقشته بهذه العبارة الساخرة : « ان المتواضع لين كما ويوصمه الكابتن بيرتن ، مخلوق من الماضى ، اما الان •• حسنا ، لدينا الكابتن بيرتن •• ص ١٧٦ » •

ومن حيث الخطوط الرئيسة للاتجاهات الادبية والفكرية المعاصرة ، يمكن ان تكون مواقف مجلتى Pall Mall و Saturday Review برغم تباينها •• تعبيرا عن المعارضة المحافظة لذلك الشغف المتزايد بالموضوعية العلمية والتقصى الدقيق واللذين كان بيرتن وعدد من معجبيه يدعون التزامهما • لكن المعسكر الاخير ليس متماثلا تماما ، ولابد من تحديد موقف كل كاتب• فاذا كان كتاب مرموقون من أمثال الفريد أوستن Alfred Austin وجون ادنكتن سيمندز John Addington Symonds وبرناردشو Bernard Shaw والشاعر ييتس Yeats يبارزون بقوة وحزم مظاهر الافتراء والنفاق والتقليدية العمياء فى النقد الأدبى ، فان هناك اخرين من امثال بيرتن نفسه الذين كانوا يودون ايضا ان (يصمدوا) دعاة الاخلاقية العتاة ، مشيعين بهذه المواجهة المثيرة جوعهم الغاضب والتمرد للحرية المطلقة •

وتستحق تعليقات برناردشو وييتس عناية خاصة لكونها معنية اصلا بتعامل الراوى الشرقى « غير المكبوت » مع العلاقات الجنسية ، وهو تعامل بدا جليا فى نسختى بين وبيرتن • فكلاهما يعد صراحة شهرزاد فى وصف مشاهد الحب ضربا من التربية الضرورية • وعندما كان يكتب لاثيل مانن Ethel Mannin استعار ييتس مصطلحا من نسخة (مادرس) الجديدة من الليالى العربية ، مؤكدا انه « ليس من المعيب ان نتحدث عن اشياء تقع تحت احزمتنا » • واضاف ان هذا القول يصلح ان يكون « شعارا للكتاب عن تربية الأطفال كالذى •• يمكن ان تكتبه هى » (١٧) واذا كان شو قد اعجب ايضا بهذا التعامل (الطبيعى) غير المريض مع قضايا الجنس ،فانه كان واعيا فى الوقت ذاته بالافاق العريضة للابداع الادبى والتى تتيسر

امام الراوى الشرقى ، على عكس المسرحى أو الروائى الانكليزى التقليدى الذى يؤطر ابداعه دائما بقيود متوارثة من الممنوعات والمحرمات . ففى « مقدمة الى ثلاث مسرحيات للبيوريتانين » التى ظهرت عام ١٩٠٠ عقد شو مقارنة ومقابلة بين احترام شهرزاد للغرائز الطبيعية وبين « التشويه الانكليزى الذى لا يطاق للسلوك البشرى » ، مستنتجا أن الطرح الشرقى الصريح لهذه الغرائز افضل بكثير من تلك الاعراف المزيفة والتجارية التى تعيق التعبير الفنى : « فى الليالى العربية ، لدينا سلسلة من القصص بعضها حسن تماما ، حيث لا يراعى فيها انماط اللياقة والنتيجة هى ان هذه اكثر وعظية دون حدود ، واكثر توفيرا للمتعة من قصص الرومانسى لدينا ، ذلك لان الحب يعامل فيها معاملة طبيعية شأن أية عاطفة اخرى ».

كان شو ينتقد ضمنا ذلك الهم المتوارث والتهيب ازاء (الحب الجنسى) والذى تأسس فى الذهنية الانكليزية منذ سيادة الفكر البيوريتانى الكنسى، واصبح احد الموضوعات التى تواجه الباحث دائما فى دراسته للاعمال الابداعية الانكليزية وبدل ان ينحسر هذان الهاجس والذعر المكبوتان من العلاقات الجنسية فى القرن التاسع عشر ، اطرته البورجوازية فى اقيسة ومعايير ومواصفات عن اللياقة والاناقة والطهارة ، حتى اصبحت هذه من بين ابرز مشاغل كتاب العصر الفكتوريين ، ومن بين القيود التى كبلت طرائق تعاملهم مع العلاقات الانسانية،كما هو الامر فى الروايات الفكتورية البارزة لديكنز وثاكرى وجورج اليوت .

وليس غريبا بعد ذلك ان نرى (شو) ينظر باحترام لتحرر القاص العربى الوسيط من القيود الادبية والهواجس الاجتماعية . فاذا كان هذا القاص يتعامل مع الحب بوصفه موضوعا عاديا هو من بين اكثر الغرائز تعرضا للحيرة والارتباك ، فقد بقى القاص الانكليزى يبصره بقلق وخوف، فكان ان « طوق مجال كاتب الرومانس الانكليزى بقسوة جراء القيود التى فرض عليه ان يتعامل (مع الحب) بموجبها » ويقول شو عند مقارنة الاثنين فنرى ان العربى بسبب « تحرره من كل هذه القيود » اصبح بامكانه « ان يكدس شخوصا على اخرين ، ومغامرة فوق اخرى ، وعجائبه مع غرائب » . اما الروائى الانكليزى فانه بقى « شأن المتسول الجائع الذى يعجز عن التفكير بشىء غير جوعه ، فبدا غير قادر على التخلى عن هاجس الجنس ، واصبح مستعدا لان يعيد كتابة الكتب المقدسة لان الاصلية منها ليست مكتوبة بالاسلوب المنتشى العنيف » .

ولم يكن كل من الفريد اوستن وسمندز يشذان عن الاتجاه المذكور، لكنهما كانا معنيين بمواجهة الانتقادات المعادية لبيرتن انطلاقا من ركائزها الاساسية . فهما لم يجدا ما يهدد الاخلاق العامة عن قصد معتمد فى

قصص رويت باسلوب لا يتجاوز صراحة بعض المقطوعات في التوراة أو في شكسبير : وفي تقدير اوستن : « ان اللغة هي في الغالب فظة اكثر من كونها داعرة ، وفيها نكهة صراحة طفولية لا شهوانية أو ايحائية فمن الصعب أن يفهم الشرقي أن من غير المناسب التصريح بمسميات الأشياء ما دام الله خالقها وتعامل معها القرآن) (١٩) ٠

وكتب سمندز حول الأمر ذاته بنفسه المتميز وتحرره المعروف من التزمت الأدبي والانغلاقية التقليدية ٠ ففي متابعة نشرتها مجلة Academy في الثالث من تشرين الأول ١٨٨٥ وقف سمندز بجانب (بيرتن) مطالبا منتقديه باللجوء الى معايير نقدية (نزيهة) و (ثابتة) في التعامل مع الأعمال الفنية : « عندما ندعو شبابنا لقراءة الكتاب المقدس غير المشذب ٠٠ و Aristophones غير المحور ، و Rabelais و Juvenal و Boccaccio غير المشذبين ، ومجموعة غير مشذبة أيضا من المسرحيين الاليزابيثيين وبضمنهم شكسبير ، وأفلاطون غير المشذب أيضا ٠٠ فمن المؤكد انه من غير الاستقامة والثبات ان نطرح جانبا الليالي العربية غير المشذبة » (٢٠) ٠ وأضاف سمندز في المجلة ذاتها موضحا بعض سمات نجاح نسخة بيرتن ، معنفا الطبقات الوسطى بسبب معاييرها الظاهرية في السلوك ، وفاضحا التخبط الذي تتميز به هذه المعايير : « في حالة غياب البصيرة وبعد النظر الذي يفترض ان يميز الناس الانكليز ، فان رقباء طبقتنا الوسطى الأخلاقيين يتشنجون ضد بعض من ترجمة محدودة التوزيع لكتاب كلاسي عربي ، لكنهم يلتهمون يوميا الكثير من تعليم عال يعتمد دراسة تفصيلية للأدب اللاتيني والاغريقي » ٠

وتحفظنا على سمندز يبدو ضرورة في هذه المرحلة أيضا ٠ فهو محق في توبيخ الرقباء الأخلاقيين الذين بدوا فاشلين تماما في القدرة على اعتماد معايير ثابتة وأساليب مستقيمة في التثمين والانتقاد ٠ كما انه دقيق في فضح عيوب (النقد الأخلاقي) الذي تميزت به أغلب الكتابات المعادية لبيرتن ٠ لكنه ليس كذلك عندما يعد نسخة الأخير ترجمة أمينة لكتاب عربي كلاسي ، نحن نعرف انه كان مثار سخرية « الاتباعيين » العرب واحتقارهم ٠ كان سمندز قد كتب متابعته قبل ان يطلع على شروح بيرتن اللاحقة ، وهي تفصيلات تكشف كثيرا عن نفسية كاتبها أكثر من كونها مفيدة في ايضاح الدواخل الاجتماعية للحكايات العربية : وجراء ذلك كان لابد ان يغفل سمندز انزعاجات بيرتن المغالية من (الاحتشام) الفكتوري وأحاسيس بعض أبناء جيله بمعايير اللياقة والكياسة ٠ اذ كان بيرتن ينظر الى الشرق على انه عالم

مفعم بالحيوية والنشاط متحرر من التعصب والتمايز ، وكان ان بنى رؤيته الرومانسية فى هذا الشرق في تعارض وتضاد واضحين مع انكلترا الفكتورية ، منتقدا الأخيرة بالتعصب الاجتماعي والأخلاقى ، دون ان يكون بالضرورة قد قدم رؤية صادقة عن الشرق !! وفى الواقع كانت نسخته المهمشة باسهاب تخدم دارس شخصية بيرتن أكثر من أى من أعماله الأخرى ، حيث ان القارىء يخرج منها وقد تكونت فى ذهنه سيرة ذاتية autobiographical Sketch لمغامر قلق همه الرئيس هو مواجهة (التعصب السخيف النفاق البائس) واهانة « الكياسة المغالية والاحتشام المتطرف لعصر لم يكن أطهر أو أكثر فضيلة من عصور سابقة » (٢١) ولم يكن بيرتن يتوقع صمت دعاة هذه الكياسة والاحتشام، فدعا (التكتم الفكتوري ازاء العلاقات الجنسية) : « براءة المفردة لا الفكرة ، وأخلاقية اللسان لا القلب ، والولاء المخلص للفضيلة فى مظهر النفاق التام • (TF ص ١٥) •

هناك الكثير من الصدق فى انتقادات بيرتن للاحتشام الفكتورى فى الكتابة : لكن هذا لا يمنع مؤرخ الأدب من البحث فى مسببات مثل هذا الموقف ، وفرز الذاتى عن الموضوعى فيها • فمن المفيد ان نتذكر ان بيرتن وحتى قبيل اصدار ترجمته لمشتركين محدودين (١٨٨٥ ـ ١٨٨٦) كان قد انطلق لتحدى دعاة الأخلاقية الكتابة (*) • فقبله بسنوات كانت نسخة John Payne غير المشذبة قد ظهرت لتثير لغطا كثيرا ، فما كان من بيرتن الا ان كتب للمترجم قائلا (٣ حزيران ١٨٨٢) « أرجو ان تبعث لى باعلانات عديدة عن الترجمة • وأستطيع ان أحقق اشتراكات فى عدد من النسخ • ان المستر كراندى (وهو الاسم المعتمد فى الكتابات والمتعارف عليه عند الاشارة للتزمت الانكليزى فى الأدب ضد التصريح بالعلاقات الجنسية) بدأت تجأر وانى اسمع برمها • وانى أعرف انها عاهرة بكل ما تعنيه هذه الكلمة ، وأعلن ذلك فى وجهها غير مكترث ولا عابىء » (٢٢) • وهذه النزعة لازعاج دعاة الأخلاقية الأدبية وصدمهم، واهانة التقاليد الفكتورية المتوارثة كانت معروفة عنه بين صحبه وكان الشاعر Swinburne متواطئا معها الى أبعد الحدود • فهو كان ينتظر بشوق صدور نسخة بيرتن ، لكى « تعيد تجديد حيويته » بتجوالها الداعر فى كل ما يتوفر من (فحش شرقى Billings gate) : فكتب الى بيرتن فى السابع والعشرين من تشرين الثانى ١٨٨٤ :

(*) المعنى بهؤلاء أولئك الذين كانوا يعتقدون أن التخلى عن الحشمة فى الكتابة من شأنه هدم الأساس الأخلاقى للمجتمع وكان هذا أحد الاتجاهات المتميزة فى النقد ، منذ ان أقدم Bowdler بمشروعه المعروف فى تشذيب شكسبير •

« انى انتظر بنهم الليالى العربية • من المعلوم انى وواتس Watts نريد نسختين واحدة لكل منا • ان بحسى الخلقى حاجـة الى انبعاث وتنشيط منذ متابعة مراسلات الشيخ Lytton تلك المراسلات السابقة لليلة العرس) (٢٣) •

هذه هى بعض أوجه النزاع بين دعاة الأخلاقية الفكتورية فى الأدب وبين معسكر الخصوم ، وهو معسكر يضم فى صفوفه مختلف النماذج والمواقف التى يجمعها الاعتراض على التزمت والتحجر الأدبيين ولم تكن نتائج هذا النزاع أقل تنوعا من النزاع نفسه • فلم تكن نسخة بيرتن نهاية المطاف : اذ ان بيرتن عرف بميل كبير ل (فبركة) المشاريع الجديدة لكى يحقق مكسبا ماديا مريحا (٢٤) وكان ان أوجد لزوجة بداية مشروع شغلها لمرحلة لاحقة • فلكى تيسر نسخة زوجها للاسر المتوسطة ، ولكى تجعل من ترجمته كتابا صالحا لغرف الاستقبال بحيث « لاتندم أم على السماح لابنتها بقراءته » •• كما نذكر فى المقدمة •• أقدمت على حذف قرابة مائتين وخمس عشرة صفحة ذات طبيعة بذيئة (٢٥) • وفى تقدير مجلة Athenaeum (١٢ مايس ١٨٨٨ ، المجلد ٦١ العدد ٣١٥٩ ص٥٩٤) فان الوعد الذى قطعته على نفسها « تحقق من جميع جوانبه وأغراضه • اذ انتجت نسخة للاستعمال العام أكثر كمالا من أية نسخة سـابقة • وليس تقليلا من شأن المقدرة الكبيرة لكتاب باهر ورائع باستحقاق ان نؤكد ان النسخة الجديدة ذات عربية أصدق من عربية ترجمة لين » •

اما اميليا ادواردز فقد كتبت الى مجلة Academy (كانون الأول، ١٨٨٦ ، المجلد ٣٠ ، العدد ٧٦٢ ص ٣٨٧) قائلة انه اذا كانت نسخة بيرتن مخصصة للدارس المتخصص ، فان نسـخة زوجه هى للجميع • كما ان غياب التفصيلات البذيئة والثراء الأدبى فى نسخة معدة للمنازل يجعل منها أكثر قبولا فى أوساط القراء العاديين والأدباء والمثقفين على حد سواء • وعندما نقارن هذه النسخة بنسختى كلاند ولين فانها ترى ان النسخة الحالية « ليست مجـــرد •• كتاب يقرأ عند المدافىء فى الليالى الشتائية •• أو أحد المرافقين القلائل اللذين يتم اختيارهم فى سياحة أو رحلة ربيعية ، •• أو أنها مجرد عطية مناســبة للشباب ، أو المكتبات المجانية أو معاهد التأهيل الفنى » كما انهـا ليست مجـرد « مصدر لا ينضب للأساطير الشرقية ، والخرافات ، والأمثال ، والشعر ، والطباع ، والعادات » • لا أنهـــا ليس مجـــرد ذلك : بل « انهـــا tours de force استثنائية من حيث المهارة الأدبية » •

قد يكون تقدير اميليا ادواردز للاستقبال النقدى لكل من ترجمتى

لين وكلاند مقبولا لكن تصورها الأخير بشأن القيمة الأدبية لنسخة بيرتن أمر يحتمل المناقشة • ذلك لأن القراء الذين يبحثون عن الليالى العربية بوصفها نتاجا أدبيا يلجأون فى الغالب الى ترجمة John Payne كما اعترف Poole بذلك فى مجـــلة Edinburgh Review (ص ١٧٧) ،
اما أولئك الذين يبحثون عن معلومات أساســية عن الخلفية الاجتماعية للحكايات فانهم يجدون ضالتهم فى نسخة لين • فبرغم احاطــة بيرتن بالطباع الاسلوبية العربية وطرائق الحياة والتفكير ، لكن قيمة عمله الفعلية تكمن فى تمركزه الذاتى المفرط والبهرجة اللا أخــلاقية اللذين تفيض بهما هوامشـه" • وهذه الحقيقة حول نســـخة بيرتن •• والتى افتقدتها نسخة زوجه •• هى سر رواج نسخته ، وهى سر الاخفاق الذريع الذى كان نصيب نسخة الزوجة المهذبة وحيث انها أعدت لتكون توفيقا بين الغلاة الأخلاقيين من جهة والواقعيين والرومانسيين الجدد من ناحية أخرى ، فانها توجهت نحو الجمهور المعتدل ، وهو جمهور مازال يفضل نسختى لين وكلاند بطبعاتهما المختلفة • ولم تبع نسخة السيدة بيرتن فى غضون عامين أكثر من ٤٥٧ نسخة وكان هذا الاخفاق مثار سخرية بيرتن ، وقد أورده بعــد ذلك دليــلا على « الذوق الحديث فى انكلترا المحترمة » وعندما قارن فشل النسخة التوفيقية بالنجاح الكبير الذى حققته نسخته غير المشذبة والمحدودة التوزيع ، استنتج بيرتن ان قراءه « لا يمكن ان يتنازلوا أبدا لأقل من الشىء نفسه ، الشىء كله ، ولا شىء غيره ، غير مشذب غير مخصى » (٢٦) •

وبغض النظر عن مبالغات بيرتن ، الا ان الوقائع تشــير الى رواج خاص فى بعض الأوساط وجدته نسخته • وكان هذا الرواج هو الذى دفع الناشر Leonard Smithers ليعيد الى نسخته المسماة Library Edition أربعة أخماس المادة المحذوفة فى نسخة السيدة بيرتن ، بحيث انه ارضى وأشبع رغبات جامعى الأدب « المثير » وقراء الانثروبولوجيا • وبعد تجربة السيدة بيرتن الخائبة رحبت بعض المجلات المعتدلة كمجلة Athenaeum بنسخة Smithers المعدة عن نســخة بيرتن ، اذ ان هذه « يجب ان تخدم تماما غاية الدارسين •• شأنها تقريبا شأن الطبعة الأصلية وأحسن بكثير من مختصر السيدة بيرتن » • لكن المجلة لم تقل ان هذه النسخة صالحة للاستعمال العام ، فذكرت فى عدد الثالث والعشرين من شباط ١٨٩٥ (رقم ٣٥١٣ ص ٢٤٧) • « اما بالنسبة للقفل والمفتاح ، فلا بد من القول ان رب الأسرة الحريص سيبقى يشعر بضرورتهما » • فعلى الرغم من انه حذف « بعض الأمثلة المتطرفة فى البذاءة غير الطبيعية داخل النص والاسهاب المغالى فى الهوامش الانثروبولوجيــة » الا ان نسخته

(أي نسخة سمثرز) ما زالت بذيئة في بعض الأجزاء ، وهي تصف العمليات الفسلجية بدقة لا يطرقها الخجل · ان الفأس يدعى فأسا ، لكن نزعة بيرتن للمغالاة في وصفه مجرفة قد تم التحكيم فيها وتحديدها بحكمة » · وبعد الاشارة الى بعض الثغرات في مشروع بيرتن ، قالت المجلة في ملاحظة حاسمة عن نسخة Smithers : « في كل هذا تصرف المحرر بحكمة كبيرة ، ولو كان بيرتن قد تبنى التنقيح الحالي لطبعته الأصلية لكان قد تجنب الكثير من النقد المعادي » ·

لكن رأي محرر المجلة المذكورة رأي راجح وعادل · ومن الصعب أن يجد المؤرخ العديد من حملة مثل هذا الموقف في بعض مراحل النزاعات والصراعات الأدبية · فمحرر مجلة Saturday Review الاسبوعية — على سبيل المثال — كان يتصدى لميل بيرتن للأدب المكشوف، واستمر في موقفه هذا ازاء النسخة المنقحة التي جاء بها سمثرز · فكتب في التاسع من آذار ١٨٩٥ (العدد ٧٩ ، ص ٣٢٣) ان تنقيحات سمثرر الاسلوبية جعلت من التكشف والعري الواضح للاصل ايحائيا أكثر ، ذلك لأن « النسخة الجديدة بتطهيراتها الاسمية تذكرنا بملائكة الفن الصغار العذبين ، والذين تغلف حقيقتهم بغيمة خفيفة » · ويرى الناقد نفسه محقاً ان شخصية بيرتن قد تداخلت مع النص تداخلا عميقا يصعب عزله ، بحيث ان محاولة اعادة كتابة أو تنقيح النص لاتقود الى غير تدميره · واذا كانت نسخة ألف ليلة وليلة التي جاء بها بيرتن تعرب كثيرا عن عمق دراسته ووطيد معرفته ببعض سمات الأدب الشرقية فانها تفضح أيضا ولعه بالبذيء والفاحش ، كما هو الحال في ملاحظاته المسهبة عن الجانب البذيء من الحياة الشرقية · ويخلص الناقد الى قرار مفاده ان « تشذيب بيرتن هو أكثر من اجبار الاثيوبي على تبديل جلده ، انه تجريد العمل من مزيته الفريدة » · اما هذه المزية في تقدير الناقد فانها « تكمن في تعليقه التفصيلي ·· على الجانب الفاحش من المجتمع الشرقي · فهنا يقف بيرتن خبيرا ، ولهذا كانت ملاحظاته وتعقيباته بلا شك ذات نفع أصيل لأولئك الذين يرغبون في التعرف على موضوع غير مريح لدرجة استثنائية » ·

وهذا الاستنتاج يجب الا يثير استغراب القراء المطلعين على الاستقبال الأدبي النقدي لنسخة بيرتن من ألف ليلة وليلة · اذ كما أشير من قبل — كان بيرتن يرد بانفعال ضد الاحتشام الفكتوري ، وذلك بالتركيز على البذيء والشهواني ، مربكا القارىء بتفصيلات مسهبة من المعلومات السوقية التي غطت على ملاحظاته الثاقبة الأخرى حول القيمة الالاجتماعية الأدبية لحكايات شهرزاد · وبحكم هذا التركيز لم تثر

نسخة بيرتن ردود فعل اجتماعية ـ ثقافية كالتي أثارتها نسخة لين . فالأخير أهمل القبيح والغريب الشاذ (Bizarre) وكان ان قاد ذهن القارىء بهدوء الى التكوين الديني ـ الاجتماعي للحكايات العربية ، لا سيما المعتقدات والأفكار التي تسللت الى جزء كبير من النقد الاجتماعي المعاصر . اذ كان (لين) قد استعد للحكايات على أساس كونها وثائق اجتماعية ـ دينية . ففي كتابه وصف لطباع وعادات المصريين الحديثين (١٨٣٦) ذكر لين : « هناك كتاب واحد .. يطرح أروع الصور البديعة عن طباع وعادات العرب ، لا سيما طباع وعادات المصريين : انه ألف ليلة وليلة ، أو ليالي السمر العربية . فاذا ما امتلك القارىء الانكليزي نسخة من هذه مشفوعة بملاحظات تصويرية كافية ، لكنت قد أغنيت نفسي من مغبة هذه المشقة » (٢٧) .

وعلى الرغم من انه يعد الحكايات تمثيلا دقيقا للحياة الشرقية ، الا ان لين عزز هذه بتفصيلات سوسيولوجية أقدم عليها النقاد الفكتوريون بترحيب شديد ، فما كان من ستانلي لين بول الا ان قام بجمع الهوامش والملاحظات وتوحيدها في كتاب منفصل في عام ١٨٨٣ (٢٨) . وعدا طبيعة تكيف نسخة لين في جانبي الاحاطة والكياسة للمحيط الفكتوري في مرحلته الأولى ، فانها أخذت تؤثر كثيرا في الأوساط المثقفة ، مخلفة بصمات واضحة على عدد كبير من الدراسات الخالية من التعصب في ميداني الثيولوجيا والأدب .. كما انها كانت صاحبة أثر واضح في تطور البحث الدراسي في الآداب والديانات الشرقية . أي ان نسخة (لين) وليست نسخة بيرتن هي التي أوجدت مختلف الاتجاهات الدراسية والنقدية أو وطدت القائم منها ، لتسهم في النتيجة في احياء اهتمامات واسعة عن الحكايات العربية وغيرها من النتاجات الشرقية ، بما يكون ميدان الولع الدراسي (الأدبي والاكاديمي) بالشرق .

ذلك ان ملاحظات لين غطت عددا من الموضوعات ابتداء بمناقشة وتفصيل المعتقدات الاسلامية والطباع المنزلية العربية ، وانتهاء بمناقشات موسعة للمؤسسات الاسلامية الاجتماعية والسياسية . ولم يكن الكثير من هذه الأمور جديدا على القارىء الانجليزي . لكنه عندما يرفق بكتاب رائج ومقروء ، فانه لابد ان يترك أثرا عميقا في هذا القارىء . وليس مصادفة ان تقود نسخة لين الى اعتماد المنهج التاريخي في دراسة الحكايات ، حيث تم التعامل مع الحكايات في ضوء ظروف نشأتها الاجتماعية ـ الدينية . وهكذا نشرت مجلة Eclectic الدورية (المجلد الثامن ، ص ٦٤٣) دراسة موسعة أكد فيها الناقد ضرورة

معرفة الآداب الأجنبية معرفة كافية ، واعتماد طرائق نقد ومعايير تثمين جديدة تأخذ بنظر الاعتبار الظروف والآراء ذات العلاقة : « انها مهمتنا ان نراعى مراعاة مناسبة الظروف التى كتب فى ظلها المؤلف ، وبدل ان نتهمه بقلة الذوق بسبب عدم امتثاله لظروف ذوقنا الوطنى ، علينا ان نرد التهمة اليه اذ وجدناه قد تنكر لظروفه » ٠

وبرغم حقيقة ان محـرر مجلة Eclectic لم يلتزم بالشروط والقواعد التى وضعها بنفســـه - كما أشـير من قبل - الا انه أبدى اسـتعدادا نظريا فى الأقل لتطوير الاتجاهات الأولى والبدائيـة للنقد التاريخى ٠ وبقدر علاقة هذا النقد بالحكايات العربية ، أشـار المحرر (ص ٦٤٤ - ٦٤٥) الى مجموعة الظروف المناخية والاجتماعية التى تطبع عادة أساليب التعبير والسلوك بسمات ومواصفـات مختلفة عما اعتاده القارىء الانكليزى ٠ وأهم من هذا بكثير تلميحاته الى تحليل لين للتركيبة الميثولوجيـة الاسلامية ، وهى تركيبـة اعتمدها الابداع الروائى فى الحكايات ٠ وفى ضوء ذلك كان (لين) قد أوضح ان ما يبدو خياليـا وغريبا للقارىء الانكليزى هو قضـية معتقد وايمان بالنسبة للذهن الاسلامى ٠ وهذا الايمان الارادى بالعجيب والخارق ، والذى شرحه لين فى مقدمته لليالى (هامش ١٥ ، ص ٥٨) يؤلف واحدا من الامتيازات العديدة التى مكنت الروائى المسلم من التجول بحرية فى آفاق موصودة أمام الذهن الروائى الانكليزى ٠

لكن هذا الايمـان المطلق بالمشيئة والمقدرة الالهيتين - وان كان فعالا فى وجود الماكنة الرومانسية للحكايات - يجب الا يلاحظ بمعزل عن الشغف العربى المتميز بفن السرد القصصى ، وعندما أكد مزية الذهن العربى الوسيط هذه لم يكن (لين) سباقا ٠ ولم يكن نقاده الفكتوريون كذلك ، يضا ٠ اذ سـبق لجميز كابر James Capper ورسـل Russell وجوزيف فون هامر Joseph Von Hammer ان تنبهوا الى حقيقة التعالق بين الشغف المذكور والايمان بالسيادة المطلقة لله فى التفكير العربى الوسيط (٢٩) ٠ لكن اسهام (لين) يكمن فى تأكيـد مؤثرات المزاج المذكورة فى البناء التركيبى للحكايات العربية ٠ فمن غير الالمام بأثر البلاغة والفصاحة على الذهن العربى ، لا بد ان يستغرب القارىء الأوروبى ثقة شهرزاد العالية بقدرتها القصصية : اذ ان مجازفة شهرزاد (فى حضرة سلطان سوداوى حاقد على النساء ومحتاج اليهن فى ان واحد) لابد ان يبدو ضربا من الحماقة ٠ لكن القصة الاطارية (قصة شهرزاد وشهريار) تعتمد تسليم المستمع العربى الوسـيط

بالمقدرة الساحرة للكلمات · ففيها يفعل سحر الكلمات فعله فى صراع واضح مع قرار شهريار الخطير · وعندما وصف الاصول الاجتماعية لخطة شهرزاد ، لاحظ (لين) فى المجلد الأول من ترجمته (الهامش١٨ ص٦٣) ان الحادثة الرئيسة التى تعتمدها الحكاية الاطارية « اى انتصار سحر اللسان على قرار قاس غير عادل يصعب ابطال مفعوله ، قد تبدو لاناس غير ملمين بشخصية العرب وأدبهم ، مجرد خدعة آلية Contrivance غير ممكنة التحقيق بطبيعتها ، لكن الأمر ليس كذلك » · وبعد عدد من الاشارات التطبيقية المعتمدة على تجربته الحياتية فى مصر ومعرفتـــه بالظروف الاجتماعية ـ الثقافية للأدب العربى ، قال (لين) :

> ربما لا يوجد اناس آخرون فى العالم بمثـل اعجاب العرب الحماسى بالأدب ، أو شأنهم فى التأثر بالحـكايات الرومانسـية ·· ان الفصـــاحة البليغة بالنسبة لهم هى سحر مشروع : فهى تؤثر فى اذهانهم تأثيرا لا يقاوم » ·

ومثل هذه الايضاحات ليست عادية الاهمية فى مرحلة (الجبرية العلمية) والواقعية المتزايدة : فاذا كان الرومانسيون يسلمون بالخوارق دون جدل معتمدين (تعطيل الشك) الذى طرحه كوليرج لازمة للتمتع بالأدب الخارق ، فان الفكتوريين بدأوا يتعاملون مع النتاجات الأدبية فى ضوء أساسيات وشروط جديدة أبرزها محاكاة الواقع ، كما أوردنا من قبل · لكن هذا الاحتكام للظروف المقررة والشروط المحيطة بالعمـل الأدبى ونشأته ، ومناشدة القارىء لاستيعاب الأذواق لوطنية والقومية للشعوب الأخرى تركا مجالا قليلا للاصوات المعارضة اذا ما ارادت الأخيرة تسخيف جدوى ماكنة شهرزاد الرومانســية علنا · وبدل ذلك نلاحظ ظهور دراسات متخصصة فى الفحوى الميثولوجى للحكايات وهى دراسات تستهدف تقديم « وصف كامل ·· لماكنتها ·· كمـا هى مكتوبة بأياد شرقية ومروية الى سماع الشرقيين » كمـا هو حال مسعى Hattersley فى مقالته الى مجلة Dublin Review (ص ١٠٧) · ففى هذه المقالة طور الكاتب وجهات نظر لين فى محاولة منه لتمكين القـراء لاستيعاب الرواية الشرقية الرومانســية وتثمينها من منظور مسلم : « ان الآراء التى كونها أولئك الذين بنوا أحكامهم على مسلمات ومعايير أوروبية دون غيرها بشأن الرواية الشرقيـــة ·· لابد ان تكون محدودة تماما ، ومن الطبيعى فى الغالب ان تكون غير دقيقة » وحيث ان القراء من الشـاكلة

المذكورة يؤلفون جل جمهور « القراء والنقاد فى انكلترا وفي القارة » فان « هذا الجزء الفاتن من بلاد الرواية المسحورة لم يطلع عليه اطلاعا حسنا بعد » .

وعندما تدرس هذه الآراء والاجتهادات سوية فانها تشير الى ان نسخة (ادوارد وليم لين) دون غيرها هي التى فتحت أبواب ومجالات اهتمام متزايد بالثقافة العربية . وكان ان مكنت النقاد والدارسين على حد سواء من التنبه الى حدود المعرفة المعاصرة وهناك المعايير التقويمية والنقدية السائدة ازاء الثقافة والحيـاة الاسلاميتين . ومن المؤكد ان وجهات نظر كارلايل Carlyle فى الاسلام ورسوله تقع ضمن هذا الاتجاه الجديد لايجاد أدوات متطورة ورؤى ناضجة فى دراسة الثقافة الاسلامية . وكان كارلايل قد هاجم فى محاضرته عن الرسول الكريم ذلك العداء للاسلام « مشيرا الى ان » الأكاذيب التى كدستها الحماسة بحسن نية عن هذا الرجل ، لاتشين غير أنفسنا نحن » (٣٠) .

ليس عدلا ان ندعى ان مفهوم كارلايل للبطل بوصفه نبيا قد قام على أساس ملاحظات لين ، بيد ان المرء يستطيع ان يقول ان نسخة لين من الليالى وطدت من اهتمامات كارلايل فى الاسلام والعرب . وطبقا لما يذكره كاتب سيرته Froude فان كارلايل كان يقرأ عن العرب وهو يعد محاضراته الموسومة On Heroes, Hero Worship and The Heroic in History والتى ظهرت منشورة فى كتاب عام ١٨٤٠ . ويذكر كارلايل نفسه فى يومياته لشهر تشرين الأول ١٨٣٩ ما يأتى : « حكايات عربية بقلم لين . نقية تماما ليس من شعب بمثل هذا الورع ، عدا البيوريتانيين الانكليز والاسكتلنديين لبرهة من الزمن . محمد رجل طيب بوجه عام : مخلص ، محارب ، لم يكن انتصاره كاملا ، لكنها معركة شريفة .. أتمنى لو كنت أعرف العربية » (٣١) .

لم يعلن Froude ان الليالى هى مصدر كارلايل الوحيد وهو يعد محاضراته الثانية عن الرسول الكريم ، لكن اشارته الى قراءة كارلايل للحكايات فى الخريف ، واقتباسه السابق من يوميات الفيلسوف الانكليزى يتضمنان ايحاء فى هذا الاتجاه . لكن القراء العارفين بنسخة لين قد يعترضون على اقتراحات (فرود) : اذ ان (لين) لم يشر تعليقات عميقة عن شخصية الرسول ، ولهذا السبب فان من المتوقع ان يكون كارلايل قد اعتمد ملاحظات (لين) فى أمرين : وصف العرب ومعرفة التركيب الاجتماعى ــ السياسى للاسلام : ولا بد من وجود مصادر

أخـرى اعتمدها كارلايل في وصـفه لمظـاهر الرسول الخارجية وطبيعة شخصيته كما وردت في تفصيلات محاضرته ٠

وعدا هذه المحاولات لاعادة تأسيس الانطباعات عن الاسلام والعرب، فان تأثيرات ادوارد وليم لين يمكن ان تتابع في مناقشات معنية بالمضمون الاجتماعي ـ الديني للحكايات العربية ٠ فبعد ظهـــور نسخته تقريبا جلبت بعض المضامين الأخلاقية والدينية في بعض قصص شهر زاد انتباه عدد من النقاد والباحثين ٠ واذا كان بعض النقاد يعترفون بوجود منظور أخلاقي يميز بعض الأمم عن غيرها ، الا انهم كانوا يقرون أيضا وجود اجتهادات ومعتقدات مشتركة ، كالتي ذكرها جيمز ميـو في مقالتـــه المنشورة في مجلة Cornhill (ص ٧٣١) : ففي بعض الأحيان تبدو « الجملة كقفاز مطاط في متناول الفطين الجيد ، ويستطيع المرء ان يأتي بوعظ بروتستانتي من نصوص عند الامام » ٠ وكان ان سرد (ميو) بعض التعاليم الواردة في الليالي من تلك التي يمكن ان تقبل بوصفها من التقاليد الأخلاقية الغربية ٠ وعندما توضع آراء (ميو) هذه في اطار اجتهادات آخرين من معاصريه حول (الأخلاقية الشهرزادية) لا يبدو الرجل مغاليا ٠ فمجلة Spectator (٢٥ : تشرين الثاني ١٨٨٢ ، ص ١٥١٣) لم تختلف عنه ، وهي تعلق على طبعة جديدة لنسخة (لين) مشيرة الى وجود معنى ديني متميز في الحكايات : « عندما بصرناها فوجئنا كما لم نفاجأ من قبل بوجود شيء في الحكايات لم يعط حقــه كاملا ، ذلك هو وجود عنصر شعور ديني شعري في بعض منهـــا » ٠ وحيث ان محرر المجلة الاسبوعية الرائجـة يعد التقوى والحكمة أكثر شمولا من تعليمات معتقد ديني معين ، فانه يخلص الى ما يأتي : « هناك ريح حكمة ٠٠ حكمة المعتقدات جميعا ، لا الاسلام وحده ٠٠ وهي تهب متقطعة بين غابة نباتات مختلفة ، فيها الحسن والقبيح ، الأشجار الباسقة والمتسلقات السامة ٠٠ ص ١٥١٣ » ٠ والذي يعنينا في هذا الأمر هو نوعية اهتمام المحرر المذكور ٠ فهو ليس سطحيا يقيم رأيه على مبادىء (العدالة الخيالية) الدارجة ، والتي تكون مخزون القاص الموروث ؛ فالذي يفتنه أكثر من أي شيء آخر هو ذلك (الورع) العميق الذي يتخلل قصصا كقصة « مدينــة النحاس » ، وهو ورع يكتسب قدرة تأثيرية شديدة بحكم امتزاجه ب « صوفية الصحراء ، تلك الصوفية التي تعلم الآخرين ان كل شيء زائل ، وحتى الطيبــة ، باستثناء الله ، القــادر ، وحده ٠٠ ص ١٥١٤ » ٠

ومثل هذا الاجتهاد في تفسير التكوين الديني الخارجي للحكايات يستحق الملاحظـــة ، ذلك لأن الكاتب يعد كلا من البذاءة المتسللة في

ثناياها والتسامي المشرق (*) Brilliant sublimity أدوات فعالة فى ايجاد الاجواء الجمالية ، وهى مطروحة بهذا التعارض والتضاد عن دراية لاثارة تصور واقعى عن الحيـــاة ، ومن ثم تأكيد جدوى تعاليمها التأمليـــة وتعميقها • ففى « جميع القصص ، وبلا تمهيد فى أغرب الأماكن ، وبين مشاهد ارادها الراوى ان تبدو فاضلة ، وأخرى قصد ان يجعلها فى الأصل بذيئة ، يوجد خيط من التفكير الفلسفى ، أو بالأحرى الدينى ، هو فى جوهره نفسه ، أقدم من المحمديـــة ، وأقدم من المسيحيـــة ، وأقدم من الحضارة الاغريقية ، لازمة الملك الحكيم •• ايه يا زهو الغرور •• كل شيء فراغ وتفاهة ! » وبرغم ان هذه النزعة « ليست أجود من وعظ المربية المسنة » متدينة فى بعض الأحيان الى « عاطفية مفرطة توحى ، لنا فى الأقل ، بنفاق علنى » الكنها بين برهة وأخرى « تتدفق باقتدار ، حتى تصبح الاسطورة الجامحة ذات مغزى أخلاقى رفيع » • وفى واحدة من المناسبات ، كانت هذه « تدمر القصة وتعرفها ، وتمحى الوصف ، لتحول مجرد حكاية ، بعضا من الليالى العربية ، الى درس يليق معنـــاه بالملك الحكيم ، نفسه •• ص ١٥١٣ » •

لكن الأهمية الفعلية لنسخة ادوارد وليم لين فى مجال هذا البحث تتأتى أكثر من تلك التفصيلات الدقيقة عن الحياة الاجتماعية والأخلاقية الاسلامية • فمادتها أوحت بموضوعات ومناقشـــات عديدة ، بصـــدد الايمان المطلق بالمقدرة الالهية ، وسرعة التغيرات الاجتماعية (الطبقية)، والأخلاقية المنزلية والتركيبـــات الطبقية فى المجتمع العربى الاســـلامى الوسيط • وتعد مقدمة Moir Bussey لنسخة Forster من الحكايات (١٨٣٩) ودراسة باجت ل « اناس الليالى العربيـــة » من بين المقالات البارزة فى الافادة من ملاحظات لين وهوامشه • واذا كان الأول يعتمد شروح (لين) اعتمادا أساسيا فى أغلب الموضوعات التى كانت مطروقة انذاك ، فان وولتـــر باجت ــ بغض النظـــر عن ميله الكلاسى فى النقد الأدبى ــ طور نظرة علمية مستقلة عن النزعة السائدة حينئذ فى الافادة من منهج التفسير التاريخى • كان مدخلا بوسى وباجت قد قادا الى نتائج متماثلة بصدد حقوق المرأة وقوانين الزواج والطلاق والعطف الاسلامى المتميز على الخدم • لكنهما اختلفا فى موضوعات تتطلب حدسا ثيولوجيا،

(*) بعض هذه المفردات اصطلاحية ، وقد لا تفى الترجمة الحرفية بغرضها ــ ف Sublime تعنى التسامى الجليل ، وهى اصطلاحيا توحى بالجمال الذى يثير الرهبة ، مشوبة بتقوى عميقة ، وهكذا طرحه Burke فى مقالته الذائعة فى منتصف القرن الثامن عشر ، والتى يذكرها المؤرخون النقاد ضمن سمات الحركة المعهدة للرومانسية عادة •

ذلك لأن ميل كل منهما كان واضح الاثر فى اختياره للشواهد وفى تطبيقاته ونتائجه ٠

وهكذا ، فان بوسى لم يعد الايمان الاسلامى بالقضاء والقدر ضربا من « الجبرية » المميتة ، ذلك ان الكاتب كان يتعاطف مع المعتقـــدات الاسلامية الاساسية ٠ وقلما يختلف فى استنتاجاته مع هذه المعتقدات ٠ فاذا كان المسلم يعترف بقوة البارى عز وجل وقدرته ، فانه يقر فى الوقت نفسه التأكيد القرآنى على السعى الجاد والبحث المستمر فى ارض الله ، بحثا عن الرزق والمعرفة ، وعلى عكس ما يراه الاخـــرون الذين رأوا فى المعتقدات لاسلامية من تقييد جبرى ، يرى (بوسى) فى مقدمته (ص٢٥) ان هذا الايمان يجعل المسلم « صابرا فى ظل اى من انواع العذاب ، راضخا لمصيره » ، وهو استنتاج كان بيرتن قد آمن به لاحقا ٠ أما باجت ، فانه يرى فى هذا الايمان المطلق وفى الامتثال الاجتمــاعى مصــدرين لذلك المزاج السلبى الذى يسود فىالليالى العربية٠ وبدلانتسره شواهدالمكابرة والاحتمال ، شعر باجت بصدمة كبيرة جراء التسليم التام بالمقدرة الالهية والحظ ومنى بخيبة امل وانزعاج جراء ذلك الاستعداد للغفران ، والذى لايتماشى مع وجهة نظره العملية فى تحقيق القضاء والعدلNR» ص ٥٧)

لكن باجت يقف على ارض اكثر تماسكا من (بوسى) و (لين) وهو يسعى للغوص فى المسببات السوسيو ـ سياسية للمغالاة فى الاعتماد على المشيئة الربانية ولذلك الهاجس المتصل بشأن الثروة فى العصر الاسلامى الوسيط ، كما ابرزته الليالى العربية : فاذا كان الاعتماد سمة من سمات (الجبرية) وتداخلاتها الاجتماعية ، فان الخوف من تبدد الثروة أو ضياعها حسب رغبة الحكام وبطشهم ارتسم بوضوح على اغلب صفحات الليالى ، لدرجة ان موضوع كسب الثروة وضياعها بات يقابل البحث الاوروبى الوسيط عن (الاناء المقدس) فى رومانسيات الملـــك أرثر ٠ صحيح ان باجت كـان يتخبط فى احيـان كثيرة بين الحكاية القاهرية الوسيطة والعباسية ، بين الدينى والاجتماعى ، لكنه برغم ذلك كان واعيا بمؤثرات عدم الاستقرار الاقتصادى وتقلبات الحظ السياسى على الذهن العربى الوسيط ٠ فالهاجس المادى لا يمكن ان يسود بهذه الصورة فى الحكايات لولا شيوع (الحركة الاجتماعية) ، وتقلبات أوضـــاع النـاس الطبقية ، من شقاء الى غنى أو العكس ، والاهتزازات الصارخة فى الظروف السياسية والمالية (راجع NR ، ص ٥٢ ـ ٥٣ ، ٦١) ٠ وسواء كانت هذه الحكايات تعبر عن تفكير المصرى الوسيط الحالم أو تصور تقلبات فعلية فى الحظ والثروة ، فانها تعكس وضع مجتمع يســود فيه

الانحطاط المؤسسى للدولة ، ويشيع فيه الاستبداد · وهناك عدة ادلة تاريخية تؤكد وجود مثل هذا الاستبداد ، لاسيما اثناء مرحلة المماليك فى مصر ، وتلك المرحلة التى تحدثت عنها حكايات عديدة ·

لكن باجت لم يكن مولعا باستقصاء الجوانب السلبية للتقلب والاستبداد المذكورين ، فهو راعى التبعات الايجابية لهذين الامرين · اذ يرى ان قدرا كبيرا من ذلك الرخاء والكرم فى الحكايات مرده الخوف من ضياع الثروة ايضا : ذلك ان الغنى الذى يساعد غيره عند الضيق قد يجد نفسه فى موقف معاكس فى يوم تال ، فيسعفه من قدر له كرمه فى ايام عزته :

« ان الاهمية المجتمعة لامتلاك الثروة وعدم استقرار الكسب والملكية تفسر لدرجة كبيرة ذلك المزيج من اشتهاء الثروة والكرم ، وهما سمتان سائدتان فى هذه الحكايات » ·

ويضيف باجت موضحا اطروحته : « ان السلطان الذى يبدد قطع الذهب الالف العائدة له يعزز امواله ويجمعها على حساب اقرب الاثرياء منه عندما يثير الاخير غضبه أو يتيسر عذر ما لهذا السطو » · وحيث ان باجت معنى بالتفسير السوسيولوجى للسلوك ، فانه يعد (الحركية الاجتماعية) والانحطاط المؤسسى للدولة مسئولين مباشرين لذلك التبذير والبذخ ، ذلك ان :

« الذى يعرف ان دور تجريده من أمواله قادم فى أية لحظة ، مستعد لتذوق المتع وكسب منافع البذخ المسرف ·· NR ، ص ٥٢ ـ ٥٣ » ·

وسقطات باجت فى التفسير المذكور متأتية من محدودية منهجه : فهو معنى بتفسير الظاهرة اجتماعيا ، دون البحث عن (الاخلاقية) العامة لشعب من الشعوب ، فالموروث هو صنو الطبع،وكلاهما فعالان فى تحديد بعض السمات ·· أى أن باجت لم يعر الطبع العربى فى (الكرم) و (الايثار) اهتماما كبيرا ، وكان ان خص ظواهر الكرم والبذخ بتفسيرات مقصورة على التركيبات (المدنية) البحتة ، والتى قد تتعامل مع الامور حسب انيتها ومردوداتها كما ذكر باجت ·

ولا تقل اهمية عن ردود الفعل النقدية المذكورة مواقف لنقاد

الفكتوريين ازاء ما اشيع عن (الشهوانية) فى الليالى العربية ٠ اذ كان هذا موضوعا يعول عليه النقد المغالى ، فى مسعاه للاساءة للاسلام والعرب ضمن تعصب موروث متصل منذ القرون الاوروبية الوسيطة والحروب الصليبية ٠ وآراء باجت وبوسى وهانت وبول بشأن موضوعات الحب والجمال ومكانة المرأة في الآسلام تستحق التأشير فى مجال تعارضها مع ذلك الموروث التعصبى ٠ كان (بول) فى مقالته المعروفة (ص ١٩٤ (Edinburgh أول من تنبه الى سيادة الحب بوصفه موضوعا فى الحكايات ، ذلك ان العناصر الخارقة والخنيقة لم تكن غير ادوات لجلب الاحبة سوية ، وتحقيق انتصار الحب النقى الطاهر كمضمون رئيسى فى الحكايات ، وسواء بدا هذا الحب في صورة عاطفة جياشة أو ود غير انانى فان سحر هذا الموضوع يكمن ـ كما يرى بول ـ فى ذلك « التسليم المطلق » : « ان الاحباء يحبون ، وهذا يكفي فليس من قوة على الارض تستطيع تفرقتهم ٠٠ واذا تمكنت فانهم يموتون » بدل التفريط بهذه العاطفة ٠

كما ان الموضوع نفسه لا يمكن ان يعالج بمعزل عن (المناخ الحسى) الكثيف فى الحكايات العربية : فالاعتراف بوجود هذه العاطفة المخلصة لا يعنى تجاهل طمع الراوى فى اثارة الغرائز الجنسية لدى مستمعيه بقصد تسليتهم أو استحصال استحسانهم (اجتماعيا وماديا) ٠ لكن اغراض هذه المتاهة الشهوانية لا تقتصر على هذا التفسير الظاهرى ٠ كان بوسى ملما بالنقد المعادى للاسلام ، ولهذا السبب حاول ان يعتذر نيابة عن المسلمين فى دراسته ، مشيرا الى ان الوعود بالمتع الحسية فى الجنة حسب ما يذكرها القرآن موجودة ايضا في التوراة والانجيل ٠ وهى لهذا السبب يجب ان تعالج من المنظور نفسه الذى تبصر من خلاله وعود الكتاب المسيحيين لتابعيهم الاولين (ص ١٤) ٠

لكن بوسى كان مضطرا الى هذه المقارنة وما عنتها من تبرير بحكم افتقاره للمواصفات الاخرى التى ميزت كتابا مجتهدين وممثلين للظواهر الجديدة فى الحياة ، على الرغم من ان هذه الظواهر لم تكتسب شيوعها الدارج بعد ٠ لم يكن باجت ـ على سبيل المثال ـ معنيا بالمواقف المتوارثة ازاء المعتقدات الاخرى ، غير المسيحية : ولهذا السبب لم يكن بحاجة الى تقديم التبريرات الادبية أو الثيولوجية التفسيرية حول سر شيوع الترغيب الحسى فى الكتب السماوية ، فهو ينطلق من المسببات الاجتماعية للسلوك ، وهى مسببات ـ كما يراها ـ ذات تأثير حاسم فى النتاجات الادبية ٠ فحكايات المتع الحسية تكشف النقاب عن مزاج اناس معينين دون غيرهم ، وتفصح عن ولعهم غير المريض أو المكبوت بالجمال

البشرى • وهكذا ، كان باجت يقف ضد ذلك التيار الفكتورى المتطير من الانفعالات والعواطف الصريحة : وبدل ان ينتقص من المفهوم العربى للحب الشهوانى كان باجت يثنى عليه لانه مرتبط بالجمال والاناقة والجلال :

« لكن هذه المتع ، وان كانت حسية ، تغطى
مساحة واسعة وتفصح عن قدر غير حقير من الاناقة
والكياسة ، ان الفنون جعلت فعلا فى خدمة الاحاسيس
لكن حب الجمال يرافقها دائما بحيث يمنح الانغماس
فيها بهاء وجلالا » •

اى ان باجت لا يتحدث هنا فى : (فراغ نظرى) ، فهو يقارن بين الرأيين المتعارضين فى معنى الحب : الشهوانى والقداسى • وهما الموضوعان السائدان فى اغلب الشعر الفكتورى • ويكفى ان تكون قصيدة تنسون Tennyson المطولة (اناشيد الملك الرعوية) التى تظهر قصص الملك ارثر الملحمية قد انتصرت لفكرة الحب المقدس فى المدينة الالهية ، بعدما سقط العديدون فى نيران الشهوة المحرقة ، حيث التخبط الوحشى والدنيوى والتهافت على الدنيا لا يقود الى غير الخراب والدمار • وبقى التعارض واضحا بين نمطين من الحب فى الشعر الفكتورى ، لحين انبثاق « حركة ما قبل روفائيل » فى الرسم والشعر حيث اكتسب الجسد اهمية كبيرة ، برغم ان هذا الجسد بدا واسطة حسية نحو السماوى والقدسى ، وليس محطة اشباع شهوانى مجرد ، فى سياق تصوفى واضح سرعان ما تحطم بعد سنوات ، Swinburne يبدأ اغنياته للجسد والفحشاء كما قال عنه خصومه •

لكن باجت جمع (علمية) العصر و (الحس بالجمال) ، اى بين (الجسد) و (الجلال) بعيدا عن الروحانية والشهوانية المفرطتين فى آن واحد • وكان ان رأى فى الفكرة العربية للحب : امرا مرغوبا • فهى ليست مجرد انجذاب للجمال الجسدى بل « ان الفكرة العربية عن الجمال الانثوى راقية » كما يقول ، فعدا تأكيد الجمال والجلال والبلاغة الفصيحة ، فان « الراوى يضع الاحبة فى مشاهد فى مستواهم •• بين حدائق نبيلة أو قصور محلاة ، حيث النافورات واغانى الطيور ، فالخمر لابد ان ترافقها الموسيقى ، فى حين ان الحديث البهيج بحاجة الى البلاغة والفطنة لتضفيان اليه الفتنة •• NR ، ٦٧ » • لكن جدوى تفسير باجت يبقى محصورا بمشاهد الحب ذات الاصول المدينية • ولهذا السبب اسقط باجت من

حسابه اعتبارات العرب الاخرى التى تجمع بين الجمال والقداسة ، فالجمال علامة من علائم كرم الله الوهاب القادر ، وهى فكرة سبق ان تطرق اليها جوزيف فون هـــامر ولى هـــانت من قبـــل (٣٢) ٠ واغفـــال من هذا النوع لفكرة تقديس الجمال البشرى عند المسلمين حال دون تفهم باجت تفهما كاملا لذلك الاغراق الظاهرى فى مراعاة الحلاوة الانثوية التى تخللت الحكاية العربية الوسيطة ٠

وكالعادة يقف باجت متماسكا عندما يعتمد دراسات اضافية فى مناقشته للمضمون الاجتماعى فى الحكايات ٠ فهـــو يبنى على ملاحظات (لين) المسهبة بشأن حقوق المرأة وامتيازاتها فى المجتمع الاسلامى ، وطور جراء ذلك منظورا متميزا عند معالجته لـ « الاخـــلاقية الاهليـــة » للمجتمع الاسلامى ٠ فشأن Bussey (ص ١٦ ــ ١٧ من المقدمة) كان باجت يعرف ان (الزواج الاحادى) هو الغـــالب فى الحيـــاة الاسرية أو الاهلية (فى تمييزها عن الاجتماعية العـــامة) ٠ وبرغم ذلك ، فان الاوروبيين دأبوا على اغفال ذلك ، أو كما يقول باجت : « يبدو ان هناك قناعة ثابتة بين الانكليز هى ان كل شخص له حرية الزواج من اربع لابد ان يمتع نفسه بهذا الامتياز ٠٠ NR ص ٦٤ » ٠ وفى تنـــاوله للانطباعات الشائعة عن « التهاون المطلق والعزلة الاستعبادية لحيـــاة الحريم ٠٠ NR ص ٦٣ » يتصدى الكاتب للاراء المتوارثة ، والتى جاءت الليالى لتؤكدها ، فهى اذ تأتى بالشاذ « فى حياة الامراء الخاصة » لابد ان تناجى ميل القارىء للغريب ، الامر الذى من شأنه طبع الذاكرة طبعا عميقا (NR ص ٦٣) ٠ اما بالنسبة الى قصص شهرزاد عن مخاتلات النساء وأحابيلهن ، فان قصصا مماثلة فى تقريره « كانت قد شغلت مكانا فى أدب اغلب الامم ٠٠ ص ٦٥ » ٠ وهى لهذا السبب لا يمكن ان تؤثر على انها براهين على ما عدته المواقف الموروثة ازدراء للجنس الاخر ٠ كما ان من شأن هذه القصص ان تجلب الانتباه بحكم شذوذها وندرتها ٠ وهو يخلص بعد ذلك الى ان « وزنا قليلا ٠٠ يقام لوجود مثل هـــذه الفئة من النوادر فى الليالى العربية ، وليس من شخص عاقل يمكن ان يستشهد بهذه دليلا على شخصية الانثى عامة ٠٠ ص ٦٥ » ٠

قد لا يكون مثل هذا التفحص الرصين غير المنفعل للاخلاقية الجنسية عند المسلمين جديدا بالنسبة للقارىء الانكليزى ، لكن باجت يعيد طرحه بهذه القوة لان الانكليز ــ كما يرى ــ « لم يقربوه الى الاذهان بقصـــد تصحيح الانطباعات غير المدروسة والتى تبقى فى الغالب الجزء النشط من معرفتنا برغم علمنا بزيفها ٠٠ ص ٦٤ » ٠ وملاحظات كهذه التى

يوردها باجت نافذة تماما في تفسيرها لتلك النزعة السائدة للخلط بين القصة المسلية والحياة الفعلية في الشرق • وهذه النزعة ليست قائمة بين القراء وحدهم ، فحتى النقاد والفلاسفة وقعوا تحت تأثيرها بحكم التوارث الخطير للانطباعات غير المدروسة • وفي التدليل على اهمية مـــا يبرزه باجت تجدر الاشارة الى واحد من مواقف بنثام Bentham فهذا الفيلسوف المعروف الذى يكره المتوارث والدارج وقع تحت وطأة أقاصيص شهرزاد الرومانسية • وعندما بعث له محمد على باشا حاكم مصر ابنه عباس ليدرس ويتعلم في ظل ارشاده ونصحه وتعليمه ، كتب له بنثام ناصحا ان يبعث مع عباس انثى واحدة لترافقه ساعات الراحة وهى نصيحة لابد ان تكونت في ذهن الفيلسوف جراء قراءته لحكايات شهرزاد !! (٣٣) •

ومن الموضوعات التي اثارت متابعات نقدية اخرى السمة الهرمية في المجتمع الاسلامي الوسيط : فعلى الرغم من يسر (الحركية الاجتماعية من طبقة أو تركيبة الى اخرى) ، يوجد بناء هرمى لا يعبأ في العادة بتلك الحركية المرتبطة بتقلبات الحظ والجاه والغنى • وقد لا نعى مغزى المتابعة النقدية في عصر الملكة فكتوريا دون احاطة بتاريخ الادب الانجليزى في تلك الاثناء •• ففي ظل الديمقراطية السياســـية والصراعات الطبقية الساخنة لاسيما تلك التي حصلت في اثناء مظاهرات (الهايد بارك) في ستينات القرن الماضى أو بعدها ، كثر الاهتمام بموضوعى (الحركية الاجتماعية) من جهة و (هرمية البناء الاجتماعى) من جهة اخرى • فهل يمكن للاثنين التعايش بسلام ؟ وماذا بعد الديمقراطية السياسية : هل تختفى مظاهر الجاه والنفوذ والتوزيعات التقليدية المتوارثة بين عوائل ملكية واخرى نبيلة واخرى اعتيادية ؟ وبكلمة اخرى ، فان النقد الذى ظهر عن الليالى والذى افاد كثيرا من ملاحظات (ادوارد وليم لين) يحمل كثيرا من نكهة البحث المعاصر في انكلترا عن حلول لمشـــكلة العداءات الطبقية • ومثل هذا النقد يستحق المراعاة ليس بسبب اضافاته لموضوع سوسيولوجية المجتمعات الاسلامية حسب ، ولكن لانه يعرى موقف كل كاتب ازاء المشكلات الاجتماعية في بلده ، انكلترا انداك ، وهكذا كان Bussey : فهو بعد ان بين كيف ان المراتب الاجتماعية واضـــحة الحدود في الليالى وكأنها في « تقويم محكمة شرقية ــ ص ١٥ » اضاف Bussey ان هذه التوزيعات لا تستتبع تعصبا طبقيا أو تضييقا وضغطا على حـرية الاتصـــال بين أبنـــاء المراتب الاجتمــاعية المتباينة • ويلاحظ Bussey والامتيازات الطبقية في انكلترا امام عينيه :

« في الشرق ، لا كما هو الحال في اوروبا ، لا تعد ممارسة التجارة امرا مشينا لحرمة الانسان وقدره ، بل على العكس ، يعد التاجر احد اكثر الناس قدرا » ٠

والملاحظة لا تخلو من تأنيب للطبقات الارستقراطية التى مازالت تتحرج من الكسبة والتجار والصناعيين الذين يؤلفون الطبقات الممولة حديثا ٠ فيضيف Bussey وهو ينتقد ضمنا تلك الفئات التى تحيا على امجاد وارث ونياشين دون عمل « ان عدم اتقان حرفة أو مهنة تتيح للانسان كسب رزقه اثناء الاضطرار تعد وصمة عار ، لا ينجو منها المرء مهما كانت مرتبته أو عظمة ثروته » ٠ وهذا الاحتراف المهنى هو الذى يجعل من الجميع متساوين من حيث الجوهر ، ذلك ان « امتلاك سلطة مدنية أو عسكرية يمنحها الحاكم أو القضاء هو التمييز الحقيقى الوحيد بين الرعية والارستقراطية » ويبقى الحس بالمساواة الاجتماعية هو الغالب جاعلا من « الاتصال بين الغنى والفقير ، دون اعتبار لتباين المرتبة أو المكانة ٠٠ خاليا تقريبا من التحفظ والتقييد ٠٠ ص ٢٠ » ٠

كما قلت ، ليس عسيرا على المتابع ان يفهم سر الاهتمام الفكتورى بهذه الناحية ، حيث تميزت الطبقات الوسطى المتنفذة ببحث مهوس فى بعض الاحيان عن اعتبارات تقديرية للتجارة والاعمال فى مواجهة عدم مبالاة الارستقراطيين والنبلاء ، الذين مازالوا لا يقيمون وزنا كبيرا لهذه الطبقات فى مجالات الاتصال والمجاملة والزواج ومظاهر الاختلاط الاخرى لكن اخرين من النقاد من امثال وولتر باجت كانوا اصحاب نظريات فى هذا الميدان ، ولهذا السبب سر سرورا كبيرا بغياب التحفظ فى الاتصالات من جهة وبقاء التمايزات الاجتماعية من جهة اخرى ، فهل يمكن ان يتعايش الاثنان فى محيط واحد ؟ ان الكاتب صاحب دراسة موسعة عن المجتمع الانكليزى تدعو الى الا تؤثر التحولات السياسية الداخلية فى التركيبة العلوية للمجتمع لانه يرى فى هذه التركيبة ، وعلى قمتها الملكية ، صفوة المجتمع ، (The Cream of the Society) التى تمنح الحياة القا واتزانا ٠ وهو لهذا السبب ايضا يدعو الى مراعاة المرتبة والثروة ٠ ولم يكن غريبا ان ينبهر بانماط الاجلال والتقيد الدقيق بالمكانات الاجتماعية، كما هى ظاهرة فى الحكايات ٠ وهو اذ يثنى على مجتمع من هذا النوع ينسجم مع افكاره الرئيسية ، ينحو باللائمة على غياب « الاتصال الاخوى، المتعاطف العفوى ، الثقة اليسيرة ، الود الجاهز ، والضيافة NR ص ٥٧) فى انكلترا ٠ وهو بعد ان يقارن انماط السلوك المذكورة بـ « عدم الثقة الغيورة من كل غريب » يخلص الى ان المجتمع الاسلامى يظل افضل من المجتمع الانكليزى فى هذه الميادين ٠ ويقول ، وكأنه صدى لبوسى ، ان

ناس الليالى « يختلطون سوية بحرية اكثر منا ، والطبقات المختلفة تتمتع باتصال غير متحفظ لم يخطر ببالنا على الاطلاق ، ان تمـايزات المراتب واضحة المعالم وتحظى باحترام شامل · ولعل هذا هو سبب رئيس فى كونها لا تضع اية عقبات فى وجه الاتصال الحر ·· NR ص ٥٧ ، ٥٨ » ·

كما يتبدى من قراءتى Bussey و Bagehot كانت تأثيرات ادوارد وليم لين فيهما واضحة ولا سيما فى اطار بحثهما عن موضوعات اجتماعية ودينية ، وكان هذا متوقعا ، اذ كما يشير D. B. Macdonald فى مجلة Nation (٣٠ ايلـــول ١٩٠٠ القسـم الأول ص ١٦٧) : « ان قوة لين تكمن فى الوصف ، فالذى رآه تمكن من وصـــفه بحيث تتيسر رؤيته من قبل الاخرين » ·

ولهذا السبب لم تثر نسخته غير موضوعات فى الاطار المشار اليه من قبل لكنها لم تبعث نزوعا للتنقيب الفنى النشط عن زوايا النظر فى الحكايات ، أو عن التداخلات النفسية العميقة فى السلوك البشرى ، كما ان سمعة لين بوصفه دارسا متمكنا ومستعربا ضليعا جعلت من الصعب على القارىء الناقد الخروج على نظريته بشأن الاصـــل المصرى للحكايات وتصويرها للحياة القاهرية الوسيطة والمعاصرة ، فمن الصحيح ان بعض الحكايات تخدم بوصفها صورا تعبيرية عن عادات وطباع مصريه وسيطة ، ولكن ـ كما قال C.H.Toy معترضا فى مجلة Atlantic Monthly فى حزيران ١٨٨٩ (ص ٧٦٢) ـ لا يسوغ هذا الامر « رأى لين فى ان الصيغة الحالية للكتاب كلها أو معظمها مصرية ، اذ ان العادات الشرقية تبقى زمنا طويلا دون تغيير ، ومن الممكن ان يكون ما يلاحظه المرء الان فى خان بالقاهرة قد حصل منذ الاف السنوات فى سوق بغدادى » · وبعد ظهور نسخة لين نشرت مقالات عديدة تعترض على اجتهادات بشأن المناخ الاجتماعى للكتاب · اذ كما اشار (لى هانت) لا يمكن لمرء ان يتصور ان قصة (كالحمال والثلاث بنات) يمكن ان تكون مصرية (NT ص ١٢٨) اما هاترسلى فقد اكد فى مقالته المنشورة فى مجلة Dublin (ص ١١٩) الحاجة الى غربلة وتحقيق النصوص الادبية الاصلية قبـل تقدير اصل كل حكاية ولوانها أو مناخاتها المحلية : « ان دارس العربية عارف تماما ان ترتيب القصص وعددها وطبيعتها وطولها يتباين فى نسخ مختلفة » ذلك « ان تلك الموضوعة فى القاهرة تعرض طباع المصريين » اما « تلك التى كتبت فى بغداد فانها تصـــور عادات ما بين النهرين وسوريا » · وبرغم ان بعض المجاميع « تحتوى دائما بعض القصص التى لم تتحور فى شكلها العام » ، هناك ادلة واضحة بان « هذه الحكايات

قد عدت ملكا عاما ، يمكن ان تحور أو يعاد ترتيبها أو يضاف اليها حسب ما يشاء »(٣٤) ٠

وهذه الاعتراضات وان بدت مجدية الا انهـا لم تبن على أسس متينة ، وهى لذلك مشتتة تماما لدرجة انها أعجز من تحدى نظرية ادوارد وليم لين النافذة فى ذلك العصر ٠ ففى الواقع كان كل من (هانت) وهاترسلى غير مطلعين على ما نشره جوزيف فون هامر بشأن « منظور القاص » العربى نفسـه ، ذلك الذى احتوته مقدمته لترجمته الألمانيـة للحكايات (ص ١٨ — ١٩) ٠ فبرغم ان (هامر) سبق لين فى الكتابة عن المناخ القاهرى الوسيط للحكايات ، لكنه كان يغوص فى الاحتمالات الأدبية والسوسيولوجية للظاهرة الأدبية ، وهو المجال الذى تخلى عنه لين بسبب فقره الفنى — الجمالى على صعيد نظرية الأدب ٠

فهامر تنبه الى نبرة الحنين فى الحكايات ٠ واضح أيضا أن الحكايات البغدادية ألفت « بعد زمن طويل من انتهاء عصر الخليفة [أى الرشيد] ، ذلك الخليفة الذى كان لشغفه بالشعر وتعطشه للمعرفة دور تشجيعى كبير للشعراء وجامعى النوادر » ٠ وبكلمة أخرى فان هامر كان عارفا بالطبيعة المحاكية للرومانسية فى عمل تم تأليفه فى مرحلة احتضـار وانحطاط ثقافيين كحكم المماليك فى مصر ٠ وبزمن طويل قبل بدء الدارسين المحدثين بالبحث فى الأسباب الاجتماعية للحنين الرومانسى لأيام « الخليفة الطيب الذكر هارون الرشيد » ، كان هامر قد أوضح فى دراسته عن الشعر العربى (مجلة New Monthly الأول من شباط ١٨٢٠) أن القاص كان ينظر بألم الى تلك الأيام الخوالى وتمزق الحضارة العباسية فى بغداد ، وهى مرحلة اقترنت فى الذهن الشعبى بالرخاء والأمان والنظام ٠ وعلى العكس من الانحطاط وعدم الاستقرار فى أثناء حكم المماليك فى مصر ، كان العصر العباسى عصر توسع تجارى وثقافى ، يثير عنه الراوى مختلف الشجون والمشاعر ٠ وهكذا ، يقرر هامر (ص ١٥٨) أن الكتاب « كتب أول مرة فى ظل أواخر السلاطين المماليك فى مصر ، أ ى فى مرحلة كان عصر الرشيد فيها يعد العصر الذهبى للخلافة ، وبلاطها هو المثالى بين المجالس الشرقية » ٠

وحيث ان رأى هامر يحتمل الكثير من التعميم ، فان المؤرخ الأدبى لا بد أن يقرأه قراءة محترز : ومن جانب آخر ينبغى أن يعد اعتراف هامر بوجود هذه النزعة الحنينية الى الماضى اضافة مهمة الى ميدان الدراسة الاجتماعية للحكايات العربية ٠ وعندما وضـع التصـور المثالى للبلاط البغدادى فى موضع المقـارنة والمقابلة بالعصر المماليكى فى مصر ، فان

القاص قدر على تقديم تصور بانورامي للنمو والانحطاط التاريخيين لحضارة كاملة . ولسوء الحظ ، مر هذا الاجتهاد مرورا عابرا دون أن يحظى بالملاحظة والتحليل ، وجاءت شروح لين المسهبة لتطغى عليه مرة واحدة في ذلك العصر المتفاعل النشط ! الذى لا يهمه رأى العقود السالفة بقدر متابعته لما هو جديد وعملي . وحتى فى العقود الأخيرة من القرن ، وعندما ظهرت محاولات جديدة لاعادة قراءة الليالى وتثمين خلفيتها التاريخية فى ضوء البراهين المتوفرة من داخل الحكايات ، أغفل منظور القاص المذكور بسبب ظهور معتقدات جديدة بشأن أصول الليالى : اذ رأى عديدون أن الاشارات العلنية الى بلاط الخليفة الرشيد يعنى وجود أصول بغدادية . وهكذا ، لم تكن هذه الاتجاهات بأحسن من سابقاتها ، بحكم ميلها للتعميم والعجالة ، وعدم اعتماد طرائق البحث والتنقيب والفهرسة . وكان W. G. Palgrave من بين هؤلاء الجدد . فبدل أن يقوم بتوزيع الحكايات فى ضوء تفصيلاتها الاجتماعية والتضاريسية والأخلاقية كتب Palgrave فى مقدمته الى قصته (علقمة) المنشورة فى مجلة Macmillan's (المجلد ٣١ ، آذار ١٨٧٥ ، ص ٤٤٨) ان حكايات شهرزاد « تعود .. الى مدينة بغداد وبلاطها ، تلك المدينة التى كانت انذاك عاصمة الامبراطورية ، ومركز حضارة منظمة » . ومن اللازم الاشارة الى ن التجربة الشخصية لأغلب هؤلاء الكتاب كانت تطبع كتاباتهم بميول واضحة تتعارض مع أية أساليب بحث علمى قادرة على انتشال الاجتهاد من التعميم والمبالغة . كانت تجربة لين فى مصر قد دفعته الى الاعتقاد بوجود أصول مصرية للحكايات ، أما معرفة Palgrave بالحياة الشاقة العسيرة فى نجد فقد جعلته يربط بين المناخ المدينى المتحضر السائد فى الليالى والحياة العباسية ، تلك التى تختلف كثيرا عما لاحظه وشاهده فى بقاع عربية أخرى ، برغم مرور قرون عديدة على سقوط تلك الحضارة التى لمحت اليها ليالى شهرزاد كثيرا .

لكن اسهام John Payne فى فرز الحكايات التى تحتويها مجموعة شهرزاد ، وعزل أنماطها وأصولها ، يستحق الملاحظة والتقدير فى آن واحد . فهو كان متأثرا كثيرا بالحكايات البغدادية ، شغوفا بأجوائها ، ومحيطا بأنماط شخوصها : لكنه برغم ذلك حافظ على المقدرة التحليلية لديه ، بحيث لم تشغل انطباعاته واهواؤه غير حيز قليل جدا فى دراستيه المنشورتين فى مجلة New Quarterly Magazine التى سبق أن أشرت اليها . واذا أردنا تكوين تصور عام عن دراستيه ، يمكن القول أنه أعد الأجزاء التى هى من أصول غير عراقية ـ سورية قليلة كما وضعيفة نوعا . ولهذا السبب تحرز وجهات نظره أهمية خاصة ، لا لأنه لجأ الى

تحليل الأدلة والاشارات الداخلية من شواهد وأوصاف فى النص حسب ، ولكن لأن رأيه النهائى هو أكثر الاراء اثارة للجدل فى حينه ، بحكم تطويره مناقشة تختلف تمام الاختلاف عن لين ، وتتعارض مع استقصاءات الأخير تعارضا حاسما مبنيا على أدلة وبراهين ، لم يتمكن آخر من جمعها أو فرزها وتقديمها فى سياق جدلى علمى من قبل • ومكنة Paye تبتدىء فى رفضه للمسلمات والاجتهادات التى درجت آنذاك أثر ذيوع نظرية (لين) • ولجأ Payne الى الحكايات نفسها ، باحثا فى ثناياها عن أدلة وشواهد أخلاقية ومناخية وتضاريسية ، فحيثما تتوارد هذه بأشكال متناسقة متناغمة يسهل تحديد منشأ الحكاية ، ويبقى الدليل الخارجى شفيعا ومعززا لهذا الاستنتاج • وقبل البدء بما بلغه Payne من نتائج ، لا بد من التنبيه الى أنه شذ عن منحاه العام فى حالة واحدة ، تلك هى دراسته النفسية لشخصية هارون الرشيد : فالناقد معجب بالوزير جعفر البرمكى ، والذى أظهرته الحكايات رجلا حليما ، عاقلا ودودا : فتعاطف معه Payne تعاطفا كبيرا ، حتى اذا ما تذكر ما جرى له على أيدى سيده وصديقه الرشيد فيما بعد تخلى عن حرصه السابق فى الدراسة ، فبحث فى الحكايات عن أدلة ومواصفات يمكن أن تتناسب مع رأيه فى أن الرشيد خليفة عصابى ، مهموم ، دموى : والا فما معنى جولاته التنكرية ليلا ، هكذا يتساءل Payne انه يراها محاولة لنسيان جرائم ارتكبت فى لحظات غضب وبطش فالأرق الدائم يدفعه الى التجوال ، والاختلاط بالآخرين والبحث عما يسليه من أخبار ومغامرات •

ويمضى Payne لاعادة تركيب شخصية الخليفة بما يتناسب ونظريته هذه فهو يرى (شعبية) الخليفة أمرا مفتعلا : ذلك أن الحكايات فى تقديره (ص ١٦١) تشير الى أن الخليفة كان مستعدا للتصرف حسب ما يمليه عليه مزاجه • ومجرد مناجاة رغباته الفنية يكفى ضمان « خلاص أعتى المجرمين أو ألد الأعداء من نتائج نوبات الغضب المسعور التى كان الخليفة عرضة لها » •

وحتى اذا أردنا المضى قليلا فى قبول تفسيرات Payne ، الا أن هذه أعجز من أن تسوغ لنا سر اعجاب الجمهور بالخليفة وحبه له • ف Payne يقول ان الفنانين كانوا يحبون فى الخليفة شغفه بالفنون والآداب وعنايته بها ، لكنه يجهد أن يبلغ تفسيرا مناسبا لتلك الذكرى الطيبة التى خلفها الرشيد بعده بين الجمهور • فيقدم على تعليلين : أولهما : أن تواضع الخليفة ويسر بلوغه جعلا منه محبوبا لكنه عاد فى تعليل لاحق ليشكك بالقضية برمتها ، طارحا ارتيابه فى الحكايات ذاتها فهو يرى أن ما يتوفر عن الرشيد فى الحكايات ليس سجلا وثائقيا صحيحا ، اذ

قد تكون بعض هذه قد دونت وسربت وتم تداولها بعد ذلك حسب مشيئته وخطته ، بعد ما أراد تغيير صورته بين الناس · ويقول Payne

« من خلال الشهرة التى يحظى بها وتكرر حكايات عن عصره . يحق لنا أن نشك بأن قدرا كبيرا من هذه نقل كاملا من ملاحظات وتلفيقات أعدت حسب أمره من قبل شعرائه وموسيقييه المفضلين ·· لكى تصور بلاطه — الجزء الأول ، ص ١٦١ » ·

لكن هذا التحليل يعوزه الثبات والتماسك ، وذلك لأن Payne يتخلى عن الحيثيات رضوخا للنتائج المتكونة فى ذهنه ، والتى لا بد أن تكون حصيلة قراءات أخرى فى كتب متباينة عن الخلافة العباسية . كما انه عندما يتحدث عن الفحوى البغدادى للحكايات ، يطرح وجهات نظر متكاملة عن النظام السياسى — الاجتماعى خلال العصر العباسى وهى وجهات نظر تؤيد استقصاءات المؤرخين بشأن التطور الذى حققته بغداد فى ذلك العصر : واذا كان الأمر كذلك ، هل يمكن لخليفة عصابى أن يقود أمة مع آخرين فى طريق نمو أخلاقى واجتماعى وسياسى كالذى بلغته بغداد ؟ هذه بعض الاشكالات الواضحة فى دراسة Payne فعندما يلجأ الى (الدليل) الذى توفره الحكايات ، يقول ان بغداد أصبحت « مركز الحضارة الاسلامية — الجزء الاول ، ١٦٩ » ، وان تجارتها المزدهرة وبلاطها الكريم شجعا البشر على القدوم اليها من جميع أنحاء العالم · ولكن ، هل يمكن لدولة أن تزدهر دون أن يحكمها قضاة عادلون . ويسودها الأمان والسلام ؟ فكما تشير حكايات الأشقياء والفتيان فى المجموعة ، كان النظام والأمان يحققان « باستخدام أوغاد مختارين ذوى مهارة عالية أمثال أحمد الدنف وحسن شومان وعلى زيبق — جميعهم مذكورون فى ألف ليلة وليلة — بوصفهم معاونين للشرطة للضغط على رفاقهم السابقين وافساد خططهم — الجزء الأول ، ص ١٦٩ » · وهذه الطريقة ، فى تقدير Payne هى التى ساعدت فى المحافظة على الحياة الهادئة الراقية لـ (مدينة السلام) ، كما سميت بغداد آنذاك (ص ١٦٣ ، ١٦٩) (*) ·

لكن دراسة Payne لمجتمع الحكايات العربية تستحق اهتماما أكثر بسبب بعض اجتهاداته الجديدة فى حينها بشأن (أخلاقية) الطبقات

(*) من المعروف أن المستشرقة المحدثة (ميا كيرهارت) لاتذهب هذا المذهب فى التفسير : وهى ترى أن الحكايات المذكورة قاهرية ، وأن ذكر بغداد فيها ما كان غير ضرب من الهواية ، يمارسها الرواة ، بحكم رواج سمعة بغداد من جانب ، والحنين الذى كان يشعرون به لعهد الرشيد من جانب آخر ·

الحضرية · فهو لا يخلط بين المعتقدات الدينية والسلوك البشرى كما فعل (باجت) ، كما أنه لم يعمم آراءه حول الممارسات الخلقية والعادات كما فعل (لين) : بل جهد أن يبلغ استقصاءات مبنية على المعلومات التى يوفرها الراوى حول التشكيلات الاجتماعية فى الحكايات ، مسلطا تحليلاته على أنماط سلوك وممارسات لا تمت بصلة للتعاليم الدينية · ففى ضوء ما تقدمه له بعض القصص ، كـ « الحمال والثلاث بنات » و « الحلاق وأخوه » يرى Payne أن « العربدة والاثم يسودان دون قيود » بين الطبقـات المتنفذة ، فاضحين ميلا للاستهتار شبيها بذلك الانحطاط والفجور الذى كان سمة عصر الانحطاط الرومانى (الجزء الأول ، ص ١٦٣) · أى أن Payne لم يتغاض عن هذا الأمر ، كما فعل (لين) ، بل رأى فيه سمة فعلية لا يمكن ان يلصقها الراوى لدغدغة رغبات مستمعيه المكبوتة (٣٦) ·

ولو كان Payne قد بلغ هذا التخريج دون تعليل لكان رأيه شبيها بآراء غيره · لكنه لاحظ فى الحكايات تمردا علنيا تكشف عنه الطبقات المذكورة ازاء التعاليم الدينية (ص ١٦٤) · ففى أغلب الحكايات البغدادية يسـود (نفس الحادى) يتعارض تمـاما مع مواقف « الطبقات الوسطى والفقيرة التى كانت منجذبة بعمق وحماس الى دين وحدانية الله ـ ص ١٦٤ » · هذا هو الاطار الأوسع لتفسيره النمو وتدهور الخلافة العباسية : فعلى شاكلة غيرها من الأمم والامبراطوريات ، تدهورت الحضارة العباسية بحكم سيادة الوفرة والرخاء الماديين وغياب الروحانية · وكلما ترافق الاثنان كلما نخرت بذور الانحطاط والتدهور فى أجساد الأمم ! ! على أن هذا لا يعنى غياب حالات خاصة مرتدة على هذا الواقع · فكما تدلل قصة « الأمير الورع » كانت النزعة المادية المذكورة قد فجرت ارتدادا تقيا وزهدا متميزا عند البعض ، بما يؤكد نشأة النقائض جراء التطرف فى السلوك والممارسة (ص ١٦٥) ·

ومرة أخرى يقف Payne على أرض صـلبة وهو يلجأ الى الأدلة الداخلية التى تحتويها الحكايات · فالأسلوب نفسه يحمل دلالات اجتماعية لا يمكن لناقد الأدب تخطيها · وأكثر من غيره درس Payne (لغة) الحكايات منتبها الى ملائمة لهجتها الدارجة لجمهور مستمعين حضرى غير متعلم ، مؤكدا فى الجزء الثانى من مقالته (ص ٣٨٠) « بساطتها المفرطة » وتحررها من تقاليد العربية الفصحى وقيودها ، وكان لهذين السببين شأن كبير فى قربها من رواد المقاهى والمجالس · وعلى عكس غيره من الكتاب الانكليز الذين كتبوا عن فخامة هذه اللغة وايغالها البلاغى (٣٧) · لاحظ (Payne) أن الحـكايات سردت بلهجة تخلو من التفخيم والتزويق اللذين دأب الانكليز على اقرانهما بالأساليب الشرقية (الجزء الثانى ،

ص ٣٨١) • واذا ما وجدت مثل هذه السمات ، فانها ترد نادرا ، عندما يلجأ الراوى الى الموروث والمتداول ليمنح موضوعه وقارا مصطنعا • فهكذا نجد ، كما يقول الناقد ، أن « الشاب الجميل ••• هو دائما قمر كامل ، والفتاة الرشيقة بجلال عصا من الصفصاف أو الغزال العطشان » • وتكاد هذه التعبيرات المكرورة توجد نوعا من الملل لولا أنها تختفى فى خضم وفرة من العواطف والأوصاف والظروف التى ينهل منها القاص ، مانحا « ميزان جواهرها المتخشب تغيرات حية من اللون المتحول ونغمات جديدة من الانطباعات والأوهام – الجزء الثانى ، ص ٣٨٢ » •

على أن جهود Payne وغيره فى دراسة السمات الاجتماعية والأخلاقية للحكايات تكتسب أهميتها الكاملة من خلال علاقتها بالاسهامات الفكتورية الأوسع لفرز القصص وتصنيفها ، وتقدير أصولها المحتملة وتواريخ تأليفها وتدوينها ، وفى الواقع ، من العسير تقديم آراء نهائية عن مقاصد القاص وظروفه دون معرفة مناسبة بأنماط كل حكاية ، وجذور انتسابها ومحيطها المباشر • وعلى الرغم من أن الفكتوريين لم يحققوا الكثير فى هذا المجال ، الا أن ما حققوه يستحق الثناء بحكم المصاعب التى تحف فى العادة بدراسة الثقافات الشعبية •

لكن القارىء الحديث قد لا يجد الكثير من الأشياء التى تثير اهتمامه فى دراسات كتاب العصر المذكور وتعليقاتهم • فهؤلاء لم يبدوا معرفة دقيقة بذلك النفس الساخر المرير الذى يتخلل أنماطا مضمونية متعددة فى الحكايات العربية • كما انهم لم يحاولوا تفسير ذلك الازدراء المطلق للسلطة والذى تكتظ به الحكايات المصرية بشكل خاص • وعدا ذلك فقد كان قليلا ذلك الذى قيل حول التداخلات النفسية لهاجس الحظ والقدر فى حكايات القاهرة الوسيطة ، حيث كان القهر الاجتماعى يدفع الافراد المغلوبين الى تغذية الأحلام والخرافات التى تتيح لهم مهربا من الظروف التعيسة المحيطة بهم • فى بعض هذه الحكايات أيضا يصعب أن تتحقق مبادىء (العدالة الخيالية) ، ذلك أن القاص بنفسه الساخر واقعى يرفض أن يقحم خاتمة مثالية على مواقف وظروف لا قدرة له بالتحكم فيها • من جانب آخر ، كانت الحكايات البغدادية أنسب من غيرها فى تأكيد المبادىء المذكورة : ففى عصر السلام والعدل يستطيع القاص أن يصور الخليفة أداة بين يدى القدر ، أو ظلا الهيا ينشر العدل والسعادة ويحارب الظلم والخطيئة •

مثل هذه الاشكالات لم تلق اهتماما كبيرا حتى يومنا هذا : واذا كان الفكتوريون ليسوا أحسن حظا من غيرهم ، فان مساعيهم الجادة وتجاوباتهم المتباينة تفصح عن اعتراف ضمنى بالثراء المضمونى للحكايات وطرحها

لصورة بانورامية للتقاليد والعادات والمعتقدات الشعبية التى سادت فى العصور الاسلامية الوسيطة ، وتبقى هـذه الاجتهادات والآراء المجتمعة أوسع بكثير مما يقدمه أى كتاب واحد معين عن الواقع الاجتماعى ـ السياسى فى تلك العصور ٠

كان الفكتوريون يختلفـون فيما بينهم حـول بعض التفصـيلات والموضوعات لكنهم اتفقوا جميعا على الاعتراف بالليالى العربية على انها سجل غنى عامر بالمعلومات عن الثقافة الشعبية الاسلامية ٠ وهكذا كان المستشرق الأمريكى Crawford H. Toy يكتب فى هذا الموضوع فى مجلة Atlantic Review (حزيران ١٨٨٩ ـ ص ٧٦) موجزا آراء عصره فى تعليق دقيق وشامل ، يستحق أن ننهى به هذه المناقشة للثراء الاجتماعى لحكايات ألف ليلة وليلة ٠

« ان هذا الكتاب هو تاريخ الثقافة الاسـلامية وسجل الذكاء الاسلامى المتوقد فى أيام عزة العرب فى آسيا ٠ انه يقدم صورة لحياتهم أصدق وأكثر حيوية من جميع التواريخ العادية مجتمعة » ٠

ويضيف أيضا ، أننا فى هذا الكتاب لا نجد « كياسة السيد العربى المتزنة ، والود الذى تنطوى عليه الصداقة » فحسب ، وانما نجد أيضا « الخدع والأحابيل ، العاطفة والخداع ، الصحو والسخف ، النبل والحقـارة ، الاسـتقلال الفردى للعربى بجانب أكثر انمـاط التسلط والاستبداد السياسى تطرفا ، المكانة الثقافية والاجتماعية العالية للنسوة ٠ أى أننا نجد عناصر الحياة جميعها » ٠

هوامش الفصل الخامس :

(١) مقالة Bernard Cracroft ظهرت بعنوان « المعنى الحقيقى لليالى العربية » فى كتابه بالانكليزية مقالات : سياسية ومنوعة (لندن : Trubner ، ١٨٦٨) ، المجلد الثانى ، ص ٧٣ ٠ بعد هذه الاشارة سنكتفى بوضع Essays داخل نص البحث مرفقا باشارة اخرى للصفحة المعنية ٠ ومما يستحق التوضيح أن كراكرفت يعيد تأكيد ما طرحه باجت بشأن هوامش (لين) لا سيما NR ، ص ٧١ ٠

(٢) بالاضافة الى نزعتى ممارسة (الموضوعية العلمية) و (التسامح الدينى) فى دراسة المحتوى الدينى ـ الاجتماعى للحكايات ، يلاحظ الدارس ـ لا سيما فى كتب الأسفار عن الشرق الأوسط فى منتصف العصر الفكتورى ـ نبرة ساخرة وميلا الى تسخيف (التوقعات الرومانسية) التى ساعدت فى ايجادها وخلقها الليالى العربية ٠ فوصف W. H. Russell مراسل جريدة التايمز (فى كتابه رحلة انكليزية الى كريميا ، الصادر فى لندن عام ١٨٥٨ ، ص ٣٨) بعثة تركية كانت جالسة على أريكة ، قائلا :

« في عزة اوهامه بصدد البهاء والعظمة الشرقية ، وذكريات حكايات الجن والليالي العربية يجب الا يتصور القارىء أن هذه الأرائكة مغطاة بقماش من الذهب ، أو تتلألأ باحجار كريمة ، انها كانت مغطاة بقماش مصنوع في مانشستر ويحمل ختم معاملها » .

(٣) سترد الاشارات اللاحقة الى مقالة Mann (في مجلة North American Review داخل نص البحث ، مذيلة برقم الصفحة .

(٤) الاقتباس عن مجلة Eclectic Review (ترقيم جديد ، ٨ ، ١٨٤٠ ، ص ٦٤٣ . راجع أيضا مقالة Hattersley في مجلة Dublin Review ص ١٠٧ ، ١٢٢ .

(٥) وردت آراء كنكليك في كتابه الموســوم Eothen أو Traces of Travel Brought from the East (طبعة جديدة ، نيويورك : Putnam ، ١٩٥٠) ، الفصل السادس ، ص ٥٣ وكان الكتاب قد نشر أول مرة في عام ١٨٤٤ .

(٦) 'Terminal Essay' ، ص ١١٢ . أما رأى كونانت فقد ورد في كتابهـا بالانكليزية : الحكاية الشرقية ص ٢٥ ، كما أن رأى Gibb قد ورد في فصل عن (الأدب) في Legacy of Islam ، جمع وتحرير كل من Alfred Guillaume, Sir Thomas Arnold (منشورات اكسفورد : كلارندن ١٩٣١) ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

(٧) الحكاية الشرقية ، ص ٢٥ .

(٨) ظهرت النسخة الانجليزية بعنوان عنتر : رومانس بدوى بثلاثة مجلدات في عام ١٨٢٠ ، ترجمة Terrick Hamilton وتقديمه . ومن بين الدراسات التي ظهرت عنه واحدة بقلم Joseph Von Hammer في مجلة New Monthly Magazine لشهرى كانون الثاني ونيسان ١٨٢٠ ، وأخرى في مجلة Penny Magazine ، المجلد السادس (شباط ١٨٣٧) ، ص ٥٥ ـ ٥٦ ، وأخرى في مجلة Blackwood's ، المجلد ٤ (كانون الثاني ١٨١٩) ، ص ٣٨٥ ـ ٣٩٤ .

(٩) حول بعض الأصول (البرجوازية) للحكايات ظهرت تعليقات عديدة في كتابات العصر الذي نحن بصدده من أمثال مقالة ستانلي لين ـ بول في مجلة Edinburgh ص ١٩٥ ، ومقالة J. F. Hewitt ، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

(١٠) كانت المقالة قد ظهرت بالانكليزية بعنوان «قصص شرقية» في مجلة Blackwood's المجلد ١٨ (تموز ١٨٢٥) ، ص ٦٣ بتوقيع (آر. اف) ، وعرف كـ Robert Ferguson من قبل A. L Strout في كتابه فهرسة بمقالات مجلة بلاكوود ، ١٨١٧ ـ ١٨٢٥ ، الصادر عن (تكساس : Texas Tech Coll. Library ، ١٩٥٩ ، ص ١٣١ .

(١١) راجع Asiatic Journal ، الترقيم الجديد ، ٣٠ ، العدد ١١٧ ، ١٨٣٩ ، الهامش : ٧٢ . أما مقالة Mew المعنونة بالانكليزية « حكايات لم تحرر من الليالي العربية » فقد ظهرت في مجلة Tinsley's Magazine ، العدد ١٧٦ (آذار ١٨٨٢) ، ص ٢٢٩ .

(١٢) كان Thomas Wright قد جاء بمعلومات حسنة عن الصراع بين بيرتن وجماعة لين ، وذلك في كتابه حياة جون بين الصادر عن (لندن : Fisher Unwin ، ١٩١٩) ،

لا سيما ص ٧٢ ـ ٧٦ . انظر أيضا حول الموضوع نفسه مقالة بيرتن المسماة « فهرسة الكتاب ومراجعة مراجعيه » في **Supplemental Nights**، أي المجلدات الاضافية التي الحقها بترجمته ، المجلد المعني هنا هو رقم ٦ ، ص ٣١١ ـ ٣٦٦ . من الآن فصاعدا يؤشر تحت عنوان « فهرسة الكتاب » اختصارا .

(١٣) لاحظ مثلا ، الهامش ٨٧ من الفصل العاشر في الليالي ، المجلد الثاني ، ص ٢١٣ ـ ٢١٤ .

(١٤) "Translator's Foreword" ص ١٢ وستجرى الاشارة الى مقالة بيرتن هذه في متن الكتاب حسب حرفيها الأولين TF معززة برقم الصفحة بعد كل تنصيص .

(١٥) أما مقالته الختامية (والتي وردت منها الاشارة هنا ، ص ١٧٦) فسيشار اليها اختصارا بالحرف T داخل متن الكتاب أيضا .

(١٦) راجع كتاب John Gross المعنون نهوض الكاتب وسقوطه الصادر عن (لندن : Weidenfeld ، ١٩٦٩) ص ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ .

(١٧) الرسائل ، تحرير Allan Wade الصادرة عن (لندن : Rupert Hart-Davis ١٩٥٤) ، ص ٨٣٢ . وبرغم أن الاشارة كانت الى نسخة Mardrus (والتي لم تشملها هذه الدراسة لصدورها لاحقا) ، الا أنها أضيفت هنا بحكم علاقة Yeats الوطيدة بالأوساط الأدبية التي احتفلت بمشروع بيرتن . حول هذا الموضوع ، يراجع B. Bjersby في كتابه : **Interpretation** of the Cuchulain Legend in the works of W.B. **Yeats** (طبعة Upsala ١٩٥٠) ، ص ١٢٧ ، هامش ٣ .

(١٨) وردت هذه في **Prefaces** by Bernard Shaw الصادر عن (لندن : Constable ١٩٣٤) ، ص ٧١٠ . وفي مكان آخر بعنوان « آباء وأطفال » المكتوب عام ١٩١٠ (ص ٦٧ ـ ٦٨) ناقش (شو) المشكلة نفسها كما هي تبدو في تنشئة الأطفال . وبعدما أشار الى طفولته ، قال (شو) أن العوائل الانكليزية تنشىء أبناءها أقوياء صحة وجبناء خلقا ، مشيرا الى أنه في طفولته كانت عمته تخاف عليه من ليالي شهرزاد أكثر من خوفها عليه وهو يركب حصانا جامحا .

(١٩) أعيد نشرها من مجلة Standard (١٢ أيلول ١٨٨٥) في « فهرسة الكتاب » ، ص ٣١٨ .

(٢٠) المقالة بعنوان « ليالي السمر العربية » ، المجلد ٢٨ ، العدد ٧٠٠ ، ص ٢٣٣ . أعيد نشرها أيضا في « فهرسة الكتاب » ، ص ٣٦١ . ومن المفيد أن نذكر أن Edward Peacock اثار افكارا مشابهة في تعليق عن « الليالي العربية » في مجلة Academy المجلد ٢٨ ، العدد ٧٠٢ (١٧ تشرين أول ، ١٨٨٥) ، ص ٢٥٨ .

(٢١) « فهرسة الكتاب » . ص ٣٤٧ .

(٢٢) اقتباس Thomas Wright في كتابه حياة جون بين ، ص ٧٣ . ولعل بيرتن كان يفكر آنذاك باستنكاري R. S. Poole و William **Wright** السابقين لأوانهما لما أسمياه بـ « الثقافة الجمالية » لجون بين . راجع **Academy** (٢٦ نيسان ١٨٧٩) ، ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠ و (٢٦ تشرين ثاني ١٨٨١) ، ص ٤٢٩ و (١٧ كانون الأول ١٧٧١) .

(٢٣) رسائل سوينبرن ، تحرير وتحقيق Cecil Lang منشورات (New Haven مطبعة جامعة Yale) المجلد الخامس ، ص ٨٩ .

(٢٤) من المعلوم أن بيرتن أعاد كتابة نسخة Payne لكي يأتي بنسخ كافية لبقية المشتركين في الطبعة الخاصة التي أعدها الأخير . وكانت Gerhardt قد خصت هذه القضية بتفصيل كبير ، لا سيما على ص ٨١ . وكان بعض معاصري بيرتن عالمين بالطبيعة (التجارية جزئيا) لمشروعه . ذلك أن « النجاح الهائل » الذي أحرزته نسخة Payne يتأتى في تقدير Poole من حقيقة « المغريات التي تتيحها للمستثمرين نسخة ذات توزيع محدود ، ولا بد أن تصبح نادرة » . راجع ص ١٧٧ من مقالته . وكانت مجلة Saturday Review قد أشارت الى أن التنافس بين تجار الكتب النادرة قد جعل من قيمة نسخة بيرتن ثلاثين باونا آنذاك . راجع عدد ٩ آذار ١٨٩٥ ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

(٢٥) من مقدمة Isabel Burton الى النسخة المنزلية من الف ليلة وليلة الصادرة عن لندن (دار نشر Waterlow ، ١٨٨٦) ، المجلد الأول ص ٦ .

(٢٦) « سيرة الكتاب » ، ص ٣٥٧ .

(٢٧) « مقدمة المؤلف . نسخة Everyman's Library (١٩٦٣) ، ص ٢٤ ـ ٢٥ ، هامش رقم ١ .

(٢٨) ظهر الكتاب بالانكليزية تحت عنوان المجتمع العربي في العصور الوسيطة : دراسات من ألف ليلة وليلة (لندن : Chatto and Windus ، ١٨٨٣) .

(٢٩) للاطلاع على بعض المناقشات لهذه الآراء ، راجع مقدمة سكوت ، ص ٤ ـ ٨ . وفورستر ، ص ٤٣ . وبيرتن في « المقالة الخاتمة » ص ١٤٤ ـ ١٤٦ . وهامر في مجلة New Monthly Magazine (١ كانون الثاني ١٨٢٠) ، ص ١٦ ـ ١٧ .

(٣٠) كتابه Heroes, Hero-Worship في الأعمال ، المجلد ١٢ ، ص ٢٧٥ .

(٣١) راجع James Anthony Froude في كتابه Thomas Carlyle : A History of His Life in London, 1837-1881, الصادر عن لندن بمجلدين (Longmans ١٨٨٤) ، الجزء الأول ، ص ١٧٦ .

(٣٢) مجلة New Monthly Magazine (الأول من كانون الثاني ١٨٢٠) ، ص ١٧ ، و «NT», ص ١١٨ ـ ١١٩ بالتعاقب .

(٣٣) تتوفر مخطوطة رسالة J. Bentham في المتحف البريطاني Add. Mss. 25663, f. 145 وذكرها أصلا Norman Daniel ، ص ٤٦ ـ ٤٧ .

(٣٤) مجلة Athenaeum ، العدد ٥٧٢ (١٣ تشرين الأول ١٨٣٨) ، ص ٧٣٧ ـ ٧٣٨ ، والعدد ٦٢٢ (٢٨ أيلول ١٨٣٩) ص ٧٤١ .

(٣٥) برغم وجود بعض الاحتمالات بأن عددا من الحكايات الهرونية قد اعتمدت نوادر ، كتبت أو روجت في عصر الرشيد ، الا أن تعميم Payne ليس مقنعا ، ذلك لأنه لم يأخذ بنظر الاعتبار الاقحامات أو التنقيحات التالية التي تشخص (مزاج) المرحلة الوسيطة . وفي أواخر الثمانينات ، كتب De Goeje بتوجس حول هذا الموضوع .

مقترحا أن « أغلب الحكايات ، في فحواها وأشكالها ، عربية . وعدد كبير منها اتخذ من عاصمة الخلفاء مشهدا لأحداثها ، بحيث انه يمكن أن نحزر أن من مصادر المؤلف كتاب حكايات عائد لمرحلة رخاء بغداد » ـ راجع مقالته عن ألف ليلة وليلة » • في الموسوعة البريطانية ، نسخة ١٨٨٨ ، المجلد ٢٣ ، ص ٣١٧ •

(٣٦) في ضوء تحليل Payne لمكان وزمان التأليف ، يصعب الدفاع علميا ودراسيا عن هذا الافتراض • ولكن من الأيسر القول ان هذه المشاهد تشير الى تأليف لاحق ، حيث يسود مزاج انحطاطي (منذ القرن العاشر فصاعدا) ، دون أن يعني ذلك سيادة نزعة رائجة بين الطبقات العليا في زمن الرشيد ، أما التفصيل الذي يخص شعائر العربدة في قصة الحمال والثلاث بنات فانه قد يكون اقحاما ، من وضع الرواة المحليين من أولئك الذين تشغف تصوراتهم بربط العربدة بالوفرة والرخاء الماديين ، أو قد يكون ذلك مؤشرا لبزوغ حركة انحطاط أدبي أوجدتها التقاليد المتزمتة وقواعد التعبير الصارمة • وسبق لناقد مجلة Athenaeum أن تنبه الى المفارقة بين هذه المشاهد والأخلاقية المسلمة (راجع العدد ٥٧٢ في ١٣ تشرين الأول ، ١٨٣٨ ، ٧٣٩) • وهو يرى أن مثل هذا التباين والتفاوت يؤشر مصدرا غير مسلم ، ذلك أن في الأدب الاسلامي « لا تظهر النسوة الا نادرا ، وعندما يظهرن ، فليس من أجل عرض عادات فاجرة كعادات سيدات بغداد الثلاث » •

(٣٧) في مقالة أرنولد « مسرحية عاطفة فارسية » كان الكاتب يعتقد أن حكايات شهرزاد تنم عن زخرفة وتزويق شرقيين • ويقول في وصفه لأحد المشاهد في (المسرحية) : « ان المنظر له أثر السخاء واللون والترف اللائي نقرنها في العادة مع أبهة الليالي العربية » • راجع الأعمال النثرية لماثيو أرنولد ، تحقيق R. H. Super (منشورات مطبعة جامعة شيكان ، ١٩٦٠ ـ ١٩٧٤) ، المجلد السابع (١٩٧٠) ، ص ٢٢ •

(٣٨) من أجل مزيد من المعلومات ، راجع مقالتي بالانكليزية في مجلة Muslim World الأمريكية تموز ـ آب (١٩٨٠) •

الفصل السادس

خـــاتمة :

الاتجاهات الحديثة في دراسة ألف ليلة وليلة

ان مطالعة سريعة للدراسات النقدية التى ظهرت فى نهاية القرن التاسع عشر عن ألف ليلة وليلة يمكن ان تشير الى وجود ميل واضح للبحث التاريخى الأدبى والتحقيق لنقى • فكان ان ظهرت مجموعة كبيرة من الكتابات المعنية بتركيب الحكايات الأدبى وبمكانتها فى الأدب الروائى• وفي العقود الأخيرة من القرن الماضى كانت بحوث اوكست ميلر ونولديك واوستراب وآخرين معروفة ، لا سيما تلك المعنية منها بالسمات الخاصة بجنس الحكايات وأنماطها وأشكال نموها وتطورها على مر العصور (١) •

ولم يقتصر تأثير هذه البحوث والدراسات على الاهتمام النقدى حق بحكايات معينة وعقد قصصية متميزة : اذ انعكس بشكل واضح أيضا على المتابعات الأدبية عامة والتى تناولت موضوع حكايات شهر زاد بشكل أو بآخر • اذ اختفت تقريبا تلك التعميمات حول سدى الليالى ولحمتها والتى طبعت عددا كبيرا من المقالات والتعليقات التى ظهرت من قبل • وليس أقل تأثيرا مما ذكرت الببليوغرافيا العربية التى أعدها فكتور شوفن بين ١٨٩٧ ـ ١٩٠٤ ، والتى دونت النسخ والطبعات المختلفة من الليالى باللغات الأجنبية ، والمواضيع والاشارات الواردة عنها فى شتى المجلات والكتب • وبعد نشرها أقدم الأكاديميون على التعمق فى التاريخ الأدبى للحكايات والبحث بمنهجية فى ميـادين تأثيرهـــا على النتاج الروائى والقصصى العالمى (٢) •

وفى عرض نقدى للنسخة الجديدة من ترجمة ادوارد وليم لين نشرته مجلة بوكمن Bookman (عدد ٣١ ، اذار ١٩٠٧ ، ص ٢٥٨) يقول وليم اكسون : « ببلوغرافيا فكتور شوفن مخزن معلومات كامل حول التاريخ النقدى لألف ليلة وليلة وللحكايات المشابهة لها • وفى هذا الاتجاه يجب ان نبحث عن القيمة العلمية لليالى العربية » • ومحاضرة الأستاذ مكدونالد فى المؤتمر العالمى للعلوم والفنون بسنت لويس (٢٣ ايلول ١٩٠٤) هى اعتراف آخر بأهمية مسعى شوفن • فبعد ان توضحت أمامه عظمة تأثيرات الليالى على الآداب العالمية دعا ماكدونالد الباحثين للتنقيب عن آثر القصة العربية على قصص الرومانس الشائعة فى أوربا القرون الوسطى(٣) • وسواء رأينا فى هذه الدعوات جزءا من تطور الدراسة الأكاديمية مقرونة بالكشوف العلمية الجديدة أو تعبيرا عن الدعوة المتزايدة انذاك للعودة الى ينابيع الصدق والعفوية والحيوية والصفاء فى قصص الرومانس والأساطير

فان هذا الاتجاه فى دراسة الليالى العربية يعد تقدما ملحوظا فى نقد مكانتها الأدبية وتقويمها ٠

وبخلاف فقهاء اللغة فى أوائل القرن التاسع عشر ، فان باحثى أوربا فى نهاية القرن نفسه شرعوا أولا بفحص وتوزيع القصص المنفردة ومعرفة خصائصها وطبيعة نموها قبل البدء بمعالجة التعقيدات السلالية (من حيث الجذور والانساب) للكتاب برمته ٠ وما حققه هؤلاء فى هذا المجال ليس قليل الأهمية : فبدل استخلاص أدلة متفرقة تم تثبيت الطبقات المختلفة التى تتألف منها مجموعة الحكايات ، موزعين كل واحدة حسب السمات النمطية والدلالات التضاريسية (التبوغرافية) ٠ ومسعى كهذا لا بد ان ينطوى ـ وبمشروعيــة ـ على بحث دقيق واســع ليس عن الميزات الأسلوبيــة والقرائن الداخلية للعمل الفنى وحــده ، بل عن البراهين الخارجية أيضا ٠ بالاضافة الى التواريخ الأدبية العربية ، تم استقصاء ما يمكن ان ينم عن مصــادر فارسية أو هندية أو اغريقية اضــافة الى ما يتعلق بالحضارات القديمة كالبابلية والفرعونية ٠ وكان القصد من وراء حملات التنقيب والاستقصاء هذه تقرير ظروف الحـكايات وطبيعة هجرة وتغلغل بعض العقد القصصية والسمات الأخرى المميزة لحــكايات دون أخرى ٠ وقبل ولوج باب تفسير آثار هذه الجهود على ماتلتها من دراسات ، لا بد من التأكيد على ان هــذه النزعة الدراسية الأكاديمية التى نمت وتبلورت منذ أواخر القرن التاسع عشر مدينة لبعض مساهمات الرواد فى فترة الملكة فكتوريا والفترة السابقة لها ٠

وبقدر تعلق الأمر بالدراسة الأدبية التاريخية والتوثيقية للحكايات ، لا بد من الاعتراف بالجهود السابقة فى الاتجاه : فاذا كانت الدراسات الحديثة قد تميزت بوعى للتفاوت الموجود بين حكاية وأخرى وبحرص بالغ على الأدلة المتوفرة داخل كل واحدة وخارجها ، فانها مازالت تعتمد وبشكل ملحوظ على بعض المساهمات السابقة ٠ فحتى اذا استثنينا جهد ادوارد وليم لين القيم فى تفسير بعض الحكايات الاجتماعية والاخلاقية ، فان محاولته بين ١٨٣٨ ـ ١٨٤٠ لايجاد نص محقق لها ما زالت مثار اعجاب واحترام المحدثين من أمثال مياكير هارت لاحظ مثلا كتابها (فن السرد القصصى ، ص ٦٢ و ٢٥٢ ـ ٢٥٣) ٠

ولولا أهمية اسهام ادوارد وليم لين لما كان بالغ التأثير على الكتابات التى ظهرت خلال تلك المرحلة ولا سيما تلك التى جاء بها هاترسلى وباجوت وآخرون من أبرز كتاب العصر الفكتورى ٠

وعند ذكر المساهمات السابقة التى أتاحت المجال لنمو التيــارات

الدراسية الحديثة لا يمكن اغفال دور مجلة الاثنيم • ففي أعدادها (٥٧٢ ـ ٥٧٤) المنشورة بين تشرين أول ١٨٣٨ وتشرين أول ١٨٣٩ ، أبدى ناقدها تخصصا مرموقا في الأصول التاريخية لألف ليلة وليلة (٤)• ورغم انه أخذ بنظر الاعتبار وجهات نظر المستشرقين الكبار كالبارون دى ساسي وهامر وشليغل ولين والتي كانت سائدة انذاك ، الا انه كان واعيا تماما بالمزالق التي تحف عادة بممارسة الكتابة في ميدان التاريخ الأدبي ، لا سيما عندما تشح مصادر المؤرخ الأدبي التوثيقية (٥) • وهكذا لم يكن الناقد والمؤرخ المذكور مطمئنا تماما للنزعة التي كانت مميزة لاغلب كتابات معاصرية • والتي اعتمدت أصلا الدلالات والاشارات الواردة في كتاب كان قد مر بالحتم في سلسلة من عمليات التجميع والتحقيق متعرضا الى حذف وتغيير واضافة • لأن فحصا دقيقا وناقدا للحكايات لا بد ان يقنع القارىء بأنها الفت بشكل رئيس من قبل اناس غير متعلمين• اناس غير عارفين بتاريخ بلدهم ، وليس عدلا بعد ذلك ان ندعي دقة تاريخ ما ورد فيها ، وان نورد ذلك كبرهان لتأييد أو معارضة الآراء حول مؤلفي الكتاب وعصر التأليف ـ لاحظ العدد ٥٧٢ تشرين أول ١٨٣٨ ، ص ٧٣٧ • وفي اعتراضه على آراء (لين) حول (الأصول المصرية) في الكتاب ، يرى ناقد المجلة المتخصص المذكور ان الديانة الاسلامية منحت عادات وتقاليد المجتمعات الشرقية نمطية مميزة واضحة ، وسلسلة من النظم والمعايير التي طغت على الفوارق الأخرى التي يمكن ان تميز بين مجتمع وآخر ، موجدة بذلك تناسقا اجتماعيا وأخلاقيا تطرحه الحكايات بوضوح •

أما بالنسبة لبعض السمات (المصرية) الواضحة في الكتاب التي تنبه لها (لين) فانه يراها من وضع النقلة والجامعين والمحررين الذين لا بد ان يضعوا بصماتهم المحلية في الكتاب ، سواء جاءت هذه على شكل لهجة محلية أو عادات خاصة بالقاهرة أو غير ذلك (لاحظ مثلا العدد ٦٢٢ ، ايلول ١٨٣٩ ، ص ٧٤٢) •

ولا تقل أهمية عن ذلك مناقشة الناقد نفسه لـ « سلالة » الكتاب • فحيث يمتلك ناقد الاثنيم معرفة حسنة عن حب العرب للخوارق من ناحية والسرد القصصي من ناحية أخرى ، اعترف بوجود قصص (رومانس) تاريخية تعود الى ما قبل الفترة العباسية • وميز هذه عن الليالي . ذلك لأن الحكايات المذكورة تطرح اجواء شبه حربية معينة بالفرسان والنبلاء في مجتمع غير تجاري (مجتمع بداوة في هذه الحالة) • اذ تخلو هذه من التفاصيل والأحاسيس والعلاقات المنزلية والحضرية وكان ان اعتبر هذه ـ كقصة عنترة ـ حكايات تتجاوب مع روح الانسان العربي قبل

الاسلام . وأثر التوسع الحضرى فى العراق وسوريا ومصر ، كان ان ولدت حكايات أخرى تمتاز عن سابقتها بطرح واضح لأخلاقيات وطموحات الطبقات التجارية . ولكن بدل ان يطور ناقد المجلة الاثنيم منهجا اجتماعيا (سوسيولوجيا) فى دراسة (نمو) الحكايات كالذى جاء به وولتر باجت من بعد ، كان المحرر المذكور معنيا بالبرهنة على ان الطلب (الحضرى) على (المتعة) والأنس) دفع بالقاص لا لابداع أو تسجيل حكايات عن المخاطرة والفتوة حسب ، بل للاستعارة من الآداب الأجنبية للأمم الأخرى. ويذهب أيضا الى القول بأن الرواة وكتاب الحكايات فى العصر العباسى فعلوا ما فعله معاصروهم من فقهاء وعلماء اللغة والطب : فبحكم الازدهار الحضرى وجدوا أنفسهم يبحثون عن منجزات الأمم الأخرى فى شتى ميادين العلوم والفلسفة . فكان ان طوعوا آداب الأمم الأخرى ، آخذين منها ما يرونه شيقا وممتعا وجديدا . ويخلص الكاتب الى هذه النتيجة : « رغم ان الليالى عربية ومسلمة بروحها وطابعها العام . الا انها تحتوى على شذرات أجنبية غريبة على الثقافة العربية الاسلامية » . وكان ان اتفق مع ما ذهب اليه جوزيف فون هامر فى ان هزار افسانة (التى ذكرها المسعودى فى مروج الذهب) كانت قد ترجمت كليا أو جزئيا الى العربية وخدمت كقاعدة أو أرضية قامت عليها المجاميع التالية التى راجت فى الشرق « راجع عدد ٥٧٢ ، تشرين أول ١٨٣٨ ، ٧٣٨ – ٧٣٩ ».

واضافة الى هذه التخريجات ، كان ناقد الاثنيم قد جاء بأدلة خارجية لدعم استنتاجه عن وجود عمل يدعى ألف ليلة فى القرن الثانى عشر . واشارته لكتاب المقرى (تاريخ أسبانيا فى ظل المسلمين) – مخطوطة فى المتحف البريطانى ، رقم ٧ ، ٣٣٤ ، جزء ١٣٦ – ما زالت تؤخذ بنظر الاعتبار عند سرد الأدلة والشواهد التى جاء بها المستشرقون والمؤرخون ابتداء من هامر وتورينز وريثر وانتهاء بنبيه عبود .

والمهم فى الأمر : ان الذى قدمه الناقد والمؤرخ المذكور يعد أساسيا فى النتائج التى توصل اليها المحدثون : واذا استثنينا التباينات الجزئية حول تاريخ وحجم الحلقات فى الحكايات ، فان المستشرقين المحدثين أمثال لتمار وماكدونالد بلغوا نتائج لا تختلف أساسا عن تلك التى توصل اليها محرر (الاثنيم) : فهم يستخلصون ان هزار افسانه شكلت مصدرا رئيسا للحكاية الاطار (أى حكاية شهرزاد وشهريار ، وحولها جمعت الحكايات المعربة) التى استوردت وحورت وطوعت للمحيط الجديد بتقاليده وعاداته العربية الأصيلة حتى مطلع القرن السادس عشر حيث تكاملت المجموعة بشكلها المعروف والمتداول حاليا . وأهم من ذلك ان طريقة ناقد المجلة المؤرخ أثبتت جدواها علميا هى الأخرى فبدل ان يخلط بين العام والخاص –

أى بدل التعامل مع المجموعة ككل مجانس ــ أبدى وعيا بالجزئيات والأنماط والأجناس الروائية والأدبية التى تشكل الكل · وتأكيده على ضرورة عزل الدخيل والمنحول عن الأساس والأصيل عبارة عن اسهام ما زال يحظى باهتمام الأكاديميين ، ابتداء من اوكسيت ميلر وانتهاء باوستراب وهورفتز واليسيف ·

والاسهام الآخر الذى رفد الدراسات الحديثة لألف ليلة وليلة هو الذى قدمه (جون بين) فى نهاية القرن التاسع عشر ، اذ وزع الليالى حسب أجناسها ، واضعا الحكايات تحت أربعة عناوين رئيسة : ففى مقالته بمجلة New Quarterly Magazine لشهرى : كانون الثانى ونيسان ١٨٧٩) ميز الحكايات التاريخية وتلك المعنية بشخوص فعليين عن روايات الرومانس والوعظ · وفى موضوع دراسته للرومانس فرق بين الحكايات التى تعتمد الخوارق وتلك التى يمتزج فيها الواقعى والخيالى ، منبها أيضا الى الأقاصيص وحكايات الأشقياء والفتيان والتى أثرت كثيرا على (الرومانس) الأوربى فى العصر الوسيط ·

وبرغم ان محاولات الدارسين فى نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر لمعالجة نمو الرواية الشعبية كانت قد تأثرت أصلا بما كتبه وارتون وهيوت بهذا الخصوص ، الا انها توزعت فى اتجاهين بارزين : فكان أصحاب الاتجاه الأول قد قبلوا بنظرية وارتن وبعده (بنفى) وكولديك وكويلر ونولديك وليبرخت والتى تؤكد على ان (الرواية) كجنس أدبى اعتمدت أصلا على التأثير العربى ، فقامت على الرومانس الاوربى الوسيط الذى كان مدينا بشكل أساس الى المساهمات العربية الروائية ــ أما أصحاب الاتجاه الآخر ، فقد قبلوا بما جاء به كوكس وداسنت وماكس ميلر فى التأكيد على انحدارات لاريه · الا ان الافادة من العربية بدت واضحة وحاسمة ، وكان ان تنبه لها عدد كبير من المختصين ابتداء من هنرى ويبر ودنلوب وشارلز سوان وفرانس داوس وكتلى وبوب وانتهاء ب جون بين والمحدثين · ولكن مهما تكن أهمية المساهمات التى حصلت فى هذا الاتجاه لغاية العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر ، فانها تمت فى مرحلة لم تتوفر فيها دراسة جادة لطبيعة التأثير العربى على الآداب الشعبية كالأسبانية والايطالية والتى توفرت فيما بعد للمعنيين بالفولكلور ·

لهذا كان تى · اف · كرين محقا فى قوله (تموز ١٨٧٦) : انه من الصعب حاليا تقرير أمور نقل الحكايات الشعبية والافادة منها · ذلك لأن علم الفولكلور لم يتجاوز بعد المرحلة البدائية فى جمع المعلومات وتنظيمها North American Review ص ٢٦) ·

ولكن وفى نهاية القرن التاسع عشر ، وبعد ظهور عدد من الدراسات الوثائقية الرصينة عن أدب جنوب أفريقا والحكايات الشعبيه الأسيوية وتبلور اجتهادات حسنة عن الأنماط الادبية واللغوية فى الليالى : توفرت أرضية متينة يمكن الاعتماد عليها فى تحليل موضوعات وعقد روائية واجتماعية • وكانت بحوث (كلوستن) فى الأصول العربية لبعض الحكايات الأوربية من بين التطورات البارزة فى دراسة الليالى • ولا تقل أهمية عنها كتابات (ادوارد ياردلى) عن الاسهام العربى فى روايات الخوارق وبحوث ريهتساك وكوت وكيربى وسدنى هارتلاند وأخيرا جون مكيل أستاذ الشعر فى اكسفورد • وسواء كان هؤلاء معنيين بمتابعة الأصل العربى لبعض التقاليد الأوربية أو التعمق فى موضوع هجرة هذه وتداخلها فى الآداب الأخرى ، فان ما قدموه يعنى وعيا أكاديما بمدى تأثير الرواية العربية على هذه الآداب ، وبرغم ان ملفا خاصا يمكن ان يفرد لهذا التأثير فى أى كتاب اكاديمى معنى بالتاريخ الأدبى المقارن وبرغم ان هذا الفصل يمكن ان يعتمد على آراء هؤلاء وما خلفتها من دراسات لكن الملاحظ ان مؤرخى الأدب مازلوا يتجاهلون ذلك باصرار • وكان جوزيف كامبل محقا بكل تأكيد عندما انتقد فى مقدمته لنسخة الجيب من الليالى (عن Viking Press ١٩٦٧ ، الصفحات ٣٣ ــ ٣٥) مؤرخى الأدب الأوربيين الذين يسهمون فى « خرافة تثير الاستغراب حول عدم افادة الأدب الانكلو ــ أمريكى من آداب خارج حدود أوربا » ، مستمرين فى « اجترار وتكرار تلك القصة المدرسية البالية عن الاغريق والنهضة » •

اذ كما هو واضح ، كان للمساهمات العربية تأثيرها الكبير فى تطويع التذوق الحديث لألف ليلة وليلة • وسواء قادت هذه الى مزيد من الاستفسارات النقدية فى سدى الليالى أو حفزت الافادة الخلاقة من سماتها الفنية والمضمونة فان الدراسات المذكورة تركت آثارها الواضحة على الكتابات النقدية والابداعية فى القرن العشرين •

وكان ان ظهرت مقالات مطولة وبحوث تعالج مضامين بمفردها وتناقش جملة مسائل تتراوح بين الليالى وظروفها الاجتماعية وبين التعقيدات الفرويدية الدقيقة • وفى دراسة قصيرة معبرة عن السمات النمطية فى الليالى والتى تميزها كعمل روائى أثرى الروايات الغربية : (Comparative Literature الأدب المقارن عدد ١٨ ، ١٩٦٦ ، الصفحات ٦٣ ــ ٦٥) اكد ام سيسل على السمات الأساسية التى يجدر البحث عنها حين الشروع بتقييم أثر الحكايات على الكتاب الأوربيين • وفى دراسته لأثر الحكايات على (ادغار الان بو) كان الناقد قد شخص هذه لقصد متابعة طرائق الافادة والتمثيل فى كتابات بو ، ويذكر سيسل أن

(الحادثة المسرودة) هى مركز الجذب : فسواء كانت هده تثير العجب والرعب أو تناجى الرغبة فى كسب المال والحياة ، دن القصة لا بد ان تكون عند شهرزاد مشوقة تماما تحفز رغبة القارىء وتغذيها وتبقيهـا . أما الراوى فانه قلما يكون مشخصا باسهاب : فبدون تلكؤ يأتى صياد أو تاجر أو حلاق ليحكى قصته والتى لا بد ان تبرهن دوما على انها أكثر اثارة وجذبا من سابقتها . ولا يقل أهمية ذلك الايمان المطلق بالمشيئة الالهية : فالقاص العربى الوسيط لا يرى فرقا بين الدينى والدنيوى (بين الواقعى وبين الخوارق والغيبيات) فى عالم لا يمثل بالنسبة له غير افصاح عن سيادة الرب وقدرته المطلقة . وهكذا فى عالم شهر زاد غالبا ما تتجمهر الخوارق حولنا داخل عالمنا المحسوس دون ان تثير استغراب المستمع العربى . ومع ذلك فان هذا الاعتقاد ليس غريبا على الحياة العامة فى الحكايات : اذ ان شخوصها لا يرون تناقضا بين هذا الايمان وبين الارادة والعزيمة والذكاء والحيلة . فكما يرى السندباد ومرجانة : على الواحد الافادة ، قدر الامكان من دراسة البشرية لتجنب الأخطار المحدقة وتحويل الأحداث باتجاه مصلحته وكسبه .

ولدى رأى فى التعقيب على ما ذكره (سيسل) فى ميدان تأثير الحكايات على بو : ان الروائى الأمريكى تمكن بالتأكيد من الافادة كثيرا من مصادره فى بلورة تماسك فنى مميز ، وحيث انه عارف بالكتابات والديانة الاسلامية عموما ، فان بو كان أكثر قدرة على تميز السمات الفنية البارزة وتمثلها فى كتاباته ، مما دعا سيسل الى التحدث عن « الفن العربى » أو الـ Arabesque الذى ورد ذكره عند بو نفسه . لكن سيسل فشل فى « تنظير » طبيعة استخدام الراوى الوسيط لهذا الفن . ان (بو) وبحكم احاطته بالثقافة الاسلامية كان أكثر ادراكا لبعض السمات العامة فى الحكايات والتى يمكن ان تضيع على الناقد والقارىء فى زحمة التفاصيل والاشكالات : فاذا كان المصطلح Arabesque يستعمل من قبل النقاد فى القرن التاسع عشر والعصر الحديث للاشارة الى التصاميم والرسوم والخطوط المتشابكة التى تعتمد أشكال النباتات والأشجار – أى تلك النتاجات الفنية التى برزت فى العصر الاسلامى الوسيط – فان المصطلح نفسه يمكن ان يستعمل فى التعريف بالكتابة الروائية التى ازدهرت فى المرحلة نفسها . وشكله الذى هو عبارة عن تزويق نباتى مع أغصان تتوزع من جذع لولبى أو متشابك هو ذاته الذى يمكن متابعته فى ألف ليلة وليلة . كما ان قوانين هذا الفن كالتكرار الدقيق والكثافة تتشابه مع السمات التقليدية التى تحكم بداية ونهـاية كل حكاية والتفاصيل التى تفيض بها كل قصة . والراوى الوسيط – وبحكم كونه

متأثرا بنفس الاجواء التي يعيشها الرسام والخطاط ـ يرى في النباتات والأشجار قوالب تركيبية يمكن اعتمادها في البناء اللغوي والأدبي (الدلالة والبناء) كما اعتمدها معاصرو الفنان في التعويض عن الأجساد البشرية والنوازع القريبة الى شكل هذه الأجساد والتي يحرم عليه الدين الاسلامي الاكثار منها أو الالحاح والاسهاب في التعريف بها بما يجعلها نماذج صنمية أو مخلوقات مقدسة نهاه القرآن عنها في أكثر من مناسبة ٠ وبكلمة أخرى ، فان الفنان العربي الوسيط تحرج كثيرا من رسم الأجساد البشرية ، محاولا التعويض عن ذلك بنماذج لا بشرية ونباتية غالبا : فاذا كان تأليه البشر (برسمهم باسهاب وجلال) يتعارض مع تعاليم القرآن حسب ادراك الفنان الاسلامي الوسيط ، فان الشكل النباتي يبدو أكثر جدوى ومناسبة لا سيما وانه يعني افصاحا عن جلال الباري وعظيم خلقه ٠ وهكذا فان الراوي العربي الوسيط كان متحرجا هو الآخر في رسم شخوصه رسما متكاملا ، وكان يلجأ الى سطحية التشخيص وعفوية التعريف على الغالب ، في حين انه عوض عن هذا الضعف الفني باعتماد البناء النباتي تركيبا وباعتماد كثافة التفاصيل والصيغ المكررة لغة لضمان هيكل عام متماسك لحكاياته ٠ واذا كان الفنان الاوربي الحديث يستغرب هذه القدرة على اقران الشكل بالمضمون وبلورة وحدتهما في تماسك دقيق ٠ فان مرد هذا النجاح الفني ـ كما أرى في هذا المجال ـ هو تداخل المعتقد بأدق التفاصيل التي ميزت النتاجات العربية الوسيطة والتي ما زالت مثار تقدير واحترام أكابر الكتاب والفنانين (٩) ٠

لقد فات هذا التفسير العديد من الذين كتبوا عن القصة العربية ٠ وحتى مياكير هارت لم تتناول هذه المشكلات النظرية في كتابها (فن السرد القصصي دراسات حول ألف ليلة وليلة ـ برل ١٩٦٣) ٠ لكن اسهامها يعد برغم ذلك من بين الانجازات الأدبية الرائعة من حيث رصانة مدخلها وعمق اهتماماتها الأدبية ٠ فبعد ان اعتمدت نسخة (لتمان) الموثقة من ألف ليلة وليلة والافادة كثيرا من مهارات شوفن واليسيف وهوروفتز وماكدونالد واستراب الدراسية ، تمكنت كير هارت من البحث بتعمق في البناء الروائي العام للحكايات ٠ فكان ان وزعت محتويات الكتاب بين قصص عن الحب والجريمة والسفر والخرافة وأخرى عن الوعظ والتقوى : واذ تحتل الحكايات البغدادية مكانا بارزا في مجموعة الليالي ، اهتمت كيرهارت بالسمات « البرجوازية » ـ تقاليد الطبقات التجارية وهمومها بشكل خاص ـ للحياة الحضرية ، في حين أنها أولت شخصية الخليفة هارون الرشيد عناية خاصة محاولة تمييز ما هو تاريخي عما هو منسوب ومنتحل ٠ ولم تهمل كيرهارت الجانب التركيبي ـ الفني ، فكان

ان عالجت أساليب السرد القصصى المتعدد وأنماط القصص «الرئسيةوالاطر وفروعها » ، متوصلة الى نتيجة مجدية فى توضيح الغنى الفنى والاجتماعى لحكايات شهرزاد ·

واذا كانت كير هارت مولعة بالثراء المضمونى الليالى بشكل خاص ، فان تزيفتان تودوروف كان موفقا تماما فى اختيار قصص الخيالى فى ألف ليلة وليلة لتطبيق منهجه البنائى فى النقد الأدبى · وسواء نظرنا لكتابه (الخيالى) ـ الذى أصبح ذائعا فى أمريكا خلال السنوات الأخيرة ـ على أساس انه تعبير نقى عن الاهتمام الحديث بالقيمة الفنية الكاملة للعمل الابداعى ، أو على أســاس انه ازدهــار غير مباشر لبحوث أواخر القرن التاسع عشر فى الســمات النمطية لألف ليلة فان مدخل تودوروف فى دراسة العنصر الغريب والمدهش فى الحكايات يمثل تيارا واضـحا فى الدراسة الأدبية لألف ليلة : ذلك لأنه يتعامل مع الكلية الجمالية الليالى : أى مزجها الموسيقى بين الشكل والمضمون ·

يرى تودوروف ان العنصر (الفوطبيعى) فى الليالى هو من النمط (الاعجازى) والمثير للعجب فهو يتجاوز حدود الواقع ، متعاملا مع عالم ذى التزامات مغايرة تماما · ويقسم تودوروف (الاعجازى العجيب) الى ثلاثة أنماط : المغرق بالغلو ، والمجلوب الدخيل (الغريب) والذرائعى (الوسيلى) · وتحت الباب الأول (أى المغرق بالغلو) ادرج الناقد وصف السندباد للسمك الضخم والطيور الهائلة والأفاعى الرهيبة · وفى تلك الحكايات كان البحار يتحدث عن مخلوقات (فو طبيعية) بحدود تفوقها على المألوف · ولكن حتى عندما يتكرر هذا العنصر من قبيل المبالغة البلاغية عند الحديث عن بلاد غريبة ، فانه لا يشكل خرقا فاضحا لما هو عقلانى ·

ومن القصص نفسها أورد الناقد أمثلة حول (المجلوب الدخيل) · وفى مثل هذه الحالة يفترض فى المستمع أن يكون جاهلا بموضوع البلاد البعيدة القصية التى يصفها البحار · وعلى هذا الأساس ، فان القارىء لا يمتلك سببا للطعن بصحة المعلومات التى لا علم له أصلا بأولياتها · أما الاعجاز الذرائعى أو الوسيلى · فانه يتعامل مع نمط أدبى مختلف : فهو كمصطلح يتناسب فقط مع الوسائل والأدوات ذات الطبيعة السحرية كالبساط المسحور وتفاحة الشفاء فى قصة الأمير أحمد والحجر الدوار فى حكاية على بابا ·

وفى الاحاطة بالمغزى الأدبى للعنصر (الفو طبيعى) يوضح تودوروف ان هذا العنصر يتضمن تداعى الحدود والحواجز بين العقل والمادة ، بين الروحانى والجسدى وهو بالتالى له قوانينه الخاصة التى تتجاوز شروحنا

الاعتيادية حول الصدفة والقدر • ويورد الناقد قصة القرندل الثانى للاسهاب فى شرح الدور الدليلى للعنصر « الفوطبيعى » وفى هذه الحكاية ، فان المضمون الواقعى يبقى قائما ما دام بطل القصة يحترم بعض المحرمات• لكنه اثر تحديه لهذه وتجاوزها ، يتدخل الخارق بشكل جنى شرير يصر على معاقبة الأميرة ورفيقها الماجن • وتبعا لتحليل تودوروف ، فان تدخل (الخارق) هو أمر شديد الوضوح فى الأدب الخيالى والاسطورى • ووجود مخلوقات أكثر قدرة من البشر تعوض فى هذا الأدب عن نقص (سببية) الحدث : فاذا كانت أغلب الأحداث فى حياتنا اليومية تفسر من خلال الجدل المنطقى ، فان هناك أيضا حوادث أخرى لا يمكن ان تفسر بيسر على انها محض مصادفة • أما فى الأدب الخيالى فليس من مجال لهذا لنوع من التفسير ورغم اننا نميل الى اعتبار تدخل الجنى مجرد دليل آخر على تعاسة حظ القرندل فان علينا ان ندرك ان هذه الشخصية الرئيسة فى الحكاية ترى فى تدخل الجنى أمرا محتما فى عالم يحكمه القدر بكل قوة وجبروت الحدث السببى فى التفسيرات المنطقية • وبالنسبة لصاحب الحكاية (الأمير) ومستمعيه • فان هذا النمط السببى لا يقل أهمية وحسما عن غيره •

لكن تودوروف يخص «العنصر الخارق أو الفوطبيعى» بدون آخر فى الكتابة الخيالية (أو التصورية) • وخارج حدود أهميته الأدبية ، فان العنصر المذكور يقدم عادة كغطاء لتجاوز الرقابة والضوابط الاجتماعية والتخلص من الممنوعات والمحرمات المفروضة ذاتيا • ولكن حيث ان طبيعة هذه المحرمات تتنوع بين مجتمع وآخر ، فان الدور (الاجتماعى) للعنصر الخارق فى هذا الأدب يمكن ان يلاحظ فى ضوء المستويات والمبادىء الأخلاقية والاجتماعية فى ظرف معين • وليس مستغربا ان الخوارق والغيبيات فى الرواية القوطية تستعمل عادة للتهرب من هذه الممنوعات والمحرمات • أما فى القصص العربية فى العصر الاسلامى الوسيط فان الأمر مختلف •

اذ تعكس هذه واقعا اجتماعيا يكن احتراما خاصا لموضوع الحب والعواطف • واذا كان هذا الموضوع من محرمات الرواية القوطية فانه ليس كذلك فى الرواية العربية الوسيطة • ولهذا السبب فان للعنصر الخارق والغيبى دوره المغاير • ففى الرواية العربية يدخل هذا العنصر لتجاوز التمايزات الطبقية وبالتالى لتحقيق رغبة بطل الحكاية فى الزواج من الأميرة • ففى قصة « علاء الدين والمصباح السحرى » مثلا يمكن ان يبقى حب علاء الدين لابنة السلطان حلما أبديا لولا تدخل القوى الخارقة لاعادة ترتيب الأمور بما يكفل تحقيق رغباته •

ولا يقل اثارة عن هـــذا الجـانب تحليل الناقد للدور التركيبى (اللغوى) للجانب الخارق والغيبى فى الحكايات فهو يورد عددا من تلك القصص التى يبرز فيها الجانب المذكور بقصد تحريك عقـدة الحكاية وتنشيط السرد القصصى • ففى قصة « قمر الزمان » مثلا يعتبر سجن بطل القصة فى البرج « موقفا ثابتا » • ومن الناحية الفنية يعد ذلك انقطاع القصة : ولكن سرعان ما نشطت العقدة القصصية ثانية متخطية ذلك الجمود أثر تدخل الجنية (ميمونة) •

والشرح نفسه يمكن ان يتناسب مع موضوع حكاية القرندل الثانى : فطالما كان الأمير قادرا السيطرة على نوازعه وغرائزه مبقيا على صفاء ذهنه متخليا عن رغبته فى لمس الطلسمان ، يمكنه ان يعيش بسعادة مع الأميرة السجينة •

ولكن هذه القناعة تعنى ضمنا انقطاع القصة : وهو شىء لا يرتضيه الراوى بالتأكيد • واذ يتحتم عليه ايجاد قصة جيدة ليبقى على مستمعيه جاء بتطوير آخر للعقدة الروائية : قائلا ان البطل شرب كأسا من الشراب الذى دفعه الى تجاوز المحرمات ولمس طلسمان الجنى : وهو عمل أدى الى مجىء الأخير وتدخله لدهورة الهدوء والاستقرار والذى ميز ذلك القدر من الحكاية • وفى هذه القصة أصبح العنصر الخارق مرادفا للفنان نفسه فهو تعويض آخر عن رغبة القاص فى ايجاد حكاية مثيرة ولهذا السبب يخلص تودوروف الى نتيجة دقيقة مفادها « ان كل نص يتكرر فيه العنصر الخارق هو بالضرورة سرد ، ذلك لأن كل حادثة ذات سمة غيبية خارقة تأتى لتنقض استقرار سابقا وتعيد ترتيب الموقف » •

رغم ان تودوروف لم يلخص موضوعه بهذه الصورة الدقيقة المكثفة ، لكنه أورد أوليات فى تحليل النص الخيـالى ، وهى عندما تصقل فى استقراء موجز جاد لمدخله فى التعامل مع الجانب الاسطورى ــ الخيالى يمكن أن تكون مساهمة كبيرة الأهمية فى الدراسة الأدبية لألف ليلة وليلة• وتختلف اهتمامات تودوروف ــ على أية حال ــ عن الاتجاهات المميزة فى دراسة الليالى • اذ كان فورستر وجسترتون ونيوبى وقبلهم بورتر قد اهتموا بالناحية القصصية العامة • مؤكدين على السرد القصصى وعلى قيمة المضامين الفنية • ففى مقالة نشرتها مجلة (لسنر) ــ عدد ٣٩ بتاريخ ٢٩ كانون الثانى ١٩٤٨ ــ أكد نيوبى على المعتقدات السائدة فى الحكايات وذلك الميل للحب والمال الذى طغى على حكايات المدن بشكل خاص • والذى كان جديدا فى دراسة الكاتب المذكور هو تلك الاحاطة الحسنة بسخرية الراوى وميله الهزلى للهرج والطرب اليائسين : وبدل

ان يرى فى الحكايات « خيالات مقصودة » ـ أى بدل أن يرى الراوى أسير خيالاته وأفكاره وأحلامه وجد انها محملة بسخرية مريرة من أحلام اليقظة وخداع النفس · أى أن « الأوهام المقبولة » لم تكن غير ستارة لتعويض الرغبة المكبوتة فى الانفلات من الواقع ، وهى تحمل ضمنا حس الروائى بمرارة الواقع الرتيب والقاسى ·

أما بالنسبة الى بورتر وجسترتون فقد انجذب كلاهما الى تجربة شهر زاد بصفتها راوية · ففى مطلع القرن العشرين نبهت بورتر فى (Woman's Home Companion) عدد ٤٠ ، شباط ١٩١٣ ، صد ١٦ ـ الى ان السرد القصصى المتداخل ليس مجرد خيط سردى لجمع أطراف الحكايات ، اذ انه مرادف لذلك (السحر) نفسه الذى يتخلل (مضامين) الحكايات · واذا كان السحر يحيل المألوف والعادى الى أشكال جلالية ، فان (خيال) شهر زاد يخلق (حكايات) أخاذة من مواضيع مألوفة ومطروقة ، مالكة انتباه السلطان من جهة وجاعلة منه فى الوقت ذاته متذوق أدب · واستنتاج Porter ليس بعيدا عن تثمين Chesterton لجماليات شهرزاد : ففى مقالة بعنوان (الليالى الأزلية) اعتبر الكاتب مشاهد الثراء والبذخ فى الحكايات رموزا لغنى الحياة ذاتها · ففى كتابه (بهارات الحياة وحكايات أخرى ، ١٩٦٤ ، ص ٥٨ ـ ٦٠) يقول :

« ان غنى الذهب والفضة والمجوهرات هى مجرد رمز وتمثيل لفكرة رئيسة ، تلك هى ثراء الحياة الخصب الأزلى » ·

ويوضح النقطة أكثر · قائلا : « ان العقيق والزمرد والصندل بغناها وغلائها ما هى الا رموز للصخور والغبار والكلاب التى تركض فى الشوارع » · وفى ضوء هذا التفسير ، فان طول الحكايات له مغزاه · ذلك لأن الراوية (شهرزاد) تتخذ من هذا الاسهاب القصصى الأخاذ وسيلة لشد انتباه السلطان وضمان السيطرة على ميله للتسلط : ان طول الحكايات هو وحده الذى يضمن لشهر زاد الحياة · يقول جيسترتون بهذا الخصوص :

ان المتجبر المستبد يمكن ان يدير الممالك ويحكم الجموع ، لكنه يعجز عن معرفة ما حل بأمير أو أميرة خرافيين الا اذا استفسر عن ذلك ، كان عليه ان ينتظر الاجابة ، وان يستمع متضرعا الى خادم تعيسة تأتيه بخاتمة حكاية قديمة · ولم يسبق ان يعلن فى كتاب آخر مثل هذا الاطراء لاستقلالية الفن الذاتية ·

وبرغم ان Chesterton وضع يده على المغزى النهائى لفن شهر زاد ، الا انه لم يكن أول من نبه الى هذا الأمر · اذ سبق

E. M. Forster ان تحدث عن قدرتها فى (شهر سلاح الاثارة والترقب) لكى تتجنب حتفها • ويعترف فورستر بأن هذه الراوية الفريدة تمتلك مقومات الابداع الفنى « الوصف الدقيق والأحكام المتريثة المتسامحة والحوادث الفريدة والأخلاقية المتقدمة والوصف الحى للشخوص والمعرفة الخيرة بثلاث عواصم شرقية » • لكنه يرى أيضا ان شهرزاد « تمكنت من البقاء والخلود لأنها جعلت من الملك يتعجب باستمرار ، مشدوها حول ما يمكن ان يحصل لاحقا » — (طبعة ١٩٦٨ ، سمات الرواية ، ص — ٣٤) وحسب اجتهاداته فى تفسير الفن القصصى ادخل فورستر هذه التجربة كبرهان ودليل حاسم على أهمية السرد المتماسك فى الكتابة الروائية •

ولا تقل أهمية عن هذه المداخل النقدية والنظرية المحاولات التى جرت فى هذا القرن لتضمين وتمثيل بعض المفاهيم والتقنيات العربية فى الكتابات الروائية • كانت مسرحية فلكر « حسن » مثالا رائعا على طبيعة الانبهار بالشرق من جهة وتمثل المعلومات المتوفرة عنه من جهة أخرى • واذا كان « الرشيد » بالنسبة للكاتب الفكتورى هو ذلك الخليفة الرائع العادل والحكيم الذى يتغنى بذكراه الفريد تينسون ، فانه بالنسبة لفلكر ذلك المتغطرس الجبار والعصابى المتجول ليلا الذى طرحه John Payne (جون بين) فى نهاية القرن التاسع عشر فى مقالاته • ورغم نجاح مسرحية فلكر الشعرية الا انها تعتنى ضمن تاريخ الأدب الانكليزى ارتدادا على ذلك الشوق والحنين الرومانسى الى العصور الوسيطة والتى تحتضن ضمنا الفترة العباسية أيام خلافة الرشيد) • ويتأكد هذا الرأى عندما نرى ان « وليم بتلر ييتس Yeats » — الذى عاد الى الينابيع القديمة ينهل منها ما يشاء فى وعاء نفسى جديد يمتزج فيه الرومانسى بالعواطف الآتية — عارض اتجاه فلكر متهما اياه بالأنانية والبؤس النفسى والذهنى • ويضيف Yeats ان فلكر ما كان يجب ان يعتمد مصدرا معينا بقصد تشويه صورة الخليفة • وحتى اذا توفرت مراجع تؤيد وجهة النظر المطروحة فى مسرحيته ، الا ان الأدباء الانكليز — كما يرى ييتس — عرفوا الرشيد من خلال قراءة الليالى « فنحن نعرف الخليفة الرشيد من خلال ألف ليلة وليلة ، وفيها بدا أعظم الوجوه التراثية فى كرمه وعطائه وبهائه — » (٧) •

وعلى العكس من اتجاه (فلكر) فى الافادة من المراجع المتوفرة • كان Chesterton يهرب من هذه على أساس انها تنهى ذلك البهاء والغموض الذى يطغى على صورة الشرق فى المراحل السابقة • وفى رد فعل حاسم على المعلومات الغزيرة المتوفرة عن الشرق التى تكبل الشاعر المحدث تخلى

جسترتون عن كل هذه ، عائدا الى الصور القديمة عن بلاد الشرق المطروحة فى الكتابات الأوربية الوسيطة • وهكذا جاءت قصيدته Lepanto اجترارا للصور الموروثة عن العصور الوسطى •

أما بالنسبة لوليم سيدنى بورتر (O. Henry) فانه حاول تقليد أسلوب شهرزاد فى السرد فكان ان قرأ فى دور الخليفة الرشيد (وهو يفتش ليلا فى شوارع بغداد عن المغامرة) رمزا للروائى والقاص وهو يبحث عن مادته فى المدن الحديثة • وفى ضوء هذا الاستنتاج اندفع (أو • هنرى) مفتشا عن مادته فى الحياة اليومية لمدينته نيويورك • ففى « طير من بغداد – ١٩١٩ » يقول :

يمكن ان تكون عارفا بتاريخ ذلك الخليفة الخالد المجيد هارون الرشيد ، والذى كانت جولاته الحكيمة النافعة بين أبناء مدينته بغداد قد أتاحت له مزية انقاذهم من البلاء : وبطريقتى المتواضعة ، فانى أحذو باحثا عن الرومانس والمخاطرة فى شوارع المدينة ، وليس فى قصور خربة •

وهذا الولع بالسرد القصصى وبمادة الحكايات البغدادية هو ذاته الذى يمكن متابعته فى كتابات الروائى الأمريكى الحديث جون بارث • لكن هذا الروائى يولع بشكل خاص بمغزى التجربة الفنية ذاتها ، أى بتلك الاستقلالية الذاتية التى تجعل تجربة شهرزاد أكثر قدرة على الديمومة من الكتابات الآنية والتاريخية المختلفة • ففى (دنيا زادياد) كان جنى السرد القصصى يطرح نفسه بديلا للمؤلف الذى يعتمد « مخزون شهر زاد من الأنماط القصصية والامكانات الفنية » • وبالنسبة للروائى ، فان وضع بديله فى ثقافة بعيدة وغريبة مسألة ضرورية بغية الخلاص من النماذج والأجناس المملة المستهلكة • وهو بعودته هذه انما يرجع الى المصادر الحيوية الغنية للأشكال الأدبية • كان بارث معجبا بالتركيب المتداخل لليالى على انها تكوين يغنى الرواية الغربية ، ودليل على ثراء خيالى خلاق • فبمغنطة القارىء دون وعيه بسر هذا الفن الغاوى يبدى القاص قدرة سردية متفوقة يجب اعتمادها للخلاص من التقاليد الرثة اليابسة فى الكتابة الحديثة : هذا هو رأى بارث ، وهذا سر ولعه بالحكايات •

وعند مراجعة هذه الاتجاهات فى فهم الليالى العربية لا بد ان نعى حقيقة ان الأجيال المختلفة تجد أشياء متجددة باستمرار فى هذه الحكايات الثرية • وبرغم ان ردود الفعل المعاصرة لا بد ان تبنى على ردود سابقة – كما بدا من خلال اعتماد اللاحقين لبحوث أسلافهم فى بعض سمات

الليالى – الا ان هذه الردود تتميز بقدرة على استيعاب بعض (الصفات الأزلية) في الفن القصصي ، أي تلك المزايا التي تجعل تجربة شهر زاد تجربة فنية متجددة وأزلية خارج الأطر التاريخية والأهمية الخارجة على النص الأدبي :

وبرغم ان الباحث مازال يجد في الليالى أكثر من صورة اجتماعية ونفسية ومشكلة فلسفية تستحق الدراسة والمتابعة ، الا ان هذه الحكايات تبدو للروائي الحديث والناقد الادبي المتخصص ينابيع الفن القصصي . تمتلك مواصفات ومزايا لا بد ان يراجعها باستمرار قبل ان يواجه مشكلة الكتابة ·

هوامش الفصل السادس :

(*) تشكل هذه الدراسة موجزا لبحث بالانكليزية نشر في مجلة Muslim World التي يصدرها معهد مكدونالد للدراسات الاسلامية في هارتفرد بأمريكا ·

(١) في Encyclopedia of Islam التي أشرف على اعدادها نخبة من المختصين يفرد Littmann فصلا خاصا عن ألف ليلة يذكر به أبرز هذه الدراسات يمكن أيضا ملاحظة كتاب Mia Gerhardt (فن السرد القصصي) من منشورات برل (١٩٦٢) ص ٤٧٥ – ٤٧٨ ·

(٢) بقدر ما تعلق الأمر بالدراسات الانكلو – أمريكية تعتبر كتابات المستشرق المرحوم مكدونالد من بين أهم ما نشر بصدد البحث في تاريخ الحكايات · في حين أن كتابات – مارثا كونانت ووتفورد ووليم اكسون تمثل ولع المثقفين في مطلع القرن العشرين بتأثير الليالى على الأدب الانكليزي · ومقارنة بين نتاج مكدونالد من جهة وآراء الأدباء المذكورين من جهة أخرى يمكن أن تهدينا الى سر الميل المتزايد في البحث عن تاريخ الحكايات وسلالتها ونموها ·

(٣) The Problems of Muhammadanism
The Hartford Seminary Record XV (Nov. 3, 1904-5) 82.

(٤) ذكر شوفن (الجزء الرابع ، ص ١١٦) أن كاتب المجلة هو فوربز فالكونر ، لكنه يمكن أن يكون مخطئا ، ذلك لأن المستشرق الأسباني (دون باسكار دى كاباتكوس) – الذي أصبح وزيرا للتعليم العام في أسبانيا – كان يعرض الكتب الشرقية لمجلة اثنيم في نهايات الثلاثينات · واشاراته الى مخطوطات المتحف البريطاني تدل على ذلك ، اذ ان (المتحف البريطاني) وضعه مسئولا آنذاك عن أرشفة المخطوطات الاسبانية فيه ·

(٥) برغم أن كتابات دى ساسي وشليغل وهامر ظهرت بالفرنسية والألمانية أصلا ، لكنها كانت ذائعة بنصوص انكليزية أيضا وظهرت مناقشة دى ساسي لما اعتبره (الأصل السوري) للحكايات في المجلة الآسيوية (تموز ١٨٢٩) في حين أن الأدلة التوثيقية التي جاء بها هامر حول نمو وتبلور (الحكاية الاطار) ظهرت في مقالته عن الشعر العربي

New Monthly Magazine ، عدد كانون الثاني ١٨٢٠) . أما مناقشة (لين) للموضوع فقد تضمنتها مقالته الختامية في الجزء الثالث من ترجمته الف ليلة وليلة . وكان هنري تورينز قد ساهم هو الآخر في هذه المناقشات ، وذلك في (ملاحظات عن أم . شليغل واعتراضاته ...) والتي نشرتها مجلة المجمع الآسيوي في عددها ٦٣ (آذار ١٨٣٧) .

(٦) تمثل هذه الخلاصة النظرية شيئا من فكرة أوسع يشتمل عليها موضوع كتاب قادم « الرواية العربية : البدايات » .

(٧) Explorations (London : MacMillan, 1962) pp. 447-48.

فهرست المصادر والمراجع المختارة

ملاحظات تمهيدية

ان أغلب الفقرات المدرجة فى هذه الفهرسة هى المنشورة والمكتوبة بالأنكليزية ، وتلك التى لها علاقة مباشرة بموضوع البحث ، وتنقسم هذه الفهرسة حسب الطرائق المكتبية المتبعة حديثا فى أربعة أبواب رئيسة :

ـ الكتب المرجعية ٠

ـ نسخ ألف ليلة وليلة وطبعاتها المختلفة باللغة الانكليزية ٠

ـ الصحف والمجلات والكتب التى ظهرت بين ١٧٠٤ ـ ١٩١٠ فى انكلترا ، وهى تشكل لذلك مصادر البحث ، علاوة على الترجمات المتعددة من الليالى بطبعاتها المتعددة ٠

ـ أما الباب الرابع فهو باب المصادر من كتب ومجلات ومخطوطات درست موضوعة ألف ليلة وليلة فى القرن العشرين ٠

والكتب المرجعية المدرجة فى مقدمة الفهرسة تهـدف الى تعريف القارىء بالكتب والمخطوطات التى لا بد من البدء بمطالعتها عند الشروع ببحث الظواهر التى يعنى بها كتاب من هذا النوع ، أو يروم الدارس تطويرها فى مقالات أو كتب مفصلة فى المستقبل ٠

أما نسخ ألف ليلة وليلة وطبعاتها المختلفة الصادرة خلال القرنين الماضيين ، فانها تستحق اهتماما واضحا من قبل الدارس والمتخصص ، فهى بأشكالها المتنوعة وأساليبها وتعرضها للاختصار أو التغيير أو حتى الدس والتلفيق تحكى أذواق جمهور معين فى مرحلة معينة من الثقافـة الأوروبية ٠

واذا كانت هذه النسخ والطبعات تكون المادة الأساسية فى مكتبة الباحث عن سر رواج الليالى فى أوروبا ، وعلاقة الرواج المذكور بنظرية الأدب ، فان هذه المادة لا يمكن ان تلاحظ بمعزل عن الكتب التى ظهرت

تقليدا للحكايات العربية ، ولا عن مذكرات معاصرى تلك المرحلة ، ونقدهم وملاحظاتهم بين ١٧٠٤ ــ ١٩١٠ وينقسم هذا الباب الى قسمين :

يشتمل الأول على دراسـات مسهبة ومذكرات ورسائـل وتعليقات وكذلك على الكتب المعدة عن الحكايات العربية أو المعتمدة عليها ٠

أما القسم الثانى منه فمعنى بمقالات المجـلات والصحف المعاصرة لظهور الليالى ، وهى موزعة فهرسيا وأبجديا حسب عناوين كل منها ، أما الكتب الثانوية ، فهى تشتمل على كل ما يقع خارج الاطار التاريخى لموضوع البحث ، حيث تصبح الكتب والمقالات النقدية خارج ١٧٠٤ ــ ١٩١٠ دراسـات نقدية مستقلة ، وان بدت مفيـدة فى تشخيص بعض التيارات السالفة ٠ وتتوزع المصادر الحديثة هذه بين مطبوع وغير مطبوع (حيث المخطوط المتوفر فى خزائن المكتبات العالمية) ٠

ويمكن لهـذه الفهرسة ان تطور مستقبلا : حيث يضـاف اليها ما يستجد فى انكلترا من بحوث وما كان متوفرا فى الآداب الأخرى ٠ وهى باعتمادها طرق التدوين والتقصى الحديثة تضع لبنة فى حفظ الأمانة العلمية ، وأهمية مراعاة جهد الآخرين ، سواء اتفق الجهد مع ما نريد أو تعارض معه : فالمكتوب المدون والمخطوط يخص الانسانية ، وتخطيه لسبب أو لآخر لا يضر غيرها ٠

واملى ان تقدم (الفهرسة) للباحث فى الآداب المقارنة عونا فى مجال رحب ، لكنه شاق وعسير ٠

المؤلف

المراجع الرئيسة والكتب الفهرسية المساعدة :

أعدت هذه القائمة من أجل القراء الذين يعنيهم البحث في قضايا الاستشراق والتأثيرات الأدبية · وعلاوة على فهارس المتحف البريطاني ومكتبة الكونغرس ، وكتاب هلن كشنغ وايدا مورس الذائع مرشد القارىء الى أدب الصحافة في القرن التاسع عشر وفهرست الانسانيات الانكليزية وفهرست المقالة والأدب العام ١٩٠٠ ــ ١٩٣٣ (واضــافاته) ومختار عروض الكتب والفهرست الببليوغرافي (وكلها بالانكليزية) فان الفقرات المدرجة في أدناه كبيرة الفائدة والنفع :

Altick, Richard D. and William R. Mathews. **Guide to Doctoral Dissertations in Victorian Literature, 1886-1958.** Urbana, Ill., 1960; rpt. Westport, Conn. : Greenwood Press, 1973.

Baker, Ernest and James Packman. **A Guide to the Best Fiction, English and American, including Translation from Languages.** New ed.; London : Routledge 1967.

Baldensperger, F. and Werner P. Friederich. **Bibliography of Comparative Literature.** 1950; rpt. N. Y. : Russell, 1960.

Bateson, F. W., ed. **The Cambridge Bibliography of English Literature.** 4 vols. Cambridge, England : Univ. Press, 1941.

Block, A. **The English Novel, 1740-1850 : A Catalogue Including Prose Romances, Short Stories, and Translations of Foreign Fiction.** New ed. ; London : Dawsons of Pall Mall, 1961.

Brockway, Duncan. «The Macdonald Collection of Arabian Nights : A Bibliography.» **Muslim World,** LXI (1971), 256-66; LXIII (1973), 185-205; LXIV (1974), 16-32.

Burton, Richard F. «Terminal Essay,» **Book of the Thousand Nights and a Night**. Vol. 10. London : **Burton Club for Private Subscribers** only, n.d.

————. «Biography of the Book and its Reviewers Reviewed,» **«Supplemental Nights, Vol. 6. London : Burton club for private subscribers only, n.d.**

Catalogue of Additions to the MSS. Plays Submitted to the Lord Chamberlain, 1824-1851. B.M. Publications, 1964.

Chauvin, Victor. **Bibliographie des ouvrages arabes ou relatifs** aux Arabes publies dans l'Europe Chretticnne, 1810-1885. Vols. IV-VII, **Les Mille et une nuits.** Liege : H. Vaillant-Carmanne, 1897-1904.

Conant, Martha Pike. **The Oriental Tale in England in the Eighteenth century (with appendices). N.Y. : Columbia Univ. Press, 1908.**

Dibdin, Charles (the elder). **Complete History of the English Stage.** 5 vols. London : The author, 1797-1800.

Dyson,, A.E., ed. **The English Novel : Select Bibliographical Guides.** London Oxford Univ. Press, 1974.

Farrar, C.P. and A.P. Evans. **Bibliography of English Translations** from Medievel Sources, N. Y. : Columbia Univ. Press, 1946.

Firkins, Ina T. Eyck. **Index to Plays, 1800-1926.** N.Y. : H.W. Wilson, 1927. Supplement, 1935.

Friederich, Werner P. and David H. Malone. **Outline of Comparative Literature from Dante Alighieri to Eugene O'Neill.** Chapel Hill : Univ. of North Carolina, 1954.

Genest, J. **Some Accounts of the English Stage, from the Restoration in 1660, to 1830. 10** vols. Bath : T. Rodd, 1832.

Hachicho M. Ali. «English Travel Books about the Arab Near East in the Eighetenth Century, «**Die Welt Des Islams,** IX (Leiden, 1964), 1-206.

Houghton, Walter E., ed. **The Wellesley Index to Victorian Periodicals 1824-1900. Toronto** : Toronto Univ. Press, 1966-

Kirby, W. F «Contributions to the Bibliography of the Thousands and One Nights and their Imitations,» Appendix II to Burton's **Book of The Thousand Nights and a Night.**

Lowndes, William Thomas. **The Bibliographer's Manual of English Literature.** 6 vols. 1834 ; rev. ed. by H. Bohn. London : Bell and Baldy, 1869.

Mcburney, W.H. **A Check List of English Prose Fiction, 1700-1739.** Cambridge Mass : Harvard Univ. Press, 1960.

———. **English Prose fiction, 1700-1800, in the University of Illinois Library.** Urbana : Univ. of Illinois Press, 1965.

Macdonald, D.B. «A Bibliographical and Literary Study of the First Appearance of the «Arabian Nights» in Europe,» **Library Quarterly, II, No. 4 (Oct. 1932), 387-420.**

McNamee, Lawrence F. Dissertations in English and American Literature Accepted by American, British and German Universities 1865-1964. N.Y. : R.R. Bowker, 1968 (with two supplements covering 1964-1968, 1969-1973).

Manzaloui, Mahmoud A. «Arabian Nights,» **Cassell's Encyclopaedia of Literature.** Ed. S.H. Steinberg. 2 vols. London : Cassel and Co., 1953.

Mayo, Robert D. The English Novel in the Magazines, 1740-1815 : **with a Catalogue of 1375 Magazine Novels and Novelettes.** Evanston : Northwestern ; and London : Oxford Univ. Press 1962.

Nicoll, Allardyce. **A History of English Drama, 1660-1900.** Rev. ed. 6 vols. Cambridge : Univ. Press, 1952-1959. vol. 6 tilted : **A Short-Title Alphabetical Catalogue of Plays Produced or Printted in England from 1660 to 1900.**

Pearson, J. D. **Index Inslmicus. A 'Catalogue of Articles on Islamic Subjects Published in Periodicals, 1906-1955.** Cambridge : Uni. Press, 1960 (with four supplements jointly edited).

«Register of Lord Chamberlain's Plays, «Vols. I-VI, covering 1824-1897. B.M. Add. MSS 53, 702-707.

Sadleir, M., ed. **Nineteenth-Century Fiction : A Bibliographical Record based on his Own Collection** 2 vols. Cambridge : Univ. Press, 1951 ; rpt. N.Y., 1969.

Schweikh, Robert C. and Dieter Riesner. **Reference Sources in English and American Literature ; An Annotated Bibliography** N.Y. Norton, 1977.

Selim, G., ed. **American Doctoral Dissertations on the Arab World.** Washington : Library of Congress, 1970.

Stucki, C.W. ed., **American Doctoral Dissertations on Asia, 1933-1958 Ithaca : Cornell Univ. Press, 1959.**

Tobin, J.E. **Eighteenth Century English Literature and its Background : A Bibliography.** N.Y. : Fordham Univ. Press, 1939.

Ward, William S., ed. **Literary Reviews in British Periodicals, 1798-1820.** A Bibliography with a Supplementary List of General (Non-Review) articles on Literary Subjects. 2 Vls. N. C. : Garland, 1927. (Another vol. covering 1821-1826, 1977).

Wright, L. H. **American Fiction, 1774-1850 : A Contribution Toward a Bibliography.** San Marino, Calif. : Huntington Library, 1965.

———. **American Fiction : 1951-1875 : a Contribution Toward a Bibliography.** 1957; 2nd ed., San Marino, Calif. : Huntington Library, 1965.

———. **American Fiction, 1876-1900 : a Contribution Toward a Bibliography.** San Marino, Calif. : Huntington Library, 1966.

Wright, R. G. and B.E. Rosenbaun (comps). **Chronological Bibliography of English Language Fiction in the Library of Congress Through 1950.** 8 vols. Boston : Hall G.K. and Co. 1974.

———. **Title Bibliography of English Language Fiction in the Library of Congress Through 1950.** 9 vols. Boston : Hall, G.K. and Co., 1976.

المصـــادر

النسخ الرئيسة والمختصرات الشائعة والطبعات المصورة الرائجة

ليس هنا المكان المناسب للبحث في موضوع تاريخ ظهور الليا لى الاول بالانكليزية ، ولكن يمكننا القول ان طبعة التى ظهرت فى اثنى عشر جزءا عام ١٧٠٨ هى طبعة ثانية لنسخة ١٧٠٤ . وكان اعلان عن طبعة جديدة من ثلاثة أجزاء قد ظهر فى كتاب Diverting Works of the Countess D'Anois (1707) رحت فى الأسواق ثالثة فى سبعة مجلدات فى عام ١٧١١ (راجع Term Catalogues المجلد ٣ ص ٦٧٧ ـ ٦٧٨) . وكانت الطبعة الرابعــة قــد ظهــرت بأثنى عشر جزءا عن دار نشر Bell بين ١٧١٣ ـ ١٧١٥ . أما الخامسة فقد ظهرت مجلدة فى أربعة أجزاء عن الناشر نفسه أيضا بين ١٧١٧ ـ ١٧٢٢ . فى حين ان السادسة صدرت عن دارى نشر اوزبورن ولونغمان فى عام ١٧٢٥ . أما السابعة فقد ظهرت فى ستة أجزاء مجلدة . واصدرها الناشر Powell Risk فى دبلن عام ١٧٢٨ . أما الثامنة فقد ظهرت فى ثمانية أجزاء وعن دار نشر لونغمان فى عام ١٧٣٦ . وظهرت العاشرة فى دبلن أيضا وبأربعة أجزاء عن الناشر وايتستون فى عام ١٧٧٦ . أما الطبعة الرابعة عشرة فقد أصدرها الناشر Buchanan, Mudie فى عام ١٧٩٣ . وكانت التاســعة عشرة قــد أصدرها بوكانن نفسه فى عام ١٧٩٨ . وذاعت نسخة مجلة الروائى التى احتواها مجلد المجلة المعروف فى عام ١٧٨٥ معززا بلوحات اى . اف . بيرنى . أما بالنسبة للطبعات المتسلسلة التى ظهرت فى الصحافة انذاك ، فقد عالجها روبرت دى . مايو . أما فهرست شوفن فقد نشر كثيرا عن أنواع الطبعات الرخيصة . وأغلب الطبعات المدرجة فى هذه القائمة هى المعتمدة على النسخ الانكليزية الرئيسة المترجمة عن ألف ليلة . وهى اى الترجمات الرئيسة ـ مؤشرة فى هذه الببليوغرافيا .

أما طبيعة تنظيم الفهرسة هنا فقد اعتمدت المؤلف (سواء أكان هذا معدا أو مترجما أو محررا) وفى حالات أخرى ، ولمجهولية هؤلاء ، تم اعتماد زمن ظهور النسخة أو الطبعة عندما تتعدد الفقرات التى تحمل عنوانا واحدا .

Adventure of the Hunch-back, and the Stories Connected with it. From The Arabian Nights Entertainments. With engravings by William Daniell from pictures by Robert Smirke, London : Daniell, 1814.

Aladdin; or, the Wonderful Lamp. A delightful Story, selected from the Arabian Nights' Entertainments, and on which the pantomime of the name is founded ; which is now performing, with universal applause at the Theatre Royal. London : Hardy and Co., 1789.

————. London : Tabart, 1805.

————. A new and corrected edition. London : New —Juvenile Library, 1816.

————. Corrected and adapted for juvenile readers ... by a lady. London : Dean, 1840.

————. With an introductory sketch. N.Y. Maynard, Merrill, 1894.

————. Retold in rhyme by Arthur Ransome. London, n.d.

Arabian Nights Entertainments : Consisting of One Thousand and One Stories : Translated into **French** from the **Arabian** MSS. by M. Galland of the Royal Academy; and now done into **English** from the last Paris edition. 4 vols. London : Longman, 1783.

————. 3 vols. London : Suttaby, 1807 (with an interesting prefatory discourse).

————. **To which is added a Continuation of the Arabian Nights' Entertainments.** 2 vols. Liverpool : Nuttall and Fisher, 1814.

————. Illustrated with engravings from designs by R. Westall. 4 vols. London : Broekers and Baldwin, 1819.

————. **Selected and revised for general use, to which are added other specimens of Eastern Romance.** Select Library edition. 2 vols. London : James Burns, 1847 (with a preface).

————. In 39 pts. London : Lloyd, 1847.

————. A New and complete edition with illustrations by S.J. Groves 2 vols. Edinburgh : Nimmo, 1865.

————. In which **Vathek** is included. London : Griffin, 1866.

————. With numerous Illustrations by Frederick Gilbert. London Dicks, 1868.

————. With illustrations by Thomas B. Dalziel. London : Routtledge, 1877.

————. With Fourty four illustrations by Dalziel Brothers. Sixpenny Series. London : Routledge, 1882.

————. Aldine edition. London : Pickering and Chatto, 1890.

————. Lubbock's Hundred Books, no. 57 Routledge, 1893.

————. With sixteen illustrations by F. Pegram. London Service and Paton, 1898.

————. With Illustrations by W.H. Robinson, Stratton, A.D. McCormick, A L. Davis and A.E. Norbury. London : Newness, 1899.

————. With Hundred illustrations in photogravure by S. Wood 6 vols. London : Dent, 1901.

«Arabian Story,» **Classical Journal,** XXI, no xli (March 1820), 33-35. (An abridged translation of «Keid Al nesa,» also retold in Alaric A Watts' **Literary Souvenir,** 1831, as «Woman's wit,» p. 217. See Chauvin, vi, 173).

Baskett, George C., ed. **Selections from the «Arabian Nights.»** Rewritten from the original English version of Dr. Scott, for use in schools. Bell's Reading Books. London, 1885.

Beaumont, G. S., tr. **Arabian Nights' Entertainments : or the Thousand and one Nights, Accurately describing the Manners, Customs, Laws, and Religion of the Eastern Nations.** 4 vols. London: Mathews and Leight, 1811 (Kelley's edition, 4 vols. in one, appeared in 1817).

Beauties of the Arabian Nights Entertainments, consisting of the most entertaining stories. London, 1792 (Dick's edition appeared in 1808).

Beloe, William tr. **Arabian Tales; or A Continuation of the Arabian Nights Entertainments.** 3 vols. London: Faulder, Hookham and Carpenter, 1794 (with a preface). (For Beloe's contribution, see D.B. Macdonald's marginal note in his own copy, deposited at the Case Memorial Library ; and Chauvin, IV, 82, 209).

———. tr. **Miscellanies, Consisting of Poems, Classical Extracts, and Oriental Apologues.** 3 vols. London, 1795.

Bleeck, A. H. tr. «Story of the Cadi and the Robber,» Colburn's New **Sailor ; or, the Old Man of the Sea, Ali Babaa ; or, the Forty** Monthly Magabine, XCIX (Sept. 1853), 85-91.

Braddon, M.E., ed. **Alddin ; or the Wonderful Lamp, Sindbad the Sailor ; or, the old Man of the Sea, Ali Babaa; or, the forty Thieves.** London : Maxwell, 1880.

Burside, Helen M., ed. **Arabian Nights.** London : Tuck, 1893.

Burton, Sir Richard F. **The Bock of the Thousand Nights and a Night. A Plain and Literal Translation of the Arabian Nights Entertain-**ments. 10 vols. Kamashastra Society for private subscribers only, 1885-1886 (the Burton Club edition is used, n.d.).

———. **Supplemental Nights to the Book of the Thousand Nights and a Night, with notes anthropological and Explanatory.** 6 vols. 1886-1888.

———, **Lady Burton's Edition of her Husband's Arabian Nights Entertainments translated literally from the Arabic.** Prepared for household reading by Justin H. McCarthy. 6 vols. London : Waterlaw, 1886-1887.

———. **The Library Edition of the Arabian Nights' Entertainments.** Reprinted from the original edition and edited by Leonard C. Smithers in 12 vols. London : Nichols, 1894 (illustrated by Albert Letchford).

Bussey, G. Moir, ed. **Arabian Nights' Entertainments,** translated by the Reverend Edward Forester . Carefully revised and corrected, with an explanatory and historical introduction. Illustrated by twenty four engravings from designs by R. Smirke. London : J. Thomas, 1839 (the 1842 edition is used).

Clarke, Michael, ed. **Stories from the 'Arabian 'Nights.** 'Eclectic School Readings. N.Y. : American Book Co., 1897.

Collection of Tales, Extracted from the Arabian Entertainments. Carlsruhe, Brawn, 1828.

Cooper, J. **The Oriental Moralist; or the Beauties of the Arabian Nights Entertainments,** translated from the original and accompanied with suitable reflections adapted to each story. London : Newbery, 1790 (?). (American rpt. Dover, 1797).

Dalziels' Illustrated Arabian Nights' Entertainments. Revised and amendated throughout by H. W. Dulcken, with illustrations by eminent artists, engraved by the Brothers Dalziel. London :

Ward and Lock, 1864 (in pts.).

Daniel, G., ed. **Aladdin; or the Wonderful : a grand romantic spectacle in two acts** Printed from the acting copy (Charles Farley's), with remarks, biographical and critical. London, n.d.

Davidson, Gladys, ed. **Arabian Nights' Entertainments.** Selected and retold for children, and illustrated by Helen Stratton. London : Blackie, 1906.

Dixon, C., ed. **Fairy Tales from the Arabian Nights.** London : Dent, 1893.

Dulcken, H. W., ed. Daliel's Illustrated Arabian Night's Entertainment (in full, 1878).

Eliot, Samuel, ed. **Arabian Nights' Entertainments.** Six Stories Authorized for Use in Boston Public Schools. Boston : Leee and Shepard, 1880 (1879).

Enchanted Horse and Other Tales from the Arabian Nights' Entertainment. London : Blackwood, 1877.

Fairy Tales from the Arabian Nights. **With twelve illustrations by** T.H. Robinson. London : Dent, 1889 (same item reissued by Everyman's in 1907, illustrated jointly by Robinson and Dora Curtis).

Far-Famed Tales from the Arabian Nights' Entertainments, London Addey, 1852 (under that same title appeared Hogg's edition in 1883).

Finter, Edward, tr. **Arabian Nights Entertainments,** translated into English from the Arabic with a new collection of tales. 5 vols., 1810. (Scarce, see Macdonald's marginal notes and clippings in his own copy of Chauvin).

Forester, Edward, tr. **The Arabian Nights.** 5 vols. London : Miller, 1802 (with a preface).

Forty Thieves ; or, the Banditti of the Forest. N.Y. : Turner and Fisher 1841 (?) — with moral reflection interspersed.

Gough, Richard, tr. and ed. **Arabian Nights Entertainments.** Translated into French from the Arabian MSS. by M. Galland ... and now

rendered into English. 4 vols. London : Longman, 1798 (with a preface).

Green, Mrs. F. G. ed. **Arabian Nights.** London: Dean, 1904.

Griffis, W.E., ed. **Alif Laila wa Leila ; the Arabian Nights Entertainments ; adapted for American readers from the text of Jonathan Scott, with an introduction.** 4 vols. Boston : Lothrop, 1891.

Hale, Edward E., ed. **A Selection of Stories from Alif Laila wa Laila, the Arabian Nights Entertainments.** Boston : Ginn and Co., 1888.

* Hanley, Sylvanus, tr. and ed. **Caliphs and Sultans : being Tales Omitted in the Usual Editions of the Arabian Nights Entertain-**ments. London : Reeve, 1868.

Heron, Robert, tr. **Arabian Tales ; or the Continuation of the Arabian Nights Entertainments** ... in four volumes, newly translated from the original Arabic into French by Dom Chavis a native Arab and M. Cazotte, and translated into English by Robert Heron. Edinburgh : Bell and Bradfute, 1792 (with a preface).

History of Ali Baba or the Forty Thieves Destroyed by a Slave. Newcastle : W. and E. Fordyce ,1890.

«History of Djouder,» **Lady's Magazine** (Jan. 31, 1830), 11-15 (Hurried in style, annotated with remarks on Eastern manners and customs).

Holden, Edward Singelton, ed. **Stories from the Arabain Nights.** Appleton's Home Reading Books. N.Y. : Appleton and Co., 1900.

Housman, L., ed., **Stories from the Arabian Nights,** with drawings by Edmund Dulac. N. Y. : Scribner's, 1907.

Jacobs' J., ed. **The Thousand and One Nights ; or the Arabian Nights Entertainments.** Tr. Edward W. Lane 6 vols. London : Gibbings, 1896 (with introduction and appendices).

Johnson, Clifton, ed. **Arabian Nights' Entertainments;** with notes and an introduction. Macmillan's Pocket Classics. N.Y. and London : Macmillan, 1904.

Kirby, W.F,, tr. **New Arabian Nights. Select tales not included in** Galland or Lane. London : Sonnenschein, 1882.

Lamb, George, tr. New **Arabian Nights' Entertainments,** selected from from the original MS. by Jos. von. Hammer ; now first translated into English. 3 vols. London : Henry Colburn, 1826 (with a preface).

— Lane, Edward William, tr. and ed. **A new translation of the tales o fa thousand and one nights ; known in England as the Arabian Nights Entertainments** ; with copious notes by Edward William Lane. Illustrated with many hundred wood-cuts. London Charles Knight and Co., 1838-1840 (in 32 pts.)

———, **The Thousand and One Nights, commonly called, in Egland, the Arabian Nights' Entertainments.** A new translation from the Arabic, with copious notes. Illussrated by William Harvey. 3 vols. London : Charles Knight, 1839-1841 (with a foreword and substantia review).

Arabian Tales and Anecdotes : being a selection from the notes to the new translations of «The Thousand and One Nights.» London: Charles Knight, 1845 (pt. of Knight's weekly vols.).

Lane-Poole, Stanley, ed. and tr. **Stories from the Arabian Nights.** Selected from Lane's version, with additions newly from the Arabic 3 vols. N.Y. : Putnam, 1890 (1891) (with a preface and notes).

———ed. **The Thousand and One Nights : The Arabian Nights'** Entertainments, translated by Edward William Lane. 4 vols. London : George Bell, 1906.

Little Hunchback, the Barber, the Sleeper Awakened, and the Forty Thieves. From the Arabian Nights' Entertainments. London: Ward and Lock, 1886.

Martin, A. T., ed. **Stories from the Arabian Nights.** Edited for schools. London : Macmillan, 1908.

Mason, J. ed. **Arabian Nights' Entertainments.** Revised and Annotated. London : Cassell, 1875.

Mew, James. «Some Unedited Tales from the «Arabian Nights». **Tinsley's Magazine** (March 1887) (later incorporated in Kirby's).

Miscellany of Eastern Learning. Tr. into French by M. Cardonne. English translation in 2 vols. London : Wilkie, 1771 (containing some tales, and a useful preface).

Mohan, Hari, ed. **Beauties of the Arabian Nights,** Calcutta, 1839.

Oliver, Edwin, ed. **Arabian Nights.** Rewritten for Children, with illustrations by R. Coutts Armour. London : Treherne, 1909.

Oriental Anecdotes : or, the History of Haroun Alraschid. 2 vols (in one). Dublin, 1764.

Oriental Tales : Being Moral Reflections from the Arabian Nights' Entertainments ; calculated both to amuse and improve the minds of youth. 2 vols. London : Tegg, 1829.

* Payne, John, tr. **The Book of the Thousand Nights and One Night :** now first completely done into English prose and verse, from the original Arabic. In nine vols. London : Printed by Villon Society for private subscription and private circulation, 1882-1884 (with well-informed book-length essay appended to vol. 9).

——— **Tales from the Arabic of the Breslau and Calcutta (1814-1918) editions of the Book of the Thousand Nights and One Night,** not occuring in the other printed texts of the work, now first done into English. 3 vols. London : Villon Society, private subscription and circulation, 1884.

——— **Alaeddin and the enhanced lamp ; Zein ul asnam and the king of the Jinn :** Two stories done into English from the recently discovered Arabic text. London : private subscription, 1889.

——— **Abu Mohammed the lazy, and the other tales from the Arabian Nights.** Publications of John Payne Society Olney : Thomas Wright 1906.

People's Edition of the Arabian Nights' Entertainments, illustrated by J. E. Millais, J. Tenniel, J. D. Watson. London : Ward and Lock, 1882.

Pictorial Penny Arabian Nights' Entertainments, Pt. 1. London : More, 1845.

Piguenit, C. P., ed. **Arabian Nights Entertainments : consisting of One Thousand and One Stories Freely Transcribed from the Original Translation.** 4 vols. London : C. D. Piguenit, 1792.

Poole, Edward Stanley, ed. **The Thousand and One Nights, commonly called in England the Arabian Nights' Entertainments.** A new translation from the Arabic, with copious notes by Ed-

ward William Lane. Illustrated by William Harvey. A new edition, from a copy annotated by the translator. 3 vols. London: Murray, 1859 (reprinted many times ; Bickers' 1897 three-volume copy used) (Lane's foreword incorporated in Poole's).

——— Same edition with a preface by Stanley Lane-Poole. 3 vols. London : Chatto and Windus, 1883.

Readings from the Arabian Nights' Entertainments. Murray's Railway Readings. Glasgow, 1867.

Robinson, W. Heath, ed. **Child's Arabian Nights.** London : Grant Richards, 1903.

Rouse, W. H. D., ed. **Arabian Nights,** with an introduction, illustrated by Walter Paget London : Nister, 1907.

Saville, the Hon. C. Stuart, tr. and ed., «The Adventures of Khodadad,» **Colburn's New Monthly Magazine,** LVIII (Feb. - March 1840), 180-93; 373-84.

* Scott, Jonathan, tr. and ed. **Tales, Anecdotes, and Letters,** translated from the Arabic and the Persian. Shrewsbury : J. and W. Eddowes, 1800.

——— **The Arabian Nights Entertainments,** carefully revised and occasionally corrected from the Arabic. To which is added, a selected of new tales, now first translated from the Arabic originals. Also an introduction and notes, with engravings from printings by Smirke 6 vols. London : Longman and Hurst, 1811.

Sindbad the Sailor, Aladdin, and Other Stories from the Arabian Nights' Entertainments. London Ward and Lock, 1886.

Sindbad the Sailor (Lane's trans.) and Ali Baba and the Forty Thieves (Scott's illustrated by William Strang and J.B. Cark. London : Lawrence and Bullen, 1896.

Sinbdad the Sailor (Lane's tras.), with illustration by Helen Stratton. London : Blackie, 1908.

Stead, W. T., ed. **The Story of Aladdin and the Wonderful Lamp.** Philadelphia, 1908.

Steedman, Amy, ed. **Stories from the Arabian Nights, told to children ... ;** with pictures by F. M. B. Blaikie. London and N. Y. : Jack, Dutton, 1907 (?).

Stories from the Arabian Nights, with an introductory note. Riverside Literature Sereis. 2 pts. Boston : Houghton and Mifflin 1897.

Stories from the Thousand and One Nights, ... revised by Stanley-Lane-Poole, with an introduction, notes, and illustrations. Harvard Classics. N. Y. : Collier, 1909.

Story of Ali Baba and the Forty Thieves, an extract from Dr. Weil's German translation of the Arabian Nights. Boston : L. H. Kilborn, 1888.

Sugden, the Hon. Mrs., ed. **Arabian Nights' Entertainments ;** Arranged for the Perusal of Youthful Readers. London : Whittaker, 1863; and N. Y. : Routledge, 1863.

Tales from the Arabian Nights's Entertainments, as related by a mother for the amusement of her children with ... engravings by Butler, from designs by J. Gilbert. New Edition. N. Y. : Walker, 1848.

Tales from the Arabian Nights' Entertainments. Included in H. B. Stowe's **Library of Famous Fiction ...** N. Y. : Ford, 1873.

——— English School Texts. London : Blackie 1905 (reissued with illustrations by Helen Stratton, 1908).

——— **Aladdin and the Wonderful Lamp, Ali Baba and the Forty Thieves, Sindbad the Sailor,** Chamber's Suplementary Readers. London : Edinburgh, 1908.

Tales from the East : A Picture-Book for Children by Harlequin. Containing sixteen coloured plates and about fifty line illustrations, with tales adapted from the Arabian Nights' Entertainments, and written by W. Mord. London : Fisher and Unwin, 1908.

Thousand and One Nights, or the Arabian Nights' Entertainments. A new edition adapted to family readings. Boston, 1869.

——— (Scott's version), with etching by A. Lalauze. 4 vols. London : Nimmo, 1883.

——— (Lane's edition), with the addition of **Aladdin** and **Ali Baba.** London : Bliss 1895.

* Torrens, Henry, tr. **Book of the Thousand Nights and One Night :** from the Arabic of Egyptian ms. as edited by Wm. Hay Mcnaghten. London : Allen, 1838.

Townsend, the Rev. George Fyler, ed. **The Arabian Nights' Entertainments.** A new edition, revised, with notes. London : F. Warne and Co., 1966 (with a preface).

Warner, A. and A., ed., **Five Favourite Tales from the Arabian Nights in Words of One Syllable.** London : Lewis, 1871.

Tweed, Anna, ed. **Arabian Nights,** illustrated by Caspar Emerson and Leon D'Emo. N. Y. : Baker and Taylor, 1910.

Valentine, Mrs. ed. **Eastern Tales by Many Story-Tellers. London :** Warne, n.d.

Weber, Henry, ed. **Tales of the East : Comprising the Most Popular Romances of Oriental Origin ; and the Best Imitations by European Authors.** To which is prefixed an introductory Dissertation. 3 vols. Edinburgh : James Ballantyne, 1812.

Wiggin, Kate Douglas and Nora Smith, eds. **The Arabian Nights : their Best-Known Tales Retold.** With illustrations by Maxfield Parrish. N. Y. : Scribner's 1909.

Wilson, Epiphanius, ed. **Arabic Literature ... with Critical and Biographical Sketches.** London and N.Y. : Colonial Press, 1902 containing sections from the **Nights).**

A'Beckett (G Arthur). **The Modern Arabian Nights.** 4 vols. London : Bradbury, 1877.

Addison, Joseph. **The Spectator.** Ed. Donald F. Bond. 5 vols. Oxford Clarendon, 1965 (For his relevant contributions to the **Spectator and Guardian,** see Conant, pp. 271-72).

Alger, W. R. **Poetry of the East.** Boston : Whittemore, Niles and Hall 1856.

Alkalomeric, the Son of Maugraby : an Arabian Tale. 1814.

Anstey, F. C. Thomas Anstey Guthrie). **The Brass Bottle.** London : Smith, 1900.

Arnold, Sir Edwin. **Poetical Works.** 2 vols. Boston : Roberts, 1889.

Arnold, Mathew. **Prose Works.** Ed. R. H. Super. Vol. VII. Ann Arbor : Univ. of Michigan, 1970).

Ashton, John. **Chapbooks of the Eighteenth Century.** London : Chatto and Windus, 1882.

Bage, R. **The Fair Syrian.** 2 vols. Dublin : J. Walter, 1787.

Beattie, J. **Dissertation Moral and Critical in Philosophical and Critical Works.** London : W. Strahan, 1983.

Beckford, William. **History of the Caliph Vathek.** London : J. Johnson, 1786.

———. **Episodes of Vathek.** Tr. Sir Frank T. Marzials, with an introduction by L. Melville. London : Swift, 1912.

———. **Story of Al Raoui — Tale from the Arabic.** 2nd ed., London : C. Geisweiler, 1799.

Berquin, A. **The Blossoms of Morality.** London : Newbery, 1789.

Besant, Walter. **The Life and Achievement of Edward Henry Palmer.** 2nd ed., London : Murray, 1883.

Bignon, Jean Paul. **Adventures of Abdallah, Son of Hanif...,** done into English by William Hatchett. London : T. Worrall, 1729.

Blair, Hugh. **Lectures on Rhetoric and Belles Lettres.** 3 Vols. 3rd ed., London : A Strahan and Cadell, 1787.

Bolingbroke, Lord Viscount (Henry St., John). **On the Study and Use of History.** 1738.

Brandes, George. **Main Currents in Nineteenth Century Literature : Naturalism in England.** Vol. IV. 1875; rpt. Heinemann, 1905.

Broadbent, R.J. **A History of Pantomime.** London, 1901.

Browning, Robert and Elizabeth Barrett. **The Letters ... 1845-56.** Ed. E Kitner. Cambridge, Mass. : Harvard Univ. Press, 1969.

Burne-Jones, Georgiana. **Memorials of Edward Burne-Jones.** 2 Vols. N. Y. . Macmillan, 1904.

Bussey, G. Moir, ed. **Fables, Original and Selected, by the most esteemed European and Oriental Authors, with an introductory dissertation on the history of gable.** London : C. Tilt, 1938.

Button, Edward, tr. A New Translation of the Persian Tales. London, 1754.

Byron, H. J. **Aladdin, or the Wonderful Scamp.** London : Lacy's Acting Edition of Plays, 1861.

———. **Ali Baba. London : Lacy's Acting Edition of Plays, 1864.**

———. **Camaralzaman and the Fair Badoura.** London : Lacy's Acting Edition of Plays, 1872.

Callaway, John, **Oriental Observations.** Colombo : Printed for the author, 1823.

Campbell, J. F. **Popular Tales of the West Highlands.** 4 vols. Edinburgh : Edmonston, Douglas, 1860-1862.

Campbell, Killis. **A Study of the Romance of the Seven Sages with Special Reference to the Middle Ages Version.** Baltimore : PMLA ,1898 ; rpt. XIV, 1899.

Capper, James. **Observations on the Passage to India.** London : W. Faden, 1783.

Carlyle, Joseph D. **Specimens of Arabian Poetry.** 2nd ed., London : Cadell and Davis, 1810.

Caryle, Thomas. **Correspondence of Thomas Caryle and Ralph Waldo Emerson, 1834-1872.** 2 vols. London : Chatto and Windus, 1883.

————. **Works.** 16 vols. N.Y. : Collier, 1897.

Carne, J. **Letters from the East.** 2 vols. London : Henry Colburn, 1826.

Chandler, Izora and Mary W. Montogomery. **Gold in the Gardens of Araby. N. Y. : Eaton and Mains, 1905.**

Clark, Charles H. **Transformations.** London : Ward and Lock, 1883.

Clerk, Mrs. G., tr. **Ilam-En?Nas.** London : H. S. King, 1873.

Clouston, W. A. **Arabian Poetry for English Readers.** Glasgow : privately printed, 1881.

————. **Book of Sindibad** ... Privately printed, 1884.

————. **A Group of Eastern Romances and Stories.** Privately Printcd, 1889.

————. **Popular Tales and Fictions, their Migrations and Transformations.** 2 vols. N. Y. : Scribner's. 1887.

————. **Variants and Analogues of Some of the Tales in Sir Richard F. Burton's Supplemental Nights.** 3 vols. London, privately printed, 1887.

Coleridge, Samuel T. **Coleridge's Miscellaneous Criticism.** Ed. T.M. Raysor. Cambridge Mass. : Harvard Univ. Press, 1930.

————. **Coleridge's Shakespearean Criticism.** Ed. T. M. Raysor. 2 vols. Cambridge Mass. : Harvard Univ. Press, 1930.

————. **Collected Letters of Samuel Taylor Coleridge.** Ed. Earl L. Griggs. 4 vols. Oxford : Clarendon, 1956-1959.

————. **Collected Works, The Friend.** 2 vols. Ed. Barbara E. Rooke. London : Routledge and Kegan, 1969.

————. **Letters of Samuel Taylor Coleridge.** Ed. Ernesl H. Coleridge. London : Heinemann, 1895.

————. **The Notelbooks of Samuel Taylor Coleridge.** Ed. Kathleen Coburn. 2 double vols. London : Routledge and Kegan Paul, 1957-1962.

Comparetti, Domenico. **Researches Respecting the Book of Sindibad.** London : Folklore Society Publications, 1882.

Conybeare, F. C., J. R. Harris and A. S. Lewis, trs. and eds. **The Story of Ahikar from the Syriac, Arabic, Armenian, Ethiopic,**

Greek and Slavonic Versions, with an introduction and ... texts. London : Clay, 1898.

Cooke, Mrs Rose Terry. **Poems.** N.Y. : W. S. Gottsberger, 1888.

Cooper, Thomas. **The Life of Thomas Cooper, Written by himself.** London : Hodder and Stoughton, 1872.

Cornwall, B. **The Poetical Works.** 3 vols. London : Henry Colburn, 1822.

————. **A Sicilian Story ... and Other Poems.** London : Ollier, 1820.

Crabbe, George. **Life and Poetical Works.** By his son. London : Murray, 1861.

————. Poems. Ed. Adolphus W. Ward. 3 vols. Cambridge : Univ. Press, 1907.

Cracroft, Bernard, **Essays Political and Miscellaneous.** 2 vols. London : Trubner, 1868.

————. **Mr. Isaacs.** N. Y. : Macmillan, 1882.

Crellin, H. N. **Romances of the Old Seraglio.** With illustrations by S.L. Wood. London : Chatto and Windus, 1894.

————. **Tales of the Caliph.** A new ed., London : Chatto and Windus, 1895.

Croly, George. Angel of the World : An Arabian Tale ... With Other **Poems.** London : J. Warren, 1820.

Dacre, Charlotte. **Zofloya ; or the Moor.** 3 vols. London : Longman, 1806.

Dallaway, James. **Constantinople Lncient and Modern.** London : Cadell and Davies, 1797.

Daly, A., Tr. **An Arabian Night in the Nineteenth Century.** A Comedy in Four Acts, from the German of von Moser. N.Y., 1844 (?)

Darley, G. **Labours of Idleness ; or, the Seven Nights Entertainments.** London : John Taylor, 1826.

Dasent, Sir G W. **Tales from the Norse.** London : Blackie, 1906.

Dawson, A. J. **African Nights' Entertainments.** N. Y. : Dodd and Mead, 1900.

Denon, Vivant. **Travels in Upper and Lower Egypt. 2 vols. London : James Ridgway, 1802.**

De Quincey. Collected Ed. David Masson. London : Black, 1896.

————. **Selections from ...** Ed. with introduction and notes by Milton Haight Turk. Boston and London : Ginn and Co., 1902.

Dibdin, C. **The Mirror ; or, Harlequin Everywhere.** 2nd ed., London: Kearsley, 1779.

Dibdin, T. **Haroun Alrachid ; or Wants and Superfluities.** 2 Dicks Standard Plays, no. 513 London : Dicks, 1884.

————. **Il Bondocani; or the Caliph Robber. London : Longman, 1801.**

————.**The Nineth Statue; or, the Irishman in Bagdad.** London : John Miller, 1814.

Dickens, Charles. **Thousand and One Humbugs.** (See Sec. B of this bibliography).

————. **Letters of Charles Dickens.** Edited by his Sister-in-Law and his Eldest Daughter. 3 vols. N. Y. : Scribner's 1879.

————. **Uncollected Writings from Household Words, 1850-1859.** Ed. with introduction and notes by Harry Stone. Bloomington : Indiana University, 1968.

————. **Writings, with Critical and Bibliographical and Introductions** by Edwin P. Whipple and others. 32 vols. Boston and N. Y., 1894.

Disraeli, B. **Home Letters, Written ... in 1830 and 1831.** 2nd ed., London : Murray, 1885.

Disraeli, Isa'ac. **Loves of Majnoun and Leila.** Rpt. Calcutta, 1800 ?

————. **Romances. London :** Cadell and Davies, 1799.

Dobson, Henry Austin. **Thomas Bewick and his Pupils.** London : Chatto and Windus, 1884.

Douce, F. **Illustrations of Shakespeare, and of Ancient Manners.** 2 vols. London, 1807.

Drake, Nathan. **Literary Hours ; or Sketches Critical, Narrative, and Political.** 2 vols. 4th ed., London : Longman, 1820.

Driver, Henry Austen. **The Arabs; a Tale,** in four cantos. London, 1825.

Dunlop, J. C. **The History of Prose Fiction** (1814). Revised by Henry Wilson. 2 vols. London : Bohn's Standard Library, 1888.

Excursion of Osman, Son of Abdallah. A Political Romance. Liverpool : T. Schofield, 1792.

Fielding, Henry. **Joseph Andrews** (1742). (Edition used in the 1961 Houghton and Mifflin **Joseph Andrews and Shamela).**

Fields, Mrs. Annie Adams. **A Shelf of Old Books.** London : Osgood and McIlvaine, 1894.

Fiske, J. **Myths and Myth-Makers.** Boston and N.Y. : Houghton and Mifflin, 1872.

Fitzball, E. **The Barber of Baghdad.** Dicks' Standard Plays, no. 975. London, 1888.

Flecker, J. E. **Hassan.** N. Y. : A. Knopf, 1924.

Flloyd, Thomas, tr. **Tartarian Tales** (by Thomas S. Guellette). London : J. and R. Tonson, 1759.

Forbes, Duncan. **The Adventures of Hatim Tai : A Romance.** London, 1830.

Forbes, J. **Oriental Memoirs,** 2 vols. 2nd ed., London, 1837.

Forster, J. **The Life of Charles Dickens.** 3 vols. 1872-1874; rpt. London : Chapman and Hall, 1904.

Froude, J. A. **Thomas Carlyle. A History of his Life in London, 1834-1881.** 2 vols. London : Longman, 1884.

Galt, John. «Haddad ben Ahab,» in **The Romancist and Novelist's Library.** Ed. Wm Hazlitt. New Series. Vol. II. (1841)

Garnett, R. **Essays of an Ex-Librarian.** London : Dodd and Mead, 1901.

Gibbon, Edward. **Memoirs of My Life.** Ed. from manuscripts by G. A. Bonnard. London : Nelson, 1966.

Gildon, Charles. **The Golden Spy; or a Political Journal of the British Nights Entertainments of War and Peace, Love and Politics.** London; Woodward, 1709.

Gissing, George. **Charles Dickens : A Critical Study.** London, 1904.

Goeje, De. «Thousand and One Nights,» **Encyclopaedia Britannica,** XXIII (1888), 316-18.

Goldsmith, Oliver. **Collected Works.** Ed. Arthur-Friedman. 5 vols. Oxford : Clarendon, 1966.

Gomme, G. L. and H. B. Wheatley, eds. **Chap-Books and Folk-Lore Tracts.** Villon Society, 1885.

Gosse, Edmund. **Critical Kit-Kats. N. Y. : Dodd, 1897.**

———. **Gossip in a Library** (1891) 3rd ed., London : Heinemann, 1893.

Gottheil, Richard. «The Arabian Nights,» **The Library of World's Best Literature.** Ed. Charles Dudley Warner. 3 vols. N.Y. : Peale and Hill, 1896. Vol. 2.

Gray, Louis H. «Literary Studies on the Sanskrit Novel : 1. The Sanskrit Novel and the Arabian Nights,» **Wiener Zeitschrift fur die Kunde des Morgenlandes,** XVIII (1904), 39-45.

Green, Thomas. **Extracts from the Diary of a Lover of Literature.** Ipswich : John Raw, 1810.

Gregory, Benjamin, **Autobiographical Recollections.** Edited, with memorials of his later life, by his eldest son (J.R. Gregory).

London : Hodder and Stoughton, 1903.

Grolier Society Prospects of the Thousand Nights and a Night. The Library Edition prepared by Leonard C. Smithers. London, 1897.

Grundy, Sidney. **The Arabian Nights. A Farce Comedy.** Lacy's Acting Edition, 1893.

Hajira; a Turkish Love Story. London : E. Arnold, 1896.

Hamilton, Terrik, tr. **Antar, A Bedoueen Romance.** 4 vols. London : Murray, 1820.

Grundy, Sidney. **The Arabian Nights. A Farce Comedy.** Lacy's Acting Edition, 1893.

Hajira; a Turkish Love Story. London : E. Arnold, 1896.

Hamilton, Terrick, tr. **Antar, A Bedoueen Romance.** 4 vols. London : Murray, 1820.

Hartland, Edwin Sidney. **The Science of Fairy Tales.** An Inquiry into Fairy Mythology. N. Y. : Scribner's 1891.

Harrison, Frederick, **Among My Books.** London : Macmillan, 1912.

Hassan Abdallah ; ... and Other Tales : A Companion to the Arabian Nights. With an introduction by Miss Pardoe. Baltimore : Kelly, 1860.

Hauff, Wilhelm. **Arabian Days' Entertainments.** Tr. from the German by Herbert P. Curtis. Boston : Phillips, 1858.

Hawkesworth, John **Adventurer,** nos. 4-5, 20-22, 32, 72, 91, 114, 132.

————. **Almoranf and Hamet : An Oriental Tale.** 2 vols. London : Payne and Cropley, 1761.

Haywood, Mrs. Eliza. **The Unfortunate Princes.** London, 1741.

Hazlitt, W., ed. **History of English Poetry.** Percy Society Series. London : Reeves and Turner, 1871.

————. **Miscellaneous Works.** 5 vols. Philadelphia : Carey and Hart, 1848.

————. **The Plain Speaker : Opinions on Men, Books and Things.** 2 vols. London : Henry Colburn, 1826.

Henley, William Ernest. **Works.** 7 Vols. London : David Nutt, 1908.

History of the Fisherman and the Genius, taken from the real ms. of the **Arabian Tales, recently discovered** in Baghdad. London : Mclean, 1959 (A political skirt).

History of the Forty Vezirs. Tr. E. J. W. Gibb. London : George Redway, 1886.

Hockley, W. B. **Tales of the Zenan a : or a Nuwab's Leissure Hours.** 3 vols. London : Saunders and Otley, 1827.

Holcroft, Thomas. **Memoirs ... Written by himself.** 3 vols London : Longman, 1816.

Hole, Richard. Arthur of the Northern Enchantment. London, 1789.

————. **Remarks on the Arabian Nights Entertainments, in which the Origin of Sindbad's Voyages ..., is particularly considered.** London : Cadell and Davies, 1797.

Hood, Thomas. **Letters of** ... Ed. Peter F. Morgan. Toronto : Univ. Of Toronto Press, 1973.

————. **Selected Poems.** Ed. John Clubbe. Cambridge, Mass. : Harvard Univ. Press, 1970.

Hoops, J. **Present Problems of English Literary History, in Congress of Arts and Science, Universal Exposition,** St. Louis, 1904. Ed. Howard J. Rogers. Boston and New York, 1906. Vol. III (esp. 415).

Hope, T. Anastasius, or the Memoirs of a Greek. 3 vols. London : Murray, 1819.

Hoppner, J. **Oriental Tales Translated into English Verse.** London: Hatchard, 1805.

————. **Palm Leaves.** London : Moxon, 1844.

Housman, Laurence. **Arthur Boyd Houghton.** London : Kegan and Paul, 1896.

Huet, P. **A Treatise of Romances and Their Original.** Lodon, 1972,

Hughes, John. **The Siege of Damascus.** London 1720. 3rd ed., London : Watts, 1735.

Hume, James S., ed. **Selection from the Writings, Prose and Poetical, of the late Henry Torrens,** with a Biographical Memoir. 2 vols. Calcutta and London : R.C. Lepage, 1854.

Hunt, Leigh. **Autobiography.** 3 vols. London, 1850.

————. **A Book for a Corner ; or Selections in Prose and Verse.** 2 vols. London : Chapman and Hall, 1849.

————. **Lord Byron and Some of his Contemporaries.** 2nd ed., London, 1828.

————. **A Jar of Honey from the Mount Hybla.** 18458.

————. **Leigh Hunt's Literary Criticism.** Eds. L.H. and C.W. Houtchens. N. Y. : Columbia, 1956.

————. Poetical Works. Ed. S. A. Lee. 2 vols. Boston, 1866.

Ireland, Alexander, ed. **Book Lover's Enchiridion : Thoughts on the Solace and Companionship of Books.** London : Simpkin, 1883.

Irving, P.M. ed. **Life and Letters of Washington Irving.** N.Y. : Putnam, 1864.

Irving, W. **Alhambra.** London, 1896.

————. **Journal of Washington Irving 1823-24.** Ed. Stanley T. Williams. Cambridge, Mass. : Harvard Univ. Press, 1931.

Irwin, Eyles. **Eastern Eclogues.** London, 1780.

James, G.P.R. **Camaralzaman : A Fairy Drama.** London, 1848.

John Bull and His Wonderful Lamp — A new reading of an old tale, by Homunculus (W. M. Thackeray ?) London : Petheram, 1849.

Johnson, S. **Ilder,** nos. 95, 99, 101. **Rambler,** nos. 17, 38, 65, 120, 190, 204, 205.

————. **The Prince of Abissinia. A Tale.** 2 vols. London : R. and L. Dodsley, 1759.

————. **The Yale Edition of the Works of Samuel Johnson.** 8 vols. N.H., 1958-1969.

Johnston, Grace L. Keith. **Alasnam's Lady ; a modern Romance.** London : Bentley, 1882.

Johnston, Charles. **The History of Arsaces, a Prince of Betlis.** 2 vols. London : T. Becket, 1774.

Jones, Sir William. **The Letters.** Ed. G. Cannon. Oxford : Clarendon, 1970.

————. **Works, with the Life of the Author** by Lord Teignmouth. 13 vols. London : Stockdale, 1807.

Kames, Henry Home. **Elements of Criticism. Ed.** Abraham Mills. N. Y. : Huntington and Savage, 1846.

————. **Sketches of the History of Man.** 2nd ed., London : Strahan and Cadell, 1778.

Keats, John. **The Letters of John *Keats*, 1814-1821. Ed.** H. E. Rollins. 2 vols. Cambridge, Mass. : Harvard Univ. Press, 1958.

————. **The Poetical Works and Other Writings.** Ed. Harry H. Forman. 4 vols. London : Reeves and Turner, 1889.

Keeve, Henry George. **Persian Stories. 7th ed., London : J. W. Parker, 1844.**

Keightley, Thomas. The Fairy Mythology ; Illustrative of the Romance and Superstition of Various Countries. 1828 ; rev. and enl., London : Bohn, 1850.

————. **Tales and Popular Fictions, their Resemblance and Transmission from Country to Country.** London : Whittaker, 1834.

Kinglake, Alexander William. **Eothen, or Traces of Travel Brought from the East.** 1844 ; new ed., N.Y. : Putnam, 1850.

Kipling, Rudyard. **Something of Myself.** London : Macmillan, 1937.

————. **Writings in Prose and Verse. 36 vols. N. Y. : Scribner's 1920-1937.**

Kirby, W. F. Ed-Dimiryaht, An Oriental Romance; and other Poems. London : Williams and Norgate, 1867.

Knight, Charles. **Once Upon a Time : Sketches. New and enlarged** edition. London : Routledge, 1865.

———. **Passenges of a Working Life.** 3 vols. London : Bradbury, 1864

Knight, Ellis Cornelia. **Dinarbas ; a Tale : Being a Continuation of Rasselas, Prince of Abissinia.** London : Dilly, 1790.

Knight, Henry Gally. **Eastern Sketches : in Verse.** 2 nd ed., London: Murray, 1819.

Knight, William. **Memoir of John Nichol.** Glasgow : J. MacLehose, 1896.

Knox, Vicesimus. **Essays Moral and Literary.** New enl. ed. 2 vols. 1782.

Landor, Walter Savage. **Poems from the Arabic and the Persian ; with Notes by the Author of Gebir.** London : Sharp and Rivingtons, 1800.

———. **The Works, Poems,** Ed. Stephen Wheller. 3 vols. London : Chapman and Hall, 1933.

Lane Edward W. **An Account of the Manners and Customs of the** Modern Egyptians. 1836, reprinted in 1837 by the society for **the Diffusion of Useful Knowledge.** (The 1963 Everyman's Library ed. is used).

Lane-Poole, Stanley, ed. **Arabian Society in the Middle Ages : Studies from the Thousand and One Nights.** London : Chatto and Windus, 1883.

———. **Life of Edward William Lane. London, 1877.**

Langhorne, J. **Solyman and Almena, an Oriental Tale.** London : H. Payne and W. Cropley, 1762.

Lee, A. C. **Decameron : Its Sources and Analogues.** London : Nutt, 1909.

Lefanu, A. **Memoirs of the Life and Writings of Mrs. F. Sheridan.** London, 1924.

Lewis, Matthew Gregory. Romantic Tales. 4 vols. London, 1808.

Light, H. **Travels in Egypt, Nubia, Holy Land, Mount Lebanon, and Cyprus, in the Year 1814.** London, 1818.

Lewell, James R. **Poems.** Boston and N.Y. : Houghton Mifflin, 1897 (his «Aladin» first appeared in Putnam's **Monthly 'Magazine,** 1853).

Lytton, Edward B. Leila ; or the Siege of Granda. 1838.

Mac:abe, Belinda, ed. **The Wonderful Book ; or, Tales for the Merry, Stories for the Studious, and Marvels for the Morose** (Tales of Sheikh al Mahdy). 2nd ed., Dublin : Duffy, 1839.

Macdonald, D. B. **Development of Muslim Theology, Jurisprudence and Constitutional Theory.** N.Y. : Scribner's Sons, 1903.

———. **The Religious Attitude and Life in Islam :** Being the Haskell Lectures on Comparative Religions Delievered before the University of Chicago in 1906. Chicago : The Univ. of Chicago Press, 1909.

———. «Story of the Fisherman and the Jinni, transcribed from Galland's MS. of the «Thousand and One Nights», **Orientalische Studien, Theodor Noldeke zum siebzigsten Geburtstag, I** (1906), 357-83.

Macdonald, H. B. **Abdul Medjid and Other Poems.** Edinburgh, 1854.

Macmichael, William. **The Gold-Headed Cane.** 2nd ed., London : Murray, 1828.

Malcolm, Sir John. **Sketches of Persia, from the Journals of a Traveller in the East** 1827.

Manley, Mrs. M. de la R. **Almyna or the Arabian Vow.** London, 1707.

Manning, Anne. **The Adventures of the Caliph Haroun Alraschid.** London : Richard Clay and A. Hall, 1855.

Marryat, Frederick. **The Pacha of Many Tales.** 1835 ; London : Bentley, Standard Novels Ser., 1838.

Marryat, Florence. **Open Sesame.** 3 vols. London, 1875.

Martin, Theodore, tr. **Aladdin, or the Wonder Lamp** (by A. Oehlenschlager). London, 1857.

Masson, David. **Edinburgh Sketches and Memoirs.** London and Edinburgh : Adam and Charles Black, 1892.

Massouf, or, the Philosophy of the Day : An Eastern Tale. London: Minerva, 1802.

Maturin, Charles. **Melmoth the Wanderer.** 1820; Lincoln : Univ. of Nebraska Press, 1972.

Masson, David **Edinburgh Sketches and Memoirs.** London and Edinburgh : Adam and Charles Black, 1892.

Massouf, or, the Philosophy of the Day : An Eastern Tale. London : Minerva, 1802.

Maturin, Charles. **Melmoth the Wanderer.** 1820; Lincoln ; Univ. of Nebraska Press, 1972.

Merdith, George. **The Critical Heritage.** Ed. Ioan Williams. London: Routledge and Kegan,1 971.

————. **Poems.** Surrey ed., London Times Club, 1912.

————. **Works.** Memorial ed., N. Y. : Scribner's Sons, 1909-1912.

Mitford, A. B. Freeman (Lord Redesdale). **Memoirs.** 2 vols. London: Hutchinson, 1915.

Modern Arabia Displayed, in four Tales. London : Harris, 1811.

Mohan, Hari. **Beauties of the Arabian Nights.** Calcutta, 1939.

Montagu, Lady Mary Wortley. **The Complete Letters.** Ed. Robert Halsband. 3 vols. Oxford : Clarendon, 1965-1966.

Moore, Thomas, **ed. Letters and Journals of Lord Byron, with Notices of his Life** (London : Murray, 1830).

————. **Poetical Works, Collected by himself.** 10 volts. London : Longman, 1840-1941.

Morier, James. **Adventures of Hajji Baba of Ispahan.** 3 vols. London: Murray, 1824 (Bentley's 1851 edition is used in the text).

————. **Adventures of Hajji Baba of Ispahan in England.** 2 vols. London : Murray, 1828.

————. **Ayesha, the Maid of Kars.** Paris : Baudry, 1834.

————. **The Mirza.** 2 vols. London : Bentley, 1841.

————. **Misselmah, a Persian Tale.** Brighton, 1847.

————. **Zohrab, the Hostage.** 3 vols. London : Bentley, 1832.

Morris, William **The Collected Works.** N.Y. : Russell and Russell, 1966.

Moser, G. **Haroun Al-Raschid.** London, 1879.

Murray, Sir Charles. **Hassan ; or the Child of the Pyramid.** 2 vols. London, 1857.

————. **Nour-ed-dyn ; or the Light of the Faith. London : Christian Knowledge Society, 1883.**

Newman, John, Henry. Apologia Pro Vita Sua. Ed. David J. De Laura. N.Y. : Norton, 1968.

Nichols, John. **General Index of Gentleman's Magazine, 1787-1818. London, 1821.**

————. **Literary Anecdotes of the Eighteenth Century.** 9 vols. London : Nichols, Son, and Bentley, 1812-1815 (esp. vol. 6, p. 318, on Gough's ed.)

Noble, James. **The Orientalist : or, Letters of a Rabbi.** Edinburgh, 1831.

Ockley, Simon. **History of the Saracens.** 2 vols. 2nd ed., London, 1718.

Oriental Tales, or the Ruby Heart ... and the Enchanted Mirror. New ed. London, 1802.

The Orientalist, a Volume of Tales after Eastern Taste. Dublin, 1773 (by Tobias G. Smollett).

O'Keeffe, J. **Alladdin.** London, 1789.

————. **The Dead Alive,** Dublin, 1783.

————. **The Little Hunchback, or, a Frolic in Baghdad.** London, 1789.

Ottley, Thomas Henry. **Rustum Khan; or, Fourteen Nights' Entertainments.** 3 vols. London : Published for the Author, 1831.

Ouseley, William, ed. **Oriental Collections.** 2 vols. London, 1797-1798.

Pardoe, J. **City of the Sultan, and Domestic Manners of the Turks in 1836.** 2 vols. London, 1837.

————. **Romance of the Harem.** 3 vols. London, 1839.

————, ed. **Thousand and One Days; a Companion to the «Arabian Nights.»** With an introduction by Miss Pardoe. London, 1857.

Parr, Bartholemew. **A slight Sketch of the Life of the Reverend Richard Hole.** Exter, 1803.

Payne, John. **Booke of the Thousand Nights and One Night : its history and character.** Rpt. from the ninth volume of the complete work, London, 1884.

————. **Hamid the Luckless,** 1904.

Peacock, Miss Lucy. **The Adventures of the Six Princesses of Babylon.** London : Printed for the Author by T. Bensley, 1785.

The Persiand and the Turkish Tales, Complete. 2 vols. 3rd ed., London : Mears and Clay and Browne, 1729 (firsl ed. 1714).

Persian and Turkish Tales. With a Biographical Preface. 2 vols. London : J. Walker, 1809 ?

Phelps, W. I. The Beginnings of the English Romantic Movement : A Study in Eighteenth Century Literature. Boston : Ginn and Co., 1893.

————. **The House Of Islam.** London : Methuen, 1906.

————. **Sai'd the Fisherman.** London : Methuen, 1903.

Pilkington, Mrs. Mary. **The ASIATIC Princess.** 2 vols. London : Venor and Hood, 1800

Piozzi. Hester Lynch Thrale. **Recollections and Reflections.** 2 vols. London, 1872.

Pococke, Edward. **Specimen Historiae Arabum.** Ed. Joseph White. OXFORD, 1806.

Pococke, Richard. **A Description of the East and Some Other Countries.** 2 vols. London : J. and R. Knapton, 1743-1845.

Poe, E. A. **The Thousand -and-Second Tale of Scheherazade,** in **The Complete Works.** Ed. James A. Harrison. 17 vols. N. Y. : Thomas Y. Crowell and Co., 1902.

Poole, Stanley Lane. See Lane. See Lane-Poole, S.

Poor, L. E. **Sanskrit and its Kindred Literatures.** Boston : Roberts, 1880.

Pope, Alexander. **The Correspondence.** Ed. George Sherburn. 5 vols. Oxford : Clarendon, 1956.

————. **The Works.** Ed. White Elwin and William Courthope. 10 vols. London : Murray, 1871-1889.

Pratt, S. J. **The Fair Circassian.** London : Murray, 1871-1889.

Pratt, S. J. The Fair Circasian. London : R. Baldwin, 1781.

Prior, M. **Poems on Several Occasions** (1718). Ed. A. R. Waller. Cambridge : Univ. Press, 1904.

Procter, Bryan Waller, See See Cornwall, B.

Pye, Henry James. A Commentary Illustrating the Poetic of Aristotle. London : Stockdale, 1792.

Raleigh, W. **The English Novel.** The English Novel. 5th ed., London : Murray, 1903.

Redding, C. **Memoirs of William Beckford of Fonthill.** 2 vols. London : Charles Skeet, 1859.

Reeve, Clara. **The Progress of Romance.** Colchester, 1785.

Reynolds, John Hamilton. **Safie, an Eastern Tale.** London, 1814.

Richardson, John. **Dissertation on the Language, Literature, and Manners of the Eastern Nations.** Oxford : Clarendon, 1778.

———. **A Grammar of the Arabic Language.** London : Murray, 1776..

Ridley, James. **Tales of the Genii; or, the Delightful Lessons of Horam the Son of Asmar.** Tr. Charles Morell. London : Wilkie, 1764.

Robrets, Emma. **Notes of an Overland Journey ... To Bombay.** London : W. H. Allen, 1841.

———. **Oriental Scenes, Dramatic Sketches and Tales, with Other Poems.** London, 1832.

Rossetti, Christina Georgia. **Family Letters.** Ed. William Michael Rossetti. London : Brown, 1908.

———. **Poetical Works, with Memoir and Notes .....,** by William Michael Rossetti. London : Ellis and Elvey, 1795.

Rossetti, Michael, Comp. **Rossetti Papers, 1862 to 1870.** London : Sands and Co., 1903.

Ruskin, John. **The Works.** Library Edition eds. E. T. Cook and A. D. O. Wedderburn. 39 vols. N. Y. : Longmans and Green, 1908.

Russell, Alexander. **Natural History of Aleppo .** 2 vols. London : G. G. and J. Robinson, 1794.

Russell, Thomas. **Sonnets and Miscellaneous Poems.** Oxford, 1789 (esp. Sonnet no. v).

Russell, W. H. **British Expedition to the Crimea.** Rev. ed., London, 1858.

St. John, James Augustus. **Tales of the Ramad'han.** 3 vols. London: Bentley, 1835.

Saintsbury, George. **A History of Nineteenth Century Literature.** London : Macmillan, 1896.

Sale, George, tr. **The *Koran*.** London, 1734 (with a preliminary discourse).

Salt, H. S. **The Life of James Thomson.** London : Reeves and Turner, 1889

Schelling, F. E. **Two Essays on Robert Browning (1890).**

Schlegel, Frederich. Lectures on the History of Literature, Ancient and Modern, from the German. 2 vols. Edinburgh : Blackwood, 1818.

School for Majesty ... An Oriental History. London : W. Lane, 1783.

Scott, John **Oriental Eclogues in The Poetical Works.** London : J. Buckland, 1783.

Scott : The Critical Heritage . Ed. John O. Hayden. London : Routledge, 1979.

Scott, Sir Walter. Ivanhoe. Ed. W. M. Parker. Everyman's edition, 1965.

————. **Miscellaneous Prose Works.** 6 vols. Edinburgh : Cadett, 1827.

————. **Sir Walter Scott : On Novelists and Fiction.** Ed. Ioan Williams. London : Routledge and Paul, 1968.

Seally, John. **Moral Tales after the Eastern Manner.** 2 vols. London, 1814.

Shaftesbury, Anthony. **Charactertistics.** Ed. John M. Robertson. 2 vols. 1900; rpt. Gloucester, Mass. : P. Smith, 1963.

Shaw, Bernard. **Prefaces.** London : Constable, 1934.

Sherer, J. M. **Scenes and Impressions in Egypt and Italy**. London 1824.

Sheridan, Mrs. F. **History of Nourjahad.** London : Dodsley, 1767.

Simonde de Sismondi, J.C.L. **Historical View of the Literature of the South of Europe.** Tr. T. Roscoe, with notes and a Life of

Simonde de Sismondi, J.C.L. **Historical View of the Literature of the South of Europe.** Tr. T. Roscoe, with notes and a Life of the Author. 2 vols. 3rd ed., London : H. Bohn, 1850.

Southey, Robert. **The Complete Poetical Works, Collected by himself,** New ed., N.Y. : Appleton and Co., 1856.

Spence, Joseph. **Observations, Anecdostes 1820.** Ed. James. M. Osborn. Oxford : Clarendon, 1966.

Steele, Sir Richard. **Selections from the Tatler, Spectator, and Guardian.** Ed. Austin Dobson. Oxford : Clarendon, 1885.

Stevenson, Robert Louis, **Essays on Travel and in the Art of Writing.** N.Y. : Scribner's 1923.

———. **Island Nights Entertainments.** 1891; new ed., London : Macmillan, 1928.

———. **Letters.** 4 vols. Ed. Sidney Colvin. N. Y. : Scripner's 1911.

———. **Letters and Miscellanies.** N.Y. : Scripner's 1893.

———. **Memoris and Portraits.** N.Y. : Scribner's 1887.

———. **New Arabian Nights.** London : Chatto 1882.

———, with Fanny v. de G. Stevenson. **More New Arabian Nights : the Dynamiter.** London, 1885

Stoker, B. **Personal Reminiscences of Henry Irving.** 2 vols. London Macmillan, 1906.

Stowe, Harriet Beecher, ed. **A Library of Famous Fiction, Embarcing the Nine Standard Masterpieces.** N. Y. : Ford, 1873.

Swynnerton, Charles. **Indian Nights' Entertainments.** London : Stock, 1892.

Tale of the Four Durwesh. Tr. Lewes F. Smith. Calcutta : Greenway, 1813.

Tales from the Eastern Land. London, 1845.

Tales of the Caliph, By Al Arawiyah. London : Fisher and Unwin, 1887.

Taylor, Bayard, **Poems from the Orient.** Boston : Ticknor and Fields, 1855.

Temple, R.C. **The Legends of the Penjab.** London : Trubner, 1884.

Tennyson, Alfred Lord. **The Poetic and Dramatic Works.** Student's Cambridge edition. N.Y. : Houghton and Mifflin, 1898.

Tennyson, Hallam. **Alfred Lord Tennyson. A Memoir.** 2 vols. N.Y.: Macmillan, 1897.

Thackeray, W.M. **Letters and Private Papers of W. M. Thackeray.** Ed. Gordon N. Ray. 4 vols. Cambridge, Mass. : Harvard Univ. Press, 1946.

———. **Notes of a Journey from Cornhill to Grand Cairo.** London, 1848.

————. **Works.** 30 vols. Kensington Edition. N.Y. : Scribner's 1848.

Thomson, J. **The Political Works.** Ed. B. Dobell, with a memorir of the author. 2 vols. London, Reeves and Turner, 1895.

Thousand and One Days : Persian Tales. Tr. from the French by Mr. Philips. 5th ed., 3 vols. London, 1738.

Trench, Richard. Poems from Eastern Sources. 1842; 2nd ed., London : Parker, 1851.

Tucker, T. G. **The Foreign Debt of English Literature.** 1907; rpt. N. Y. : Haskell House, 1966.

Turkish Evening Entertainments. Tr. by John P. Brown. N.Y. : Putnam, 1850.

Upham, Edward. **Karmath ; an Arabian Tale.** London : Cook, 1827

Urquhart, D. **The Spirit of the East.** 2 vols. London, 1838.

Victorian Scrutinies : Reviews of Poetry 1830-1870. Ed. Isobel Armstrong, Athlone Press, Univ. of London, 1972.

Volney, S. **Travels Through Syria and Egypt, in the years 1783, 1784 and 185.** 2 vols. London, 1787.

Wainewright, Thomas Griffiths. **Essays and Criticism.** Ed. William C. Hazlitt. London : Reeves ond Turner, 1880.

Walpole, Horace. **The Correspondence.** Ed. W. S. Lewis. Vol. XI. N.Y. : Yale Univ. Press, 1954.

————. **The Works.** Ed. R. Berry, with the assistance of his daughter Mary. 5 vols. London, 1798.

Warburton, W. **Dissertation on the Origin of Books of Chivalry,** prefixed to Charles Jarvis' translation of Don Quixote, **The Life and Expolits of the Ingenious Gentleman Don Quixote.** 2 vols. London, 1738-1742.

Warner ,Charles Dudley. **Being a Boy.** Boston : James R. Osgood, 1878.

Warton, Thomas. **History of English Poetry.** 4 vols, 1774-1781. New ed. by Richard Price. London, 1824.

Wells, Charles. **Mehmet, the Kurd, and Other Tales from Eastern Sources.** London : Bell and Daldy, 1865.

White, Gleeson. **English Illustration : «The Sixties», 1855-1870.** 1897; Kingsmead Rpts., 1970.

Whittaker, G. B. **Karmath : An Arabian Tale.** London : Charles F. Cock, 1827.

Wood, Robert. **Essay on the Original Genius and Writings of Homer.** 1769 ; enl. ed. London : T. Payne.

Wordsworth, Christopher. **Memoirs of William Wordsworth.** Ed. H. Reed. Boston : Ticknor and Reed, 1851.

Wordsworth, William. **The Poetical Works. Ed. E. Dowden. 7 vols. London : Aldine Edition, 1892.**

Wordsworth, Chirstopher. **Memoirs of William Wordsworth.** Ed. H. Reed. Boston : Ticknor and Reed, 1851.

Wordsworth, William. **The Poetical Works. Ed. E. Dowden. 7 vols. London : Aldine Edition, 1892.**

Wordsworth, William and Dorothy. The Letters (covering 1787-1850, early middle and later years). 6 vols. Ed. E. De Selincourt. Oxford : Clarendon, 1935-1939.

Yardley, E. **The Supernatural in the Romantic Fiction. London : Longmans, 1880.**

المصادر الرئيسية

(ب) : النقد الأدبي الصحفي ١٧٠٣ ـ ١٩١٠

لابد من كلمة تقال بحق هذه المادة : فلتعريف كتاب بعض المقالات استعنت بمعجم Pools و Wellesley, وآخرين • ولتسهيل مهمة تنظيم الفقرات في هذا الباب فقد تم وضع المجلات الانكليزية أو الأميركية ذات العناوين المتشابهة تحت مدخل واحد • وقلما أدرجت المقالات المعنية بالثقافة العربية عامة ، أو تلك المتعلقة بالدراسات المقارنة : فهذه تحتاج بابا لوحدها • وتم استثناء عدد كبير من الصحف والمجلات التي كتبت عن ريشارد بيرتن ، ذلك لأنه اهتم بهذه في الليالي الملحقة من ترجمته ، وفي كل مدخل تم ترتيب الفقرات حسب تسلسل صدورها وظهورها . لكي تتوفر للقارىء فرصة التعرف على تداخلات الولع بالليالي ومسبباته التاريخية •

Academic :

Review of Thomas Hope's**Anastasius, XVIII (Oct. 1, 1821), 345-50.**

Academy

«**A Low-German Aesop,» II (March 1, 1981), 151 (Felix Liebrecht).**

«Captain Marryat a Plagiarist,» VII (Feb. 27, 1875), 218-19 (H. G. Coote — on the indebtedness of the **Pasha of Many Tales to** Beloe's **Miscellanies).**

«Specimens of a new translation of the 'Thousand and One Nights, XV (April 26, 1879), 369-70 (Reginald Stuart Poole).

«Arabic Poetry for English Readers,» XIX, no. 472 (May 21, 1881), 375-77 (George Percy Badger).

«The Book of the Thonsand and One Nights,» XX, no. 499 (Nov. 26, 1881), 403 (George Percy Badger).

«The Book of the Thousand Nights and One Night,» XX, no, 500 (Dec. 3, 1881), 421 (A. Granger Hutt).

«The Thousand and One Night,» XX, no. 500 (Dec. 3, 1881), 421 (Reginald Stuart Poole).

«The Thousand Nights and One Night,» XX, no. 501 (Dec. 10, 1881), 437-38 (George Percy Badger).

«The Book of the Thousand Nights and One Night,», XX, no. 502 (Dec. 17, 1881), 457 (A Granger Hutt).

«The Book of the Thousand Nights and One Night,» XX, no. 502 (Dec. 17, 1881), 457 (Wm. Wright).

On James Thomson's «Doom of a City» in a Voice from the Nile and Other Poems, XXIV, no. 604 (Dec. 1, 1883), 364.

«The Book of Sindibad,» XXVI, no. 646 (Sept. 20. 1884), 175-76 (Richard Burton).

«The Thousand Nights and a Night, XXVIII, no. 693 (Aug. 15, 1885) (Richard Burton).

Correspondence -- «The Arabian Nights' Entertainments», XXVIII, No. 700 (Oct. 3, 1885), 223 (John Addington Symonds).

«The Arabian Nights,» XXVIII, no. 702 (Oct. 17, 1885), 258 (Edward Peacock).

«Notes and News,» XXIX, no. 738 (June 26 1886), 450.

«Notes and News,» XXX, no. 747 (Aug. 28, 1886), 135.

«Notes and News,» XXX, no. 749 (Sept. 11, 1886), 167.

«Notes and News,» XXX, no. 755 (Oct. 23, 1886), 277.

«History of the Forty Vezirs,» XXX, no. 579, n. ser (Nov. 20, 1886), 337-38 (Richard Burton).

«The Orientalism of Galland's «Arabian Nights'», XXX, no. 755 (Oct. 23, 1886), 277.

«The Final Aspirate in Arabic», XXX, no. 760 (Nov. 27, 1886), 760 (J. W. Redhouse).

«Lady Burton's Edition of her Husband's «Arabian Nights', XXX, no. 762 (Dec. 11, 1886), 387-88 (Amelia B. Edwards).

«Tales of the Caliph,» XXX, no. 764 (Dec. 25, 1886), 425.

«Thousand and One Nights,» XXXI, no. 767 (Jan. 15, 1887), 43.

«Notes and News,» XXXI, no. 768 (Jan. 22, 1887), 58.

«The Thousand and One Nights,» XXXI, no. 768 (Jan. 22, 1887), 58.

«Notes and News,» *XXXII*, no. 794 (July 23, 1887), 53.

«The Kama Shastra Society,» XXXI, no. 814 (Dec. 10, 1887), 389-90.

«Lady Burton's Edition of her Husband's 'Arabian Nights', *XXXII*, no. 817 (Dec. 31, 1887), 438-39.

«The Supplemental «Nights», XXXIV, no. 848 (Aug. 4, 1888), 72 (Richard Burton).

«The Treasury of King Rilampsinitus, XXXVIII (Nov. 29, 1890), 509-10.

«The Ancient East,» LVI (Feb. 18, 1889), 213-14.

Ainsworth's Magazine

«Sultan Stork : Being the One Thousand and Second Night,» 2 pts. (Feb. and May 1842), 33-38, 233-37 (W. M. Thackeray).

American Journal of Philogy

«Ali Baba and the Forty Thieves», *XLVII*, 307-09.

American Journal of Semitic Languages.

«Story of Aḥikar and the Book of Daniel,» XVI (July 1900), 242-47 (George A. Barton).

American Review

«The Thousand and One Nights,» VI (Dec. 1, 1847), 601-18 (G. W. Peck).

Antijacobin Review

Review of **Massouf ; or, the Philosophy of the Day,** XII (July 1802).

Review of Landor's **Gebir,** XVII Feb. 1804), 182-84.

Review of Hope's **Anastasius,** LVII (Jan. 1820), 442-50.

Antiquary

«A Variant of the Legend of Mab's Cross in the «Thousand and One Nights», XXXVIII (1902), 24-25 (William E. A. Axon).

Asiatic Journal and Monthly Register

Review of Moore's **Lalla Rookh,** (Nov. 1817), 457-67.

«On the Origin of the «Arabian Nights», XXVIII (July 1829), 560-

66 (rpt. in **Selections from the Asiatic Journal,** covering Jan. 1816 to Dec. 1829 (Madras, 1875), 996-1001, by Baron De Sacy).

«Literary Intelligence,» n. ser. XXII (1837), 84.

«Sir Richard Ryan's Proposition to the Asiatic Society of Bengal,» n .ser. XXII (1837), 249-52.

«The Alif Leila, or Arabian Nights' Entertainments,» n. ser. XXIII (1837), 64-69 (on Brownlow's Ms.)

«Remarks on M. Schlegel's Objections to the Restored Editions of the Alif Leilah, or Arabian Nights' Entertainments,» ni ser. XXV (1838), 72-77 (Henry Torrens).

«The Romance of Antar,» n. ser. XXVII (1939), 57-61.

On Torrens' Translations, n. ser. XXVIII (1839), 121.

«The Arabian Nights,» n. ser. XXX (1939), 69-84.

«History of the Barmekides,» n. ser. XXX (1838), 127-37.

«Alf-Lailah wa Lailat, or Thousand and One Nights,» n. ser. XXX (1839), 177-84, 275-80.

«Persian Origin of the «Arabian Nights», n. ser. XXXI (1840), 237.

«Supplement to the «Arabian Nights,» n. ser. XXXIII (1840), 56-62, 130-38.

«The Alif Laila,» n. ser. XXXIII (1840), 203.

Anthenaeum

«Contes Arabes du Cheykh el Mahdy,» no. 355 (1834), 605-06.

On Baron de Sacy's Memoir respecting the origin of the Nights, No. 355 (1834), 797.

«Memoires des L'Institut Royal de France,» no. 367 (Nov. 8, 1834), 817.

«Tales and Popular Fictions,» rev. of Keightley's work, no. 326 (Jan. 25, 1835), 67-68.

«The Arabian Nights' Entertainments ; with copious Notes, no. 572
Oct. 13, 1838), 373-39 ; Pt. 2, no. 573 (Oct 20, 1838), 759-60; Pt. 3, no. 574 (Oct. 27, 1838), 773-75.

«The Book of the Thousand and One Nights,» no. 622 (Sept. 1839), 741-42; no. 624 (Oct. 1839), 773-75.

«The Shaving of Shagpat; an Arabian Night Entertainment, by George Meredith,» no. 1471 (Jan. 5, 1856), 6.

«Dalziels' Illustrated Arabian Nights' Entertainments» and Towsend's «Arabian Nights' Entertainments,» no. 1983 (Oct. 28 1865), 572-73.

«The Arabian Nights,» LIV, no. 2822 Nov. 26, 1865), 572-73.

«The Arabian Nights,» LIV, No. 26, 1881), 703 (Richard Burton).

«Al Arawiyah,» no. 3092 (Jan. 29, 1887), 159.

«Lady Burton's Edition of her Husband's Arabian Nights,» no. 3159 (May 12, 1888), 594-94.

«A Source of the Book of Tobit,» LXIII, no. 3292 (Nov. 29, 1890), 738-39 (W. F. Kirby).

Review of **Arabian Nights Entertainments**, illustrated by Wood, no. 3310 (April 4, 1891), 437.

«The Book of Sindibad,» no. 3333 (Sept. 12, 1891), 355-56 no. 3336 Oct. 3, 1891), 451-52 (W. A. Clouston).

«Aladdin and the Enchanted Lamp,» no. 3378 (July 23, 1892), 130 (W. F. Kirby).

«Oriental Literature,» No. 3406 (Feb. 4, 1893), 101.

«The Library Edition of Sir Richard Burton's Translation of the **Arabian Nights**,» no. 3513 (Feb. 23, 1895), 247-48.

Review of Sindbad the Sailor and Ali Baba and Forty Thieves (il-(lustrated by W. Strang and J. B. Clark), no. 3553 (Nov. 30, 1895), 759.

«The Thousand and One Nights ... with an introduction by Joseph Jacobs», no. 4596 (Sep. 26, 18996, 412-13.

«The Thousand and One Nights,» Jacobs' remonstrance and a re-ioinder, no. 3598 (Oct. 10, 1896), 484-85.

«The Arabian Nights in French,» no. 3752 (Sept. 23, 1899), 413-14.

Review of Stanley Lane-Poole's Bohn edition of uncle's (Lane's translation, no 4130 (Dec. 22, 1906), 801.

Atlantic Monthly

«George Meredith,» LXIII (Feb. 1888), 178-93.

«The The Thousand and One Nights,» LXIII (June 1889) (C. H. Toy).

Augustan Review

Review of **Osman. A Turkish Tale,** I (Oct. 1815), 577-80.

Review of **Vathek,** 1 (Dec. 1815), 843-84.

Blackwoods' Edinburgh Magazine.

Blackwoods' Edinburgh Magazine.

Review of **Lalla Rookh,** I (June1817), 279-85; concluded (Aug. 1817), 503-10 (John Wilson).

«Remarks on the Romance of antar,» IV (Jan. 1819), 385-94 (J.C. Lockhart)

«Hajji Baba on Ispahan,» XV (Jan. 1824), 51-57 (Henry Thomson).

«Eastern Stories,» XVIII «July 1825), 61.64, (Robert Ferguson «Gillie's German Stories,» XX (Dec. 1826), 844-58 — on the **Nights,** p. 845 (Thomas De Quincey).

«Tennyson's Poems,» XXXI (May 1832), 721-41 — on «Recollections ...,» pp. 738-40 (John Wilson).

«Aladdin, a dramatic poem, in two parts, by Adam Ochlenschlaeger,» XXXVI (Nov. 1834), 620-41 (George Moir).

«Story of Bab-ey-buk,» XLII (Nov. 1837), 648-60 (James White).

«A few words about Novels — a dialogue in a letter to Eusebius,» LXIV (Oct. 1848), 459-74 — about the **Nights,** 472-73 (John Eagles).

Bookman

«Origin of the Arabian Nights Entertainments,» XIV (Dec. 1901), 341.

«Thomas De Quincey,» XXXI (Feb. 7, 1907), 207-12 — On Quincey's «detailed reference» to the **Nights,** p. 208 (William E. A. Axon).

«The Thousand and One Nights,» XXXI (March 1907 , 258 (William E.A. Axon).

Review of K.D. Wiggin's and N. Smith's edition of the **Nights** (Dec. 1909), 344 (Algernon Tassin).

Bookmart

Not eon the Editions of Burton and Payne (Oct. 1886), 180, 185.

British Critic

«Literary Intelligence,» — on Scott's projected translation, XII (1978), 692.

Review of Landor's **Gebir,** XV (Feb. 1800), 190.

Review of William Gardiner's **The Sultana, or the Jealous Queen : a Tragedy,** *XXVIII* **(Oct. 1806), 455.**

Review of Moore's **Lalla Rookh, n.** ser. VII (June 1817), 604-16.

British Lady's Magazine

Review of Moore's **Lalla** Rookh, n. ser. I (Sept. 1817), 180-81.

British Review

Review of Moore's **Lalla Rookh,** X (1817), 30-545.

Brighton Magazine

Review of George Croly's **The Angel of the World, an Arabian Tale,** I (1822), 79-84.

Century Magazine

«New Arabian Nights,» XXV (1882), 628.

Contemporary Review

«On the Pleasure of Reading,» XLIX (Feb. 1886), 240-5 1(Sir John Lubbock).

«About Fiction,» LI (1887), 172/80 (R. Haggard).

Cornhill Magazine

«The Arabian Nights,» XXXII (Dec. 1875), 711-32 (James Mew).

Cosmopolitan

«The Real 'Arabian Night,' XXVI (March 1899), 483-94.

Critic

«Mr. Comstock and the Arabian Nights,» n. ser. III (April 4, 1885), 161-62.

«Notes,» n. ser. VI (Dec. 4, 1886), 23.

On the **Nights,** XXIX, n. ser. XXVI (Nov. 12, 1896), 318.

Critical Review

Review of the **Tales of the Genii,** XVIII (1764), 40-41 (Owen Ruffhead).

«D'Alenzon's Bronze,» XXVII (1769), 178-81.

«History of the Caliph Vathek,» 1st ser. LXII (1786), 37-42.

Review of Landor's **Gebir,** n. ser. XXVII (Sept. 1799), 29-39.

Review of the 1798 ed. of the **Nights, n. ser. XXVIII (Nov. 1799), 356.**

Review of William Gardiner's **The Sultana,** 3rd ser. IX (Oct. 1806).

Review of Massouf, n. ser. XXXVI (Sept. 1802), 117.

Review of **Osman, a Turkish Tale,** 5th ser. II (Aug. 1815), 210-13.

Review of Moore's **Lallah Rookh, 5th ser. V (June 1817), 560-81.**

Current Literature

«Arabian Tale,» XXIX)Oct. 1900), 472-74 (Edwin Arnold).

Dublin Examiner

Review of **Vathek,** I (Sept. 1816), 338-50.

Dublin Magazine

Review of the Maid of Araby, 1 (April 1820), 314-15.

Dublin Review

«Arabian Nights' Entertainments,» VIII (Feb. 1840), 105-33 (Mr. Hattersley).

Eclectic Review

Review of **Lalla Rookh,** IV (1817), 340-53.

Review of George Croly's **Angel of the World,** n. ser. XV (1821), 30-34.

Review of the **Adventures of Hajji Baba,** n. ser. XXI (April 1824), 341-55).

«Lane's Arabian Nights,» n. ser. VIII (1840), 641-60.

Edinburgh Review

Review of Moore's **Lalla Rookh,** XXIX (Nov. 1817), 1-35.

Review of **Anastasius,** XXXV (March 1821), 92-102 (Sindney Smith).

«The Arabian Nights,» CLXIV (July 1886), 166-99 (Stanley Lane-Poole).

Englishman's Magazine

«On some of the characteristics of Modern Poetry,» 1 (Aug. 1831), 621-23.

European Magazine

Review of **Vathek,** X (Aug. 1786), 102-04.

Review of Moore' **Lalla Rookh,** LXXII (July 1817), 55-58.

Expository Times

«The Story of Ahikar,» X (1898), 276-77.

Folk-Lore Journal

«Folklore the Source of some of M. Galland's Tales,» III, Pt. 2 (1881), 178-91 (Henry Charles Coote).

«Forbidden Chambers, III, Pt. 3 (1885), 193-242 (S. Hartland).

«The Forbidden Door of the 1001 Nights,» (March 1887), 112-24 (W. F. Kirby).

Review of Jacob's **Book of Wonder Voyages,** VIII (1897), 266-67.

«The Binding of a God : a Study of the Basis of Idolatry,» VIII (1897), 325-55 (W. Crooke).

«Cairene Folklore,» XI, (1900), 354-95 (A. H. Sayce).

On other details related to the **Nights** in «Cairene Folklore,» — **Pt.** 3, XVI (1906), 191-200 (A. H. Sayce).

Foreign Quarterly Review

«Arabic Literature,» III (Sept 1828), 1-28 (W. D. Cooley).

«Professor Schlegel and the Oriental Translation Fund,» XI (April 1833), 315-33 (W. C. Taylor).

«New Arabian Tales,» XIV (Dec. 1834), 350-69 (W.C. Taylor).

«Miscellanceous Literary Notices» (On De Sacy, XIV (Dec. 1835), 470-77 — esp. 472 (John Macray).

«Arabian Nights,» XXIV (Oct. 1839), 139-68 (B. E. Pote).

Fortnightly Review

«Burton as I knew him,» LIV, n. ser. 48 (Dec. 1890), 878-84 (V.I. Cameron).

«Elegy,» on the death of R.F. Burton, LVIII (July 1, 1892), 1-5 (A.C. Swinburne).

«Richard Burton,» LXXXV (June 1906), 1093-45 (Ouida).

«William Beckford of Fonthill,» n. ser. LXXXVI (1909), 1011-23 (L. Melville).

Forum (N.Y.)

«New Story-Tellers and the Doom of Realism,» XVII (1894-1895), 471-80 (W.R. Thayer).

Fraser's Magazine

«Bramecide Banquets,» XXXII (Nov. 1845), 584-93 (W. M. Thackeray).

«The Tale of an Arab Story-Teller,» XXXIX (Jan. 1849), 112-17.

«Abdallah and Saida ; a tale of Mesopotamia, LV (June 1857), 718-22.

Freethinker

On the **Pall Mall Gazette's** Criticism of (Oct. 25, 1885), 339-40.

Gentleman's Magazine

«Story from an Arabian Ms.,» VII (April 1737, 195-96.

«An Arabian Story,» VII (July 1737), 435-36.

«Story of Parizade in the Arabian Tales,» XXIV (May 1754), 222-23.

«History of Caliph Vathek,» LVI, Pt. 2 (July 1786), 593-94.

Another note on Vathek, LVIII (Jan. 1787), 55-56 (Stephen Weston).

«Conjectures Concerning the History of **Vathek** Obviated,» LVII (Feb. 1787), 120 (Samuel Henley).

«Palace of Istaker,» LX (Jan. 1790), 69-70, 163-65, 258-59 — a poetic version of the concluding scene to **Vathek** («A.V.»).

On Voltaire's reference to Galland's edition, LXIV (1794), 527 (Sciolus»)

«Arabian Tales,» LXIV (Sept. 1794), 783-84 («M — S»)

Another reference to Voltaire's statement and a rejoinder, LXVI (1796), 396 («Scioulus»).

On Galland's Gazette's editions, LXVI (1790), 488 («P.Q.»).

«Hole's Remarks on the Arabian Nights' Entertainments,» LXVII (July 1797), 540-41 (Stephen Weston).

«Arabian on the Arabian Nights' Entertainments,» LXVIII (Dec.

«Remarks on the Arabian Nights' Entertainments,» LXVII (Dec. 1797), 1047-49.

On the autenticity of Gazette's **Tales,** LXVII (Sept. 1797), 1081 («E.O.E.»).

On dating the first English translation of the **Nights,** LXVIII (Jan. 1798), 19.

«Arabian Nights,» LXVIII (April 1798), 304-05 («M.N.».

«Arabian Nights Entertainments, LXVIII (Sept. 1798), 757-58 («W. W.»).

«Arabian Nights Entertainments» (on Beloe's trans. of the **Continuation),** LXIX (Jan. 1799), 55.

«On the Authenticity of the Arabian Talex,» LXIX, Pt. 1 (Feb. 1799), 91-92 (Patrick Russell).

Review of Landor's **Gebir,** LXIX (Suppl., 1799), 1144.

«Tales, Anecdotes, and Letters,» LXX (Dec. 1800), 1180-82.

«Arabian Tales,» LXXII (July 1802), 608 («A Lover of the Arabian Nights»).

On borrowings from a Miscellany of Eastern Learning, LXXII (Aug. 1802), 701-02 («Altharicus»).

«Oriental Collections», LXXIV (Nov. 1804), 1033-37.

«On Scott's use of Gough's revised edition of the **Nights,»** LXXX **(Jan. 1810), 39.**

Review of Osman, a Turkish Tale LXXXV and LXVII (Supple., Jan. - June 1815 and July 1817), 611, 55-57, respectively.

Review of Moore's **Lalla Rookh,** LXXXVII (June 1817), 535-37.

Review of Mrs. Leman Grimstone's **Zayda ; a Spanish Tale; and Other Poems,** XC **(Aug. 1820), 150.**

Hartford Seminary Record

«Problems of Muhammadanism,» XV, 2 (1905), 77-97 (D.B. Macdonald).

Household Words

«**A Christmas Tree**» **(Dec. 21, 1850), 289-95.**

«A Christmas Tree» (Dec. 21, 1850), 289-95.

«The Child's Story,» extra no. (1852), 5 (Dickens).

«Discovery of a Treasure Near Cheapside» (Nov. 13, 1852) — rpt. in Harry Stone's edition of **Uncollected Writings from Household Words, II**, 443-53 (Dickens).

«On Thousand and One Humbugs» (Aprii 21, 1855), 265-67 ; (April. 28, 1885), 289-92 ;

(May 5, 1855), 31316 (Dickens).

«The School of Fairies» (June 30, 1855), 509-13 (Henry Morley).

Illustrated London News

Review of Nelson Lee' pantomime, the **Forty Thieves** (Jan. 9, 1847), 26.

Independent

Review of George Croly's **Angel of the World, no. VIII (Feb. 24, 1821), 120-22 (Eng. Per.).**

«A Lesson from the 'Arabian Nights',» LIII (Jan. 3, 1901), 23-25 (M. Maeterlinck — N.Y.

Review of Stanley Lane-Poole's Bohn edition of his uncle's (E. W. Lane) translation, LXII (Jan. 17, 1907), 159 — N.Y.

International Quarterly (N.Y.)

(Story of Ahikar,» IV (July 1901), 122-26 (G.A. Barton).

Journal of American Folklore

«Filipino ... version of Aladdin,» XX (April 1907), 117-18 (F. Gardener) .

Journal of the Bombay Branch of the Royal Asiatic Society.

«A Few Analogies in the «Thousand and One Nights' and in Latin Authors», XIV, no. *XXXV* **(1879), 74-85 (E. Rehatsek).**

Journal of the Royal Asiatic Society

«Jatakas in the Arabian Nights,» n. ser. XXII (1890), 504.

«Maximilian Habicht and his Recension of the Thousand and One Nights» (1609), 685-704 (D. B. Macdonald).

«Ali Baba and the Forty Thieves, in Arabic, from a Bodleian Ms.,» (1910), 327-86 (D.B. Macdonald).

Leigh Hunt's London Journal

«**Genii and Fairies of the East, the Arabian Nights,» I, no. 30 (Oct. 22, 1834), 233-37.**

Leisure Hour

«Arab Story Tellers,» XXIII (1874), 486-87, 748-50 (H. Hopley).

'Story-Telling in All Ages,» XXXIV (1885), 199-202, 273-77, 351-54 (R. Heath).

Gleanings from Story Tellers,» XXXV (1886), 543-47 (G.L. Browne).

Literary Digest

Review of K.D. Wiggin's and N. Smith's edition of the **Nights**, LXXXIX (Dec. 1909), 1025.

Literary Journal

Review of Hoppner's **Oriental Tales,** V (Feb. 1805), 138-42.

Literary World

«The Origin of the Arabian Nights,» III (Feb. 12 and 26, March 18 and 25. May 13, 1848), 26-28, 63-65, 123-25, 144-46, 284-86, respectively (E. G. Langdon).

«The Arabian Nights' Entertainments,» III, no. 89 (Oct. 14, 1848), 724-25.

«The New Arabian Nights,» rev. of Kirby's translation, XIV (1883). 5-6.

Longman's Magazine

«A Gossip on Romance,» I (1882-1883), 69-79 (R. L. Stevenson).

London Magazine

Review of Hope's **Anastasius,** I (Jan. 1820), 76-79 (Baldwin's); and in (Gold's) I (1820), 57-67, 294-302, 410-14.

«Eastern Story-Tellers,» XX (May 1828), 183-86.

Macmillan's Magazine

«Alkamah's Cave : Story of Nejd,» Pt. 1, XXXI (March 1875), 448-62;Pt. 2 (April 1875), 535-49; and Pt. 3, XXXII (May 1875), 73-88 (W. G. Palgrave).

Monthly Magazine

Review of Landor's **Gebir, Suppl. VII (Jan. 20, 1800),** 1051-52)

Review of Massouf, Suppl. XIV Jan. 25, 1803), 599.

Review of William Gardiner's **The Sultana,** Suppl XXII (Jan. 25, 1807), 642.

Review of Moore's **Lalla Rookh,** XLIII (June 1817), 450-51.

Review of Charles Phillips' **The Arab,** *XLVIII* **(Aug. 1819), 49 (rpt. in Fireside Magazine,** I (sept. 1819), 355).

Review of Mrs. L. Grimstone's **Zayda,** *XLIX* **(July 1820), 556.**

Monthly Mirror

Review of **Massouf,** XIV (Aug. 1892), 108.

Review of Wiliam Gardmer's **The Sultana,** XXII (Dec. 1806), 408.

Monthly Review

Review of Some Oriental talex, XX (1759), 380.

Review of Almoran and Hamet, XXIV (May 1761) (Owen Ruffhead).

«An Arabian Tale (Vathek), from an Unpublished Manuscript,» LXXVI (May 1787), 450.

«Arabian Tales,» 1st ser. XI (June (1793), 152-59 (Thomas Holcroft).

«Hole's Remarks on the Arabian Nights' Entertainments,» 1st ser. XXIV (Sept. 1797), 44-46.

«Arabian Nights' Entertainments» (rev. of the 1798 ed.), 1st ser. XXIX (1799), 474-76.

Review of Landor's **Gebir,** 1st ser. XXI (Feb 1800), 206-08.

«The Story of Al Raoui, a Tale from the Arabic,» 1st Ser. XXXII (1800), 429.

«Oriental Tales — tr. into English verse by J. Hoppner,» 1st ser. XLVI (1805), 404-09 (L.E. Christopher).

Review of Wiliam Gardiner's **Sultana,** n. ser. LIX (Aug. 1809), 436-38

Review of the **Parliament of Ispahan ; an oriental Eclogue,** LXII (May 1810), 104-05.

Review of **Osman, a Turkish Tale,** LXXVIII (Oct. 1815), 215-16.

Review of Lallah Rookh, LXXXIII (1817), 177-201, 285-99.

Review of Mrs. L. Grimstone's **Zayda,** XVIII (Oct. 1820), 215-16.

Review of **Antar,** XCIV (March 1820, 277-92).

«New Arabian Nights' Entertainments,» n. ser. i. (1826), 362-70.
«The Arabian Nights' Entertainments : with copious Notes,» n. ser II I(Dec. 1838), 583-94.

Nation

«On Translating the Arabian Nights.» in 2 pts. LXXI, nos. 1835-36 (Aug. 30, Sept. 6, 1900), 167-68, 185-86, respectively (D.B. Macdonald).

Review of a new edition of Lane's translations, LXXIII (Dec. 12, 1901) 460.

Review of Stanley Lane'-Poole's Bohn edition of his uncle's translation, LXXXIII (Dec. 21, 1906), 555.

Review of vol. 4 of the same art., LXXXIV (Jan. 31, 1907), 106.

«Arabic Ms. of Ali Baba and the Forthy Thieves», LXXXVII (Oct. 8, 1908), 335 (D.B. Macdonald).

Review of the Kate Wiggin, Nora Smith volume, LXXKIX (Dec. 2, -1909), 538.

National Review

«The People of the Arabian Nights,» IX July (1859), 44-71 (Walter Bagehot; rpt. in Littell's **Living Age,** LXII (1859), 317-42).

«Story-Telling in the East,» (Sept. 1888), 79-86 (A.H. Sayce).

New Annual Register

Review of Massouf, *XXIII* **(1802, 322.)**

Review of Hoppner's **Oriental Tales,** XXVI (1805), 355.

New London Review

Review of the **Enchanted Mirror,** I (June 1799), 616.

New Monthly Magazine

Review of Moore's **Lalla Rookh,** VII (Aug. 1817), 52.

«On Arabic Poetry, especially the Romance of Antar,» XIII (Jan., Feb. 1820), 12-18, 151-61 (J. Von. Hammer).

Review of Hope's **Anastasius** XIII (1820), 56-62, 192-98.

Review of Grimstone's Zayda, XIV (July 1820), 92.

«New Series of Arabian Nights' Entertainments,» 2nd ser. XVI (1826), 336-42 (Leigh Hunt).

«The Adventures of Khodadad,» LVII (Feb., March 1840), 180-93, 373-84 (Charles Stuart Savile).

«Recollections of the Author of «Vathek',» LXXI (June 1944), 143-58, 302-19 (Cyrus Redding).

«Story of the Cadi and the Robber», XCIX (Sept. 1853), 85-91 (Tr. A. H. Bleeck).

«Gleanings from Anglo-Oriental Literature,» IX (June 1877), 674-87 (P.Q. Kegan).

New Review

Review of Vathek. IX (1786), 410-12; X (1787), 33-39.

«Sir Richard Burton : An Explanation and a Defence,» VII (Nov. 1892), 562-78 (Isabel Burton).

New Quarterly Magazine

«The Thousand and One Nights,» in 2 pts., II (Jan.-April), 1879), 150-74, 377-401 (John Payne).

North American Review

«Italian Popular Tales,» CXXIII (July 1876), 25-60 (T. F. Crane).

«The 'Thousand and One Nights' and the 'Morte d'Arthur,» CLXXXIV (Jan. 18, 1907), 150-56(Cameron Mann).

Review of the Kate Wiggin and Nora Smit volume, CXC (Dec. 1909), 834.

Oriental Herald

Review of **Hajji Baba,** I (1824), 451166.

Outlook

«Arabian Nights Stories,» LIII (Feb. 15, 1896), 289 (Helen M. North).

Review of Stanley Lane-Poole's edition of his uncle's trans., LXXXV (Jan. 12, 1907), 94 .

Review of the Kate Wiggin and Nora Smith volume, XCIII (Dec. 4, 1909), 787.

Pall Mall Gazette

«The Best Hundred Books, » extra No. 24 (1886), 2-27.

Penny Magazine

«Antar, an Arabian Romance,» VI (Feb. 1837), 55-56.

Quarterly Review

«Dunlop's **History of Fiction,**» XIII (July 1815), 384-408 (Francis (Palgrave).

Review of Henry G. Knight's **Eastern Sketches,** XXII (July 1819), 149-58 (Stratford Canning).

Review of Hope's **Anastasius,** XXIV (1821), 511-29 (William Gifford).

Review of **Hajji Baba of Ispahan in England,** XXXIX (Jan. 1829), 73-99 (Walter Scott).

«Hatim Tai. a Romance,» XLIX (July 1933), 506-17 (M. J. Quin).

«Lane's **Manners and Customs of the Modern Egyptians,**» LIX (July 1937), 165-203 (John Barrow).

«Foster on Arabia,» LXXIV (Oct. 1844), 325-59.

«The Author of **Vathek,**» CCXIII, No. 425 (Oct. 1910), 377-401 (Stanley Lane-Poole)

St. James Magazine

«A London Arabian Nights Entertainment,» IX (Dec. and March 1684), 364-72.

Saturday Review

«Shaving of Shagpat,» (Jan. 19, 1856), 216 (G. H. Lewes).

«New Arabian Nights» LIV (Aug. 19, 1882), 250-51.

«The Arabian Nights,» a review of both Stanley Lane-Poole's new edition of his uncle's and a reprint of Scott's (Nov. 4, 1882), 609.

«Arabian Society in the Middle Ages,» LV (March 3, 1883), 284-85.

«Burton's Arabian Nights,» LXI (Jan. 2, 1886), 26-27.

«Burton's Arabian Nights» (March 27, 1886), 448-49.

«The Thousand Nights and a Night,» LXIII (April 1887), 632-33.

«Lady Burton's Edition of the Arabian Nights» (Sept. 10, 1887), 367-68.

«Supplemental Nights» (July 21, 1888), 86-87.

«Arabian Nights Illustrated» (Aldine edition), LXX (Dec. 13, 1890), 688.

«The Thousand and One Days,» LXXIV (Nov. 12, 1892), 569.

«Burton's 'Arabian Nights' Re-edited,» LXXIX (March 9, 1895), 322-23.

Scots Magazine

Review of Moore's **Lalla Rookh**, LXXIX (July 1817), 528-31.

Scribner's Magazine (N.Y.)

«Arabian Nights' Entertainments» (a poem), XIV (July 1893), 56-62 (W. E. Henley).

Spectator

«Mr. Stevenson's Stories,» LV (Nov. 11, 1882), 1450-52.

«The Religion of the Arabian Nights,» LV (Nov. 25, 1882), 1513-14.

Tinsley's Magazine

«Some United Tales from the «Arabian Nights',» (March 1882), 229-37.

Westminister Review

«New Translations of the Arabian Nights,» XXXIII (Oct. 1839) 101-37 (Leigh Hunt).

«The Shaving of Shagpat,» LXV, n. ser. IX (April 1856), 638-39 (George Eliot).

Review of Murray's **Hassan**, LXIX, n. ser. XIII (Jan. 1858), 164

Belles Lettres and Art,» LXIX, n. ser. XIII (1858), 291-93. (George Meredith reviewing Ochienschlager's **Aladdin).**

Review of Stevenson's **New Arabian Nights**, CXIX (Jan. 1883), 137-38).

«Belles Lettres,» review of Stanley Lane-Poole's **Stories from the Arabian Nights**, CXXXVII (1892), 347.

«History as Told in the Arabian Nights,» CXLIII (March 1895), 253-77 (J. F. Hewitt).

المراجع :
(أ) المراجع المنشورة

Abbott, Nabia. «A Ninth-Century Fragment of the 'Thousand Nights,» **Journal of the Near Eastern Studies,** VIII no. 3 (July 1949). 129-64.

Abdel-Hamid, Samir, «Oriental Background of the **Monk** ... and its Impact on Horror Romantic Fiction in England during the late Eighteenth Century,» **Bulletin of the Faculty of Arts,** University of Cairo, XXV, pt. I (May 1963), 13-27.

Abrams, M. H. **The Mirror and the Lamp : Romantic Theory and the Critical Tradition.** N. Y. : Oxford Univ. Press, 1953.

Aldridge, A.O. «Addison's 'Vision of Mirza,» **Explicator,** vol. VI, no. 6 (April 1948), item 37.

Alexander, Boyd. **England's Wealthiest Son.** London : Centaur Press, 1962.

———. **Life at Fonthill, 1807-1822.** London : Rupert Hart-Davis, 1957.

Allen, B. Sprague. **Tides in English Taste, 1619-1800.** 2 vols. Combridge, Mass. : Harvard Univ. Press, 1937.

Altick, Richard D. **The English Common Reader : A Social History of the Mass Reading Public, 1800-1900.** 1957; rpt. Chicago : Chicago Univ. Press, 1963.

America. «Arabian Nights : Musical Comedy,» XCI (July 10, 1954), 386 : XCIII (Aug. 6, 1955), 458-59; and XVII (Aug. 5, 1967), 139.

Anis, Mohammad. «British Travellers' Impressions of Egypt in the Late Eighteenth Century,» **Bulletin of the Faculty of Arts,** Fouad I University — Cairo, XIII, pt. II (Dec. 1951), 9-37.

Arberry, A. J. **British Orientalists.** London : Collins, 1943.

————. **Oriental Essays : Portraits of Seven Scholars.** N. Y. : Macmillan, 1960.

————, tr. **Scheherazade : Tales from the Thousand and One Nights.** London : Allen and Unwin, 1954.

Archer, J. C. «Our Debt to the Moslem Arab,» **Muslim World,** XXIX (July 1939), 248-64.

Arnold, Sir Thomas and Alfred Guillaume, eds. **Legacy of Islam.** Oxford : Clarendon Press, 1931.

Asin, J. M. **Islam and the Divine Comedy.** London Murray, 1926.

Athenaeum. Review of the Dodd's edition of the **Nights,** no. 4438 (Nov. 16, 1912), 584 .

Babbitt, Irvin. «Romanticism and the Orient,» **Bookman,** LXXIV, no. 4 (Dec. 1931), 349-57.

Baird, James. «Critical Problems in the Orientalism of Western Poetry,» **Asia and the Humanities,** II (1959), 38157.

Bajrkatarevic, F. D. «The Citizens of Dubrovnik and Zadar in the 'Thousand and One Night'» **Istoriski Chasopis,** V (1954-1955), 155-65 — with summary in English, p. 165.

Baker, Ernest. **The History of the Novel.** 5 vols. London : Witherby, 1934.

Baker ,F. G. «Sir Richard Burton as I Knew him,» **Cornhill Magazine,** no. 304 (Oct. 1921), 411-23.

Barchilon, Jaques. «Uses of the Fairy Tale in the Eighteenth Century,» **Studies on Voltaire and the Eighteenth Century,** XXIV (1963), 111-38.

Barth, John. **Chimera.** N.Y. : Random House, 1972.

Bator, Robert J. «Eighteenth-Century England versus the Fairy Tale,» **Research Studies,** XXXIX no. 1 (March 1971), 1-10.

Baumer, Franklin L (Romanticism,» in **History of Ideas.** Ed. Philip P. Wiener. N. Y. : Scribner's, 1955 (IV, 198-204).

Becker, M. L, Review of a new edition of the **Nights** based on Lang's adaptation, **Weekly Book Review** (May 5, 1946), p. 8.

Beer, John. **Coleridge the Visionary.** N.Y. : Macmillan, 1959.

Bennett, J .O. «Book of the Thousand and One Nights,» **Much Loved Books : Best Sellers of the Ages.** N.Y. : Boni and Liveright, 1927.

Bernbaum, E. **Guide Through the Romantic Movement.** 1930; rpt. N. Y. : Ronald Press, 1949.

Beveridge, H. «A Supposed Missing MS. of the Arabian Nights,» Journal of the Royal Asiatic Society, (1913), 170-71.

Beyer, Werner W. **Keats and the Daemon *King*.** N. Y. : Oxford Univ. Press, 1947.

Bjersby, B. M. H. **The Interpretation of the Cuchulain Legend in the Works of W. B. Yeats.** Upsala : Upsala Irish Studies, no. 1, 1950.

Bleiler, E. F., ed. **Three Gothic Novels.** N. Y. : Dover, 1966.

Booklist. Review of a new edition based on Lang's adaptation, XLII (June 15, 1946), 334.

————. Review of Joseph Campbell's **Portable Arabian Nights,** XLVIII (April 15, 1952), 266.

————. Review of Marcia Brown's abridgement of the **Nights** (Scribner's 1956), LIII(Dec. 15, 1956), 204.

————. Review of A. Williams-Ellis' edition of the **Nights** LV (Oct. 15, 1958), 104.

Bookman. Review of Dodd's edition of the **Nights,** XXXVI (Jan. 1913), 523.

Bookmark. Review of Marcia Brown's edition of the **Nights,** XVI (Oct. 1956), 11.

Booth, Michael R. **English Melodrama.** London : Jenkins, 1965.

————. **English Plays of the Nineteenth Century.** 5 vols. Oxford: Clarendon, 1969-1976.

Boston Transcript. Review of Dodd's edition Dec. 7, 1912), 5.

Bostford, J. B **English Society in the Eighteenth Century as Influenced from Oversea.** 1924; rpt. N.Y. : Octagon, 1965.

Braddy, H. «The Oriental Origin of Chaucer's Canacee-Falcon Episode,» **Modern Language Review,** XXXI (1936), 11-19.

Breett, R.L., ed. **Writers and their Backgrounds : S. T. Colerdige.** London : Bell, 1971.

Brocklemann, C. **Der Arabischen Literatur. Leiden** : Brill, 1938. 2 vols. and supplements.

Broshman, C. J. «Chemistry and alchemistry in the Arabian Nights,» **Science,** n. ser. LXII (July 3, 1925), 16.

Brown, Wallace Cable. «The Popularity of English Travel Books about the Near East, 1775-1825,» **Philological Quarterly,** XV (1936), 70-80.

———. «English Travel Books and Minor Poetry about the Near East, 1775-1825,» **Philological Quarterly,** XVI (1937), 249-71.

———. «Byron and the English Interest in the Near East,» **Studies in Philosogy,** XXXIV (1937), 55164.

———. «Thomas Moore and the English Interest in the Near East,» **Studies in Philology,** XXXIV (1937), 575-88.

———. «Robert Southey and English Interest in the Near East,» **English Literary History,** V (1938), 218-24.

———. «Prose Fiction and English Interest in the Near East, 1775-1825.» **PMLA,** LIII (1938), 927-37.

———. «The Near East in English Drama, 1795-1825,» **The Journal of English and German Philology,** XLVI (1947), 63-69.

Buckley, Jerome Hamilton. **The Victorian Temper : A Study in Literary Culture.** 1951 ; rpt. Vintage edition, Toronto : Random House, 1964.

———. **William Ernest Henley : A Study in the «Counter Decadence» of the Nineties.** N.J. : Princeton Univ. Press, 1945.

Campbell, Joseph. **The Hero with a Thousand Faces.** Bollingen ser. XVII, 1949; 3rd ed. N.J. : Princeton, 1973.

———. **The Masks of God : Primitive Mythology.** N. Y. : Viking Press, 1959.

———. **The Portable Arabian Nights.** 1952; rpt. N.Y. : Viking Press, 1967.

Cannon, Garland H. **The Letters of Sir William Jones.** 2 vols. Oxford: Clarendon, 1970.

———. **Oriental Jones : A Biography of Sir William Jones (1746-1794)** London : Asia Publishing House, 1964.

———. **Sir William Jones, Orientalist : An Annotated Bibliography** of his works. Honolulu : Univ. of Hawaii Press, 1952.

Catholic World. Review of Rosa Van Rosen's edition of the **Nights** (Hyperion Book), CLX (Dec. 1944), 280.

———. (Arabian Nights,» CLXXIX (Aug. 1954), 391.

Chapman, Guy. **Beckford : Life and Letters.** 1940 ; new ed. London: Rupert Hart-Davis, 1952.

————, with John Hodgkin. **A Bibliography of William Beckford of Fonthill.** London : Constable, 1930.

Cecil MoffittL . «Poe's 'Arabesque',» **Comparative Literature, XVIII** (1966), 55-70.

Chatterji, Suniti Kumar. «A World Classic : the Arabian Nights,» **Indo-Asian Culture** (1960), 141-59. Same art. IX (1961), 264-82.

Chew, Samuel. **The Crescent and the Rose ; Islam and England During the Renaissance.** 1937; rpt. N.Y. : Octagon, 1965.

Chesterton, G K. «The Everlasting Nights» in **The Spice of Life and Other Essays,** Ed. Dorothy Collins. 1964 ; rpt. Beaconsfield: Darwen Finlayson, 1967.

————. **The Collected Poems.** London : Cecil Palmer, 1927.

Chicago Sunday Tribune. Review of Marcia Brown's edition of the **Nights** (Scribner's, 1956) (Nov. 11, 1956), 18.

————. Review of A. Williams Ellis' edition of the **Nights** (Nov. 2, 1958), 14.

————. Review of **Sindbad** (Atheneum Publishers, 1962) (May 13, 1962), 2.

Christian Century. Review of Joseph Campbell's **Portable Arabian Nights,** LXIX (April 23, 1952), 498.

Christian Science Monitor. Review of Jean Stafford's abridgement (Macmillan, 1963) (Nov. 15, 1962), 9.

Christides, V. «An Arabo Byzantine Novel «Umar B-al Nu'man' compared with Digene's Akritas», **Byzantion,** XXXII (1962), 549-604.

Christy, A. **The Orient in American Transcendentalism : a Study of Emerson, Thoreau and Alcott.** 1932; rpt. N.Y. : Octagon Books, 1969.

Cimino, Maria. Review of Marcia Brown's abridgement, **Saturday Review,** XXXIX (Nov. 17, 1956), 48.

Clark, T. Blake. **Oriental England : 3 Study of Oriental Influences in Eighteenth-Century England as Reflected in Drama.** Shanghai, 1939.

Clay, B. and C. Spurling. **Plays from the Arabian Nights.** London : Wells Gaardner, 1913.

Clement, N. H. Romanticism in France, N. Y. : MLA, 1936.

Colby, Elbridge. **A Bibliography of Thomas Holcroft.** N.Y. : The The New York Public Library, 1922.

Colvin, Sidney. **John Keats : his life and Poetry, his Friends and Critics, and After-fame.** 1917; rpt. N. Y. : Octagon, 1970.

Conkling, G. H. «To Elsa : With a volume of the Arabian Nights; a poem,» **The Century Illustrated Magazine,** LXXXVII (Nov. 1913), 36-38 (also in **Current Opinion,** LV (Dec. 1913), 439).

Cook, E. T. **Life of John Ruskin.** 2 vols. London : George Allen, 1912.

Cooper. E. Taber. **Some English story-Tellers.** (London : Henry Holt, 1912.

Cox, R. G. «The Reviews and Magazines,» **Pelican Guide to English Literature : From Dickens to Hardy,** ed. Brosi Ford. 1958; rpt. Penguin, 1966.

Craig, Alec. **The Banned Books of England.** London : George Allen and Unwin, 1937.

Cruse, Amy. **The Victorians and their Books.** 1935; 3rd ed., London: George Allen and Unwin, 1962.

Dance Magazine. «Arabian Nights : Musical Comedy,» XXIX (Aug. 1955), 30-35 ; XLI (Aug. 1967), 24-25.

Daniel, Norman. **Islam, Europe and Empire.** Edinburgh : Edinburgh Univ. Press, 1966.

Darling, F. C. Review of new edition based on Andrew Lang's abridgement, **Christian Science Monitor** (sept. 24, 1946), 19.

Darton, F. J. H. **Children's Books in England : Five Centuries of Social Life.** Cambridge : Univ. Press, 1932.

Dearden, Seton. **The Arabian Knight : A Study of Sir Richard Burton.** 1936 ; rpt. London : Baker, 1953.

Decker, Clarence Raymond. **The Victorian Conscience** . N.Y. : Twayne Publishers, 1952.

De La Mare, Walter. «The Thousand and One,» in **Pleasures and** Speculations. Eassay Index Series. 1940 ; rpt. N.Y. : Books for Libraries Press, 1960.

Dodds. John W. **The Age of Paradox ; a Biography of England, 1841-51.** N. Y. Rinehart, 1952.

Downs. Robert B. «World of Wonders : The Book of a Thousand Nights and a Night» in **Famous Books Ancient And Modern.** 1964; 3rd printing, N.Y. Barnes and Noble, 1968.

Draper, J. «Shelley and the Arabic Persiant Lyric Style,» **Revisiti Campara,** XIII (1960), 92-95.

Duffy, Maurren. **The Rotic World of Faery.** London : Hodder and Stoughton, 1972.

Dufrenoy, Marie-Louise. **L'Orient romanesque en France : 1704-1789.** 2 vols. Montreal, 1946.

Dutt, S. **The Supernatural in English Romantic Poetry, 1780-1830.** Calcutta : Univ. of Calcutta Press, 1938.

Eaton, Horace Ainsworth. **Thomas De Quincey : A Biography.** N.Y. : Oxford Univ. Press, 1936.

Eddy, William A. **Gulliver's Travels : A Critical Study.** N.J. : Princeton Univ. Press, 1923.

Elisseff, Nikita. **Themes et motifs des Mille et une units : Essai de Classification.** Beirut, 1949.

Ellmann, Richard, ed. **Edwardians and Late Victorians.** N. Y. : Columbia Univ. Press, 1960.

Elwin, Malcolm. **Victorian Wallflowers.** London : Jonathan Cape, 1934.

Esdaile, Arundell. **A List of English Tales and Prose Romances Printed Before 1740.** London : Bibliographical Society, 1912.

Ettinghausen, Richard. «The Man-made Setting :Islamic Art and Architector,» in **Islam and the Arab World,** Ed. Bernard Lewis. N. Y. : Alfred A. Knopf, 1976.

Farmer, Henry George. **The Ministrelsy of «The Arabian Nights»':** A Study of Music and Musicians in the Arabic «Alif Laila wa **Laila.**» Bearsden (Scotland) : the Author, 1945.

———. «The Music of the **Arabian Nights,»** **Journal of the Royal Asiatic Society,** 2 pts (Oct. 1944, and 1945), 172-85, 39-60.

Farwell, B. **Burton : A Biography of Sir Richard Francis Burton.** N.Y. : Holt, 1958.

Finkelstein. Dorothee Metlitsky. **Melville's Orienda.** 1961; rpt. N.Y.: Octagon, 1971.

Fitch, G. Hamlin. «Arabian Nights and Other Classics» in **Comfort Found in Good Old Books.** Grosset, 1911.

Ford, George H. **Dickens and his Readers.** N.J. : Princeton Univ. Press, 1955.

Forster, E. M. **Aspects of the Novel.** 1927; rpt. Penguin. 1968.

Gaal, E. «Aladdin and the Wonderful Lamp,» **Acta Orientalia (Academia Scientiarum Hungaria)**, XXVII (1973), 291-300.

Gali, Marziah, **Persia and the Victorians.** London : Allen and Unwin, 1951.

Gallaway, W. F., P. «The Conservative Attitude Toward Fiction, 1770-1930,» **PMLA,** LV (1940). 1041-59.

Gerhardt, Mia A. **The Art of Story-Telling A Literary Study of the Thousand and One Nights.** Leiden : Brill, 1963.

Gerin, Winifred. **Charlotte Bronte : The Evolution of a Genius.** Oxford : Clarendon, 1967

————. **Emily Bronte : A Biography** 1971; rpt. Oxford : Clarendon, 1972.

Germanus, Abdul Karim. «Sources of the Arabian Nights,» **Islamic Review** (Sept. 1951), 16-19.

Gibb, H.A.R. «**Literature,**» **in Legacy of Islam.** Eds. Sir Thomas Arnold and Alfred Guillaume. Oxford : Clarendon, 1931.

Gibson, Byron Hall. **The History, from 1800 to 1932, of English Criticism of Prose Fiction.** Urbana, Illinois, 1931.

Goitein, S. D. «The Oldest Documentary Evidence for the Title **Alf Laila Wa-Laila,**» **Journal of the American Oriental Society,** LXXVIII (1859), 301-02.

Golden Book Magazine (N. Y.) «Hunchback Who Died Four Times,» XVII (May 1933). 454-58.

————. «Tale of the Kadi,» XXI (May 1935), 430-35.

Goldnopf, David. **The Life of the Novel.** Chicago : Univ. of Chicago Press, 1972.

Gose, Elliott, B., Jr. **Imagination Indulged : The Irrational in the Nineteenth-Century Novel.** Montreal : McGill and Queen's Univ. Press, 1972.

Gottheil, R. J. H. «Arabian Nights with Selections,» in **Columbia University Course.** Warner Library, vol. I.

Gowen, Herbert H. «Dante and the Orient,» **Sewanee Review,** XXXII (1924), 434-45.

Graham, Kenneth. **English Criticism of the Nove 11865-1900.** Oxford : Clarendon, 1965.

Graham, Walter. English Literary Periodicals. N.Y. : T. Nelson, 1930.

————. **Tory Criticism in the «Quarterly Review», 1809-1853.** N. Y. : Columbia Univ. Press, 1921.

Grob, Shirley. «Dickens and Some Motifs of the Fairy Tale.» **Texas Studies in Literature and Language,** V, No. 1 (Spring 1963), 567-79

Gross, John. **The Rise and Fall of the Man of Letters : Aspects of English Literary Life since 1800.** London : Weidenfeld, 1969.

Grunebuam, G. E. von. «Creative Borrowing; Greece in the Arabian Nights,» in **Medieval Islam.** Chicago : Chicago Univ. Press, 1946.

————. «Greek Form Elements in the Arabian Nights,» **Journal of the American Oriental Society,** LXII (1942), 277-92.

Gupta, J. «The East in English Literature,» **Calcutta Review** XXX (Jan 1929), 45-66.

Hachicho, Mohamad Ali. «English Travel Books about the Arab Near East in the Eighteenth Century,» Die Welt Des Islams, IX (Leiden, 1964), 1-206.

Haight, G. S. «George Meredith and the «Westminster Review», **Modern Language Review,** LIII (Jan. 1958) 1-16.

Haller, William. **Early Life of Robert Southey : 1774-1803,** N.Y. : Columbia Univ. Press, 1917.

Halliday, W.R. «The Story of Ali Baba and the Forty Thieves,» **Folklore,** XXXI (1920), 321-23.

Hamori, Andras. «An Allegory from the Arabian Nights : the City of Brass,» **Bulletin of School of Oriental and African Studies** (London Univ.), XXXIV (1971), 9-19.

————. **On the Art of Medieval Arabic Literature.** Princeton Essays in Literature. N.J. : Princeton Univ., 1974.

Hardy, Barbara. «Dickens' Story-Tellers,» **Dickensian,** LXIX (Spring, 1973), 71-78.

Haupt, P. «Ali Baba and the Forty Thieves : Note on «Open Sesame',» **American Journal Philology** (Oct. 1926), 307-09.

Hawari, Rida. «Poetical Orientalization in 18th and 9th Century England,» **Bulletin of the Faculty of Arts,** Riyadh Univ., I (1970), 7-19.

————. «On Some Oriental Sources of English Literature in Eighteenth and Nineteenth Century England,» **Bulletin of the Faculty of Arts,** Riyadh Univ., II (1971-1972), 31-59.

————. «A study of Thackeray's 'Sultan Stork' as an Orientalization with Special Reference to the Thackeray-Hauff Relationship,» **Bulletin of the Faculty of Arts,** Riyadh Univ., III (1973-1974), 7-22.

Hearn, Lafcadio. **Interpretations of Literature,** ed. John Erskine. 2 vols. N.Y. : Dodd and Mead, 1915.

Heidler, Joseph Bunn. **The History, from 1700 to 1800, of English Criticism of Prose Fiction.** Urbana : Univ. Illinois, 1928.

Hewitt, R.M. «Harmonious Jones» in **Essays and Studies by Members of the English Association,** XVIII (1942) 42-59.

Hibbard, L. A. **Medieval Romance in England.** N.Y. : Oxford Univ. Press, 1924.

Hibbard, Gilbert. «On First Looking into the Arabian Nights,» **Explorations. N.Y. :** Oxford Univ. Press, 1971.

Hill, T. W. «Books that Dickens Read,» **Dickensian,** XLV (1949), 81-90, 201-07.

Hilles, F.W. **The Literary Career of Sir Joshua Reynolds.** N.Y. : Macmillan, 1936.

Hinckley, H. B. «The Framing Tale,» **Modern Language Notes,** XLIX (1934), 64-80.

Hodgson, G. **The Life of James Elory Flecker.** Oxford : Blackwell, 1925.

Hollenback, J. W. «The Image of the Arab in Nineteenth Century English and American Literature,» **Muslim World,** LXII (1972), 195-208.

Holloway, J. **Widening Horizons in English Verse.** Evanston : Northwestern Univ. Press, 1967.

Holt, P. M. «The Treatment of Arab History by Prideaux, Ockley and Sale» in **Historians of the Middle East.** London : Oxford Univ. Press, 1962.

Hormel, O.D. Review of Marcia Brown's abridgement of the **Nights, Christian Science Monitor** (Nov. 15, 1956), p. 20.

Horn Book Magazien. Review of Marcia Brown's abridgement **(Scriner's.** 1956), XXXII (Dec. 1956) 441.

————. Review of A. williams-Ellis' edition of the **Nights,** XXXIV (Dec. 1958), 474.

————. Review of Charles Mozley's edition of the **First Book of Ancient Araby** (Watts, 1960), XXXVI (Dec. 1960), 511.

————. Review of **Sindbad** (Atheneum Publishers, 1962), XXXVIII (Aug. 1962), 271.

————. Review of William Wiesner's **Joco and the Fishbone** (Viking. 1966), XLII (Oct. 1966), 567.

Horovitz, J. «The Origins of the «Arabian Nights', **Islamic Culture,** I (1927), 36-57.

Houghton, Walter E. **The Victorian Frame of Mind, 1830-1870.** 1957; 10th printing, N.H. : Yale Univ. Press, 1971.

Hussain, I. «Oriental Elements in English Poetry,» **Venture,** I (June 1960), 156-65.

————. «Beckford, Wainewright, De Quincey and Oriental Exoticism,» **Venture,** I, no. 3 (Sept. 1960), 234-48.

————. **«Orientalism and Coleridge, Venture,** I, no. 4 (Dec. 1960), **336-46.**

Hussain, S.M. «Traces of Sufism in Tennyson's Poetry,» Tennyson Research Bulletin, II, no. 1 (1972), 6-14.

Jack, Ian. **English Literature, 1815-1832.** Oxford : Clarendon, 1963.

Jackson, Charlotte. Review of William Wiesner's **Jaco and the Fishbone, Atlantic Monthly,** CCXVIII (Dec. 1966), 150.

James, Louis. **Fiction For the Working Man, 1830-1850.** London : Oxford Univ. Press, 1963.

Jeffares, A. Norman and K.G.W. Cross, eds. **In Excited Reverie':** A Centenary Tribute to William Butler Yeats, 1865-1939. Toronto : Macmillan, 1965.

John Rylands Library Bulletin. «Collection Comprising Upwards of 1000 Vols. in the Various Editions and Languages Given to the

Case Memorial Library at Hartford by Dr. Duncan B. Macdonald,» XXVI (May 1942), 244-45.

Keller, J. E., tr. **The Book of the Wiles of Women.** Chapel Hill : Univ. of North Carolina, 1956.

Khulusi, S. «The Probable Author of the Early Stories of the Arabian Nights,» Trud. XX Mezhdunarodnogo Kongressa Vosloko (Mouskna,) 1960, tom 11 1963, 110-13. Baghdad, 1958.

Kiely, Robert. **Robert Louis Stevenson and the Fiction of Adventure.** Cambridge, Mass Harvard Univ. Press, 1964.

Killham, J. **Tennyson and the Princess : Reflections of an Age.** Athlone Press, Univ. of London, 1958.

King, M. B. Review of Charles Mozley's **First Book ... Chicago Sunday Tribune** (Nov. 6, 1960), p. 18.

Kinkead, K. T. Review of Marcia Brown's abridgement, **New York,** XXXII (Nov. 24, 1956), 230.

Kirkus (Bulletin of Virginia Kirkus' Bookshop Service), XII (Oct. 1, 1944), 450 (review of Rosa van Rosen's abridgement).

————. XIV (Feb. 1, 1946), 67 (review of a new edition based on Lang's).

————. XX (Jan. 15, 1952), 43 (review of Joseph Campbell's **Portable Arabian Nights(.**

————. **XXVI (July 15, 1958), 504 (review of William-Ellis' edition).**

————. XXVIII (July 1, 1960), 498 (review of Nathaniel Benchley's translation of **Sindbad the Sailor,** Random House, 1961).

————. XXVIII (Sept. 1, 1960), 755 (review of Mozley's edition of the **First Book ...).**

————. XXX (Feb. 1, 1962), 109 (review of **Sindbad).**

Knipp, Christopher. «The Arabian Nights in England : Galland's Translation and its Successors,» **Journal of Arabic Literature,** V (1974), 44-54.

Lach, Donald F. **Asia in the Making of Europe.** Chicago : Univ. Press, 1965

Lanes, S. G. Review of William Wisner's edition of **Joco and the Fishbone** (Viking, 1966) (Oct. 39, 1966), p. 24.

Landre, Louis. **Leigh Hunt.** 2 vols. Paris, 1935.

Lask, Thomas. Review of **Sindbad, New York Times Book Review** (May 13, 1962), p. 37.

———. Review of J. Stafford's abridgement (Macmillan, 1963), **New York Times Book Review** (Nov. 11, 1962), pt. 2, p. 62.

Leaf, M. «Arabian Nights, by the Princess Scheherazade,» **American Magazine,** CXXIX (June 1940), 62.

Leavis, Q. D., ed. **Jane Eyre.** 1966; rpt. Penguin, 1972.

Lecky, W. E. H. **History of England in the Eighteenth Century.** N.Y. : Appleton, 1878-1990.

Lefebure, Molly. **Samuel Taylor Coleridge : a Bondage of Opium.** London : Victor Gollancz, 1974.

Leidecker, K. F. Edgar Allan Poe's Orientalism,» **Modern Review** (Calcutta), LIX (Jan.-June 1936), 277-82.

Leturmy, M. «Thousand and One Nights or the Secret of Scheherazade,» **UNESCO Courier,** XXIV (Oct. 1971), 40-43.

Levi Della Vida, G. «A Christian Legend in a Moslem Garb,» **Byzantion,** XV (1940-1941), 144-57.

Libby, M. S. Review of Marcia Brown's abridgement, in **New York Herald Tribune Book Review** (Nov. 18, 1956), pt. 2, p. 4.

———. Review of A. Williams-Ellis' edition, **New York Herald Tribune Book Review** (Nov. 2, 1958), pt. 2, p. 12.

———. Review of Benchley's translation of '**Sindbad** '(Legacy Books, 1961), in the **New York Herald Tribune Lively 'Arts** (Jan. 29, 1961), p. 39.

———. Review of **Sindbad** (Atheneum Publishers, 1962), New York Herald Tribune Books (May 13, 1962), sect. 12, p. 28.

Library Journal. Review of Mozley's **First Book ...** LXXXV (Nov. 15, 1960), 4227.

Littmann, E. «Alf Layla Wa-Layla,» **Encyclopaedia of Islam** (Brill, 1960), I, 358-364.

Long, C. R. «Aladdin and the Wonderful Lamp,» **Archaeology, IX** (1956), 210-14.

Lovecraft, Howard Phillips. **Supernatural Horror in Literature.** 1927; rpt. N.Y. : Ben Abramson, 1945.

Lowes, John Livingstone. **The Road to Xanadu.** Boston and N.Y. : Houghton and Mifflin, 1927.

Maar, Harko G. De **A History of Modern Romanticism.** 1924; rpt. N.Y. : Hasheli House, 1964.

McAlarney, K.H. Review of a new edition based on Lang's abridgement, **Literary Journal,** LXXI (June 15, 1946), 920.

McBurney, W. H. «The Authorship of the Turkish Spy,» PMLA, LXXI (1957), 915-35).

MacCunn, Florence. **Sir Walter Scott's Friends.** Edinburgh : Blackwood, 1909.

Macdonald, Duncan Blac. «A Missing Manuscript of the Nights,» **Journal of the Royal Asiatic Society** (1913), p. 432.

———. «Further Notes on «Ali Baba and the Forty Thieves',» **Journal of the Royal Asiatic Society** (1913), 41-53.

———. «From Arabian Nights to Spirit,» **Muslim World** (oct. 1919), 336-48.

———. A Preliminary Classification of some MSS. of the Arabian Nights,» in A **Volume of Oriental Studies Presented to Professor E. G. Brown.** Eds. T.W. Arnold and R.A. Nicholson. Cambridge : Univ. Press, 1922.

———. «Earlier History of the Arabian Nights,» **Journal of the Royal Asiatic Society** (1924), pp. 353-97.

———. «Oriental Tales,» **Times Literary Supplement** (May 15, 1930), p. 414.

———. «Alf Laila wa-Laila,» **Encyclopaedia of Islam,** Suppl., no. 1 (Leiden, 1934), 17-21.

Mc Intosh, Carey, **The Choice of Life : Samuel Johnson and the World of Fiction.** N. H. : Yale Univ. Press, 1973.

Mackail, J. W. **Lectures on Poetry.** London : Longman and Green, 1911.

Mahmoud, Fatma Moussa. «The Oriental Fashion in the Work of the Romantics,» **Annual Bulletin of English Studies** (Cairo, 1955), 137-48.

———. «Rasselas and Vathek,» **Supplement to Cairo Studies in English** (1959), 50-57.

———, ed. **William Beckford of Fonthill, 1760-1844 : Bicentenary Essays. Supplement to Cairo Studies in English.** 1960; 2nd ed. Kennikat Press, 1972.

———. «Orientals in Picaresque : A Chapter in the History of Oriental Tale in England,» **Cairo Stud ies in English (1961-1962),** 145-88.

Manzaloui, Mahmoud. «Pseudo-Orientalism in Transition : the Age of Vathek,» in William Beckford of Fonthill, 1760-1844 : Bicentenary Essays.

Marchand, Leslie A. **The Athenaeum : A Mirror of Victorian Culture.** Chapel Hill : Univ. of North Carolina Press, 1941.

Marriott, J. A. R. **The Eastern Question.** Oxford : Clarendon, 1917.

Maxwell, Emily. Review of **Sindbad** (Atheneum, 1962), **New Yorker,** XXXVIII (Nov. 24, 1962), 225.

Melville, Lewis. **Life and Letters of William Bechford of Fonthill.** London : Heinemann, 1910.

Mentor. «Story of the Arabian Nights,» X (March 1922), 13-28.

Miner, Earl Roy. **Japanese Tradition in British and American Lite-**rature. N.J. : Princeton Univ. Press, 1958.

Mommsen, K. **Goethe und 1001 Nacht.** Berlin : Inst. fur deutsche Sprache und Literature, 1960.

Monod, S. **Dickens the Novelist.** Norman : Univ. of Oklahoma Press, 1968.

More, Paul Elmer. **The Drift of Romanticism.** Shelburne Essays, 8th ser. Boston and N. Y. : Houghton and Mifflin, 1913.

Morley, Edith J. The Life and Times of Henry Crabb Robinson. London : Dent, 1935.

Moslem World. «Collections of Arabian Nights,» XXXII (April 1942), 179.

Moulton, R. G. **World Literature.** N. Y. : Macmillan, 1927.

Muir, P. H. **English Children's Books. 1600-1909.** London : B. T. Bats ford, 1954.

Muller, B. E. «Arabian Nights in America; Fascinating Architectural Fantasy,» **Country Life,** LV (Nov. 1928), 67-69.

Myer, H. Review of Mommsen's **Goethe und 1001 Nacht, Germ. Review,** XXV (Dec. 1960), 315-18.

Nasr, Seyyed Houssein. **Ideals and Realities of Islam.** 1966; rpt. London : Allen and Unwin, 1971.

Nagle, B. C. and W. H. McBurney. **The Monthly Review, First** Series, 1749-1789. Indexes of Contributors and Articles. 2 vols. Oxford : Clarendon, 1934.

Nation, XCV (Dec 12, 1912), 561 (Review of Dodd's edition).

Nestibitt, George L. **Benthamite Reviewing : The First 12 years of the «Westminster Review,» 1824-1836.** N. Y. : Columbia Univ. Press, 1934.

Newby, P. H. «The Thousand and One Nights, **Listener,** *XXXIX* (Jan. 29, 1948), 178-79.

PAGE 673.

Nolen, Barbara. Review of Benchley's **Sindbad, New York Times Book Review** (Nov. 13, 1960), pt. 2, p. 39.

Oaten, E. F. **A Sketch of Anglo-Indian Literature,** London : Kegan Paul, 1908.

Oliver, D. J. W. **Life of William Beckford.** London : Oxford Univ. Univ. Press, 1932.

Osborne, Edna. «Oriental Diction and Theme in English Verse, 1740-1840,» **Bulletin of the University of Kansas Humanistic Studies, II,** No. 1 (May 1916), 8-141 (with a bibliography).

Paden, W. D. **Tennyson in Egypt : A Study of the Imagery in his Earlier Work.** Univ. of Kansas Publications, Humanistic Studies, no. 27 (1942).

Park, William. «Change in the Criticism of the Novel after 1760,» Philological Quarterly, XLVI (1967), 34-41.

«Paston, George.» «The Monthly Review in the Eighteenth Century,» Monthly Review, VIII (Aug. 1902) 123-37.

Penzer, Norman **M. An Annotated Bibliography of Sir Richard Burton.** 1923; London : Dawsons of Pall Mall, 1967.

Perry, B. E. «The Origin of the Book of Sindbad,» **Fabula,** III (1959), 1-94.

Phelps, Robert, Review of Joseph Campbell's edition of the **Nights, Nation,** CLXXIV (March 15, 1952), 256.

Pinto, V. de Sola. «Sir William Jones and English Literature,» **Bulletin of the School of Oriental and African Studies,** XI, no. 4 (1946), 686-94.

Pippitt, Aileen. Review of W. Wiesner's **Joco and the Fishbone, New York Times Book Review** (Nov. 6, 1966), pt. 2, p. 60.

Ponsonby, F. **Sidelights on Queen Victoria.** N.Y. : Sears Pub. Co., 1930.

Popper, W. «Data for Dating a Tale of the Nights,» **Journal of the Royal Asiatic Society** (Jan. 1926), 1-14.

Porter, William Sidney (O. Henry). **The Trimmed Lamp.** N. Y. :

————. **Strictly Business.** Doubleday, 1919.

Porter, L. s. «Greatest Books on the World : the Arabian Nights,» **Woman's Home Companion,** XL (Feb. 1913), 16.

Praz, Mario. **The Romantic Agony.** Tr. Angus Davidson. 1933 ; 2nd ed. London : Oxford Univ. Press, 1970.

Proceedings of the Sir William Jones Bicentenary Conference (held at Univ. College, Oxford, Sept. 2-6, 1946). London : Royal India Society, n.d.

Puccetti, R. «Lorca and Arab Andalusia, Mid-East Forum, XXXV (July 1956), 22-25.

Qalmawi, S. **Alf Laila Wa Laila** (in Arabic). Cairo, 1943.

Quinlan, M. J. **Victorian Prelude, a History of English Manners, 1700-1830.** N.Y . Columbia Univ. Press, 1941.

Reynolds, E. **Early Victorian Drama, 1830-1870.** Cambridge : Heffer and Sons, 1936.

Rice, Warner G. «Early English Travellers to Greece and the Levant,» **Univ. of Michigan Publications** (Language and Literature), X (1933), 205-60.

Richardson, A.E. **Georgian England.** 1931 ; rpt. N. Y. : Books for Libraries Press 1967.

Ridley, M. R. **Keats' Craftsmanship : A Study in Poetic Development.** Oxford : Clarendon, 1933.

Rihani, Ameen. «The Coming of the Arabian Nights,» **Bookman** (N. Y.) : XXXV (1912), pt. I, 366-70; pt. II, 503-08.

Roe, Frederick. **Thomas Carlyle as a Critic of Literature. N.Y. :** Columbia Univ. Press, 1910.

Ronkel. P. S. Va. «A Malay Version of an Arabic Popular Romance,» **Acta Orientalia,** V (1927), 68-73.

Rosenthal, F. «The Tale of Anthony,» **Oriens,** XV (1962), 35-60.

Roth, G. «The City of Iron in Ancient Indian Literature and in the Arabian Nights,» **Journal of Bihar Research Society,** XLV (1959), 53-76.

Rushdy, Rashad. «English Travellers in Egypt During the Reign of Mohammed Ali,» **Bulletin of the Faculty of Arts,** Fouad I Univ., Cairo XIV (Dec. 1952), 1-51.

————. «The English Travel-Book (1780-1850), A Popular Literary Form,» **Bulletin of the Faculty of Arts,** Cairo Univ. XV (Dec. 1953), 159-79.

————. «English Writings on Egypt, 1780-1850 : A Bibliography of Primary and Secondary Sources,» **Cairo Studies in English** (1963-1966), 77-96.

Saintsbury, George. **The English Novel.** London : Dent, 1913

San Francisco Chronicle. Review of A. Williams-Ellis'edition (Nov. 9, 1958), p. 13.

————. Review of **Sindbad** (May 13, 1962), p. 29.

Sanders, M. E. **The Life of Christina Rosetti.** London : Hutchinson, n.d.

Saturday Review. Review of Andrew Lang's edition, XXIX (June 15, 1946). 45.

Saunders, J. J. «Harun Al-Rashid and his Times,» **History Today,** XIII (Jan. 1963), 52-62.

Scaglione, Aldo D. «Shahryar, Giocondo, Kote. **Three Versions of** the Faithless Woman,» **Oriens,** XI (1958), 151-61.

Scarborough, D. **The Supernatural in Modern English Fiction.** N.Y.: Putnam, 1917.

Schach, Joseph and C.E. Bosworth, eds. **Legacy of Islam.** 2nd ed., Oxford : Clarendon, 1974.

School and Society. Review of Andrew Lang's edition, LXIII (May 11, 1946), 351.

Scott, V. W. Reciew of R. V. Rosen's edition of the **Nights, Library Journal,** LXIX (Dec. 15, 1944), 1105.

Segalowitsch, B. **Benjamin Disraeli's Orientalismus.** Berlin, 1930..

Selincourt, Ernest De. **The Prelude, or Growth of a Poet's Mind.** Oxford : Clarendon, 1926.

Sencourt, R. **India in English Literature.** London : Simpkin and Marshall, 1924.

Shaffer, E. S. **«Kubla Khan» and the Fall of Jerusalem : the Mythological School in Biblical Criticism and Secular Literature, 1770-1880.** Cambridge : Univ. Press, 1975.

Shaw, Sheila G. «Early English Editions of the Arabian Nights : Their Value to Eighteenth Century Literary Scholarship,» **Muslim World,** XLIX (1959), 232-38.

————. Review of N. Benchley's **Sindbad, Library Journal,** LXXXV (Oct. 15, 1960), 3856

————. Review of the Atheneum edition of **Sindbad, Library Journal,** LXXXVII (March 15, 1962), 1322.

————. «The Rape of Gulliver : Case Study of a Source,» PLMA, XC (Jan. 1975), 62-68.

Shaw, Bernard. «Books of My Childhood,» **Literary Digest** (Oct. 1946), p. 1.

Shine, Hill and Helen Chadwick. **The Quarterly Review under Gifford : Identifications of Contributors, 1809-1824.** Chapel Hill: Univ. of North Carolina Press, 1949.

Singh, B. **A Survey of Anglo-Indian Fiction.** London : Oxford Univ. Press, 1934.

Slythe, R.M. **The Art of Illustration, 1750-1900.** London : Library Association, 1970.

Smith, Byron Porter. **Islam in English Literature.** Beirut : American Press 1939.

Social Studies. Review of Andrew Lang's edition, XXXVII (Nov. 1946), 336

Spectator, Review of Dodd's edition, CIX (Nov. 2, 1912), 681.

Staffa, Susan Jane, «The Culture of Medieval Cairo as Reflected in Folk Literature,»

Middle Eastern Studies, X (1974), 333-47.

Stallworthy, Jon. **Between the Lines : Yeats's Poetry in the Making.** Oxford : Clarendon, 1963.

Stang, Richard. **The Theory of the Novel in England, 1850-1870.** London : Routledge and Kegan, 1959.

Stedman, Jane W. «Good Spirits . Dickens' Childhood Reading,» **Dickensian,** LXI (Sept. 1965), 150-54.

———. «The Genesis of the Genni,» **The Bronte Society Transactions,** XIV (1965), 16-19.

Steegman, J. **The Rule of Taste from George 1 to George IV.** London : Macmillan, 1936.

Stephens, G. A. «Arabian Nights and Arthurian Romance,» **Comparative Literature** Studies, XX (1946), 11-15.

Stevenson, Loinel. **The Ordeal of Richard Mededith : A Biography.** London : Scribner's 1953.

Stone, Donald David. **Novelists in a Changing World.** Cambridge, Mass : Harvard Univ. Press 1972.

Stone, Harry «Dark Corns of the Mind : Dickens, Childhood Reading,» **Hornbook Magazine(** XXXIX (June 1936), 306-21.

Strout, A. L. **A Bibliography of Articles in Blackwood'c Magazine,** 1817-1825. Lubbock : Texes Tech. College Library, 1959.

Stuart, Dorothy M. **Christina Rossetti.** London : Macmillan, 1930.

Symons, Arthur. «A Neglected Genius : Sir Richard Burton,» in **Dramatis Personae.** Indianapolis : Bobbs-Merrill, 1923.

Taylor, John T. **Early Opposition to the English Novel : the Popular Reaction from 1760 to 1830.** N. Y. : King's Crown Press, 1943.

Thomas, Della. Review of W. Wiesner's edition of **Joco and the Fishbone, Library Journal,** XCI (Oct. 15, 1966), 5242.

Tillotson, G. «Rasselas' and the 'Persian Tales',» in **Essays in Criticism and Research.** 1942; with a new preface, Hamden, Conn. : Archon Books, 14967.

Times Literary Supplement. «Biographical Notes» (March 16 and 30, 1922), pp. 176, 212.

———. «Notes on Sales» (April 10, 1930), p. 324.

———. A note on **Aladdin and Other Tales** (Penguin, 1957) (July 5, 1957), p. 418.

———. A note on J. Stafford's abridgement (Nov. 23, 1962), p. 904.

Todorov, T. The Fantastic. Tr. Richard Howard. 1970; rpt. Ithaca : Cornell Univ. Press, 1975.

Tompkins, J. M. S. **The Popular Novel in England, 1779-1880.** 1932; rpt. Lodon : Methuen, 1969.

Thompson, S., ed. A Motif-Index of Folk Literature. 6 vols. Bloomington : Indiana Univ. Press, 1932-1936.

Turberville, A. S. **English Men and Manners in the Eighteenth Century.** Oxford : Clarendon, 1926.

Verma, D. P. **The Gothic Flame.** N. Y. Russell and Russell, 1957.

Wahba, M., ed. **Bicentenary** Essays **on Rasselas,** Suppl. to **Cairo Studies in English,** 1959.

Walker, Kenneth, ed. **Love, War and Fancy : the Customs and Manners of the East from Writings on the Arabian Nights by Sir** Richard Burton. London : W. Kimber, 1964.

Wann, Louis. «The Oriental in Elizabethan Drama,» **Modern Philology,** XII (1914), 423-47.

Wasserman, E. R. **Elizabethan Poetry in the Eighteenth Century.** Urbana : Univ. of Illinois, 1947.

Watt, Iran. **The Rise of the Novel; Studies in Defoe, Richardson and Fielding.** London : Chatto and Windus, 1956.

Weisinger, Herbert. «The Middle Ages and the Late Eighteenth-Century Historians,» Philological Quarterly, XXVII (Jan. 1948), 63-79.

Weitzman A. J. «The Oriental Tale in the Eighteenth Century : A Reconsideration,» **Studies on Voltaire and the Eighteenth Cen**tury, LVIII (1967), 1839-55.

Wallek, Rene. **A History of Modern Criticism, 1750-1950.** Vol. 3. N.H. : Yale Univ. Press, 1965.

Whicher, G. F. **The Life and Romances of Mrs. Eliza Haywood.** N. Y. : Columbia Univ. Press, 1915.

Whitford, R. C. «The Arabian Nights' and the English Novel,» **Dial,** LX (March 16, 1916), 270.

Whitney, P. A. Reviw of an edition based on Lang's abridgement, **Bookman** (June 2, 1946), p. 11.

Wickens, G. M. «Lalla Rockh and the Romantic Tradition of Islamic Literature in English,» **Yearbook Of Comparative and General Literature,** XX (1971), 61-66.

Wiener, L. **Contributions towards a History of Arabic-Gothic Culture.** N. Y. : Neale Publ. Co., 1917.

Wiener, H. S. L. «Byron and the East : the Literary Sources of the 'Turkish Tales,» in **Nineteenth Century Studies,** ed. Herbert Davis. 1940 ; rpt. N.Y. : Greenwood, 1968.

Wiles, R. M. **Serial Publication in England Before 1745.** Cambridge: Combridge Univ. Press, 1957.

Williams. Ioan, ed. **Novel and Romance, 1700-1800 : A Documentary Record.** London : Routledge and Kegan, 1970.

Williams, R. D. «The Thousand and One Nights,» **Central Literary Magazine** (Jan. 1939), 16-22.

Williams, Stanley T. «The Source of Landor's **Gebir,**» **Modern Language Notes,** XXXVI (1921), 315.

———. «The Story of **Gebir**», PMLA, XXXVI (1921), 615-31.

Williamson, Kennedy. **W. F. Henley : A Memoir.** London : H. Shaylor, 1930.

Wright, Thomas. **The Life of John Payne.** London : Fisher and Unwin, 1919.

Wright, Thomas. **The Life of John Payne.** London : Fisher and Unwin, 1919.

———. **The Letters of ...,** ed. Allan Wade. London : Rupert Hart-Davis, 1954.

Abdel-Hamid, M.S. «Oriental Satanism in English Literature with Special Refrence to the Romantic Movement.» Ph.D., London, 1958.

Abdullah, A. M. «The Arabian Nights in English Literature to 1900». Ph.D., Cambridge, 1962.

Ahmed, Laila Nadine Abdel Aziz. «The Works of Edward William Lane and Ideas of the Near East in England, 1800-1850 : the Tranformation of an Image.» Ph.D., Cambridge, 1971.

Ahmed, M. «Oriental Influences in English Poetry of the Romantic Period». Ph. D., Birmingham, 1959-1960.

Aljuboure, D. A. H. «The Medieval Idea of the Saracen». Ph.D., Leeds, 1972.

Ambastha, K. P. «Traces of Oriental Mysticism in the Poetry of the English Romantic Revival.» Ph.D., Edinburgh, 1955-1956.

Annan, M. C.» The Arabian Nights in Victorian Literature». Ph.D., Northwestern Univ. 1954.

Asfour, M. H. «The Grescent and the Cross : Islam and the Moslems in English Literature from Samuel Johnson to Thomas Moore,» Ph. D., Indiana, 1973.

Bodine, J. J. «The Romanticism of Duncan Black Maddonald.» Ph. D., Hartford Seminary Foundation, 1973.

Broughton, E. S. «Orientalism in English Poetry.» M.A., London, 1919.

Brown, Wallace Cable. «The Near as Theme and Background in English Literature, 1775-1825.» Ph.D., Michigan, 1934.

Dawson, E. «Byron and Moore». Leipzig, 1902.

Duffy, John Dennis. «Arabia Literaria : Four Versions of the East, 1885-1926.» Ph.D., Toronto, 1964.

Dunn, T. D. «Eastern Rouges in English Fiction». D.Litt., Glasgow, 1921.

Farag, F. F. «Oriental Mysticism in W. B. Yeats». Ph.D., London, 1942.

Haddawy, Hussain F. Ali. «English Arabesque : The Oriental Mode in Eighteenth Century English Literature.» Ph.D., Cornell, 1962.

Hall, D. R. «Lamartine's Mirage of the East the Voyage en Orient.» Ph. D., Yale, 1966.

Hawari, R. «The Arabian Background of Tennyson, Thomson, and Meredith» B. Litt., Oxford, 1962-1963.

————. «A Study of the 'Exotic' East in the Works of Thackeray, with Reference to the Cult of the Oriental in Eighteenth and Nineteenth Century England.» Ph.D., London, 1967.

Hellal, Farida. «Emerson's Knowledge and Use of Islamic Literature». Ph.D., Houston, 1971.

Holt, P. M. «Aabic Studies in Seventeenth Century England with Special Reference to the Life and Works of Edward Pococke (1604-1961).» B.Litt., Oxford, 1961-1952.

Hussein, H.S. «The Koran and Courtly Love a Study of the Koran and its Influence on te Development of Divine and Courtly Love.» Ph.D., Southern California, 1971.

Isani, Mukhtar Ali. «The Oriental Tale in America through 1865.» Ph. D., Princeton, 1962.

Ishak, F. M. «The Philosophical Bearing of Eastern and Western Mysticism on the Poetry of Eliot.» Ph. D., Liverpool, 1961-62.

Kararah, A.M.A. «Simon Ockley : his Contribution to Arabic Studies and Influences on Western on Thought» Ph.D., Cambridge, 1955.

Khair-Ullah, : F.S. «Orientalism in the Romantics». Ph.D. Edinburgh, 1952-1953.

Khatib, Issam al. «The Orientalism of Alfred, Lord Tennyson. Ph.D. Case Western Reserve, 1967.

Knipp, Christopher. «Oriental Types in the Eighteenth Century.» Ph.D., California, Berkley, 1974.

Lewis, A. D. «Oriental Influences in English Literature from 1800 to 1850.» M.A., Wales, 1953-1954.

Mahmoud, F. M. «The Oriental Tale in England in the early Nineteenth Century, 1780-1824.» Ph. D., London 1957.

Manzaloui, M.A. «Some English Translations of Arabic Imaginative Literature (1704-1838) : A Study of their Portrayal of the Arab World, with an Estimate of their Influence on Nineteenth Century Literature.» B. Litt., Oxford, 1954.

Maynard, T.G.J. «The Literary Relevance of the Enclosed Garden as an Image in the Oriental Tale, 1704-1820.» Ph.D., London, 1970.

Metlitzky, D. «Prolegomena for a Study of Arabic Influences on the Middle Ages.» M.A., London, 1938.

Mowafy, M.I.El. «Arabia in English Literature, 1650-1750.» Py.D., Wales-Swansea, 1962.

Mukhlis, Naziha. «Studies in the Social Background of the **Arabian Nights**». Ph.D., School of Oriental and African Studies- Univ. of London, 1969.

Nanavutty, P. «Some Eastern Influences on William Blake's Prophetic Books.» M. Litt., Cambridge, 1938.

Rushdy, Rashad. (English Travellers in Egypt during the Reign of Mohammed Ali, 1805-1947.» Ph.D., Leeds, 1950.

Saigh, E. J. S. «Eastern Influences on Chaucer with Special Reference to the Arabs.» Ph.D., London, 1946.

Sha'ban, Fuad. «The Mohammedan World in English Literature, 1580-1672.» Ph. D., Duke, 1965.

Shaw, Sheila G. «The Influence of the **Arabian Nights** on Early Eighteenth-Century English Literature, with Special Reference to **Robinson Crusoe** and **Gulliver's Travels.**» Ph.D., Bryn Mawr, 1959.

Shiber ,Cornelia E. Sheider. «Echoes of Alif-Layla wa-Layla' in E. T. A. Hoffman's Marchen.» M.A., Tulane, 1967.

Stone, Harry. «Dicken's Reading.» Ph.D., Univ. of California, Los Angeles, 1955 .

Taylor, w. «A List of Arabic Words in the English Vocabulary.» M.A., Leeds, 1932.

Tayser, M.D. «India and the Near East in English Literature from the Earliest Times to 1924.» Ph.D., Cambridge, 1936.

Weitzman, Arthur J. «The Influence of the Middle East on English Prose Fiction, 1600-1725.» Ph. D., New York Univ., 1963.

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٧/٣١٩٠

ISBN ـ ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ١٣٢٠ ـ ٤

٥٨

الوقوع فى دائرة السحر

بحث يعنى فى المقام الأول بطبيعة ردود فعل النقاد والمتذوقين وحجمها إزاء هذا العمل الأدبى ، والذى يدلل واقع شهرته على ذيوعه وتأثيره فى المجتمع الانكليزى المثقف . . كما يعتمد هذا البحث على العروض النقدية والمقالات المتميزة التى وردت فى المجلات والدوريات المعاصرة ، وعلى مذكرات النقاد والكتاب والرحالة .

ويقول المؤلف : « . . . وليس جديرا أن نعترف بحجم التأثير الكبير لليالى العربية فى الأدب الانكليزى ، ولا سيما المسرحية والرواية الرومانسية » .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب